

كتاب

مفتاح الافكار

في

النثر المختار





تأليف

الشيخ احمد مفتاح

(مدرس الانشاء بقسم المعلمين العربي بالمبتديان)

طبع بمطبعة جريدة « الاسلام » بمصر

(سنة ١٣١٤ هجرية)

اهداء الكتاب

(الى صاحب السماحة والسيادة السيد توفيق البكري شيخ المشايخ)

بالديار المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد ايها المولى الفخيم والسيد السند العظيم فهذا كتاب ألفته وسفر في النثر العربي وضعته لم آل جهدا في ترتيبه وتهذيبه وجمعه وتركيبه حتى أصبح بفضل الله بيت القصيد في ديوان الانشاء والعقد الفريد في لبة العربية العرباء وقد وسمته باسمك العالي واهديته لمقامك السامي فان قبلته فلم أك بأول من اهدى الى الروض الثمر وحمل التمر الى هجر ولم يكن ذلك بأول اياديكم الجسام يابني الصديق وآل عتيق فانتم سراة الانام ورؤساء الاقوام منذ ألفي عام في الجاهلية والاسلام وبيتكم الاثيل اول بيت في مصر من سالف العصر واحد بيوتات الملة الاسلامية وركن من اركان الامة المحمدية بيت بناه صديق الرسول وشرف حباكم به ابن البتول فمن كابي بكر في الاسلام ومن

كالحسن في الشرف القُدام وانت حفظك الله بضعة تلك السلالة الطاهرة وفرع تلك الشجرة الزاهرة ان ذكر المجد فانت فارع قلته او الفضل فانت ناسج بردته او العلم فانت البحر الخضم او الجود فانت روض الكرم أو عدّ الشرف فأنت لب اللباب ودر الصدف او الشعر والآداب فانت (اشعر الشعراء واكتب الكتاب) فهاك ايها الاستاذ الامام كتابا تقاضاك قبل ان تتقاضاه وطلبك قبل ان تراه فان سعد طالعه وراقت مشارعه بسطت له يد القبول وحظي من التوفيق بالمأمول والسلام

المخلص

احمد مفتاح





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انشأ العالم على غير مثال احتذاه واختص منه الانسان بالبيان والله يختص من اصطفاه وجعل لغة العرب اشرف لغة فجاء بها التنزيل وصيرها في بني قحطان واحدا فواحدا واذكر في الكتاب اسماعيل والصلاة والسلام على المختار من اشرف القبائل الجامع لما تشتت من منثور الفضائل سيدنا محمد الذي ختم الله به الرسالة واخذ علينا العهد ان نؤمن به فآمنا وانقذنا من الجهالة صلى الله عليه وعلى آله فواصل الغث من السمين الذين سجعت بمدحهم في الطروس حمائم الكاتبين وعلى اصحابه اولى البراعة والتنسيق وانجم الهدى لمن سار على الطريق (اما بعد) فيقول احمد بن مفتاح ان منزلة النثر من الكلام منزلة الورد من الاكمام والعقد من النحر والتمام من البدر فانه الجالي للمعاني على منصة البيان وانظر قصة عمرو مع الزبرقان (١) غير انه وعر المسلك اذا اجيد خشن الملمس

(١) المراد به عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عمرو بن الاهتم عن الزبرقان فقال مطاع في ادنيه شديد

اذا اريد لايسلس قياده لكل كاتب ولا يسمح برفده لكل طالب ولا يفرع ذروته الا خاطر كدم في مكدم ولا يقرع صفاته الا قلم اذا لاقى الضريبة صمم ولا يغترف من بحره و يصبر على حمل صخره الا رجل رشف الضرب من لسان العرب ولا يقف بين سماطيه ناشرا اذنيه الا من لبس من الروائع العربية برودا يمانية لما فيه من بعد الشقة واعتساف المسالك والناس كما تعلمهم أباة الضيم وان لم يكونوا من آل مالك على ان للكلفة ميسما يسم الجباه ولذا قال زهير سئمت تكاليف الحياة وقال لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فما ظنك بمن يصبح ويمسي حليف رقاع اليف محبرة و يراع يتنقل لغير لذات الهوى و يأرق الليل الطويل لغير الجوى فبينا هو في تهنية اذ نزع الى تعزية وجنح بعد العتاب الى الشكر كما تجوفت العواطي ضروب السدر و بات بين امان وعهد وثيق وغدا يوما بحزوى و يوما بالعقيق فهذه الكلفة لاغرو ألزم وصاحبها لاشك اسأم وما بالك بمن لايركن في الصياغة لغير البلاغة ولا يعتمد في الاسجاع الا حسن الاوضاع ولا تزن بضاعته الموازين ولا يعوم في بحر بسفين لعمرك ان عين الجهد رائدته و يد القدرة على التصرف رافدته فما كل انسان يجيد الكتابة ولا كل فارس يصيد اسد الغابة ولهذا كانت الاعصر الخالية اجخل

العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول الله انه ليعلم منى اكثر من هذا ولكنه حسدني فقال عمرو (اما والله انه لزمر المروءة ضيق العطن احمق الوالد لئيم الخال والله يا رسول الله ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الاخرى ولكنى رجل رضيت فقلت احسن ما علمت وسخطت فقلت اقبح ما وجدت) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا

بالنثر من تموز بالمطر واضن بالكتاب من الاثل بالثمر واجود بالشعر المتين من كعب بن مامة بالماء واسخي بالشعراء المفلقين من حاتم طيّ بالحباء فلم تشتمل كتب الادب من النثر الا على غرة من ادهم وصفيّ من مغنم وغصت من الشعر بالرجز والقصيد وكانت مسرحا لليث والسيد وكان الباحث عن النثر فيها كانما يطلب الدر من البحار والماء من القفار والري من الثمد والنيل من لهوات الاسد لتفرقها في تلك الفضون تفرق الثمر في الغصون فمرة يصيد ام حبين واخرى يظفر بالذهب وتارة يرجع بخفي حنين وحينا يملأ الدلو الى عقد الكرب وما كان احوجنا الى كتاب يسفر عن ذلك اسفار الصبح اللامع ويفوز به فوز القدح السابع وينقب عن تلك الدفائن وقبل الرماء تملأ الكنائن ويظهر ما انطمس من تلك السبل ويعرب عنها اعراب النحاة للمثُل وقد كنت الفت كتابا سميته (مفتاح الانشاء) جاء في اربعة اسفار لم يترك من النثر طارفا وتليدا الا وعاه ولا من الشعر عربيا ومولدا الا حواه فيما دار بخلدي ووصلت اليه يدي من الكلام الذي رضيته النقاد واعلمت بمساقط غيثه الرواد واخترته وانا كاتب شاعر ومن امثالهم كم ترك الاول للآخر غير ان العوائق غلت يدي عن اظهاره وارضتني منه بما رضي الفرزدق من نواره فتركته مهملا من غير جرم متوجعا بدون سقم يكاد يتمزق من وجده ويموت للحزن في جلده ثم عمدت الى احد اجزائه وقد اسعده البخت فدخلت له من باب النحت وتسنمت فيه متن الايجاز وسلكت منه اقرب مجاز وقفلت باب الاسهاب ولخصته في هذا الكتاب وسميته ✻ مفتاح الافكار في النثر المختار ✻ غير معول على تبويب ولا ناظر الى ترتيب بل احتطبت بالنهار في حبل الاختيار واعتمدت في الجمع مساعدة الطبع جاعلا قصاراي كتابا انقله وغريبا اؤهله ورسالة اشنف بها الآذان

وخطبة سارت بذكرها الركبان ليكون كالروض جمع من الزهر اصنافا ومن الثمر اضعافا فاذا دخله الطالب أهوى فكره الى ما شاء من الانشاء وشم من الازهار وجنى من تلك الثمار فدخله وهو اليه يرغب وخرج منه آمنا يترقب فجاء كتابا يقتضي من المطالب عطفه ويهز في ندوة الحي عِطفه ويتهلل به وجه الزمان تهلل الكريم للضيفان وينسل اليه الطالب من كل حدب ويشهد بفضله المنصفون ويرضاه الكرام الكاتبون حاشا الحاسد الذي لا يرضيه الاّ سد فيه ولا تستميله الا بما تنيله فاعيذ نفسي من مكره وكتابي من شره واسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يمنحني ادراك المأمول وان يسلك بهذا الكتاب طريق القبول انه سميع الدعاء لمن يشاء



الطبقة الاولى

اسجاع العرب في النجوم

✻ ١ ✻ قال ساجع العرب ✻

اذا طلع الشرَطان استوى الزمان (١) واخضرت الاغصان وتهادت الجيران

---

(١) اورد هذه الاسجاع ابن سيده في المخصص والسيوطي في المزهر مع اختلاف في ترتيبها وكميتها ومع اعتياض عن بعض اسجاع منها بغيرها الا ان صاحب المخصص نسب بعضها الى فقيه العرب وهو عالمهم ثم قال ومما يقال حفظ من كلام لقمان بن عاد اذا امست الثريا قم رأس ففي الدثار فاخنس الى آخره والسيوطي نسبها كما نسبتها وقد جمعت بين ما ذكراه تابعا لترتيب السيوطي وقد ذكرها ايضا العيني في تاريخه باقصر مما هنا

وبات الفقير بكل مكان واذا طلع البُطَين اقتضى الدين وظهر الزَين واقتفى بالعطار والقين واذا طلع النجم (١) فالحر في حدم والعشب في حطم والعانات في كدم واذا طلع الدبران توقدت الحزّان (٢) وكرهت النيران واستعر الزبان ونشت الغدران ورمت بانفسها حيث شاءت الصبيان واذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة واورست الفقعة (٣) واردفتها الهنعة واذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء (٤) وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء واذا طلعت العُذرة لم يبق بعمان بسرة ولا لأكار برة (٥) وكانت عكة نكرة على اهل البصرة واذا طلع الذراع حسرت الشمس القناع (٦) واشعلت في الافق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع واذا طلعت الشعرى سفَرا (٧) ولم تر مطرا فلا تغذون امَّرة ولا امَّرا

---

(١) المراد به الثريا وقيل اذا طلع النجم انقى اللحم وخيف السقم وجرى السراب على الاكم وقيل اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وقيل اذا امست الثريا قم رأس ففي الدثار فاخنس وعظاها فاحدس وانهس بنيك واتهس وان سئلت فاعبس وقيل غير ذلك والحدم اصله شدة حمى النار والعانات جمع عانة تطلق على الاتان والقطيع من حمر الوحش والكدم العض بادني الفم (٢) جمع حزيز المكان الغليظ الصاب وجمع على احزة في معلقة لبيد ونش الغدير اخذ ماؤه في النضوب (٣) اصفرت كالورس والفقعة جمع فقع البيضاء الرخوة من الكمأة (٤) المكان الصلب (٥) و يروى بزة بدل برة و بكرة بدل نكرة والاكار الحراث والعكة بالبصرة كرب يصيبهم ايام شدة الحر في وجه الصبح معه ندي يكاد ياخذ بالانفاس (٦) فيه استعارة مكنية (٧) و يروي واذا طلعت الشعري نشف

وارسل العراضات اثراً يبغينك في الارض معمرا واذا طلعت النثره قنأت البسره « ١ » وجنى النحل بكره واوت المواشي حجره ولم تترك في ذات در قطره واذا طلعت الطرفه « ٢ » بكرت الخُرفه وكثرت الطُرفه وهانت للضيف الكلفه واذا طلعت الجبهه تحانّت الولهه « ٣ » وتنازت السفهه وقلت في الارض الرُفَهه واذا طلع سهيل طاب الليل وجرى النيل وامتنع القيل « ٤ » وللفصيل الويل

الثرى واجن الصرى وجعل صاحب النحل يرى و يروي واذا رايت الشعرى تقبل فمجد فتى ومجد حمل والسفر بقية بياض النهار بعد مغيب الشمس واراد طلوعها عشاء والامر الصغير من اولاد الضأن والانثي امرة وخصها بالذكر دون المعز لانها اعجز عنها في الطلب والعراضات جمع عراضة يريد بها الابل سميت بذلك لان آثار خفافها في الارض عراض والمعمر المنزل الواسع ماء وكلأ الذي يقام فيه والمعنى اذا اخطأ الوسمي فلم يقع له مطر فأسيء الظن بسنتك ولا تتشاغل بالغنم ولكن اظعن عن دارك واطلب بالابل دارا قد غاثها الله بغيث فانج اليها « ١ » احمرت و يروي شقحت اي لونت وحجرة ناحية « ٢ » كذا في المزهر وذكرها ابن سيده بالصاد وجعل الاسجاع الآتية في الصرفة رواية اخرى وفي اللسان قال الازهري العرب تقول اذا سقطت الطرفة قلت في الارض الرفهة اه وتأمله والخرفة المجتنى «٣» جمع واله اووالهة وهي التى فقد ولدها فقد كاد لبنها يذهب جزعا والنزو الوثب والرفهة واحدة الرفه وهو التبن «٤» اسم جمع لقائل من تقيل نام نصف النهار وقيل المراد الشرب فيه وهو احد الفاظ خمسة للشرب وثانيها الصبوح لشرب الغداة وثالثها الغبوق لشرب العشى ورابعها الفحمة لشرب اول الليل وخامسها الجاشرية لشرب السحر و يروى واذا سهيل

ورفع كيل ووضع كيل واذا طلعت الخَرَاتان «١» اكلت ام جرْذان واذا طلعت الصرفه احتال كل ذي حرفه (٢) وحفر كل ذي نطفه وامتيز عن المياه زلفه واذا طلعت انعواء ضرب الخباء وطاب الهواء وكره العراء وشنَّن السقاء (٣) واذا طلع السماك ذهب العِكاك (٤) واستفاهت الاحناك وقل على الماء اللِكاك واذا طلع الغفر اقشعر السفر وتربل النفر (٥) وحسن في العين الجمر واذا طلعت الزُباني احدثت لكل ذي عيال شانا ولكل ذي ماشية هوانا وقالوا كان وكانا فاجمع لاهلك ولا توانى واذا طلع الاكليل هاجت الفحول «٦» وشمرت الذيول وتخوفت السيول واذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب وصار اهل البوادي في كرب ولم يمكن الفحل الاذات ثَرْت «٧» واذا طلع الهرَّاران «٨» هزَلت السمان واشتد الزمان ووحوح الولدان واذا طلعت

مغرب الشمس طلع فابن اللبون الحق والحق جذع «١» المراد بهما الزبرة بالضم وام جزدان نوع من التمر (٢) و يروى اختال كل ذي خرفة والامتياز التنحي والزلفة ادني منزلة (٣) في اللسان وقد استشن السقاء وشنن اذا صار خلقا لكن قال ابن سيده وتشنين السقاء برده فحرر (٤) شدة الحر مع سكون الريح واستفاهة الاحناك كناية عن شهوة الطعام واللكاك الزحام (٥) و يروي واذا طلع الغفر جاد القطر و يقال تربل القوم رعوا الربل لضرب من الشجر يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر والنفر اما جمع نافر او الجماعة يتقدمون في الامر أو هو بالتحريك الناس كلهم ولم ار هذه السجعة صحيحة وانما قرأتها هكذا اخذا بالاقرب وانظرها في موضع آخر (٦) و يروى هبت (٧) شحم رقيق يغشي الكرش والامعاء (٨) هما النسر الواقع وقلب العقرب ووحوحة الولدان قال ابن سيده حكاية اصواتهم اذا

الشوْله اعجلت الشيخ البِوله واشتدت على العائل العوله (١) وقيل شتوة زوله واذا طلع العقرب جمس المِذنب وقر الاشيب «٢» ومات الجندب ولم يصر الاخطب واذا طلعت النعائم توسفت التهائم «٣» وخلص البرد الى كل نائم وتلاقت الرعاء بالتمائم واذا طلعت البلده حمَّمت الجعده «٤» واكلت القشده وقيل للبرد اهده واذا طلع سعد الذابح حمى اهله النابح ونفع اهله الرائح وتصبح السارح وظهر في الحي الانافح «٥» واذا طلع سعد بُلع اقتحم الرُبع «٦» ولحق

قالت اح اح من البرد وقال غيره والوحوحة صوت معه بحح (١) العائل الذى كثر عياله والفقير ومصدر الاول العول والثاني العيلة والزولة المنكرة (٢) و يروى وقرب الاشيب وجمس جمد واكثر ما يستعمل في الماء جمد وفي السمن جمس والمذنب الجدول يسير عن الروضة بمائها الى غيرها انظر القاموس والاشيب الثلج والجليد والاخطب الشقراق والصرد (٣) و يروي انقبضت البهائم من الصقيع الدائم وايقظ البرد كل نائم و يروي توسفت بدل انقبضت وخلص بدل أيقظ والتوسف تقشر التشقق الذي يبدو في فخذ البعير وعجزه عند السمن والمراد تقشروجه الارض من شدة البرد (٤) حممت الارض بدا نباتها اخضر الى السواد والجعدة حشيشة تنبت على شاطىء الانهار وقبل شجرة خضراء تنبت في شعاب الجبال بنجد والقشدة حشيشة كثيرة اللبن والاهالة والزبدة الرقيقة و يروي واذا طلعت البلده زعلت كل تلده وقيل علت الناس بلده (٥) جمع انفحه كرش الحمل او الجدي ما لم ياكل فاذا اكل فهو كرش (٦) الربع ولد الناقة في الربيع واقتحامه اسراعه في العدو لانه يقوى اذ ذاك والهبع الحمار والفصيل ينتج او في آخر النتاج والمرع جمع مرعة طائر يشبه الدراج واللمع جمع لمعة واصلها كل لون خالف لونا والمراد النبات الذي

الهُبَع وصيد المُرع وصار في الارض لمع واذا طلع سعد السعود «١» نضر العود ولانت الجلود وكره في الشمس القعود واذا طلع سعد الاخبيه رمت الاسقيه وتدانت الاحويه «٢» وتجاورت الابنيه واذا طلع الدلو «٣» هيب الجزو وانسل العفو وطاب اللهو والخلو واذا طلعت السمكه «٤» امكنت الحركه وتعلقت الحَسكه ونصبت الشبكه وطاب الزمان للنسكه واذا طلع الحوت «٥» خرج الناس من البيوت

٢ سؤال القمر وجوابه

قيل للقمر ما انت ابن ليله «٦» قال رضاع سُخَيله حل اهلها برُميله قيل

ينبت في الارض مختلفا لونه (١) ويروي واذا طلع سعد السعود ذاب كل جمود واخضر كل عود وانتشر كل مصرود (٢) جمع حِواء جماعة بيوت الناس اذا تدانت وهذه السجعة قريبة مما بعدها (٣) ويروي واذا طلع الدلو فالربيع والبدو والصيف بعد الشتو والجزو أصله الجزء بمعني الاجتزاء بالرطب عن الماء قال ابن سيده ولكنه ابدل الهمزة واوا اعتباطا لغير علة الا لمزاوجة الدلو ومثله كثير ويقال انسل السيل وذلك اول ما يبتدئ حين يسيل قبل ان يشتد وعفو الماء ما فضل عن الشاربة واخذ بغير كلفة (٤) هي الحوت والحسكة واحدة الحسك وهو نبات له ثمرة خشنة تعلق باصواف الغنم وقيل هي عشبة تضرب الى الصفرة ولها شوك يسمى الحسك (٥) هي بمعنى ما قبلها ولم يجمع بينهما السيوطي (٦) ذكر هذه القطعة السيوطي في موضعين من المزهر متفرقة وذكر بعضها ابن سيده معنونا لها بهذا العنوان مع اختلاف طفيف بينهما وسخيلة ورميلة تصغير سخلة ورملة والمعنى انه يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم

ما انت لليلتين قال حديث امتين بكذب ومين (١) قيل ما انت لثلاث قال قليل اللُبَاث (٢) قيل ما انت لاربع قال عتمة رُبَع (٣) غير جائع ولا مرضع قيل ما انت لخمس قال عشاء خلَفات قعس (٤) قيل ما انت لست قال سِرْ و بِتْ قيل ما انت لسبع قال دلجة الضبع (٥) قيل ما انت لثمان قال قمر اضحِيان (٦) قيل ما انت لتسع قال يلتقط في الجزْع (٧) قيل ما انت لعشر قال ثلث الشهر (٨) قيل ما انت لاحدى عشرة قال ارى عشاء وارى بكره قيل ما انت لاثنتي عشره قال مؤنق للشمس بالبدو والحَضْره (٩) قيل ما انت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشي له الناظر قيل ما انت لاربع عشره قال مقتبل الشباب اضيء مدجيات السحاب قيل ما انت لخمس عشره قال تم التمام ونفدت الايام

سخلة ثم ترضعها ويرتحلون (١) اي ان بقاءه قليل كمقدار ما تلقى الامة الامة فتكذب لها حديثا ثم يفترقان (٢) ويروي قال حديث فتيات غير جد مؤتلفات (٣) العتمة ثلث الليل الاول وبقية اللبن يفيق بها النعم تلك الساعة والربع ولد الناقة في الربيع والمعني ان بقاءه مقدار حلب بقيه اللبن في ام الربع ويروي ام ربع وعليه يقل التقدير «٤» ويروي قال حديث انس والخلفة الناقة التي استبان حملها والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن «٥» الدلجة السير من اول الليل والمراد ان زمنه قصير مقدار زمن مشي ذلك الحيوان ويروي قال حديث جمع «٦» بتنو بن قمر ويروي باضافته وهو من قولهم ليلة اضحيانة مضيئة وقياسها ضحوانة الا انهم ابدلوا الواو ياء من غير موجب اكثر من طلب الخفة «٧» ويروي قال منقطع الشسع والجزع الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض «٨» ويروي قال مخنق الفجر ويروي قال أؤديك الى الفجر «٩» مؤنق معجب والحضرة خلاف البادية

قيل ما انت لست عشره قال نقص الخلق في الغرب والشرق قيل ما انت لسبع عشره قال امكنت المقتفِر الفقْرَه « ١ » قيل ما انت لثماني عشره قال قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت لتسع عشره قال بطئ الطلوع بين الخشوع قيل ما انت لعشرين قال اطلع بالسحره واری بالبُهْره (٢) قيل ما انت لاحدى وعشرين قال كالقبس اطلع في غلس قيل ما انت لاثنتين وعشرين قال اطيل السرى الا ريثما ارى قيل فما انت لثلاث وعشرين قال اطلع في قتْمه ولا اجلى الظُلْمة قيل فما انت لاربع وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما انت لخمس وعشرين قال (٣) قيل فما انت لست وعشرين قال دنا ما دنا وليس يرى لى سنا قيل فما انت لسبع وعشرين قال اطلع بُكَرا وارى ظُهرا قيل فما انت لثمان وعشرين قال اسبق شعاع الشمس (٤) قيل فما انت لتسع وعشرين قال ضئيل صغير ولا يراني الا البصير قيل فما انت لثلاثين قال هلال مستقبل

٣ كلام رائد الأزد لاهل مأرب

« حين ارسل الله عليهم سيل العرم »

---

(١) يقال اقتفره وتقفره بمعنى اقتفاه و الفقرة واحدة فقار الظهر والمعنى انه اذا بلغ هذه الليلة كان عرضة لمن يرمى فقاره ويصيبه وهو قريب من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك افقر بعد مسلمة الصيد لمن رمى اي امكن الصيد من فقاره لراميه (٢) السحرة من ثلث الليل الآخر الى طلوع الفجر والبهرة ما اتسع من الارض وبهرة الليل وسطه والمعنى انه يطلع متاخرا ولا يرى الا في متسع من الارض ولو روى السجرة وهي الكدرة لكان له معنى (٣) هكذا في الاصل بدون جواب « ٤ » هكذا بلا اخت ومثلها الجواب الاخير

من كان ذا جمل مغْن (١) ووطب مدن وقربة وشن فلينقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يوم هم وليلحق بالثنى من شن ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على ازمات الدهر فليلحق ببطْن مَر (٢) ومن كان منكم يريد الخمر والخمير (٣) والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببصرَى والحَفير ومن كان منكم ذاهم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان الجديد ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل

٤ واهدى المنذر الاكبر الى انوشروان جارية

« وكتب معها »

اني وجهت الى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء قمراء (٤)

« ١ » اسم فاعل من اغني بمعني كفي او من اعنّ الفارس مدعنان دابته ليثنيه عن السير ويحتمل فتح اوله وسكون ثانيه بمعني طويل « ٢ » موضع على مرحلة من مكة ويقاله مر الظهران « ٣ » يحتمل انه من خمر العجين ونحوه ترك حتي يجود فيكون المراد السكر والاكل ويحتمل انه بمعنى ماخمر فيه فيتحد مع ماقبله مثل الامر والتامير وبصري بلد بالشام والحفير موضع بين مكة والبصرة « ٤ » القمراء الليلة المضيئة والمراد تشبيه وجهها بالقمر ويقال قمرة ايضاً على النسب وقيل لرجل من العرب اى النساء احب اليك قال (بيضاء بهترة حالية عطره حيية خفره كانها ليلة قمره) والوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين والاشفار مع استرخاء وطول والدعج سواد العين وقيل شدته وقيل مع السعة والحور شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد ولا تكون الادماء حوراء والعيناء واسعة العين مع عظم سوادها والقنواء التي ارتفع اعلى انفها واحدودب وسطه وسبغ طرفه والشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستواء اعلاها

وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء اسيلة الخد شهية المقبّل جثلة الشعر عظيمة الهامة (١) بعيدة مهوى القرط عنطاء عريضة الصدر كاعب الثدى ضخمة مُشَاش المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان ضامرة البطن خميصة الخصر غرثي الوشاح رداح الاقبال رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المأكمتين مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم «٢» قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرَّد سموع للسيد ليست بخنساء ولاسفعاء رقيقة الانف عزيزة النفس لم تغذ في بؤس حيية رزينه

وانتصاب الارنبة والبرج تباعد مابين الحاجبين وقيل سعة العين في شدة بياض صاحبها والزجج دقة الحاجبين في طول والجثل الكثير الملتف «١» كناية عن طول العنق وهو كقوله

اكلت دما ان لم ارعك بضرة ... بعيدة مهوي القرط طيبة النشر

والعنط طول العنق وحسنه او الطول عامة والمشاش جمع مشاشة وهي ما اشرف من عظم المنكب وهي راس العظم مثل الركبة والمرفق والمنكب والمراد ضخمة المنكبين والعضدين وسبطة طويلة وخميصة الخصر ضامرته ومعنى انها غرثي الوشاح ان خصرها لايملأ الوشاح والغرث الجوع وفي ضده يقولون مفعم وريان وراب والرداح اصلها العجزاء الثقيلة الاوراك التامة الخلق والمراد انها ثقيلة ماتقبل به من الوركين والذراعين والساقين «٢» اصل القطوف من الدواب البطيء وقيل ضيق المشى و يستعمل في الانسان ومكسال الضحي كما قال امرؤ القيس «نؤوم الضحي لم تنتطق عن تفضل والبضة كثيرة اللحم التارة في نصاعة والمتجرد الجسم والخنس في الانف تاخره الى الراس وارتفاعه

حليمة ركينه كريمة الخال تقتصر على نسب ابيها دون فصيلتها وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها قد احكمتها الامور في الادب فرأيها رأى اهل الشرف وعملها عمل اهل الحاجة صَناع الكفين قطيعة اللسان «١» رَهوة الصوت ساكنته تزين الولي وتشين العدو ان اردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر وجنتاها وتذبب شفتاها وتبادرك الوثبة اذا قمت ولا تجلس الا بامرك اذا جلست

٥ وقالت امرأة من كندة يقال لها عصام

« تصف ام اياس بنت عوف بن محلم الشيباني »

« لعمرو بن حجر وقد كان ارسلها لها ليتزوجها »

صرّح المحض عن الزبد (٢) رأيت جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل ان ارسلته خلت السلاسل وان مشطته قلت عنا قيد جلاها الوابل وحاجبين كانما خُطا بقلم او سود الحُمم تقوسا على مثل عين عبهرة بينهما انف

عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف والسفع سواد في الخدين من المرأة الشاحبة والركينة الرزينة والصناع الحاذقة «١» هو كقول سويد بن ابي كاهل

ولسانا صيرفيا صارما ... كحسام السيف ما مس قطع

والرهوة اصلها المكان المنخفض والمرتفع استعير هنا لانخفاض صوتها وحملق فتح عينيه ونظر شديدا والمراد النظر لبعلها وتذبب من قولهم ذببت شفته جفت عطشا او لغيره ولعل المعني انها غير شرهة (٢) عوف بن محلم هذا هو الذي يقال فيه لاحر بوادي عوف لفرط عزه ورجعت عصام وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فذهبت مثلاً ثم اقبلت الى الحارث فقال لها ما وراءك ياعصام

كحد السيف الصنيع حفت به وجنتان كالارجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذات أشُر تقلب فيه لسان ذو فصاحة و بيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمر اوان تحلبان ريقا كالشهد اذا دلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما (١) لين عصبهما تعقد ان شئت منهما الانامل نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوى طي القُباطي المدمجة كسر عُكنا كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي الى خصر لولا رحمة الله لانبتر لها كفل يقعدها اذا نهضت و ينهضها اذا عقدت كانه دعص رمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفّاوان كانما قلبا على نضد جمان تحتهما ساقان خدلتان كالبَرْديتين وشيتا بشعر اسود كانه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع

فذهبت مثلا فقالت صرح المحض عن الزبد فذهبت مثلا التصريح الانكشاف والمحض اللبن الخالص بلا رغوة والجم الفحم والعبهرة السمينة الممتلئة الجسم والصنيع السيف الصقيل المجرَّب والاشر التحزيز الذي يكون في الاسنان خلقة ومستعملا (١) القصب عظام الاصابع وقوله يخرقان عليها ثيابها مثل قوله (قد حلبت عليّ عشاري) والقباطي الثياب التي كانت تعمل بمصر نسبة الى القبط والدعص قطعة من الرمل مستديرة وللرمل اسماء تختلف باختلاف صفاته نحو الكثيب والعقنقل والطيس والحقف واللفاء الفخذ الضخمة والخدلة بينة الامتلاء والبردى نبات معروف

صغرها كيف تطيقان حمل ما فوقها

❊ ٦ ❊ واوصتها امها حين أرادوا ان يحملوها الى زوجها فقالت ❊

اي بُنية ان الوصية لو تركت لفضل ادب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو ان امرأة استغنت عن الزوج لغنى ابويها وشدة حاجتهما اليها كنت اغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال اي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فاصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له امة يكن لك عبدا (١) وشيكا يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع انفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا طيب ريح والكحل احسن الحسن والماء اطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدو عنه عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة (٢) وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير ولا تفشي له سرا ولا تعصي له امرا فانك ان افشيت سره لم تامني غدره وان عصيت امره او غرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح ان كان ترحا والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني اشد ما تكونين له اعظاما يكن اشد ما يكون لك اكراما واشد

---

(١) الوشيك السريع (٢) مفعلة تأتي للسببية نحو (والكفر مخبثة لنفس المنعم) والارعاء الابقاء يقال ارعى عليه ابقى

ما تكونين له موافقة يكن اطول ما تكونين له مرافقه واعلمي انك لا تصلين الى ماتحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما احببت و كرهت والله يخير لك

٧ وقالت الشعثا الكاهنة تصف لخوة سبعة

هم اخوه وكلهم اسوه اما الكبير فمالك جريء فاتك يتعب السنابك و يستصغر المهالك واما الذى يليه فالغمر بحر غمر يقصر دونه الفخر نهد صقر واما الذي يليه فعلقمه صليب المعجمه منيع المشتمه قليل الجَمجمه واما الذي يليه فعاصم سيد ناعم جلد صارم ابيّ حازم جيشه غانم وجاره سالم واما الذي يليه فثواب سريع الجواب عتيد الصواب كريم النصاب كليث الغاب واما الذي يليه فمدرك بذول لما يملك عزوب عما يترك يفني و يهلك واما الذي يليه فجندل لقرنه مجدل مقل لما يحمل يعطي و يبذل وعن عدوه لا ينكل

٨ ووصف الغيث اعرابي امام النعمان فقال

«١» اغمطت السماء في ارضنا ثلاثا رَهوا فثرت وارزغت ورسَّغت ثم خرجتْ

---

(١) اغمطت السماء دام مطرها ورهوا ساكنا وثرت تركت الارض ثرية وارزغت تركت في الارض رزغة ورسغت بلغ ماؤها الرسغ واقروها أتبعها ومتواصية متصل بعضها ببعض والخطيطة ارض لم يصبها مطر بين ارضين ممطورتين وتعشار موضع وتداعي السحاب اقبل والاقطار النواحي والجفار جمع جُفرة وهي سعة في الارض مستديرة وقوب قلع والعادى القديم واجحر الحضار الزمهم بيوتهم واصله ادخال الجحر واتلأب وضح والعنان السحاب واحده عنانة والاعنان نواحي السماء واحدها عنّ ولعل الاضافة للبيان والغيران واحدها غار وهو الكهف في الجبل

من ارض قومي اقروها متواصية لاخطيطة بينها حتى هبطت تعْشار فتداعى السحاب من الاقطار فجاء بالسيل الجرار فعفّى الآثار وملأ الجفَار وقوّب عاديّ الاشجار فاجحر الحُضَّار ومنع السفَّار ثم اقلع عن نفع واضرار فلما اتلأَبت لي القيعان ووضحت السبل في الغيطان تطلعت رقاب العنان من اقطار الاعنان فلم اجد وَزرا الا الغيران فقاءت جارّ الضبع فغادرت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعةً بالغُثاء والوحوش مقذوفة على الارجاء فما زلت اطأ السماء واخوض الماء حتى طلعت ارضكم

٩ وقال عبد قيس البرجمي لحاتم يستميحه في دماء حملها

اني حملت دماء عولت فيها على مالي وآمالي فأما مالي فقدمته وكنت اكبر آمالي فان تحملتها فكم من حق قضيت وهم كفيت وان حال دون ذلك حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك

١٠ وقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس يسأله «العفو عن دم ابيه»

انك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه ايامه وتنتقل به احواله بحيث لاتحتاج الى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك من سؤدد منصبك وشرف اعراقك و كرم اصلك في العرب محتد يحتمل ماحمل عليه من اقالة العثره ورجوع عن الهفوه ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي و بصيرة الفهم و كرم الصفح مايطول رغباتها و يستغرق طلباتها وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم واخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدي هالك

بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ولكن
مضي به سبيل لا يرجع اخراه على اولاه ولا يلحق اقصاه ادناه فاحمد الحالات
في ذلك ان تعرف الواجب عليك في احدى خلال ثلاث اما ان اخترت من بني
اسد اشرفها بيتاً واعلاها في بناء المكرمات صوتاً فقدناه اليك بنسعه يذهب مع
شفرات حسامك بباقي قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمة
الا بمكنته من الانتقام او فداء بما يروح على بني اسد من نعمها فهي الوف تجاوز
الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى اجفانها لم يردده تسليط الاحن
على البرآء واما ان وادعتنا الى ان تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر
فوق الرايات

❊ ٢١ ❊ جواب امرئ القيس له ❊

لقد علمت العرب ان لا كفؤ لحجر في دم واني لن اعتاض به جملا او
ناقة فاكتسب به سُبة الابد وفت العضد واما النظرة فقد اوجبتها الاجنة في
بطون امهاتها ولن اكون لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك
تحمل في القلوب حنقاً وفوق الاسنة علقاً

اذا جالت الحرب في مازق   تصافح فيه المنايا النفوسا

❊ ١٢ ❊ وقال النابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث ❊

الا انعم صباحاً ايها الملك المبارك السماء غطاؤك والارض وطاؤك
ووالدي فداؤك والعرب وقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جلساؤك والمداراة
سيماؤك والمقاول اخوانك والعقل شعارك والسلم منارك والحلم دثارك والسكينة
مهادك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداؤك واليمن حذاؤك والسخاء
ظهارتك والحمية بطانتك والعلا غايتك واكرم الاحياء احياؤك واشرف

الاجداد اجدادك وخير الاباء آباؤك وافضل الاعمام اعمامك واسرى
الاخوال اخوالك واعف النساء حلائلك وافخر الفتيان ابناؤك واطهر الامهات
امهاتك واعلى البنيان بنيانك واعذب المياه امواهك وافسح الدارات داراتك
وانزه الحدائق حدائقك وارفع اللباس لباسك وادفع الاجناد اجنادك قد
حالف الاضريج عاتقك ولاءم المسك مَسكك وجاور العنبر ترائبك وصاحب
النعيم جسدك العسجد آنيتك واللجين صحافك والعصب مناديلك والحواريّ
طعامك والشهد ادامك واللذات غذاؤك والخرطوم شرابك والابكار مستراحك
والشرف مناصفك والخير بفنائك والشر بساحة اعدائك والنصر منوط بلوائك
والخذلان مع الوية حسادك زين قولك فعلك قد طحطح عدوك غضبك وهزم
مقانبهم مشهدك وسار في الناس عدلك وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع
الاعداء ظفرك الذهب عطاؤك والدواب رمزك والاوراق لحظك والغنى
اطرافك والف دينار مرجوحة ايماؤك ايفاخرك المنذر اللخمي فوالله لقفاك خير
من وجهه ولشمالك اجود من يمينه ولاخمصك خير من راسه ولخطأك خير
من صوابه ولصمتك خير من كلامه ولامك خير من ابيه ولخدمك خير من
قومه فهب لى اساري قومي واسقهن بذلك شكري فانك من اشراف قحطان
وانا من سروات عدنان

❊ ١٣ ❊ وذم لبيد بقلة تدعي التربة فقال ❊

هذه التربة التى لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل
وفرعها كليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم
عليها ضائع اقصر البقول فرعاً واخبثها مرعي واشدها قلعاً فتعساً لها وجدعاً
القوا بني اخا بني عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس

١٤ كتاب النعمان الى كسرى مع من اوفده عليه

اما بعد فان الملك القى الى من امر العرب ما قد علم واجبته بما قد فهم بما احببت ان يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه ان امة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الامور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد اوفدت ايها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغامض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم وتعجيل سراحهم وقد نسبتهم في اسفل كتابي هذا الى عشائرهم

خطب الوفود على كسرى

١٥ (خطبة اكثم بن صيفي)

ان افضل الاشياء اعاليها واعلى الرجال ملوكهم وافضل الملوك اعمها نفعاً وخير الازمنة اخصبها وافضل الخطباء اصدقها الصدق منجاه والكذب مهواه والشر لجاجه والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء آفة الرأي الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الامور الصبر حسن الظن ورطه وسوء الظن عصمه اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء شر البلاد بلاد لا امير بها شر الملوك من خافه البريء المرء يعجز لا محاله خير الاعوان ممن لم يراء بالنصيحه احق الجنود بالنصر من حسنت سريرته يكفيك من الزاد ما بلغك المحل حسبك من شر سماعه الصمت حكم وقليل فاعله البلاغة الايجاز من شدد نفر ومن تراضي تالف

فتعجب كسرى من اكثم ثم قال ويحك يا اكثم ما احكمك واوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه قال اكثم الصدق ينبي عنك

لا الوعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال اكثم رب قول انفذ من صول «١»

١٦ خطبة حاجب بن زرارة التميمي

ورَى زندك وعلت يدك وهيب سلطانك ان العرب امة قد غلظت اكبادها واستحصدت مِرَّتها ومنعت دِرتها وهي لك وامقة ما تالفتها مسترسلة ما لاينتها سامعة ما سامحتها وهي العلقم مرارة وهي الصاب غضاضة والعسل حلاوة والماء الزلال سلاسة نحن وفودها اليك والسنتها لديك ذمتنا محفوظة واحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ان نؤب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم محمدتنا وان نذم لم نخص بالذم دونها

قال كسرى يا حاجب ما اشبه حجر التلال بالوان صخرها (٢) قال حاجب بل زئير الاسد بصولتها قال كسرى وذلك

١٧ خطبة الحارث بن عباد البكري

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنائها من طال رشاؤه كثر متحه ومن ذهب ماله قل منحه تناقل الاقاويل يعرف اللب وهذا مقام سيوجف بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ونحن جيرانك الادنون واعوانك المعينون خيولنا جمة وجيوشنا فخمة ان استنجدتنا فغير ربَّض

(١) مثل كلام اكثم هذا يسمى منثور الحكم لان قائله لم يرد وضعه تحت سياق وانما اراد ان يجعل كل جملة قائمة بنفسها منفردة بمكانها وانتقاد كسرى عليه لانه لم يجعل كلامه في انتظام (٢) فى هذه المراجعة اعتراف من كسرى اولا وادلال من حاجب عليه بالزيادة ثانياً ثم لطف باحتمال كسرى

وان استطرقتنا فغير جُهَّض وان طلبتنا فغير غمض لا ننثني لذعر ولا نتنكر لدهر رماحنا طوال واعمارنا قصار

قال كسرى انفس عزيزة «١» والله ضعيفة قال الحرث ايها الملك وأني يكون لضعيف عزة او لصغير مرة قال كسرى لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك

قال الحارث

ايها الملك ان الفارس اذا حمل نفسه على الكتيبة مغرراً بنفسه على الموت فهي منية استقبلها وحياة استدبرها والعرب تعلم اني ابعث الحرب قدما واحبسها وهي تصرف نابها حتى اذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رمحي و برقها سيفي ورعدها زئيري ولم اقصر عن خوض ضحضاحها حتى انغمس في غمرات لججها واكون فلكا لفرساني الى بحبوحة كبشها فاستمطرها دما واترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم

قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هو قالوا فعاله انطق من لسانه

قال كسرى ما رايت كاليوم وفدا احشد ولا شهودا اوفد

✻ ١٨ ✻ خطبة عمرو بن الشريد السلمي ✻

ايها الملك نعم بالك ودام في السرور حالك ان عاقبة الكلام متدبرة واشكال الامور معتبرة وفي كثير ثقلة وفي قليل بلغة وفي الملوك سورة العز وهذا منطق له ما بعده شرف فيه من شرف وخمل فيه من خمل لم نأت لضيمك «٢» ولم نفد لسخطك ولم نتعرض لرفدك ان في اموالنا منتقدا وعلى عزنا معتمدا ان اورينا نارا اثقبنا وان

ذلك منه «١» انتقاد منه بلزوم التناقض بين القول والحال «٢» فيه جفاء بالادلال وطرف من تهديد لا تحتمله الملوك لولا حلم كسرى وسابق التماس

اودي دهر بنا اعتدلنا الا انا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رامك مكافحون حتى يحمد الصدر و يستطاب الخبر

قال كسرى ما يقوم قصد منطقك بافراطك ولا مدحك بذمك

قال عمرو

كفى بقليل قصدي هادياً و بايسر افراطي مخبرا ولم يلم من أعربت نفسه عما يعلم ورضي من القصد بما بلغ

قال كسرى ما كل ما يعرف المرء ينطق به اجلس

✻ ١٩ ✻ خطبة خالد بن جعفر الكلابي ✻

احضر الله الملك اسعادا وارشده ارشادا ان لكل منطق فرصة ولكل حاجة غصة وعي المنطق اشد من عي السكوت وعثار القول انكي من عثار الوعث وما فرصة المنطق عندنا الا بما نهوي وغصة المنطق بما لا نهوي غير مستساغة وتركي ما اعلم من نفسي و يعلم من سمعني انني له مطيق احب الي من تكلفي ما اتخوف ويتخوف مني وقد اوفدنا اليك ملكنا النعمان وهو لك من خير الاعوان ونعم حامل المعروف والاحسان انفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وايدينا لك بالوفاء رهينة

قال له كسرى نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل «١»

النعمان الاغضاء عما يكون من بعض الجفاء «١» ادب خالدا ما جرى على سابقه عمرو فخدع كسرى في مقامته هذه حتى اجزل عليه ثناءه قال شيخنا المرصفي في دليل المسترشد و يحسن في هذا الموضع ايراد حكاية الاسد والذئب والثعلب اه وهي مشهورة

٢٠ خطبة علقمة بن علاثة العامري

نهجت لك سبل الرشاد وخضعت لك رقاب العباد ان للاقاويل مناهج وللآراء موالج وللعويص مخارج وخير القول اصدقه وافضل الطلب انجحه انا وان كانت المحبة احضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بافضل ممن عزب عنك بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في آبائه دنيا اندادا واكفاء كلهم الى الفضل منسوب و بالشرف والسؤدد موصوف و بالرأي الفاضل والادب النافذ معروف يحمي حماه و يروي ندماه و يذود اعداه لا تخمد ناره ولا يحترز منه جاره ايها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فانها الجبال الرواسي عزا والبحور الزواخر طمياً والنجوم الزواهر شرفاً والحصى عدداً فان تعرف لهم فضلهم يعزوك وان تستصرخهم لا يخذلوك

قال كسرى وخشى ان يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه حسبك ابلغت واحسنت

٢١ خطبة قيس بن مسعود الشيباني

اطاب الله بك المراشد وجنبك المصايب ووقاك مكروه الشصائب ما احقنا اذ اتيناك باسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع لنا حقدا في قلبك لم نقدم ايها الملك لمساماة ولم ننتسب لمعاداة ولكن لتعلم انت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا في المنطق غير محجمين وفي الناس غير مقصرين ان جورينا فغير مسبوقين وان سومينا فغير مغلوبين

قال كسرى غير انكم اذا عاهدتم غير وافين «١» قال قيس ايها الملك ما كنت

(١) هذه المراجعة اشارة لحادثة خاصة لا يخرج منها قلة وفاء العرب كانت الحجة فيها لقيس على كسرى

في ذلك الا كواف غدر به او كخافر اخفر بذمته قال كسرى ما يكون لضعيف ضمان ولا لذليل خفارة قال قيس ايها الملك ما انا فيما اخفر من ذمتي احق بالزامي العار منك فيما قتل من رعيتك وانتهك من حرمتك قال كسرى ذلك من ائتمن الخانة واستنجد الأثمة ناله من الخطأ ما نالني وليس كل الناس سواء كيف رايت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم و يعهد فيوفي و يعد فينجز قال وما احقه بذلك وما رأيته الا لي قال كسرى القوم بزل فافضلها اشدها

٢٢ خطبة عامر بن الطفيل

كثر فنون المنطق وليس القول اعمى من حندس الظلماء وانما الفخر في الفعال والعجز في النجدة والسؤدد مطاوعة القدوة وما اعلمك بقدرنا وابصرك بفضلنا و بالحرا ان ادالت الايام وثابت الاحلام ان تحدث لنا امور لها اعلام

قال كسرى وما تلك الاعلام قال مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر على امر يذكر قال كسرى وما الامر الذي يذكر قال مالي علم باكثر مما خبرني به مخبر قال كسرى متى تكاهنت يا ابن الطفيل قال لست بكاهن ولكني بالرمح طاعن قال كسري فان اتاك آت من جهة عينك العوراء ما انت صانع قال ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما اذهب عيني عبث ولكن مطاوعة العبث

٢٣ خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجدة الارتياد وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلطفك واكتظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك يساس لك قيادنا فانا اناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من اراد لنا قضما ولكن منعنا

حمانا من كل من رام لنا هضما

٢٤ خطبة الحارث بن ظالم المري

ان من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الاخلاق الملق ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط فان اعلمناك ان مواجهتنا لك عن ائتلاف وانقيادنا لك عن تصاف ما انت بقبول ذلك منا بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ولكن الوفاء بالعهود واحكام ولث العقود والامر بيننا و بينك معتدل مالم يأت من قبلك ميل او زلل

قال كسرى من انت قال الحارث بن ظالم قال ان في اسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وان تكون اولى بالغدر واقرب من الوزر قال الحرث ان في الحق مغضبة والسرور التغافل وان يستوجب احد الحلم الا مع القدرة فلتشبه افعالك مجالسك قال كسرى هذا فتى القوم

٢٥ نصيحة عامر بن الظرب العدواني لقومه

يا معشر عدوان كلفتموني بغيا ان كنتم شرفتموني فاني اريتكم ذلك من نفسي فأني لكم مثلي افهموا ما اقول لكم انه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل اولى به وان الحق لم يزل ينفر من الباطل ولم يزل الباطل ينفر من الحق يا معشر عدوان لا تشمتوا بالذلة ولا تفرحوا بالعزة فبكل عيش يعيش الفقير مع الغني ومن ير يوماً ير به واعدوا لكل امرئ جوابه ان مع السفاهة الندامة والعقوبة نكال وفيها ذمامة ولليد العليا العاقبة والقود راحة لا لك ولا عليك واذا شئت وجدت مثلك ان عليك كما ان لك وللكثرة الرعب وللصبر الغلبة ومن طلب شيأ وجده وان لم يجد يوشك ان يقع قريباً منه

٢٦ كلام سطيح لعبد المسيح حين بعثه كسرى للرؤيا

عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك

بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد اقتحمت في الواد وانتشرت في البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وفاض وادي السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات عدد سقوط الشرافات وكل ما هو آت آت

٢٧ خطبة سيدنا عبد المطلب

عند سيف بن ذي يزن بعد حرب الحبشة

ان الله تعالى ايها الملك احلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً باذخاً شامخاً وانبتك منبتاً طابت ارومته وعزت جرثومته ونبل اصله و بسق فرعه في اكرم معدن واطيب موطن فانت ابيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي اليه يلجأ العباد سلفك خير سلف وانت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من انت خلفه ولن يخمل من انت سلفه نحن ايها الملك اهل حرم الله وذمته وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي انهجك لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة

٢٨ كتاب التحالف بينه و بين خزاعة

باسمك اللهم (١) هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة حلفاً جامعاً غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على

«١» هكذا كانت تكتب قريش في اوائل الكتب وسببها ما ذكره المسعودي في تاريخه وصاحب الاغاني وقد كتبها صلى الله عليه وسلم اربع مرات كما ذكره الحلبي في السيرة ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم بعد نزول آية

الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أو كد عهدوا وثق عقد لا ينتقض ولا ينكث ما شرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما اقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف ابد لطول امد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق او غرب او حزن او سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا

٢٩ دعاؤه حين استسقى
بالنبي صلى الله عليه وسلم

اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم مسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي اكلت الظلف والخف فاسمعن اللهم وامطرن غيثاً مريعاً ممطرا مغدقاً

٣٠ وقال جبار بن سليمان حين
« وقف على قبر عامر بن الطفيل »

كان والله لا يضل حتى يضل النجم ولا يعطش حتى يعطش البعير ولا

هود وآية الاسراء وآية النمل وهذا الكتاب رواية الامتاع وروى هكذا (باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم واهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضي عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وميثاقه وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما اشرق ثبير وثبت حراء بمكانه وما بل بحر صوفة)

يهاب حتى يهاب السيل وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا

٣١ خطبة ابي طالب حين تزوج
(النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة)

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراماً وبيتاً محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن اخي من لا يوازن به فتى من قريش الارجح عليه برا وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجدا ونبلاً وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما احببتم من الصداق فعلي

٣٢ وصية اكثم بن صيفي لبنيه

تباروا فان البر يبقى عليه العدد وكفوا السنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه ان قول الحق لم يدع لى صديقاً الصدق منجاة لا ينفع التوقي مما هو واقع في طلب المعالي يكون العناء الاقتصاد في السعي ابقى للجمام من لم يأس على ما فاته ودع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه التقدم قبل التندم اصبح عند رأس الامر احب الى من ان اصبح عند ذنبه لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم امر من جاهله يتشابه الامر اذا أقبل واذا أدبر عرفه الكيس والاحمق البطر عند الرخاء حمق والعجز عند البلاء أمن لا تغضبوا من اليسير فانه يجني الكثير لا تجيبوا فيما لا تُسالون عنه ولا تضحكوا مما لا يضحك منه تناءوا في الديار ولا تباغضوا فانه من يجتمع يتقعقع عنده الزموا النساء المهانة نعم لهو الحرة المغزل حيلة من لا حيلة له الصبر ان تعش تر مالم تره المكثار كحاطب ليل من اكثر اسقط لا تجعلوا سرا الى امة

٣٣ كتابه لعمرو بن هند ملك العرب يعزيه عن اخيه

ايها الملك ان اهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرحال الا في غيرها وقد

اتاك ماليس بمردود عنك وارتحل عنك ماليس براجع اليك واقام معك من سيظعن عنك و يدعك واعلم ان الدنيا ثلاثة ايام فامس عظة وشاهد عدل فجعك بنفسه وابقى لك وعليك حكمته واليوم غنيمة وصديق اتاك ولم تاته طالت عليك غيبته وستسرع عنك رحلته وغد لاتدري من اهله وسياتيك ان وجدك فما احسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر وقد مضت لنا اصول نحن فروعها فما بقاء الفروع بعد اصولها واعلم ان اعظم من المصيبة سوء الخلف منها وخير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله

٣٤ حِكَمه

الانقباض عن الناس مكسبة العداوة وافراط الانس مكسبة لقرناء السوء كل ذات بعل ستئيم لن يهلك امرؤ عرف قدر نفسه المناكح الكريمة مدارج الشرف من استرعى الذئب ظلم من مأمنه يؤتي الحذر من لاحاك فقد عاداك من العجز والتواني نتجت الفاقه ويل للشجي من الخلى ان اردت المحاجزه فقبل المناجزه انك لاتجني من الشوك العنب اول الحزم المشورة الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت الحزم سوء الظن بالناس الحر حر وان مسه الضر المسألة آخر كسب الرجل من رضى باليسير طابت معيشته ومن عتب على الدهر طالت معتبته افضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال قد يشهر السلاح في بعض المزاح رب عنق شر من دق عليك بالمجامله لمن لاتدوم له مواصله ليس للملحف مثل الرد اذا اردت طرد الحر فسمه الهوان رب سباب قد هاجه العتاب من سأل فوق قدره استحق الحرمان غثك خير من سمين غيرك من اجد المسير ادرك المقيل المنة تهدم الصنيعه الحزن مَفسدة للعقل ومقطعة للحيلة من لم يسمع الحديث فارفع عنه

مؤنته من لم يرتح للثناء فليس له نصيب في المروءة من لم ينصحك في الصداقة فعاده العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت من لم يملكه عقله لم يملك نفسه من اصطنع قوماً احتاج اليهم يوماً ما اكرم الصنائع سلامة الصدور

٣٥ نصيحته لبني تميم حين ظهر النبي صلى الله عليه وسلم

يابني تميم لاتحضروني سفيهاً فانه من يسمع يخل ان السفيه يوهن من فوقه ويثبط من دونه لاخير فيمن لا عقل له كبرت سني ودخلتني ذلة فاذا رايتم مني حسناً فاقبلوه وان رايتم مني غير ذلك فقوموني استقم ان ابني شافه هذا الرجل مشافهة واتاني بخبره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهي عن المنكر وياخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله تعالى وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران وقد عرف ذوو الراي منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان الراي ترك ماينهي عنه ان احق الناس بمعونة محمد صلى الله عليه وسلم ومساعدته على أمره انتم فان يكن الذي يدعو اليه حقاً فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم احق الناس بالكف عنه وبالستر عليه وقد كان اسقفّ نجران يحدث بصفته وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله وسمى ابنه محمدا فكونوا في أمره اولا ولا تكونوا آخرا ائتوا طائعين قبل ان تؤتوا كارهين ان الذي يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم لو لم يكن ديناً لكان في اخلاق الناس حسنا اطيعوني واتبعوا امري اسأل لكم اشياء لاتنزع منكم ابدا واصبحتم اعز حي في العرب واكثرهم عددا واوسعهم دارا فاني ارى امرا لايجتنبه عزيز الاذل ولا يلزمه ذليل الاعزان الاول لم يدع للآخر شيأ وهذا امر له ما بعده من سبق اليه غمر المعالي واقتدى به التالي والعزيمة حزم والاختلاف عجز

كتب

النبي صلى الله عليه وسلم

٣٦ كتابه الى سيدنا خالد بن الوليد

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فان كتابك جاءني مع رسولك تخبرني ان بني الحارث بن كعب قد اسلموا قبل ان نقاتلهم واجابوا الى ما دعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

٣٧ كتابه الى المنذر بن ساوي في جواب كتابه الآتي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله (اما بعد) فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي و يتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصحهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك ومن اقام على يهوديته او نصرانيته فعليه الجزية

٣٨ كتابه الى فروة بن عمرو الجذامي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى فروة بن عمرو «اما بعد» فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما ارسلت به وخبر عما قبلكم خيرا وأنبأنا باسلامك وان الله هداك بهداه

٣٩ كتابه الى بني نهد

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله ورسوله

---

(١) بنو نهد قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بالفاظ غريبة وحشية لا تعرفها اكثر العرب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم و يكاتبهم بلغتهم وذلك من انواع بلاغته صلى الله عليه وسلم والوظيفة النصاب في الزكاة واصله الشيء الراتب والفريضة الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والانتفاع بها والفارض المريضة والفريش من الابل الحديثة العهد بالنتاج والمراد لهم خيار المال وشراره ولنا وسطه رفقاً بالفريقين والعنان سير اللجام والركوب الفرس الذلول اي لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب بخلاف المعد للتجارة والفلو المهر الصغير والضبيس المهر العسر الركوب والسرح ما سرح من المواشي اي لا تمنع من المرعى والعضد القطع والطلح شجر عظام من شجر العضاه لا ثمر فيه فعدم قطع غيره من باب اولى والدر اللبن والمراد ذوات اللبن أي لا تحبس عن المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة والآماق الغدر و يروي الرماق بمعناه والرباق جمع ربقة وهي عروة تجعل في الحبل وتكون في عنق البهيمة او يدها والمراد نقض العهد ففيه تشبيه العهد بالرباق والنقض

لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يمنع دركم ولا يؤكل أكلكم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابي فعليه الربوة

٤٠ كتابه الى اكيدر دومة

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) من محمد رسول الله لاكيدر حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد

بالاكل لان البهيمة اذا اكلت الربقة خلصت من الشدة والربوة بتثليث الراء الزيادة والمعنى ان من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة وهي صادقة ولو بقتاله (١) دومة بضم الدال وهي بلد وبفتحها بلد آخر والانداد جمع ندبكسر النون وهو ضد الشيء الذي يخالفه من ناده اذا خالفه والمراد ما كانوا يتخذونه الهة من دون الله والاكناف جمع كنف وهو الجانب والناحية والضاحية الناحية البارزة التي لاحائل دونها والمراد هنا اطراف الارض والضحل القليل من الماء والبور الارض التي لم تزرع مصدر وصف به والمعامي جمع معمى وهو المجهول من الارض التي ليس فيها اثر عمارة والاغفال جمع غفل وهي الارض التي ليس فيها اثر يعرف كانها مغفول عنها والحلقة السلاح عاما وقيل الدروع خاصة والضامنة ما كان داخلاً في العمارة من النخيل وتضمنته امصارهم وقراهم وقيل سميت ضامنة لان اربابها ضمنوا عمارتها فهي كعيشة راضية والمعين الماء الذي ينبع من العين وتعزل تصرف والفاردة الزائدة عن الفريضة اي لا تضم الى غيرها وتحشر الى الصدقة حتى تعد مع غيرها والحظر المنع

والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعزل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين

٤١ كتابه الى اهل هجر

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى اهل هجر سلم انتم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو (اما بعد) فاني اوصيكم بالله وانفسكم ان لا تضلوا بعد ان هديتم ولا تغووا بعد ان رشدتم (اما بعد) ذلكم فانه قد جاءني وفدكم فلم آت فيهم الا ما سرهم واني لو جهدت حقي كله فيكم اخرجتكم من ارض هجر فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم اذكروا نعمة الله عليكم (اما بعد) فاني قد اتاني ما صنعتم وان من يحمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فاذا جاءكم امراؤكم فاطيعوهم وانصروهم على امر الله وفي سبيله فانه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي «اما بعد» يا منذر بن ساوي فقد حمدك لي رسولي وأنا ان شاء الله مثيبك على عملك

٤٢ كتابه الى الحارث بن كلال ومن معه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله النبي الى الحارث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان «اما بعد» ذلكم فاني احمد

اليكم الله الذي لا اله الا هو «اما بعد» فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من ارض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة واعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار وعشر ما سقت القني وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وان في الابل الاربعين ابنة لبون وفي ثلاثين من الابل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الابل شاة وفي كل عشر من الابل شاتان وفي كل اربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذَع او جذَعة وفي كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة وانها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له ومن ادى ذلك واشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وانه من اسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم ومن كان على يهوديته او نصرانيته فانه لا يردعنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر او انثى حر او عبد دينار واف من قيمة المعافر او عوضه ثيابا فمن ادى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله (اما بعد) فان رسول الله محمد النبي ارسل الى زرعة ذي يزن ان اذا اتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة واصحابهم وان اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وابلغوها رسلي وان اميرهم معاذ ابن جبل فلا ينقلبن الا راضياً «اما بعد» فان محمدا يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني انك اسلمت من اول حمير

وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مولي غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا واني قد ارسلت اليكم من صالحي اهلي واولى دينهم واولى علمهم وآمركم بهم خيرا فانه منظور اليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٣ كتابه الى وائل بن حُجر واهل حضرموت

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الاقيال «١» العباهلة والارواع المشاييب وفي التيعة شاة لا مقورة

---

(١) هذه رواية القاضي عياض في الشفاء ويروي هكذا (من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من اهل حضرموت باقامة الصلاة وايتاء الزكاة على التيعة شاة والتيمة لصاحبها وفي السيوب الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ومن اجبى فقد اربي وكل مسكر حرام) الاقيال جمع قيل وهو الرئيس دون الملك وقيل الملك والعباهلة الاقيال المقرون على ملكهم لا يزالون من عبهلت الابل تركتها ترعى متى شاءت والارواع جمع رائع وهم ذوو الهيئة الحسنة الحسان الوجوه والمشاييب جمع مشبوب وهم السادة الرؤوس الحسان الوجوه والتيعة اسم لادنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان كالخمس من الابل والمقورة من التقوير وهو الاسترخاء والالياط جمع ليط اصله قشر العود استعير للجلد والمعنى انها غير مسترخية الجلود لهزالها والضناك الكثير اللحم المذكر والمؤنث فيه سواء والمراد انه لا تؤخذ المفرطة في السمن كما لا

الايلاط ولا ضِناكَ وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال

٤٤ كتابه الى همدان

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من «١» محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب

تؤخذ المزيلة وانطوا اعطوا بلغة اهل اليمن والثبجة بفتحات وقد تكسر الموحدة هي الوسط من المال اخذ من ثبجة الناقة وهو ما بين الكاهل الى الظهر والسيوب جمع سيب وهو الركاز او المعدن ومم بكر في لغة اهل اليمن مثل من البكر في لغة غيرهم ادغمت نون من في ميم ام وحذفت همزة الوصل تخفيفاً واصقعوه اضربوه واصله الضرب على الرأس و يروى فاصفعوه واستوفضوه انفوه من افضت الابل اذا نفرت والتضريج التدمية اي ارجموه حتى يسيل دمه ويموت والاضاميم الحجارة واحدها اضامة والتوصيم من الوصم وهو العيب والعار اي لا عار في اقامة الحدود اي لا تحابوا فيها احدا وقال في صبح الاعشى التوصيم الفترة والتواني اي لا تفتروا في اقامة الحدود ولا تتوانوا وهـذا بمعنى قوله تعالى « ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله » والغمة الستر اي لا تستروا فرائض الله و يروى عمه اى حيرة والترفل اصله من ترفيل الثوب اي اسباغه للفخر والمراد يسود و يراس استعارة (١) وروي ايضاً هكذا « ان لهم فراعها ووهاطها ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها و يرعون عافيها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار » مالك بن النمط اسمه ولقبه ذو المشعار

وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن النمط ومن اسلم من قومه ان
لهم فراعها ووِهاطها وعِزازها يأكلون علافها و يرعون عفاءها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحَوَرِيّ وعليهم منها الصالغ والقارح

٤٥ كتابه مع قطن بن حارثة العُلَيمي

وكنيته ابو ثور قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبر والعمائم العدنية وسياتي له كلام امامه صلى الله عليه وسلم والمخلاف في لغة اليمن بمنزلة الرستاق والكورة في لغة غيرهم وخارف وجناب الهضب وحقاف الرمل اسماء مواضع والمشعار اصله موضع باليمن والفراع جمع فَرْعة وهو ما علا من الجبال والارض والوهاط جمع وهطة وهو ما اطمأن من الارض وقيل جمع وهط والوهط اسم اعناب كانت لعمرو بن العاص رضى الله عنه والعزاز ما صلب من الارض وخشن مما لاملك لاحد فيه والعلاف جمع علَف وهو ما تأكله الماشية ومعنى تأكلون تملكون والعفاء المباح والمراد بالدفء الابل والغنم لانه يتخذ من اوبارها واصوافها مايتدفأ به والصرام اصله قطع الثمرة والمراد به النخل والثلب ما هرم من ذكور الابل وتكسرت اسنانه والناب المسنة من اناثها والفارض الهرمة المسنة والداجن الدابة التي تألف البيوت والحوري منسوب الى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ من البقر والغنم الذي كمل وانتهى ويكون ذلك في السنة السادسة وقيل السابعة ويقال بالسين وبالصاد والقارح الفرس الذي دخل في السنة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد لعمائر (١) كلب واحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين سعد بن عبادة وعبدالله بن انيس ودحية ابن خليفة الكلبي عليهم من الحمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل وفيما سقي الجدول من العين المعين العشر وفي العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس ابن شماس

٤٦ كتابه لبني زهير

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير انكم ان شهدتم ان لا اله الا الله واني رسول الله واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين واعطيتم

«١» العمائر جمع عمارة وهي اصغر من القبيلة والاحلاف المحالفون لهم وظأره جمعه وفي اللسان عطفه والحمولة التي ترعى بنفسها بان تكون سائمة في كلأ مباح والبساط جمع بسط وهي الناقة التي تركت وولدها لا يمتنع منها والظؤار جمع ظئر وهي المرضعة والعوار المراد منه العيب والحمولة المائرة التي تحمل الميرة والمعنى ان الابل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة والشوي اسم جمع للشاة والوري السمينة والجدول النهر الصغير والعثرى الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين اي بتقويم الخراص العدل

الخمس من الغنائم وسهم النبي والصفي فانتم آمنون بامان الله وامان رسوله لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم

٤٧ كتابه الى كسرى ابرويز ملك الفرس

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وادعوك بدعاية الله عز وجل فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين واسلم تسلم فان توليت فان اثم المجوس عليك

٤٨ كتابه الى هرقل

بسم الله الرحمن الرحيم

«١» من محمد رسول الله الى صاحب الروم اني ادعوك الى الاسلام فان اسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم وان لم تدخل في الاسلام فاعط الجزية فان الله تعالى يقول «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما

(١) هذه رواية ابي عبيدة في كتاب الأموال ورواه غيره هكذا (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين و يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وفي مسند البزار ان في هذا الكتاب من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم

حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون » والا فلا تحل بين الفلاحين و بين الاسلام ان يدخلوا فيه او يعطوا الجزية

٤٩ كتابه الى المقوقس صاحب مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

«١» من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى «اما بعد» فاني ادعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

٥٠ كتابه الى النجاشي ملك الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة اني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخه كما خلق ادم بيده واني ادعوك الى الله وحده لاشريك

(١) ذكر الواقدي ان كتابه هذا كان بخط ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه هكذا (من محمد رسول الله الى صاحب مصر اما بعد فان الله ارسلني رسولاً وانزل على قرآنا وامرني بالاعذار والانذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس في ملتي وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانيته فان فعلت سعدت وان أبيت شقيت والسلام

له وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى

٥١ كتابه الى هوذة بن على صاحب اليمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك

٥٢ كتابه الى المنذر بن ساوي

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم انت فاني احمد اليك الله الذي لااله الا هو (اما بعد) فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول فمن احب ذلك من المجوس فانه آمن ومن ابي فان عليه الجزية

٥٣ كتابه الى اهل نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

اله ابراهيم واسحاق ويعقوب «اما بعد» فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام

٥٤ كتابه الى ملكي عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله لعباد الله اسيد بن ملوك عمان واسيد عمان من كان منهم

بالبحرين «١» انهم ان آمنوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة واطاعوا الله ورسوله واعطوا حق النبي صلى الله عليه وسلم ونسكوا نسك المسلمين فانهم آمنون وان لهم ما اسلموا عليه غير مال بيت النار ثنيا لله ورسوله وان عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب وان للمسلمين نصرهم ونصحهم وان لهم على المسلمين مثل ذلك وان (٢) ارحاء يطحنون بها وكتب ابي بن كعب

٥٥ كتابه مع رفاعة بن زيد لقومه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن اقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن ادبر فله امان شهرين

٥٦ كتابه الى الحارث بن ابي شمر الغساني

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني ادعوك ان تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك

---

(١) هذه رواية ابي عبيدة ويروى هكذا (من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي في ملككما) (٢) كذا وجدته

٥٧ كتابه الى مسيلمة الكذاب في جواب كتابه الآتي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى (اما بعد) فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

٥٨ كتابه لبني ضمرة بالموادعة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من ناواهم وان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من بر منهم واتقى

٥٩ كتابه لاهل نجران بعد الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لنجران وحاشيتها اذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان افضل ذلك كله لهم غير الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى هذا الحساب الف في صفر والف في رجب وعليهم ثلاثون دينارا ومثواة رسلي شهرا فما فوق وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عادية مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمة محمد فمن اكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة

فقال العاقب يا رسول الله انا نخاف ان تأخذنا بجناية غيرنا

فكتب

ولا يؤخذ احد بجناية غيره شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وكتب علي بن ابي طالب

٦٠ كتابه في صلح الحديبية بينه و بين قريش

باسمك اللهم هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من اتي محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فاذا كان عاماً قابلاً خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثاً وان معك سلاح الراكب والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا

٦١ كتابه ليحنة صاحب ايلة بالمصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه امنة من الله ومحمدالنبي رسول الله ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة اللهوذمة محمدالنبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحرفمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر او بحر

٦٢ كتابه الى ثقيف

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ

فيبلغ به النبي محمد وان هـذا امر النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعده احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦٣ كتابه الى اهل اذرح بالمصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة

٦٤ كتابه لابي ضميرة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقهم وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله وان احبوا رجعوا الى قومهم فلا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا وكتب ابي بن كعب

٦٥ كتابه للداريين بالاقطاع

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول صلى الله عليه وسلم للداريين اذا اعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم و بيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ابد الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب

٦٦ كتابه لهم في هذا المعنى مرة ثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم الداري واصحابه اني انطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم و بيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونهيت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد ابو بكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب

٦٧ عهده لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن امره بتقوى الله في امره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وامره ان ياخذ بالحق كما امره الله وان يبشر الناس بالخير و يامرهم به و يعلم الناس القرآن و يفقهم فيه و ينهى الناس فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر و يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم و يلين للناس في الحق و يشتد عليهم في الظلم فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال الا لعنة الله على الظالمين و يبشر الناس بالجنة و بعملها و ينذر الناس النار و عملها و يستألف الناس حتى يفقهوا في الدين و يعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما امر الله به والحج الاكبر الحج الاكبر والحج الاصغر هو العمرة و ينهى الناس ان يصلى احد في ثوب واحد صغير الا ان يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه و ينهى الناس ان يحتبي احد في ثوب واحد يفضي بفرجه الى السماء و ينهى ان يعقص احد شعر رأسه في قفاه و ينهي اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر

وليكن دعواهم الى الله عز وجل وحده لا شريك له فمن لم يدع الى الله ودعا الى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم الى الله وحده لا شريك له و يامر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وايديهم الى المرافق وارجلهم الى الكعبين و يمسحون برؤوسهم كما امرهم الله وامر بالصلاة لوقتها واتمام الركوع والسجود والخشوع و يغلس بالصبح و يهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس فى الارض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء اول الليل وامر بالسعي الى الجمعة اذا نودي لها والغسل عند الرواح اليها وامره ان ياخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الابل شاتان وفي كل عشرين اربع شياه وفي كل اربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذَع او جذعة وفي كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فانها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وانه من اسلم من يهودي او نصراني اسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته او يهوديته فانه لا يرد عنها وعلى كل حالم ذكر أو انثى حرأ و عبد دينار واف او عوضه ثيابا فمن ادى ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله و بركاته

٦٨ كتابه بين المهاجرين والانصار

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من

قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون
الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم
بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى
وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو ساعدة على ربعتهم
يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين و بنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي
عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم
الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو النجار
على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف
والقسط بين المؤمنين و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى
وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو النبيت على
ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين و بنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم
تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم
ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان
المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم او اثم او عدوان او فساد
بين المؤمنين وان ايديهم عليه جميعاً ولو كان ولد احدهم ولا يقتل مؤمن مؤمناً
في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم وان
المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر
والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم
مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل

غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضاً وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال
دماؤهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على احسن هدى واقومه وانه لا يجير
مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط مؤمناً
قتلا عن بينة فانه قود به الا ان يرضي ولي المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا
يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم
الآخر ان ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره او آواه فان عليه لعنة الله وغضبه
يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان
مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون مع
المؤمنين ما داموا محار بين وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم
وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته
وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني الحرث مثل ما ليهود
بني عوف وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني جشم مثل
ماليهود بني عوف وان ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني
ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته
وان جفنة بطن من ثعلبة كانفسهم وان لبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف وان
البردون الاثم وان موالي ثعلبة كانفسهم وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج
منهم احد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه
من فتك فبنفسه فتك واهل بيته الا من ظلم وان الله على ابر هذا وان على
اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه
الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبردون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفه
وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محار بين وان يثرب

حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا
تجار حرمة الا باذن اهلها وانه ما كان بين اهل هـذه الصحيفة من حدث
او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره وانه لا تجار قريش
ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه
و يلبسونه فانهم يصالحونه و يلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على
المؤمنين الا من حارب في الدين على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم
وان يهود الاوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر المحض
من اهل هذه الصحيفة وان البردون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه وان
الله على اصدق مافي هذه الصحيفة وابره وانه لا يحول هـذا الكتاب دون ظالم
وآثم وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم او أثم وان الله جار
لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦٩ كتابه الى معاذ بن جبل يعزيه بابن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل سلام عليك فاني احمد اليك الله
الذي لا اله الا هو (اما بعد) فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك
الشكر ثم ان انفسنا واهلينا وموالينا من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة
نمتع بها الى اجل معدود ونقبض لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر اذا اعطى
والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة متعك
به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كثير الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت
واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين ان يحبط جزعك صبرك فتندم

على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد اطعت ربك وتنجزت موعوده
عرفت ان المصيبة قد قصرت عنه واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا
فأحسن الجزاء وتنجز الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد

(أدعيته صلى الله عليه وسلم)

٧٠ دعاؤه لبني نهد

(١) اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع
الثمر وافجر له الثمد و بارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن
آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد
ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل
عن الصلاة

(١) المحض اللبن الخالص والمخض ما حرك في السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ
منه والمذق اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم او انعامهم المذكورة في كلام
طهفة الآتي والدثر المال الكثير وقيل الخصب والنبات والثمد الماء القليل والمراد
بودائع الشرك العهود والمواثيق التي كانت بينهم و بين من جاورهم من الكفار
و بوضائع الملك الوظائف التي تكون على الملك وهو ما يلزم الناس في اموالهم من
الزكاة والصدقة جمع وضيعة اي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها معكم ولا
نزيد عليكم فيها شيأ والالطاط من لط الغريم اذا منعه حقه اي لا تمنع الزكاة
ولا تلحد اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا والخطاب لطهفة و يروى في تلطط
وتلحد بصيغة التفعل والمراد بالتثاقل عن الصلاة التخلف عنها وعن ادائها
في وقتها

٧١ دعاء آخر

اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاماً هنيأ مريأ مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا داراً نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منا والباد اللهم انزل في ارضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدك الميت وتسقيه مما خلقت انعاما واناسي كثيراً

٧٢ دعاء آخر

اللهم اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء

(خطبه صلى الله عليه وسلم)

٧٣ أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

قال بعد ان حمد الله واثنى عليه

ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله صلى الله عليه اليكم حقا والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا و بالسوء سوأ وانها للجنة ابداً او النار ابداً وانكم لاول من انذر بين يدي عذاب شديد

٧٤ اول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال

اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيأ ثم ينظر قدامه فلا يري غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزي الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته

٧٥ خطبته يوم الاحزاب

حمد الله واثنى عليه ثم قال

والذي بعثني بالحق انهم لحزب الشياطين يحدثونهم فيكذبونهم ويمنونهم فيغرونهم و يعدونهم فيخلفونهم والله ما حدثتكم فكذبتكم ولا منيتكم فغررتكم ولا وعدتكم فاخلفتكم اللهم اضرب وجوههم واكل سلاحهم ولا تبارك لهم في مقامهم اللهم مزقهم في الارض تمزيق الرياح الجراد والذي بعثني بالحق لئن امسيتم قليلا لتكثرن وان كنتم اذلة لتعزن ولئن كنتم وضعاء لتشرفن حتى تكونوا نجوما يقتدي بواحدكم يقال قال فلان وقال فلان

٧٦ خطبة اخرى

ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضي لا يدري ما الله صانع به و بين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فو الذي نفس محمد بيده

ما بعد الموت من مستعتَب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار

٧٧ خطبة اخرى

خطب بعد العصر فقال

الا ان الدنيا خضرة حلوة الاوان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء الا لا يمنعن رجلا مخافة الناس ان يقول الحق اذا علمه

قال ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس الا حمرة على اطراف السعف فقال

انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى

٧٨ خطبته بالخيف

نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم اداها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو افقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن اخلاص العمل لله والنصيحة لأولي الامر ولزوم الجماعة انّ دعوتهم تكون من ورائه ومن كان همه الآخرة جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له

٧٩ خطبة اخرى

الا ايها الناس توبوا الى ربكم قبل ان تموتوا وبادروا الاعمال الصالحة قبل ان تُشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتنصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في عامي هذا في شهري هذا الى يوم القيامة حياتي ومن بعد موتي فمن تركها وله امام فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في امره ألا

ولا حج له الاولا صوم له الاولا صدقة له الاولا بر له الاولا يؤم أعرابي مهاجرا الاولا يؤم فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه او سوطه

٨٠ خطبة اخرى

ان الحمد لله احمده واستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيآت اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان احسن الحديث كتاب الله قد افلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من احاديث الناس انه اصدق الحديث وابلغه احبوا من احب الله واحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عليه قلوبكم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله

٨١ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال

لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة اودم او مال يدّعى فهو تحت قدميّ هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة فيها اربعون خلِفة في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية يا معشر قريش او يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم ؟

قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ

قال فاذهبوا فانتم الطلقاء

٨٢ خطبته في زواج السيدة فاطمة

(١) الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المرهوب من عذابه فيما عنده النافذ امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه ثم ان الله تعالى جعل المصاهرة نسبا لاحقا وامرا مفترضا وشج به الارحام والزمه الانام قال تبارك اسمه وتعالى ذكره (هو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديراً) فأمرُ الله يجري الى قضائه ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب ثم ان ربي أمرني ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب وقد زوجتها اياه على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي

٨٣ خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيآت اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير «اما بعد» ايها

(١) قال سيدنا انس وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث عليا في حاجة ثم انه عليه السلام دعا بطبق فيه بسر فوضعه بين ايدينا ثم قال انتهبوا فبينا نحن ننتهب اذ دخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال يا علي ان ربي جل وعز امرني ان ازوجك فاطمة وقد زوجتك اياها على اربعمائة مثقال فضة ان رضيت يا علي قال رضيت يا رسول الله

الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا ادري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ايها الناس ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الاهل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان اول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وان اول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية ايها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد في ارضكم هذه ولكنه قد رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم ايها الناس انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جُمادي وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد ايها الناس ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن احدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيأ اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم اشهد ايها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرئ مال اخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم

اشهد فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله واهل بيتي ألا هل بلغت اللهم اشهد ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وادم من تراب اكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب ايها الناس ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله

٨٤ موعظة نبوية

اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكانكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل الا وان من في الدنيا ضيف وما في يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة الا وان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرأ نظر لنفسه ومهد لرمسه مادام رسنه مرخى وحبله على غاربه ملقى قبل ان ينفد اجله و ينقطع عمله

٨٥ موعظة أخرى

ايها الناس ان الرزق مقسوم لن يعدو امرؤ ما كتب له فاجملوا في الطلب وان العمر محدود لن يجاوز احد ما قدر له فبادروا قبل نفاد الاجل والاعمال محصاة لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة فاكثروا من صالح العمل ايها الناس ان في القناعة لسعة وان في الاقتصاد لبلغة وان في الزهد لراحة ولكل عمل جزاء

ولكل اجل كتاب وكل آت قريب

٨٦ خطبة اخرى خطبها في مرض موته

حمدا لله واثنى عليه وقال

ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون بي فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا لكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا فان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده عليّ غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي

« الكتب التي كتبت اليه »

٨٧ كتب سيدنا خالد له

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله و بركاته فاني احمد اليك الله الذي لااله الا هو (اما بعد) يا رسول الله صلى الله عليك فانك بعثتني الى بني الحارث بن كعب

وامرتني اذا اتيتهم ان لا اقاتلهم ثلاثة ايام وان ادعوهم الى الاسلام فان اسلموا اقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم واني قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعثت فيهم ركبانا قالوا يا بني الحارث اسلموا تسلموا فاسلموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهرهم امرهم بما آمرهم الله به وانهاهم عما نهاهم الله عنه واعلمهم معالم الاسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله و بركاته

٨٨ وكتب له المنذر بن ساوى بعد اسلامه

اما بعد يارسول الله فاني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه و بارضي يهود ومجوس فاحدث الى امرك في ذلك

٨٩ وكتب له مسيلمة الكذاب

من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشاً قوم يعتدون

٩٠ وقال له طهفة النهدي يشكوى الجدب

امامه

«١» اتيناك يارسول الله من غورى تهامة على اكوار الميس ترتمي بنا العيس

(١) الغور كل ما انحدر مغربا عن تهامة وتهامة ارض معروفة في بلاد العرب والاكوار جمع كور وهو الرحل او باداته والميس شجر صلب يعمل منه

نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرِهام ونستجيل الجَهام من ارض غائلة النطاء غليظة الوِطاء قد نشف المدهن و يبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى" وفاد الودي" برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشريعة الاسلام

رحال الابل والصبير سحاب ابيض متراكب يتكاثف والاستخلاب الاحتشاش بالمخلب وهو المنجل والخبير العشب في الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها ونستعضد نقطع والبرير ثمر الاراك وكانوا ياكلونه في الجدب لقلة الزاد ونستخيل نتخيل والرهام جمع رهمة وهو المطر الضعيف اي نتخيل الماء في السحاب القليل ونستجيل نراه جائلا يذهب به الريح هاهنا وها هنا والجهام السحاب الذي فرغ ماؤه و يروي بالخاء من خلت بمعنى ظننت و بالحاء والغائلة المهلكة والنطاء البعد اي المهلكة للبعد والمدهن يطلق على النقرة في الجبل وعلى مستنقع الماء وعلى كل موضع حفره السيل وعلى آلة الدهن وهذا كناية عن جفاف الماء في نواحيهم والجعثن اصل النبات والاملوج ورق شجر يشبه الطرفاء والعسلوج الغصن اذا يبس والهدي ما يهدي الى البيت الحرام من النعم لينحر والمراد جميع الابل تسمية للشيء ببعضه وفاد مات والودي فسيل النخل والوثن الصنم والعنن الاعتراض والمخالفة اي برئنا اليك من الشرك والظلم وطمى البحر ارتفع بامواجه وتعار اسم جبل والهمل المهملة والاغفال التي لا لبن فيها واصلها التي لاسمة عليها والوقير القطيع من الغنم والوسل ما يرسل منها الى المرعي و بالكسر اللبن وسنية صغر للتعظيم وحمراء شديدة ومؤزلة آتية بالازل وهو الضيق والعلل الشرب الثاني والنهل الشرب الأول

ما طمي البحر وقام تعار ولنا نعم اغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرَسل قليل الرِسل اصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل

٩١ وقال له مالك بن النمط الهمداني

«١» نصيّة من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قاص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارِف و يام لا ينقض عهدهم عن سُنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصُلّع

٩٢ ووصفت ام معبد النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها فقالت

رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صقله وسيما قسيما في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة احورا كحل ازج اقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما

---

(١) النصية الرؤوس والاشراف و يقال لهم نواص ايضا كما يقال للاتباع اذناب والقلص جمع قلوص وهي الشابة من النوق ولا تزال قلوصاً حتى تصير بازلا وهي ماتم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة والنواجي جمع ناجية وهي السريعة والمراد بحبائل الاسلام عهوده ومواثيقه وخارف قبيلة من همدان و يام و يقال ايام قبيلة اخرى والسنة الطريقة والماحل الساعى بالافساد والسوداء الشديدة والعنقفير بقاف بعدها فاء الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعى ساع بالنميمة ولا بداهية شديدة ولعلع جبل واليعفور ولد الظبية والصلع الارض التي لا نبات فيها والمراد ان عهدهم لا ينقض اصلا ومثل هذا التوقيت قولهم ما بلّ بحر صوفة وما اطت الابل وما عصر الزيت

وعلاه البها فهو اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن يتحدرن ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه العين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدا له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند صلى الله عليه وسلم

(حديث ام زرع)

قال السيوطي في المزهر قالت السيدة عائشة جاس احدى عشرة امرأة من اهل اليمن فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار ازواجهن شيأ الى ان قال

٩٣ وقالت الحادية عشرة

(زوجي) ابو زرع وما ابو زرع اناس من حلى اذني وفرعي وملأ من شحم عضدي و بجحني فبجحت نفسي الي وجدني في اهل غنيمة بشق فجعلني في اهل صهيل واطيط ودائس ومنق فعنده اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب فاتقنح وآكل فأتمنح (أم) ابي زرع فما ام ابي زرع عكومها رداح و بيتها فساح «ابن» ابي زرع فما ابن ابي زرع مضجعه كمسل شطبة وتشبعه ذراع الجفرة وترويه فيقة اليعرة ويميس في حلق النثرة «بنت» ابي زرع فما بنت ابي زرع طوع ابيها وطوع امها وزين اهلها ونسائها وملء كسائها وصفر ردائها وعقر جارتها قباء هضيمة الحشا جائلة الوشاح عكناء فعماء نجلاء دعجاء رجاء زجاء قنواء مؤنقة مفنقة برود الظل وفي الآل كريمة الخل «جارية» ابي زرع فما جارية ابي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً «ضيف» ابى زرع فما ضيف ابي زرع في شبع وري ورتع «طُهاة» ابي زرع فما طُهاة ابي زرع لا تفتر ولا تعرى تقدح وتنصب اخرى فتلحق الآخرة بالاولى «مال»

ابي زرع فما مال ابي زرع على الجم معكوس وعلى العفاة محبوس خرج ابو زرع من عندي والاوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فنكحها فاعجبته فلم تزل به حتى طلقني فاستبدلت وكل بدل اعور فنكحت بعده رجلا سريًّا ركب شريًّا واخذ خطيًّا واراح على نعما ثريًّا واعطاني من كل رائحة زوجا وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلوجمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ اصغر آنية ابي زرع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة كنت لك كأبي زرع لام زرع الا انه طلقها واني لا اطلقك فقالت بأبي انت وامي لانت خير لي من ابي زرع لام زرع

٩٤ وقال سبيع ينصح بني حنيفة

وقد ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

يا بني حنيفة «١» بعدا كما بعدت عاد وثمود والله لقد انبأتكم بالامر قبل وقوعه كاني اسمع جرسه وابصر غبه ولكنكم ابيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة واني لما رايتكم تتهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت بكم الباس وخفت عليكم البلاء والله ما منعكم الله التوبة ولا اخذكم على غرة ولقد امهلكم حتى مل الواعظ وهرأ الموعوظ وكنتم كانما يعني بما انتم فيه غيركم فاصبحتم وفي ايديكم من تكذيبي التصديق ومن نصيحتي الندامة واصبح في يدي من

«١» بنو حنيفة هم الذين قال فيهم جرير

ابني حنيفة حكموا سفهاءكم ... اني اخاف عليكم أن اغضبا
ابني حنيفة انني ان اهجكم ... ادع اليمامة لا تواري ارنبا

هلككم البكاء ومن ذلكم الجزع واصبح ما كان غير مردود وما بقي غير مأمون

(كلام سيدنا ابي بكر الصديق)



٩٥ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وهو مسجّى «بثوب فكشف عنه الثوب»

وقال

بابي انت وامي طبت حيًّا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك (١) لجدنا لموتك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادناف يتحالفان ولا يبرحان اللهم فابلغه عنا السلام اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ثم خرج

٩٦ وخرج الى الناس فخطب خطبة

قال فيها

(٢) اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمدا

(١) يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير

(٢) هكذا في زهر الآداب وفي سيرة ابن هشام (ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت)

عبده ورسوله واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين في كلام طويل

ثم قال

ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعاً وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم

٩٧ خطبته يوم السقيفة (١)

حمد الله واثنى عليه ثم قال

ايها الناس نحن المهاجرون اول الناس اسلاماً واكرمهم احساباً واوسطهم داراً واحسنهم وجوها واكثر الناس ولادة في العرب وامسهم رحماً برسول الله

قال ثم تلا هذه الآية (وما محمد الا رسول) الآية قال ابن عبد ربه وكان آخر كلام ابي بكر الذي اذا تكلم به عرف انه قد فرغ من خطبته «اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير ايامي يوم القاك»

(١) السقيفة ظلة كانوا يجلسون تحتها وفيها بويع سيدنا ابو بكر وبنو ساعدة حي من الانصار منهم سعد بن عبادة وهو القائل يوم السقيفة كما في المواهب الفتحية (انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم كررناها جذعة منا امير ومنكم امير يا معشر قريش) وقيل وهو الصحيح القائل الحباب بن المنذر

صلى الله عليه وسلم اسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى «والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان» فنحن المهاجرون وانتم الانصار اخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وانصارنا على العدو آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

٩٨ ومن كلامه ذلك اليوم

نحن اهل الله واقرب الناس بيتاً من بيت الله وأمس الناس رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر ان تطاولت له الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاولت له الاوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي الاسد يضغمه المهاجري ويجرحه الانصاري

٩٩ خطبته حين بايعه الناس البيعة العامة بعد بيعة السقيفة

«١» حمد الله واثنى عليه ثم قال

«١» هذه رواية الباقلاني في اعجاز القرآن ورواها في العقد الفريد هكذا «ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فاعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني اطيعوني ما اطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم الا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له واضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم» وجاءت في الهشامية والحلبية بغير هاتين الروايتين بل رواها في الكامل لسيدنا عمر باقصر

اما بعد فاني وليت امركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم وعلمنا فعلمنا واعلموا ان اكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان اضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق ايها الناس انما انا متبع ولست بمبتدع فان احسنت فاعينوني وان زغت فقوموني

١٠٠ خطبة اخرى حين اشار عليه الصحابة بعدم الجهاد وأن لاطاقة له بالعرب

حمدا لله واثنى عليه وكبره وصلى على النبي عليه السلام ثم اقبل على الناس فقال

ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ايها الناس ان كثر اعداؤكم وقلّ عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ايها الناس لو افردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى ابلغ من نفسي عذرا واقتل مقتلا والله ايها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت بالله خير معين

من هذا اللفظ هكذا « ايها الناس انه والله ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه

١٠١ كتابه لاهل الردة

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة او خاصة اقام على الاسلام او رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وأُقر بما جاء به (اما بعد) فان الله ارسل محمداً بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيّا ويحق القول على الكافرين يهدي الله للحق من اجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعاً وكرهاً ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لامر الله ونصح لامته وقضى الذي عليه وكان الله قد بين له ذلك ولاهل الاسلام في الكتاب الذي انزله فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين) فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لاشريك له فان الله بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لامره منتقم من عدوه بجزيه واني اوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وان تهتدوا بهديه وان تعتصموا بدين الله فان من لم يهد الله ضل وكل من لم يعافه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهديا ومن اضله الله كان ضالا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى

يقر به ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد ان اقر بالاسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بامره واجابة للشيطان وقال الله جل ثناؤه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال جل ذكره (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) واني أنفذت اليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل احدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب واقر وكف وعمل صالحًا قبل منه واعانه عليه ومن ابي أن يقاتله على ذلك ولا يبقي على احد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من احد الا الاسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الاذان فان اذّن المسلمون فاذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا سلوهم ما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم

١٠٢ خطبة اخرى

وقد جاء مال من البحرين ساوي فيه بين
الناس فغضب الانصار

حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

يا معشر الانصار ان شئتم ان تقولوا انا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في اموالنا ونصرناكم بانفسنا لقلتم وان لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وان طال به الامد فنحن وانتم كما قال طفيل الغنوي

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا أن يملونا ولو ان امنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت
هم اسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت ادفأت واظلت

١٠٣ خطبة اخرى

لما حمد الله بما هو اهله وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام قال ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك

فرفع الناس رؤوسهم

فقال

ما لكم ايها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما بيده ورغبه فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذة البقاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القيسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحي ظله حاسبه الله فأشد حسابه وافل الانصار عنه عقوبة (١) الا وان الفقراء هم المرحومون الا ان من آمن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة وسترون بعدي ملكا عضوضا وملكا عنودا وامة شحاحا ودما مباحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفو لها الاثر ويموت لها الخبر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر ايّ بلاد خرشنة ان الله سيفتح لكم اقصاها كما فتح عليكم ادناها

(١) كذا في زهر الآداب وفي العقد الفريد واقلّ عفوه

١٠٤ خطبة اخرى

حمد الله واثنى عليه ثم قال

اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو اهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسألة فان الله اثنى على زكريا وعلى اهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه انفسكم واخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا تفني عجائبه ولا يطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة فانه خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون في اجل قدغيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضى الآجال وانتم في عمل الله ولن تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا في مهل باعمالكم قبل ان تنقضى آجالكم فتردكم الى سوء اعمالكم فان اقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم فانهاكم ان تكونوا امثالهم فالوحا الوحا النجاء النجاء فان وراءكم طالباً حثيثاً أمره سريعاً سيره

١٠٥ وكتب الى ابي عبيدة في شأن الداريين

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين وان كان اهلها قد جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعوها واذا رجع اليها اهلها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك

١٠٦ عهده الى سيدنا عمر بن الخطاب بالخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار و بدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

(ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف في علته التي)
مات فيها فقال له أراك بارئا يا خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم

١٠٧ فقال

اما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين اشد عليّ من وجعي اني وليت اموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم انفه ان يكون له الأمر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لان يقدم احدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البحر

١٠٨ وصيته عند وفاته لسيدنا عمر

اني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله

عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلاً وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يكون خفيفا ان الله ذكر اهل الجنة فذكرهم باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فاذا ذكرتهم قلت اني اخاف ان لا اكون من هؤلاء وذكر اهل النار فذكرهم بأسوأ اعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت اني لأرجوان لا اكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده الى التهلكة فاذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب احب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

١٠٩ وقالت له السيدة عائشة حين

دخلت عليه وهو في مرض موته

يا أبت اعهد الى حامتك وانفذ رأيك في سامتك وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محصور متصل بقلبي لوعتك وأرى تخاذل اطرافك وامتقاع لونك والى الله تعزيتي عنك ولديه ثواب حزني عليك ارقأ فلا ارقأ وأبلّ فلا ابقى

١١٠ فرفع رأسه اليها وقال

يا امه هذا يوم يجلى لي عن غطائي وأعاين جزائي ان فرح فدائم وان ترح فمقيم اني اطعت بامامة هؤلاء القوم حتى كان النكوص اضاعة وكان الخطو تفريطا فشهيدي الله ما كان (١) هبلى اياه تبلغت بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم

(١) كذا في اختيار المنثور والمنظوم

واقمت صلابي معهم في ادامتهم لا مختالا اشرا ولا مكاثرا بطرا لم اعدُ سد الجوعة وورى العورة وقوانة القوام حاضري الله من طو ممعض تهفو منه الأحشاء وتجب له المعى واضطررت الى ذاك اضطرار الجرض الى المعتب الآجن واذا انا متّ فردى اليهم صحفتهم ولقحتهم وعبدهم ورحاهم ووثارة ما فوقي اتقيت به اذي البرد ووثارة ما تحتي اتقيت به نزّ الارض كان حشوها قطع السعف المشع

(نبذة من كلام السيدة عائشة)

١١١ قالت على قبر أبيها

نضر الله يا ابت وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان اعظم المصايب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر الاحداث بعده فقدك ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض منك وانا متنجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ومستعينة كثرة الاستغفار لك فسلم الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولازارية على القضاء فيك

١١٢ وقالت يوم الحكمين

رحمك الله يا أبت فلئن اقاموا الدنيا لقد اقمت الدين حين وهي شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه انقبضت عما اليه اصغوا وشمرت فيما عنه ونوا واستصغرت من دنياك ما أعظموا ورغبت بدينك عما اغفلوا اطالوا عنان الأمر واقتعدت مطى الحذر فلم تهتضم دينك ولم تنس غدك ففاز عند المساهمة قِدحك وخف مما استوزروا ظهرك

١١٣ وقالت

قبض رسول الله صلى الله عليه فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابي لهاضها

اشرأبَّ النفاق بالمدينة وارتدت العرب فوالله ما اختلف المسلمون في لفظة الاطار ابي بحظها وغنائها ومن رأى ابن الخطاب علم انه خلق غنَاء للاسلام كان والله احوذيّاً نسيج وحده قد اعد للامور أَقرانها

١١٤ وقالت

ابي ما ابيَه لاتعطوه الايدى ذاك والله حصن منيف وظل مديد انجح اذ اكديتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامد فتى قريش ناشئاً وكهفها كهلا يريش مملقها ويفك عانيها ويرأب صدعها ويلم شعثها حتى حليته قلوبها واستشرى في دينه فما برحت شكيمته في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيى فيه ما أَمات المبطلون وكان رحمة الله عليه غزير الدمعة وقيذ الجوانح شجي النشيج فانصفقت عليه نسوان اهل مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها وفوقت اليه سهامها فامتثلوه غرضاً فما فلّوا له صفاة ولا قصفوا له قناة ومر على سيسائه حتى اذا ضرب الدين بجرانه وأَرست أَوتاده ودخل الناس فيه افواجاً من كل فرقة ارسالا واشتاتا اختار الله لرسوله صلى الله عليه ما عنده فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه وشد طُنبه ونصب حبائله واجلب بخيله ورجله والقى بركه واضطرب حبل الدين والاسلام ومرج عهده وماج اهله وعاد مبرمه انكاثا وبغي الغوائل وظن رجال ان قد اكثبت اطماعهم نُهزها ولات حين الذي يرجون وانا والصديق بين اظهرهم فقام حاسرا مشمرا قد رفع حاشيتيه وجمع قطريه فرد نشر الدين على غره ولمَّ شعثه بطيه واقام اوده بثقافه فابذعرّ النفاق بوطأته وانتاش الدين فنعشه فلما اراح الحق على اهله واقر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في اهبها وحضرته

منيته فسد ثلمته بشقيقه في المرحمة ونظيره في السيرة والمعدلة ذاك ابن الخطاب لله ام حملت به ودرت عليه لقد اوحدت ففنَّخ الكفرة وديخها وشرد الشرك شذر مذر وبعج الارض وبخعها فقاءت أكلها ولفظت خبئها ترأمه ويصد عنها وتصدى له ويأباها ثم وزع فيأها فيها وتركها كما صحبها فأَروني ماذا ترتؤون واي يومي ابي تنقمون أَيوم اقامته اذ عدل فيكم ام يوم ظعنه اذ نظر لكم اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

١١٥ وقالت في سيدنا عثمان

فرحمه الله وغفر له اما والله لقد كنتم الى تشييد الحق وتأييده ولسرعان الاسلام وتأكيده أَحوج منكم الى ما نهضتم اليه من طاعة من خالف عليه ولكن كلما زادكم الله نعمة في دينكم ازددتم تثاقلا في نصرته طمعا في دنياكم اما والله لهدم النعمة ايسر من بنائها وما الزيادة اليكم بالشكر باسرع من زوال النعمة عنكم بالكفر وايم الله لئن كان فنى أكله واخترم اجله لقد كان عند رسول الله كذراع البكرة الازهر ولئن كانت الابل اكلت اوبارها انه لصهر رسول الله صلى الله عليه ولقد عهدت الناس يرهبونه في تشديد ثم قدح حب الدنيا في القلوب ونبذ العهد وراء الظهور ولئن كان برك عليه الدهر بزوره واناخ عليه بكلكله انها لنوائب تترى تلعب باهلها وهي جادة وتجد بهم وهي لاعبة ولعمري لو ان ايديهم تقرع صفاته لوجدوه عند تلظى الحروب متجردا ولسيوف النصر متقلدا ولكنها فتنة قدحت فيها ايدي الظالمين اما والله لقد حاط الاسلام واجده وعضد الدين وايده ولقد هدم الله به صياصي الكفر وقطع به دابر المشركين ووقم به اركان الضلالة فلله المصيبة به ما افجعها والفجيعة به ما اوجعها صدع الله بمقتله صفاة الدين وثلمت مصيبته ذروة الاسلام بعده وجعل لخير الامة عهده

١١٦ وقالت

ان لي عليكم حرمة الامومة وحق الموعظة لا يتهمني الا من عصى ربه قبض رسول الله بين سحري ونحري وانا احدى نسائه في الجنة ادخرني ربي وحصنني من كل بضاعة و بي ميز مؤمنكم من منافقكم وفي رخص صعيد الاقواء وابي رابع اربعة من المسلمين وأول من سمى صديقا قبض رسول الله صلى الله عليه وهو عنه راض وقد طوقه وَهْفَ الامامة ثم اضطرب حبل الدين فأخذ بطرفيه وربّق لكم اثناءه فوقذ النفاق وأغاض نبع الردة واطفأ ما تحش يهود وانتم يومئذ جحظ تنتظرون العدوة وتستمعون الصيحة فرأب الثأي واردم العطلة وامتاح من المهواة واجتهر دفن الرواء ثم انتظم طاعنكم بحقله في ذات الله عزوجل مذعن اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عُركة للأذاة بجنبه فقبضه الله واطئاً على هامة النفاق مذكياً نار الحرب للمشركين يقظان الليل في نصرة الاسلام صفوحاً عن الجاهلين خشاشَ المرآة والمخبرة فسلك مسلك السابقية تبرأت الى الله من خطب جمع شمل الفتنة ومزق ما جمع القرآن انا نُصبُ المسألة عن مسيري هذا ان لم اجرد اثما ادرعه ولم ادلس فتنة اوطئكموها اقول قولي هذا قولا صادقا وعدلا واعتذارا وتقريرا واسأل الله ان يصلي على محمد عبده ورسوله وان يخلفه في امته ايضا خلافته المسلمين واني اقبلت لدم الامام المظلوم المركوبة منه الفقر الاربع حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الصحبة وحرمة الشهر الحرام فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه ومن خالفنا قتلناه وربما ظهر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين

١١٧ خطبة سهيل بن عمرو بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم

ايها الناس ان كان محمد قد مات فان الله تبارك وتعالى حي لا يموت وقد

علمتم اني اكثركم قتبا في بر وجارية في بحر فأقروا أمركم وانا ضامن ان لم يتم الامر اني اردها عليكم

(كلام سيدنا عمر بن الخطاب)

١١٨ خطبته عند بيعة الصديق
العامة في غد يوم السقيفة

(١) حمدا لله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال

ايها الناس اني قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد كنت ارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر امرنا وان الله قد ابقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وان الله قد جمع امركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوه

١١٩ خطبته اذ ولي الخلافة

صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال

يا ايها الناس اني داع فأمنوا اللهم اني غليظ فليني لاهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك واهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسخني في

---

(١) قال ابن عبد ربه وكان آخر كلام عمر الذي اذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته (اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين)

نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين اللهم اني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شيء قدير

١٢٠ خطبته عام الرمادة بالعباس

حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال

ايها الناس استغفروا ربكم انه كان غفارا اللهم اني استغفرك واتوب اليك اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله فانك تقول وقولك الحق (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) فحفظتهما لصلاح ابيهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه اللهم اغفر لنا انك كنت غفارا اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بمضيعة اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم أغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (١)

(١) قال ابن عبد ربه فما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يقولون هنيأ لك ياساقي الحرمين

١٢١ خطبة اخرى

ايها الناس ما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سيزول وانما الشيء من اصله وقد مضت قبلنا اصول ونحن فروعها فما بقاء الفرع بعد اصله انما الناس في هذه الدنيا اغراض تنتضل المنايا فيهم وهم نصب المصايب مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل معمر من عمره شيأ الا بهدم آخر من اجله وانتم اعوان الحتوف على انفسكم فأين المهرب مما هو كائن وانما يتفلت الهارب في قدرة الطالب فما اصغر المصيبة اليوم مع عظم الفائدة غدا واكثر جنبة الجانب جعلنا الله واياكم من المتقين

١٢٢ خطبة اخرى

ايها الناس انه اتى عليّ حين وانا احسب ان من قرأ القرآن انه انما يريد به الله وما عنده الا وقد خيل اليّ ان اقواما يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس الا فأريدوا الله بقراءتكم واريدوه باعمالكم فانا كنا نعرفكم اذ الوحي ينزل واذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فقد رفع الوحي وذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانما نعرفكم بما اقول لكم الا فمن اظهر لنا خيرا ظننا به خيرا واثنينا به عليه ومن اظهر لنا شرا ظننا به شرا وابغضناه عليه (١) اقدعوا هذه النفوس

(١) من هنا الى آخر الخطبة لم يذكره صاحب العقد الفريد وذكر عوضه ما يأتي (سرائركم بينكم وبين ربكم الا واني انما ابعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ولا ابعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا اموالكم ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه الى فوالذي نفسي بيده لاقصنكم منه

عن شهواتها فانها طلعة فانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبي وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا

١٢٣ خطبة اخرى

انما الدنيا امل مخترم واجل منتقص و بلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر في أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه بئس الجار الغنيّ ياخذك بما لا يعطيك من نفسه فان ابيت لم يعذرك اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم فهو ابعد من السرف واصح للبدن وأقوى على العبادة وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه

١٢٤ وكتب الى ابنه ينصحه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن قرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق له

فقام عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين أرأيت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه اتقصه منه

(قال)

نعم والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه

١٢٥ وكتب الى ابي موسى الاشعري

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فاعوذ بالله ان تدركني واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة واهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم الحدود ولو ساعة من نهار واذا عرض لك امران احدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ورجلاً رجلا واذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا يال فلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيؤوا الى أمر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام وقد بلغ امير المؤمنين ان ضبة تدعو يال ضبة واني والله ما اعلم ان ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر امرهم بنفسك فانما انت امرؤ منهم غير ان الله جعلك اثقلهم حملا وقد بلغ امير المؤمنين انه فشالك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك ياعبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها في السمن واعلم ان للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل زاغت رعيته وان اشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام

١٢٦ رسالته في القضاء الى ابي موسى ايضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلي اليك فانه

لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة امداً ينتهي اليه فاذا احضر بينته اخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك واجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ البينات والأيمان واياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

١٢٧ وكتب الى سيدنا معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني لم آلك في كتابي اليك ونفسي خيرا اياك والاحتجاب دون الناس وأذن للضعيف وأدنه حتى تبسط لسانه وتجرئ قلبه وتعهد الغريب فانه اذا طال حبسه وضاق اذنه ترك حقه وضعف قلبه وانما اتوى حقه من حبسه واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء واذا حضرك الخصمان

بالبينة العادلة والأيمان القاطعة فامض الحكم

١٢٨ وصيته للخليفة بعده

اوصيك بتقوى الله لا شريك له واوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا ان تعرف لهم سابقتهم واوصيك بالانصار خيرا فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم واوصيك باهل الامصار خيرا فانهم ردء العدو وجباة الفيء لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم واوصيك باهل البادية خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان تاخذ من حواشي اموال اغنيائهم فترد على فقرائهم واوصيك باهل الذمة خيرا ان تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً او عن يد وهم صاغرون واوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته ان يطلع منك على ريبة واوصيك بتقوى الله ان تخشى الله في الناس وتخشى الناس في الله واوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فان ذلك باذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير في عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وآمرك ان تشد في امر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تاخذك في احد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالي على من وجب الحق ثم لا تاخذك في الله لومة لائم واياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما افاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد اصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به ايمانا ورضوانا وان غلبك الهوى اقترفت به سخط الله واوصيك ان لا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم اهل الذمة وقد اوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ

بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي
وولدي فان عملت بالذي وعظتك وانتهيت الى الذي امرتك اخذت به نصيباً
وافرا وحظا وافيا وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الامور عند الذي
يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا لان الاهواء
مشتركه ورأس كل خطيئة ابليس وهو داع الى كل هلكة وقد اضل القرون
السابقة قبلك فأوردهم النار ولبئس الثمن ان يكون حظ امرئ موالاة عدو الله
الداعي الى معاصيه ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك
أنشدك الله لمّا ترحمت على جماعة المسلمين فاجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم
ووقرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم ولا تحرمهم
عطاياهم عند محلها فتنفرهم ولا تجمهرهم في البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال
دُولة بين الاغنياء منهم ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم هذه
وصيتي اياك واشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام

١٢٩ وكتب الى سيدنا عمرو بن العاص

(وهو عامل على مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام عليك (اما بعد) فقد
بلغني انه فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك
ولامال لك فاكتب اليّ من أين أصل هذا المال

١٣٠ فاجابه بقوله

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله

الا هو (اما بعد) فانه اتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشالي
وانه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي واني اعلم أمير المؤمنين اني ببلد السعر فيه
رخيص واني اعالج من الزراعة ما يعالجه الناس وفي رزق امير المؤمنين سعة والله
لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك فاقصر ايها الرجل فان لنا احسابا هي خير من
العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمري ان عندك من لا يذم معيشة ولا تذم
له وان كان ذلك لم يفتح لك قفلا ولم يشركك في عمل

١٣١ فكتب اليه ثانياً

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني والله ما انا من اساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير
مرجع لا يغني عنك ان تزكي نفسك وقد بعثت اليك محمد بن سلمة فشاطره
مالك فانكم ايها الرهط الامراء جلستم على عيون المال لم يزعكم عذر تجمعون
لأبنائكم وتمهدون لانفسكم اما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام

١٣٢ وكتب اليه ابو عبيدة ومعاذ بن جبل ينصحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب سلام عليك
فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فانا عهدناك وأمر نفسك لك
مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الامة أحمرها وأسودها يجلس بين يديك
الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصة من العدل فانظر كيف انت
ياعمر عند ذلك وانا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه وتجب له القلوب وتنقطع فيه
الحجج بحجة ملك قهرهم بجبروته والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون
عقابه وانا كنا نتحدث ان امر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان

العلانية اعداء السريرة وانا نعوذ بالله ان تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك نصيحة لك والسلام

١٣٣ فكتب اليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما فاني احمد اليكما الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فقد جاءني كتابكما تزعمان انه بلغكما اني وليت امر هذه الامة احمرها واسودها يجلس بين يديّ الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان انظر كيف انت يا عمر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما تحذراني ما حذرت به الامم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد و يبليان كل جديد و يأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة او النار ثم توفي كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب كتبتما تزعمان ان امر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولستم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح دينهم ورهبة بعض الناس اصلاح دنياهم وكتبتما تعوذانني بالله ان انزل كتابكما مني سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما وانما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما فتعهدا اني منكما بكتاب فلا غنى بي عنكما والسلام عليكما

١٣٤ وقالت له بنته حفصة في مرضه

يا ابتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لاحد عندك ومعي لك بشارة لا اذيع السر مرتين ونعم الشفيع لك العدل لم تخف على الله عز وجل

خشنة عيشك وعفاف نهمتك واخذك با كظام المشركين والمفسدين في الارض ثم انشأت تقول

اكظم الغلة المخالطة القلـ ... ـب واعزى وفي القران عزائي
لم تكن بغتة وفاتك وحدا ... ان ميعاد من ترى للفناء

١٣٥ وخطبت يوم موته فقالت

الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له (اما بعد) فكل العجب من قوم زين الشيطان افعالهم وارعوى الى صنيعهم ودب في الفتنة لهم ونصب حبائله لختلهم حتى هم عدو الله باحياء البدعة ونبش الفتنة وتجديد الجور بعد دروسه واظهاره بعد دثوره واراقة الدماء واباحة الحمى وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها فتضرم وهاج وتوغر وثار غضباً لله ونصرة لدين الله فأخسأ الشيطان ووقم كيده وكفف ارادته وقدع محنته وصعر خده لسبقه الى مشايعة أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه الماضي على سنته المقتدي بدينه المقتص لأثره فلم يزل سراجه زاهرا وضوءه لامعا ونوره ساطعا له من الافعال الغررُ ومن الآراء المصاص ومن التقدم في طاعة الله عز وجل اللبابُ الى ان قبضه الله اليه قاليا لما خرج منه شانئا لما ترك من امره شيقا لما كان فيه صبا الى ما صار اليه وائلا الى ما دعي اليه عاشقا لما هو فيه فلما صار الى التي وصفت وعاين لما ذكرت أومأ بها الى اخيه في المعدلة ونظيره في السيرة وشقيقه في الديانة ولو كان غيرَ الله اراد لأمالها الى ابنه ولصيرها في عقبه ولم يخرجها من ذريته فأخذها بحقها وقام فيها بقسطها لم يؤده ثقلها ولم يبهظه حفظها مشردا للكفر عن موطنه ونافرا له عن وكره ومثيرا له من مجثمه حتى فتح الله عز وجل على يديه اقطار البلاد ونصرُ الله يقدمه وملائكته تكنفه وهو بالله معتصم وعليه متوكل

حتى تاكدت عرى الحق عليكم عقدا واضمحلت عرى الباطل عنكم حلا نوره في الدجنات ساطع وضوءه في الظلمات لامع قالياً للدنيا اذ عرفها لا فظاً لها اذ عجمها وشانئاً لها اذ سبرها تخطبه و يقلاها وتريده و يأباها لا تطلب سواه بعلا ولا تبغي سواه نحلا اخبرها ان التي يخطب ارغد منها عيشاً وانضر منها حبوراً وادوم منها سروراً وابقى منها خلودا واطول منها اياماً واغدق منها ارضاً وانعت منها جمالا واتم منها بلهنية واعذب منها رفهنية فبشعت نفسه بذلك لعادتها واقشعرت منها لمخالفتها فعركها بالعزم الشديد حتى اجابت و بالرأي الجليد حتى انقادت فاقام فيها دعائم الاسلام وقواعد السنة الجارية ورواسي الآثار الماضية واعلام اخبار النبوة الطاهرة وظل خميصاً من بهجتها قالياً لاثاثها لا يرغب في زبرجها ولا تطمح نفسه الى جدّتها حتى دُعى فاجاب ونودى فاطاع على تلك من الحال فاحتذى في الناس بأخيه فاخرجها من نسله وصيرها شورى بين اخوته فبأى افعاله تتعلقون و بأي مذاهبه تتمسكون ابطرائقه القويمة في حياته ام بعدله فيكم عند وفاته الهمنا الله واياكم طاعته واذا شئتم ففي حفظ الله وكلاءته

(كلام سيدنا عثمان)

١٣٦ كلامه يوم الشورى

الحمد لله الذي بعث محمدا صلى الله عليه نبياً واتخذه رسولا صدقه وعده ووهب له نصره على كل من بعُد نسباً او قرُب رحماً صلى الله عليه جعلنا الله واياكم له تابعين ولأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقول عند تفرق الاهواء ومجاراة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة و بطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا الا من سفه عن المقصد وأحربها يا ابن عوف ان تكون ان خولف امرك وترك دعاؤك فأنا أول مجيب لك وداع اليك كفيل بما اقول

زعيم واستغفر الله لي ولكم واعوذ بالله من مخالفتكم

١٣٧ خطبته حين بويع

الحمد لله ايها الناس اتقوا الله فان الدنيا كما اخبر الله عنها لعب ولهو وزينة وتفاخر الآية تخير العباد فيها من عصم واستعصم بالله و بكتابه وقد وكلت من امركم بعظيم لا أرجو العون عليه الا من الله ولا يوفق للخير الا هو وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

١٣٨ خطبة اخرى

(١) ان لكل شيء آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون ظنانون يظهرون لكم ما تحبون و يسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون طغام مثل النعام يتبعون اول ناعق احب مواردهم اليهم النازح لقد اقررتم لابن الخطاب باكثر مما نقمتم عليّ ولكن وقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزمة والله انى لاقرب ناصراً واعز نفراً واقمنُ ان قلت هلم ان تجاب دعوتي من عمر هل تفقدون من حقوقكم شيأ فمالي لا افعل في الحق ما اشاء اذاً فلم كنت اماماً

١٣٩ كتابه الى سيدنا على يستنجد به

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيل الزُبى وجاوز الحزام الطُبيين وطمع فيّ من لا يدفع

(١) ذكر هذه الخطبة في نثر الدرر باقصر من هذا ثم قال وروي انه قال يوما على المنبر (والله ما تغنيت ولا تمنيت ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام وما تركت ذلك تأثما ولكن تركته تكرما) و بعض الناس يجعل الكل خطبة واحدة

عن نفسه ولم يغالبك مثل مغلب فاقبل اليّ صديقاً كنت او عدوّاً

فان كنت مأكولاً فكن خيراً آكل   والا فادركني ولما أمزّق

١٤٠ وقالت له السيدة ام سلمة حين طعن عليه

يا بنيّ مالي ارى رعيتك عنك مزورّين وعن ناحيتك نافرين لا تعفّ سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه ألحبها ولا تقدح زندا كان اكباها توخّ حيث توخى صاحباك فانهما ثكما الامر ثكما ولم يظلماه لست بغفل فتعتذر ولا بجلو فتستعزل ولا تقول ولا يقال الا لمظن ولا يختلف الا في ظنين فهذه وصيتي اياك وحق بنوتي قضيتها اليك ولله عليك حق الطاعة وللرعية حق الميثاق

١٤١ فقال لها

يا امنا قد قلتِ فوعيت واوصيتِ فاستوصيت ان هؤلاء النفر رعاع غثرة تطأطأت لهم تطأطؤ الماتح الدلاء وتلددت لهم تلدد المضطر فارانيهم الحق اخوانا واراهموني الباطل شيطانا اجررت المرسون منهم رسنه وابلغت الراتع مسقاه فانفرقوا عليّ فرقاً ثلاثاً فصامت صمته انفذ من صول غيره وساع اعطاني شاهده ومنعني غائبه ومرخص له في مدة رينت على قلبه فانا منهم بين ألسن لداد وقلوب شداد وسيوف حداد عذيري الله ألا ينهى منهم حليم سفيها ولا عالم جاهلاً والله حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون

١٤٢ وخطب وهو محصور فقال

ايها الناس ان عمر بن الخطاب صير هذا الامر شورى في ستة تُوفي رسول الله صلى الله عليه وهو عنهم راض فاختاروني وأجمعوا عليّ ولم آل عن العمل بالحق وما توفيقي الا بالله وما اعلم ان لي ذنباً اكثر من طول ولايتي عليكم ولعل بعضكم ان يقول ليس كأبي بكر وعمر أجلْ اجلْ لست كهما والاشياء اشباه قريبة

بعضها من بعض وقد زعمتم انكم تخلعوني فلا دون ان تعروني بأمر لا يحل لي الا خلعها من عنقي واما العتبى فلكم ونعمت العتبى

١٤٣ خطبة لزوجته نائلة بنت الفرافصة الكلبية لما قتل

حمدت الله واثنت عليه وصلت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالت عثمان ذو النورين قتل مظلوماً بينكم بعد الاعتذار وأن اعطاكم العتبى معاشر المؤمنة واهل الملة لا تستنكروا مقامي ولا تستكثروا كلامي فاني حرى عبرى رزئت جليلا وتذوقت ثكلا من عثمان بن عفان ثالث الاركان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه في الفضل عند تراجع الناس في الشورى يوم الارشاد فكان الطيب المرتضى المختار حتى لم يتقدمه متقدم ولم يشك في فضله متأثم القوا اليه الأزمة وخلوه والامة حين عرفوا له حقه وحمدوا مذهبه وصدق فكان واحدهم غير مدافع وخيرتهم غير منازع لا ينكر له حسن الغناء ولا عنه سماح النعماء اذ وصل اجنحة المسلمين حين نهضوا الى رؤوس أئمة الكفر حيث ركضوا فقلدوه الامور اذ لم يكن فيهم له نظير فسلك بهم سبيل الهدى و بالنبي وصاحبيه اقتدى مخسئاً للشيطان الى مداحره مقصياً للعدوان الى مزاجره تنقشع منه الطواغيت وتزايل عنه المصاليت حتى امتد له الدين واتصل له السبيل المستقيم ولحق الكفر بالاطراف قليل الألاف والاحلاف فتركه حين لا خير في الاسلام في افتتاح البلاد ولا رأي لاهله في تجهيز البعوث فاقام يمدكم بالرأي و يمنعكم بالادنى يصفح عن مسيئكم في اساءته ويقبل من محسنكم باحسانه و يكافئكم بما له ضعيف الانتصار منكم قوى المعونة لكم فاستلنتم عريكته حين منحكم محبته واجركم ارسانكم آمناً جرأتكم وعدوانكم فاراهكموه الحق اخوانا واراكموه الباطل شيطاناً في

عقب سيرة من رأيتموه فظًّا وعددتموه غليظًا فهدكم منه بالقمع وطاعتكم اياه على الجدع يعاملكم الحبه (١) ويتخونكم بالضرب وكان والله اعلم بآدابكم ومصالحكم فلله هو كان قد نظر في ضمائركم وعرف اعلانكم وسرائركم نخين فقدتم سطوته وامنتم بطشته رأيتم ان الطرق قد انشعبت لكم والسبل قد اتصلت بكم ظننتم ان الله يصلح عمل المفسدين فعدوتم عدوة الاعداء وشددتم شدة السفهاء على التقى النقى الخفيف بكتاب الله عز وجل لسانا الثقيل عند الله ميزانًا فسفكتم دمه وانتهكتم حرمه واستحللتم منه الحرم الاربع حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام فليعلمن الذين سعوا في أمره ودبوا في قتله ومنعونا من دفنه اللهم ان بئس للظالمين بدلا وانهم شر مكانا واضعف جندا لتتعبدنكم الشبهات ولتفرقن بكم الطرقات واتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان وكيف بسخط الله من بعده واين كنتم كعثمان ذي النورين منفس الكرب زوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وصاحب المربد ورومة هيهات والله ما مثله بموجود ولا مثل فعله بمعدود يا هؤلاء انكم في فتنة عمياء صماء طباق السماء ممتدة الحران شوهاء العيان في كثير من الأمر قد نوزع كل ذي حق حقه ويئس من كل خير اهله فلهوات الشر فاغرة وآيات السوء كاشرة وعيون الباطل خزر واهلوه شزر ولئن نكرتم امر عثمان وبشعتم الدعة لتنكرن غير ذلك من غيره حين لا ينفعكم عتاب ولا يسمع منكم استعتاب

ثم اقبلت بوجهها على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اللهم اشهد

١٤٤ وقالت عائشة بنته في ذلك

يا ثارات عثمان انا لله وانا اليه راجعون افنيت نفسه وطل دمه في حرم

(١) كذا وجدته

رسول الله صلى الله عليه ومنع من دفنه اللهم ولو يشاء لامتنع ووجد من الله عز وجل حاكما ومن المسلمين ناصرا ومن المهاجرين شاهدا حتى يفئ الى الحق من سدر عنه او تطيح هامات وتفري غلاصم وتخاض دماء ولكن استوحش مما أنستم به واستوخم مما استمرأتموه يا من استحل حرم الله ورسوله واستباح حماه لقد كره عثمان ما اقدمتم عليه ولقد نقمتم عليه اقل مما أتيتم اليه فراجع فلم تراجعوه واستقال فلم تقيلوه رحمة الله عليك يا ابتاه احتسبت نفسك وصبرت لأمر ربك حتى لحقت به وهؤلاء الآن قد ظهر منهم تراوض الباطل واذكاء الشنآن وكوامن الاحقاد وادراك الاحن والاوتار وبذلك وشيكا كان كيدهم وتبغيهم وسعى بعضهم ببعض فما اقالوا عاثرا ولا استعتبوا مذنبا حتى اتخذوا ذلك سبباً الى سفك الدماء واباحة الحمى وجعلوا سبيلاً الى البأساء والعنت فهل علنت كلمتكم وظهرت حسكتكم اذ ابن الخطاب قائم على رؤوسكم ماثل في عرصاتكم يرعد ويبرق بارعابكم يقمعكم غير حذر من تراجعكم الاماني بينكم وهلا نقمتم عليه عودا وبدأ اذ ملك ويملك عليكم من ليس منكم بالخلق اللين والجسم الفصيل يسعى عليكم وينصب لكم لا تنكرون ذلك منه خوفا من سطوته وحذرا من شدته ان يهتف بكم متقسورا او يصرخ بكم متعذورا ان قال صدقتم قالته وان سأل بذلتم سالته يحكم في رقابكم واموالكم كأنكم عجائز صلُع واماء قُصُع فبدا مفلتا لابن ابي قحافة بارث نبيكم على بعد رحمه وضيق يده وقلة عدده فوقي الله شرها زعم لله دره ما اعرفه ما صنع او لم يخصم الانصار بقيس ثم حكم بالطاعة لمولى ابي حذافة يتمايل بكم يمينا وشمالا قد خطب عقولكم واستمهر وجلكم ممتحنا لكم ومعترفا اخطاركم وهل تسمو هممكم الى منازعته ولولا تيك لكان قسمه خسيساً وسعيه تعيساً لكن بدأ بالرأي وثنى بالقضاء وثلث بالشورى ثم غدا

سامرا مسلطا درته على عاتقه فتطأطأتم له تطأطؤ الحقة ووليتموه ادباركم حتى علا اكتافكم فلم ينعق بكم في كل مرتع و يشدد منكم على كل مخنق لا ينبعث لكم هتاف ولا يأتلق لكم شهاب يهجم عليكم بالسراء و يتورط بالحوباء عرفتم او نكرتم لا تألمون ولا تستنطقون حتى اذا عاد الامر فيكم ولكم واليكم في مونقة من العيش عرقها وشيج وفرعها عميم وظلها ظليل تتناولون من كثب ثمارها انّي شئتم رغدا وحلبت عليكم عشار الارض دررا واستمرأتم أكلكم من فوقكم ومن تحت ارجلكم من خصب غدق وامق شرق تنامون فى الخفض وتستلينون الدعة ومقتم زبرجة الدنيا وحرجتها واستحليتم غضارتها ونضرتها وظننتم ان ذلك سيأتيكم من كثب عفوا و يتحلب عليكم رسلا فانتضيتم سيوفكم و كسرتم جفونكم وقد ابي الله ان تشام سيوف جردت بغياً وظلماً ونسيتم قول الله عز وجل (ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً) فلا يهنئكم الظفر ولا يستوطنن بكم الظلم الا على رجلين ولا ترن القوس الا على سيتين فأثبتوا في الغرز أرجلكم فقد ضللتم هداكم في المتيهة الخرقاء كما اضل ادحيه الحسل وسيعلم كيف تكون اذا كان الناس عباديد وقد نازعتكم الرجال واعترضت عليكم الامور وساورتكم الحروب بالليوث وقارعتكم الايام بالجيوش وحمى عليكم الوطيس فيوما تدعون من لا يجيب و يوما تجيبون من لا يدعو وقد بسط باسطكم كلتا يديه يرى انهما في سبيل الله فيد مقبوضة واخرى مقصورة والرؤوس تنزو عن الطلى والكواهل كما ينقف التنّوم فما ابعد نصر الله من الظالمين وأستغفر الله مع المستغفرين

(وصف ابي زبيد الطائي للاسد)

حضر مجلس سيدنا عثمان فقال له أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد

فانشده قصيدة في صفة الاسد فقال له سيدنا عثمان تفتأ تذكر الاسد ماحييت اني لاحسبك جبانا هدانا فقال كلا يا امير المؤمنين ولكنني رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح ذكره يتجدد في قلبي ومعذور غير ملوم فقال له سيدنا عثمان اني ذلك

١٤٥ قال

خرجت في صيّابة اشراف من ابناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها وعبداننا على فتو البغال نقود جياد الخيل ونحن نريد الحرث بن ابي شمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا السير في حمارّة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وسالت المياه واذكت الجوناء المعزاء وذاب الصيهب وصر الجندب واضاف العصفور الضب في وجاره قال قائلنا ايها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي واذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة واطياره مرنة فحططنا رحالنا باصول دوحات كنهبلات ونبعات منهدلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف اليوم ومما طلته اذ صر اقصى الخيل اذنيه وفحص الارض بيديه فو الله ما لبث ان جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله وجائل بجلاله فعلمنا ان قد اتينا وانه السبع ففزع كل امرئ منا الى سيفه فاستله من جرابه ثم وقفنا رزدقا ارسالا فاقبل ابو الحارث من اجمته يتظالع في مشيته كانه مجنوب او في هجار مسحوب لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط ولطرفه وميض ولا رساغه نقيض كانما يخبط هشيما او يطأ صريما واذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كانهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط

وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن فضرب
يده فارهج وكشر فافرج عن انياب كالمعاول مصقوله غير مفلوله وفم اهرت
اشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله
مثليه ثم اقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم جهم فاز بأر فلا وذو بيته في السماء ما
اتقيناه باول اخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة فوقصه ثم نفضه فقضقض متنيه
وبقر بطنه ثم جعل يلغ في دمه فزمرت باصحابي فبعد لأي ما استقدموا فهجهجنا
به فكر مقشعرا بزبرة كأن به نهما حولياً فاختلج رجلا اعجر ذا حوايا فنفضه نفضة
تزايلت لها مفاصله ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت
البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فارعشت الايدي واصطكت
الارجل واطت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحمت العيون ولحقت البطون
وانخزلت المتون وساءت الظنون

فقال له سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه اسكت قطع الله لسانك فقد
ارعبت قلوب المسلمين

١٤٦ دعاء أعرابي يقال له مرثد

اللهم اغفرلي والجلد بارد والنفس رطبة واللسان منطلق والصحف منشورة
والاقلام جارية والتوبة مقبولة والانفس مريحة والتضرع مرجو قبل آن الفرق
وحشك النفس وعلز الصدر وتزايل الاوصال ونصول الشعر واحتياف التراب
وقبل ان لا اقدر على استغفارك حتى يفني الاجل وينقطع العمل اعني على الموت
وكربته وعلى القبر وغمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم
القيامة وروعته اغفرلي مغفرة عزماً لا تغادر ذنبا ولا تدع كرباً اغفرلي جميع
ما افترضت عليّ ولم أؤده اليك اغفرلي جميع ما تبت اليك منه ثم عدت فيه

يا رب تظاهرت على منك النعم وتداركت عندك مني الذنوب فلك الحمد على
النعم التي تظاهرت وأستغفرك للذنوب التي تداركت وأمسيت عن عذابي غنيا
واصبحت الى رحمتك فقيرا اللهم اني أسالك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل
اللهم اجعل خير عملي ما ولى أجلي اللهم اجعلني من الذين اذا اعطيتهم شكروا
واذا ابتليتهم صبروا واذا ذكرتهم ذكروا واجعل لي قلبا تواباً أواباً لا فاجراً
ولا مرتاباً اجعلني من الذين اذا أحسنوا ازدادوا واذا اساؤا استغفروا اللهم
لا تحقق عليّ العذاب ولا تقطع بي الأسباب واحفظ في كل ما تحيط شفقتي
وتأتي من ورائه سبحتي وتعجز عنه قوتي ادعوك دعاء ضعيف عمله متظاهرة ذنوبه
ضنين على نفسه دعاء من بدنه ضعيف ومُنّته عاجزة قد انتهت عدته وخلقت
جدته وتم ظمؤه اللهم لا تخيبني وانا ارجوك ولا تعذبني وأنا أدعوك والحمد لله
على طول النسيئة وحسن التباعة وتشنج العروق واساغة الريق وتأخر الشدائد
والحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته والحمد لله الذي لا يودي قتيله
ولا يخيب سوله ولا يرد رسوله اللهم اني اعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل
الا لك وأعوذ بك ان اقول زورا أو اغشى فجورا او اكون بك مغروراً واعوذ
بك من شماتة الاعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة

(كلام سيدنا علي)

١٤٧ عهده للاشتر النخعي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبدالله عليّ امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده
حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح اهلها وعمارة بلادها أمره
بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد

احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر من نفسه عند الشهوات و يزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الاَّ ما رحم الله (ثم) اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور وان الناس ينظرون في امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك و يقولون فيك كما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق تفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل و يؤتي على ايديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضي أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك و يكف عنك من غربك و يفيء اليك بما عزب عنك من عقلك واياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار و يهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من

نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك ان لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع و يتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضي الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤنة في الرخاء واقل معونة في البلاء واكره للانصاف وأسأل بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطأ عذرا عند المنع واخف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ان شر وزرائك من كان قبلك للاشرار وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن لهم مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لا يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك

اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحني عليك عطفاً واقل لغيرك الفاً فاتخذ
اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم لك بمر الحق
واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث
وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رُضهم على ان يطروك ولا يبجحوك بباطل لم
تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء
عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريباً
لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما الزم نفسه واعلم ان ليس شيء بادعى
الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه
اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجمع لك حسن الظن
برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك
به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا
تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها
الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن فيكون الاجر لمن
سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في
تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم ان الرعية
طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها
كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها
اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات
ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع
على حده وفريضته في كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا
محفوظاً فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل

الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام للجنود الا بما يخرج الله تعالى
لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون
من وراء حاجتهم ثم لاقوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة
والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من
خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون
عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغ
رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم
ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي
من حقيقة ما الزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه
على لزومه الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل فولّ من جنودك
انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك واطهرهم جيباً وافضلهم حلما ممن يبطيء
عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء ممن
لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي المروآت والاحساب
واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء
والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده
الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدهم
به وان قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف
امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً
لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم
من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهلهم حتى يكون همهم هما واحدا
في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان افضل قرة عين الولاة

استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب و يشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر عن الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه او قفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشيف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته و يقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغاً فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم

اخلاقاً وأصح اعراضاً واقل في المطامع اشرافاً وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم أسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او خانوا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عنهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عول فيه عليهم من بعدُ احتملوه طيبةً انفسهم به فان العمران يحتمل ما حملته وانما يأتي خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي

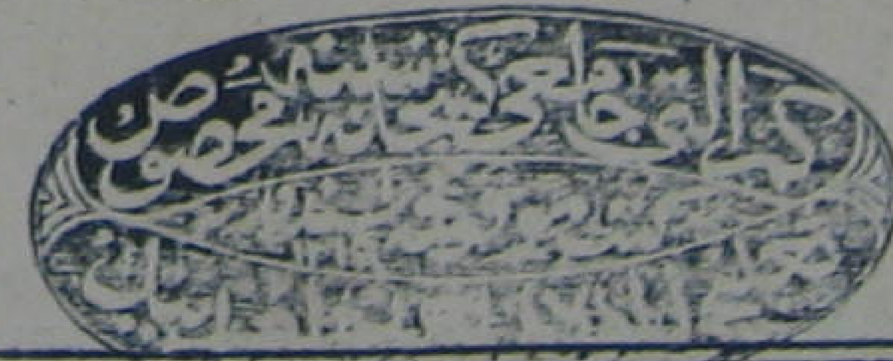
تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء ولا تقصربه الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك و يعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شئ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل من امورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه صغيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك و بحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشا وشحا قبيحاً واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البوسى والزمنى فان في هذه

الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع) ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيأ وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيى عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما يحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك و بين الله تعالى افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي

له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله سبحانه
من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك
للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت
رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم فقال (صل
بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما) واما بعد فلا تطولن احتجابك عن
رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور
والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير
ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف
ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب
الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق
ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع
كف الناس عن مسالتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك
مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي
خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة
أولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك
قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او
عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك
في الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك
صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل
عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل
عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك

واعذرا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك
ولله فيه رضى فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن
الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم
في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة
فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه
ليس من فرائض الله شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم
من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا
من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه
لا يجتريء على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد
برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة
ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد
والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق
فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته
وان تحيط بك فيه من الله طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء
وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال
نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه يتولى الحكم بين العباد
فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان
ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل
العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او سيفك او يدك
بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي
الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب

الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه «كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون» واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه وأوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك المظلوم املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار وان تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وانا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين



١٤٨ وكتب الى عبد الله بن عباس

(وهو عامله على البصرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم آخر وانهم لم يُسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلنّ رأيي فيك والسلام

١٤٩ وكتب اليه يعظه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان المرء قد يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن اسفك على مافاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً وليكن همك فيما بعد الموت

١٥٠ وله من كتاب الى اخيه عقيل

(في ذكر جيش)

جواباً لكتاب كتبه اليه اخوه

بسم الله الرحمن الرحيم

فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً ونكص نادماً فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيأ كلا ولا

فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضاً بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزت قريشاً عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعاً متخشعاً ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام للقائد ولا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم

فان تسأليني كيف انت فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز عليَّ أن ترىْ بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

١٥١ وكتب حلفاً بين ربيعة واليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ويجيبون من دعا اليه وامر به لا يشترون به ثمناً ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوة واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً ولا لمسبة قوم قوماً على ذلك شاهدهم وغائبهم وسفيههم وعالمهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسؤولا وكتب علي بن ابي طالب

١٥٢ وكتب الى بعض عماله يلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني كنت اشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن رجل من اهلي اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الامانة اليّ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة اديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازلّ دامية المعزي الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثاً من ابيك وامك فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد او ما تخاف نِقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوى الالباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وانت تعلم انك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وأزيل الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين

ما يسرني ان ما اخذت من اموالهم حلال لي اتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة و يتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص

١٥٣ وكتب الى سيدنا معاوية

(جواباً عن كتاب له)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان امراً ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمته وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حنّ قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه روّاغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله احدث ان قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه اولا ترى ان قوماً قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا

تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع ربنا والناس بعدُ صنائع لنا لم يمنعنا قديمُ عزنا ولا عاديّ طولنا على قومك أن خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا فعلَ الاكفاء ولستم هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيد شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فاسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله (واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) وقوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي الى غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه ام من استنصره فتراخى عنه و بث المنون اليه حتى اتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلاً وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم عليه احداثاً فان كان الذنب اليه ارشادي

وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له * وقد يستفيد الظِنة المتنصح * وما اردت
الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وذكرت انه ليس
لي ولاصحابي الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني عبد المطلب
عن الاعداء ناكلين و بالسيوف مخوفين ف * لبث قليلا يلحق الهيجا حَمَل *
فسيطلبك من تطالب و يقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من
المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين
سربال الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف
هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من
الظالمين ببعيد

١٥٤ وله اليه ايضاً من كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فاراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل
ومنعونا العذب وأحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا نار الحرب
فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك
الاجر وكافرنا يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خِلو مما نحن فيه بحلف
يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان أمن وكان رسول الله صلى الله عليه
وآله اذا احمر البأس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقي بهم اصحابه حر الاسنة
والسيوف فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم
موتة واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم
عجلت ومنيته اجلت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم تكن
له كسابقتي التى لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع مالا اعرفه ولا اظن الله

يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك فاني
نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم
تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر
ولا بحر ولا جبل ولا سهل الا انه طلب يسوؤك وجدانه وزور لا يسرك لقيانه
والسلام لاهله

١٥٥ وله اليه جواباً عن كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فاما طلبك اليّ الشأم فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس واما
قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حُشاشات أنفس بقيت الا ومن اكله
الحق فالى الجنة ومن اكله الباطل فالى النار واما استواؤنا في الحرب والرجال
فلست بأمضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا
من اهل العراق على الآخرة واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن
ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ولا المهاجر
كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس
الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم وفي ايدينا بعدُ فضل النبوة التي اذللنا بها
العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل الله العرب في دينه افواجاً واسلمت له هذه
الامة طوعاً وكرهاً كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز
اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك
نصيباً ولا على نفسك سبيلا

١٥٦ وله اليه ايضاً من كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وان البغي والزور يذيعان بالمرء في دينه ودنياه و يبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قُضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتأولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوماً يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله و يندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القرآن في حكمه والسلام

١٥٧ وكتب الى عثمان بن حنيف الانصاري

عامله على البصرة يلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعوّ فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الاوان لكل مأموم اماما يقتدي به و يستضيئ بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر

والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي و يقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرّى او اكون كما قال القائل

وحسبك داء أن تبيت ببطنة   وحولك اكباد تحن الى القدّ

أأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى وأهمل عابثاً او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان الاوان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات البدوية اقوى وقودا وابطأ خمودا وانا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم

بالاماني والقيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء
اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق
ومن ازور عن حبالك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده
كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك
فتقوديني وايم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها
الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعن مقلتي كعين
ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة
من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت اذاً عينه اذا اقتدى
بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها
فرضها وعركت بجنبها بوسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها
افترشت ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت
عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم
ذنوبهم أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فاتق الله يا ابن حنيف
ولتكفك اقراصك ليكون من النار خلاصك

١٥٨ خطبة الشقشقية

اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من
الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها
كشحا وطفقت أرتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها
الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر
على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا حتى
مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا
ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها
والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم
فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة
وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في ستة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى
متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكنني
اسففت اذ أسفوا وطرت اذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره
مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو
ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله
واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون
علي من كل وجه حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة
الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون كأنهم لم
يسمعوا الله سبحانه يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت
الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور
الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على
كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس
أولها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز

قالوا وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته
فناوله كتاباً فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس يا اميرالمؤمنين

لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت

١٥٩ وخطب في استنفار الناس الى اهل الشام فقال

اف لكم لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة عوضاً و بالذل من العز خلفاً اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعقلون ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لاينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الرأس والله ان امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه و يفرى جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فَراش الهام وتطيح السواعد والاقدام و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء أيها الناس ان لي عليكم حقا ولكم عليّ حق فاما حقكم على فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم

١٦٠ وخطب بعد التحكيم فقال

الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله (اما بعد) فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم عليّ اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن

امرتهم امري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

١٦١ وقال لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به

يا أخا بني أسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعدُ ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسباً والاشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه يوم القيامة (ودع عنك نهباً صيح في حجراته) وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعدا بكائه ولا غرو والله فياله خطباً يستفرغ العجب و يكثر الأود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني و بينهم شرباً وبيأ فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون

١٦٢ وخطب لما بويع بالمدينة فقال

ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم

بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شُمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن أمِر الباطل لقديماً فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ولقلما أدبر شيء فاقبل شغل مَن الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليها زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه

١٦٣ وخطب ايضاً في قتل عامل له

فقال

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ودُيث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد ومنع النصف ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط

في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الاوطان وهذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرأً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتُغزون ولا تَغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارّة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارّة القُر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقُر فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهمام انفاساً وافسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولكنه لا رأي لمن لا يطاع

١٦٤ وخطب ايضاً فقال

ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد

ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل دِفاعَ ذي
الدَين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد ايّ دار بعد داركم
تمنعون ومع اى امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز
والله بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله
لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم
ما طبكم القوم رجال امثالكم أقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعاً في
غير حق

١٦٥ وخطب ايضاً فقال

اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت
باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب
من خطيئته قبل ميتته الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه الا وانكم في ايام امل
من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله نفعه عمله ولم يضرره
اجله ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره اجله الا
فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار
نام هاربها الا وانه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى
يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان
اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل تزودوا من الدنيا ما تحرزون
انفسكم به غدا

١٦٦ وسأله الناس مخاطبة سيدنا عثمان حين نقموا عليه فدخل عليه وقال

ان الناسَ ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم ووالله ما ادري ما اقول لك

ما اعرف شيأ تجهله ولا ادلك على شيء لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك
الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما
سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب اولى
بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة
رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر
من عمي ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة فاعلم ان
افضل عباد الله عند الله امام عادل هُدِيَ وهَدى فاقام سنة معلومة وامات
بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر
الناس عند الله امام جائر ضل وضُل به فأمات سنة مأخوذة واحيى بدعة
متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول « يؤتى يوم القيامة
بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور
الرحا ثم يرتبط في قعرها » واني انشدك الله ان لا تكون امام هذه الامة المقتول
فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة
و يلبس امورها عليها و يثبت الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون
فيها موجا و يمرجون فيها مرجاً فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد
جلال السن وتقضي العمر

١٦٧ وقال عند دفن السيدة فاطمة رضي الله عنها

السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة
اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الاّ ان لي في
التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍّ فلقد وسدتك في ملحودة قبرك

وفاضت بين نحري وصدري نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلى فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين

« رسالة سيدنا ابي بكر وسيدنا عمر له في شأن البيعة »
وجوابه عنها

قال ابو عبيدة بن الجراح لما استقامت الخلافة لابي بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عزّ وجلّ شرها ورحض عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقصم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتمادى الحال وتبدو العداوة وتنفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذي دهاء او صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان فدعاني بحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يرمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيرا معه يستضيء برأيه ويستملي على لسانه

١٦٨ فقال لي

يا ابا عبيدة ما أيمن ناصيتك وابين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ولقد قال فيك في يوم مشهود أبو عبيدة أمين هذه الامة وطالما اعز الله بك

الاسلام واصلح فساده على يديك ولم تزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولاهلك ركناً ولاخوانك رداً قد اردتك لامر له ما بعده خطره مخوف وصلاحه معروف وان لم يندمل جرحه بمسبرك ولم تستجب حيته لرقيتك فقد وقع اليأس واعضل اليأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسال تمامه بك ونظامه على يديك فتأتّ له يا ابا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جهدا ولا قال جدا والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق امض الى عليّ واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابي طالب ومكانه ممن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه وقل له البحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغلف والسماء جلواء والارض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق رؤوف عطوف والباطل شنوف عنوف والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقحة ثقوب العداوة وهذا الشيطان متكئ على شماله متحبل بيمينه نافج حضنيه لاهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه ناكباً يوسوس بالفجور ويدلي بالغرور ويمني اهل الشرور ويوحي الى اوليائه بالباطل دأباله مذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم وعادة منه منذ اهانه الله عز وجل في سالف الدهر لا ينجي منه الا بعضّ الناجذين على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو الدين بالاشد فالاشد والاجد فالاجد واسلام النفس لله عز وجل فيما أرضاه وجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبه ولقد ارشدك من افادضالتك وصافاك من احيي مودته لك بعتابك واراد الخير بك من آثر البقاء معك ما هذا

الذي تسول لك نفسك و يدوي به قلبك و يلتوي به عليك رأيك و يتخاوص دونه طرفك و يسري فيه ظعنك و يتراد معه نفسك وتكثر معه صعداؤك ولا يفيض به لسانك اعجمة بعد افصاح اتلبيس بعد ايضاح ادين غير دين الله عز وجهه اخلق غير خلق الله اهدى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم امثلي يمشي له الضراء أو يدب اليه الخمراء ام مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف في عينه القمر ما هذه القعقعة بالشنان وما هذه الوعوعة باللسان انك جد عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن اوطاننا واموالنا واولادنا واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فى زمان انت فيه في كن الصبا وخدر الغرارة غافل عما يشيب و يريب لا تعي ما يراد و يشاد ولا تحصل ما يساق و يقاد سوى ما انت جار عليه الى غايتك التي اليها عدي بك وعندها حط رحلك غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل ونحن في اثناء ذلك نعاني احوالا تزيل الرواسي ونقاسي اهوالا تشيب النواصي خائضين غمارها راكبين تيارها نتجرع صابها ونشرج عيابها ونتبلغ عبابها ونحكم اساسها ونبرم امراسها والعيون تحدج بالحسد والانوف تعطس بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والاعناق تتطاول بالفخر والشفار تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف ولا ننتظر عند المساء صباحاً ولا عند الصباح مساء ولا ندفع في نحر امر لنا الا بعد ان نحسو الموت دونه ولا نتبلغ الى شيء الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوم بناد الا بعد اليأس من الحياة عنده فادين في كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاب والام والخال والعم والنشب والسبد واللبد والهلة والبلة بطيب نفس وقرور عين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة اوجه وذلاقة ألسن هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا سنك لم تكن عنها ناكلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك

معجوم وغيبك مخبور والقول فيك كثير والآن قد بلغ الله بك ورضى الخير لك وجعل مرادك بين يديك وعن علم اقول ما تسمع فارتقب زمانك وقلص اليه اردانك ودع التجسس والتعسس لمن لا يطلع اليك اذا أخطأ ولا يتزحزح عنك اذا اعطى فالامر غض والنفوس فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجاً وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجاً وماؤها العذب فلا تحل اجاجاً والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لي يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه و يجاحش عليه ولمن تضاءل له لا لمن تنفخ اليه ولمن يقال هولك لا لمن يقول هولي والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت أين انت من علي فقال اني لا كره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خاطبت به عنك ورغبته فيك وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاً ولا لوجاً فقلت ما قلت وانا ارى مكان غيرك وأجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيرا منك الآن لي ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضى والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حدب يسره ما يسرها ويكيده ما كادها و يرضيه ما ارضاها و يسخطه ما اسخطها الم تعلم انه لم يدع احدا من اصحابه وخلطائه وأقاربه وشجرائه الا ابانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بجلالة لو اصفقت الامة عليه لكان عنده ايالتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها اتظن انه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشرا سدى بددا عدى مباهل طلاحي مفتونة

بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساقي ولا راقي ولا هادي ولا حادي كلا والله ما اشتاق الى ربه تعالى ولاسأله المصير الى رضوانه حتى ضرب الصوى واوضح الهدى وأمّن المهالك والمطارح وسهل المبارك والمهايع الا بعد ان شدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه وتفل في وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه و بده امر الله عز وجل (و بعد) فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك في دار واحدة و بقعة جامعة ان استقلوني لك واشاروا عندي بك فانا واضع يدي في يدك وصائر الى رأيهم فيك وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد لضالهم والرادع لغاويهم فقد امر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب الى التناصر على الحق ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (و بعد) فالناس ثمامة فارفق بهم واحن عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيدا وطائر الشر واقعاً و باب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وما نحن اليه نصير

قال ابو عبيدة فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر كن لدي الباب هنيهة فلى معك در من القول فوقفت ولا ادري ما كان بعدي الا انه لحقني ووجهه يندي تهللا

١٦٩ وقال قل لعلي

الرقاد محلمة واللجاج ملحمة والهوى مقحمة وما منا أحد الا وله مقام معلوم وحق مشاع او مقسوم ونبأ ظاهر او مكتوم وان أكيس الكيس من منح

الشارد تألفا وقارب البعيد تلطفا ووزن كل امرىء بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خير في معرفة مشوبة بنكر ولا في علم معتل في جهل واسنا كجلدة رقع البعير بين العجان و بين الذنب وكل صال فبناره وكل سيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعي وشي وكلامها اليوم لفتق او رتق وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذي كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانة التي في فراش رأسك وما هذا الشجي المعترض في مدارك انفاسك وما هذه الوحرة التي اكلت شرا سيفك والقذاة التي اعشت ناظرك وما هذا الدخس والداس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع وما هذا الذي لبست بسببه جلدة النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر لشد ما استسعيت اليها وسريت سري ابن أنقد اليها ان العوان لا تعلم الخمرة وان الحصان لا تكلم خبرة وما احوج الفرعاء الى فال وما افقر الصلعاء الى حال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه ملمس ولا مأيس ولم يسير فيك قولا ولم يستنزل فيك قرآنا ولم يجزم في شأنك حكما ولسنا في كسروية كسرى ولا في قيصرية قيصر تانك لأخدان فارس وابناء الاصفر قوما جعلهم الله جزرا لسيوفنا وحرزا لرماحنا ومرمى لطعاننا وتبعا لسلطاننا بل نحن في نور نبوة وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابيّ وساعد قويّ و يد ناصرة وعين باصرة اتظن ان ابا بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاتا على هذه الامة خادعا لها مسلطا عليها اتراه امتلخ احلامها وازاغ ابصارها وحل عقدها واحال عقولها واستل من صدورها حميتها وانتزع من اكبادها عصبيتها وانتكث رشاءها وانتضب ماءها

واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا و يقظتها رقادا وصلاحها فسادا ان كان هكذا ان سحره لمبين وان كيده لمتين كلا والله بأي خيل ورجل و باي سنان ونصل و باي قوة ومُنة و باي ذخر وعدة وباي ايد وشدة وباي عشيرة واسرة و باي تدرع و بسطة لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لها فلصقت به ومال عنها فمالت اليه واشتمل دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سربله الله جمالها و يد اوجب عليه شكرها وامة نظر الله به لها ولطالما حلقت فوقه في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا يجحد حقك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحمك بمنكب اضخم من منكبك وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من اشيبتك وسيادة لها عرق من الجاهلية وفرع من الاسلام والشريعة ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج منها ببازل ولا هبع فان عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعذرنا فيما تسمع منا في لين وسكون مما لا تبعده منه ولا تناصله عليه ولئن خزيت بهذا نفسك لينتخشن عليك ما ينسيك الاولى ويلهيك عن الاخرى ولو علم من ضنابه بما في انفسنا له وعليه لما سكن ولا اتخذت انت وليجة الى بعض الارب فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه

ولعمري انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وانفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن نفاثك فان يكن في الامد طول وفي الاجل فسحة فستاكله مريأ او غير مريء وستشربه هنيأ او غير هنيء حين لا رادّ لقولك الا من كان آيسا منك ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك يمض اهابك و يفري قادمتك و يزري على هديك هناك تقرع السن من ندم وتجرع الماء ممزوجاً بدم وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لوسقيت بالكأس التي ابيتها ورددت للحال التي استبريتها ولله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المرجو لضرائها وسرائها وهو الولي الحميد الغفور الودود

قال ابو عبيدة رضي الله عنه فمشيت مزملا اتوجي كانما اخطو على ام راسي فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصلت الى علي في خلاء فابثثته بثي كله و برئت اليه منه ورفقت له فلما سمعها ووعاها وسرت في اوصاله حمياها قال

(حلت معلوّطة وولت مخروّطة حلِ لا حليت   التعس ادني لها من أن اقول لعا

احدى لياليك فهيسي هيسي   لا تنعمي الليلة بالتعريس

نعم يا ابا عبيدة اكل هذا في نفوس القوم يحثون عليه و يطبعون به)

قال ابو عبيدة فقلت (لا جواب لك عندى انما انا قاض حق الدين ورائق فتق الاسلام للمسلمين وساد ثلمة الامة يعلم الله ذلك من خلجان قلبي وقرارة نفسي)

١٧٠ قال علي رضى الله عنه

والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدا للخلافة ولا انكارا للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذني به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه واودعني من الحزن بفقده وذلك اني لم اشهد بعده مشهدا الا جدد لي حزنا وذكرني شجوا وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فقد عكفت على عهد الله انظر فيه واجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله وسلم لعلمه ومشيئة ربه على اني ما علمت ان التظاهر عليّ واقع ولا عن الحق الذي سبق اليّ دافع واذقد افعم الوادي بي وحشد النادي من اجلي فلا مرحباً بما ساء احدا من المسلمين وفي النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري وبنصري وخضت لجته باخمصي ومفرقي لكنني ملجم الى ان القى ربي عز وجل وعنده احتسب ما نزل بي واني غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءني وسرّكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان الله على كل شيء شهيدا

قال ابو عبيدة فعدت الى ابي بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غره ولم اختزل شيأ من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى عليّ فخرق الصفوف الى ابي بكر فبايعه وقال خيرا ووصف جميلا وجلس زميتاً واستاذن للقيام ونهض فشيعه عمر تكرمة له واستثارا لما عنده

فقال له علي (ما قعدت عن صاحبكم كارها له ولا اتيته فرقا منه وما اقول ما اقول تعلة واني لاعرف مسمى طرفي ومخطى قدمي ومنزع قوسي وموقع سهمي ولكني قد ازمت على فاسي ثقة بالله في الادالة في الدنيا والآخرة)

١٧١ فقال له عمر

كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها والدلاء برشائها فانا

من خلفها وورائها ان قدحنا اورينا وان متحنا اربينا وان جرحنا ادمينا وان نصحنا اروينا ولقد سمعت اماثيلك التي لغوت بها عن صدر اكل بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته زعمت انك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز من ذلك فان من حق مصابه ان لا تصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا تزري على خيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممسى وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقة على خلقه وبذل ما يصلحون به ويرشدون اليه وزعمت انك لم تعلم ان التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذي سبق اليك دافع فاي تظاهر وقع عليك واي حق لك ليط دونك قد علمت ما قالت الانصار لك بالامس سرا وجهرا وما تقلبت عليه بطنا وظهرا فهل ذكرتك او اشارت بك او وجدنا رضاها عندك هؤلاء المهاجرون مَن الذي قال بلسانه تصلح لهذا الامر او اومأ بعينه او همهم في نفسه اتظن ان الناس قد ضلوا من اجلك وعادوا كفارا زهدا فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحاملا عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي وتتوكف مناجاة الملك لك ذلك امر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم أ كان الامر معقودا بأنشوطة او مشدودا باطراف ليطة كلا والله ان الغيابة المحققة وان الشجرة لمورقة ولا عجماء بعد حمد الله الا وقد فصحت ولا عجفاء الا وقد سمنت ولا بلهاء الا وقد فطنت ولا شوكاء الا وقد

نفحت ومن اعجب شأنك قولك لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي وهل ترك الدين لاحد من اهله ان يشفي غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها وقلع جرثومتها وهوّر ليلها وغور سيلها وابدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت انك ملجم فلعمري ان من اتقى الله عز وجل واثر رضاه وطلب ما عنده أمسك لسانه واطبق فاه وجعل سعيه أمامه لاوراه

١٧٢ قال علي رضي الله عنه

والله ما بذلت وانا اريد فلتة ولا اقررت بما اقررت وانا اريد حولا عنه وان اخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل في كل الحوادث ارجع يا ابا حفص ناقع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته الا ما يشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة ويرفع الكلفة ويوقع الزلفة بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه

ولما بايع عليّ ابا بكر رضي الله تعالى عنهما

١٧٣ قال له ابو بكر

ان عصابة انت فيها لمعصومة وان امة انت فيها لمرحومة ولقد اصبحت عزيزا علينا كريمًا لدينا نخاف الله اذا سخطت ونرجوه اذا رضيت ولولا اني شُدهت لما اجبت اليه ولقد حط الله عن ظهرك ما اثقل به كاهلي وما اسعد من نظر الله اليه بالكفاية وانا اليك محتاجون وبفضلك عالمون والى الله عز وجل في جميع الامور راغبون

١٧٤ وهذه مائة كلمة له رضى الله عنه

(جمعها الجاحظ وذكرها الثعالبي)

في بعض كتبه

لو كشف الغطاء ما ازددت الا يقينًا · الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا · الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم · ما هلك امرؤ عرف قدره · المرء مخبوء تحت لسانه من عذب لسانه كثر اخوانه · بالبر يستعبد الحر · بشر مال البخيل بحادث او وارث لا تنظر الى من قال · لا ظفر مع البغي · الجزع عند البلاء تمام المحنة · لا ثناء مع كبر لا بر مع شح · لا صحة مع نهم · لا شرف مع سوء ادب · لا اجتناب لمحرم مع حرص لا محبة مع مراء · لا سؤدد مع انتقام · لا راحة لحسود · لا زيارة مع دعارة · لا صواب مع ترك المشورة · لا مروءة لكذوب · لا وفاء لملول · لا كرم اعز من التقى · لا شرف اعلى من الاسلام · لا معقل احرز من الورع · لا شفيع انجح من التوبة · لا داء اعيى من الجهل · لا مرض اضنى من قلة العقل · لسانك يقتضيك ما عودته · المرء عدو ما جهل · لا ظهير كالمشاورة · رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره · اعادة الاعتذار تذكير الذنب · النصح بين الملا تقريع · اذا تم العقل نقص الكلام · الشفيع جناح الطالب نفاق المرء ذلة · الجزع اتعب من الصبر · المسؤول حر ما لم يعد · اكبر الاعداء مكيدة اخفاهم مشورة · من طلب ما لم يعنه فاته ما يعنيه · الراحة مع اليأس · الحرمان مع الحرص · من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه او استخفاف به · عبد الشهوة اذل من عبد الرق · الحاسد ضاغن على من لا ذنب له · كفى بالنظر شفيعًا لمذنب · رب ساع فيما يضره · لا تتكل على المنى فانها بضائع النوكي · كثرة الوفاق نفاق · كثرة الخلاف شقاق · رب آمل خائب · رب طامع كاذب · رب رجاء يؤدي الى حرمان رب ربح يؤدي الى خسران · البغي سائق الحين · في كل جرعة شرقة ومع كل اكلة غصة

من اكثرفكره في العواقب لم يشجع ٠ اذا حلت المقادير بطل الحذر ٠ الاحسان يقطع اللسان ٠ الشرف بالعقل والادب لا بالاصل والنسب ٠ اكرم النسب حسن الادب الحسب حسن الخلق ٠ احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود ٠ اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع ٠ الطامع في وثاق الذل ٠ من ابدى صفحته للحق هلك ٠ اذا املقتم فتحاً فتاجروا الله تعالى بالصدقة ٠ من لان عوده كثف اغصانه ٠ قلب الاحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه ٠ من جرى في عنان امله عثر باجله ٠ اذا تواصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروها بقلة الشكر ٠ اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه ٠ ما اضمرانسان شيأ الاظهر منه في صفحات وجهه وفلتات لسانه ٠ اللهم اغفر زلات الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان ٠ البخيل مستعجل ٠ الفقير يعيش في الدنيا عيش الفقراء و يحاسب حساب الاغنياء

١٧٥ وكتب اليه اخوه عقيل
وتقدم جوابه

بسم الله الرحمن الرحيم

(اما بعد) فان الله جارك من كل سوء وعاصمك من المكروه اني خرجت معتمرا فلقيت عبدالله بن ابي سرح في نحو من اربعين شابا من ابناء الطلقاء فقلت لهم وعرفت المنكر في وجوههم يا ابناء الطلقاء العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديما تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير امره فأسمعني القوم واسمعتهم ثم قدمت مكة واهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة فاحتمل من اموال اهلها ثم انكفأ راجعا فأف لحياة في دهر قد أمّر عليكم الضحاك وما الضحاك وهل هو الافقع قرقرة وقد ظنت و بلغني ان انصارك قد خذلوك فاكتب اليّ

يا ابن امّ برأيك فان كنت الموت تريد تحملت اليك ببني ابيك وولد اخيك فعشنا ما عشت ومتنا معك فوالله ما احب ان ابقى بعدك فواقا فاقسم بالله الأعز الاجل ان عيشا اعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام

١٧٦ خطبة للسيدة فاطمة

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فان تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم واخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ النذارة صادعا بالرسالة مائلا على مدرجة المشركين ضاربا لثبجهم آخذا بكظمهم يجذ الاصنام و ينكت الهام حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين و كنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون الورق اذلة خاشعين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه بعد اللتيا والتي و بعد ما مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب كلما حشوا نارا للحرب ونجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف باخيه فى لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ سماخها باخمصه و يخمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريباً من رسول الله سيدا في اولياء الله وانتم في بلهنية وادعون آمنون حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ظهرت حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآقلين وهدر فنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين وللعزة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافا واحمشكم فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردتموها غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم

رحيب والجرح لما يندمل بدار ازعمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات منكم وأني بكم وأني تؤفكون وهذا كتاب الله بين اظهركم زواجره بينة وشواهده لائحة وأوامره واضحة ارغبة عنه تدبرون ام بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تريثوا اختها الاريث ان تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتغاء ونصبر منكم على حز المدى وانتم اللائي تزعمون ان لا ارث لنا أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ويهامعشر المهاجرة أبتز ارث ابيه أفي الكتاب ان ترث اباك ولا أرث أبيه لقد جئت شيأً فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون

١٧٧ وخطب سيدنا الحسن فقال

الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه ومن سكت علم ما في نفسه ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه معاده (اما بعد) فان القبور محلتنا والقيامة موعدنا والله عارضنا ان عليا باب من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا

(ولما دفن قام على قبره محمدا بن الحنفية)

١٧٨ وقال

رحمك الله ابا محمد فلئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك وكيف لا تكون كذلك وانت سليل الهدي وخامس اصحاب الكسا وخلف اهل التقى جدك النبي المصطفى وابوك على المرتضي وأمك فاطمة الزهراء وعمك جعفر الطيار في جنة المأوي غذتك اكف الحق وربيت في حجر الاسلام

ورضعت ثدي الايمان فطبت حيا وميتا فلئن كانت الانفس غير طيبة لفراقك انها غير شاكة ان قد خير لك وانك واخاك لسيدا شباب اهل الجنة فعليك يا ابا محمد منا السلام

١٧٩ وخطب سيدنا الحسين فقال

يا ايها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم ولا تحتسبوا لمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالنجح ولا تكسبوا بالمطل ذما فمهما يكن لاحد عند احد صنيعة له رأي انه لا يقوم بشكرها فالله بمكافأته فانه اجزل عطاء واعظم أجرا اعلموا ان حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم واعلموا ان المعروف يكسب حمدا ويكسب اجرا فلو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين ولو رايتم اللؤم رأيتموه سمجا مشوها تنفر منه القلوب وتغض دونه الابصار ايها الناس من جاد ساد ومن بخل رذل وان اجود الناس من اعطى من لا يرجوه وان اعفى الناس من عفا عند قدرته وان افضل الناس من وصل من قطعه والاصول على مغارسها ففروعها تسمو فمن يعجل لاخيه خيرا وجده اذا قدم عليه ومن اراد الله تبارك بالصنيعة الى اخيه كافأه بها في وقت حاجته وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو اكثر منه ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ومن احسن أحسن الله اليه والله يحب المحسنين

١٨٠ وخطب لما عزم على الخروج الى العراق

فقال

الحمد لله وما شاء الله ولا قوة الا بالله وصلى الله على رسوله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما اولهني على اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع انا لاقيه كأني باوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين

النواويس وكربلا فتملأن مني اكراشا جوفاً واجربة شعثاً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله ورضانا اهل البيت فنصبر على بلائه و يوفينا اجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه و ينجز لهم وعده ومن كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقائنا نفسه فليرحل فاني راحل مصبحا ان شاء الله

١٨١ وخطب غداة اليوم
الذي استشهد فيه

حمد الله واثنى عليه ثم قال

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على احد او بقي عليها احد لكانت الانبياء احق بالبقاء واولى بالرضاء وارضى بالقضاء غير ان الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل تلعة والدار قلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون

١٨٢ خطبة لسيدنا عبد الله بن مسعود

أصدق الحديث كتاب الله واوثق العرى كلمة التقوى خير الملل ملة ابراهيم واحسن السنن سنة النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وشر الامور محدثاتها ما قل وكفى خير مما كثر وألهى خير الغنى غنى النفس وخير ما القي في القلب اليقين الخمر جماع الاثم النساء حبالة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المعجزة من الناس من لا ياتي الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا اعظم الخطايا اللسان الكذوب سباب المؤمن فسق وقتاله كفر واكل لحمه معصية من يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عفي عنه الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من وعظ بغيره الامور

بعواقبها ملاك العمل خواتيمه اشرف الموت الشهادة من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره

١٨٣ خطبة عبدالله بن الزبير بعد أن قتل اخوه مصعب

الحمد لله الذي له الخلق والامر وملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء و يذل من يشاء الا انه لم يذل والله من كان الحق معه وان كان مفردا ضعيفا ولم يعز من كان الباطل معه وان كان في العدة والعدد والكثرة

ثم قال

انه قد اتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا اتانا ان مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته فاما الذي احزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعدُ ذو الرأي والدين الى جميل الصبر واما الذي سرنا منه فانا قد علمنا ان قتله شهادة له وانه عز وجل جاعل ذلك لنا وله خيرة ان شاء الله تعالى ان اهل العراق اسلموه و باعوه باقل ثمن لقد قتل ابوه وعمه واخوه وكانوا خيار الصالحين انا والله ما نموت حتف انوفنا ما نموت الا قتلا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان والله ماقتل منهم رجل في جاهلية ولا اسلام قط وانما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل الدنيا علي لا آخذها اخذ الاشر البطر وان تدبر عني لا ابك عليها بكاء الخرف المهين

١٨٤ وقال الاحنف بن قيس يشكو لسيدنا عمر
ويستمنحه حفر بئر

ان مفاتيح الخير بيدي الله وقد اتتك وفود اهل العراق وان اخواننا من اهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية والملوك الجبابرة ومنازل

كسرى وقيصر وبني الاصفر فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حولاء السلى وحدقة البعير تأتيهم ثمارهم غضة لم تخصر وانا نزلنا ارضا نشاشة طرف في فلاة وطرف في ملح اجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشه لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها تأتينا منافعها في مثل مريء النعامة يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنعش ركيستنا وتجبر فاقتنا وتزيد في عيالنا عيالا وفي رجالنا رجالا وتصغر درهمنا وتكبر قفيزنا وتأمر بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا

١٨٥ خطبة له

قال بعد حمد الله والثناء عليه

يا معشر الازد وربيعة انتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر واشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو والله لأزد البصرة احب الينا من تميم الكوفة ولأزد الكوفة احب الينا من تميم الشام فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم ففي اموالنا وسعة احلامنا لنا ولكم سعة وفينا وفيكم وفاء

١٨٦ نبذة من حكمه

لا خير في لذة تعقب ندما لم يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر ما اقبح القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان اعلم ان لك من دنياك ما اصلحت به مثواك فانفق في حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من موضع البول مرتين

١٨٧ ولما مات قامت على قبره بنت عمه صفية بنت هشام المنقرية

وقالت

لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن انا لله وانا اليه راجعون جعل الله سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك اما والذي اساله ان يفسح لك في مدخلك وان يبارك لك في محشرك ووالذي كنت من اجله في عدة ومن الكآبة في مدة ومن الاثر الى نهاية ومن المضمار الى غاية لقد كنت صحيح الأديم منيع الحريم عظيم السلم فاضل الحلم واري الزناد رفيع العماد وان كنت لمسوّدا والى الملوك لموفّدا وفي المحافل شريفا وعلى الارامل عطوفا وكانت الملوك لقولك مستمعين ولرأيك متبعين ولقد عشت حميدا ودودا ومت شهيدا فقيدا

ثم أقبلت على الناس بوجهها وقالت

عباد الله ان أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانا لقائلون حقا ومثنون صدقا وهو اهل الطيب والثناء فعليه رحمة الله وبركاته وما مثله في الناس الا كما قال الشاعر في قيس بن عاصم

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
سلام امرئ اودعته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما

١٨٨ ومن خطبة لسيدنا زيد بن علي

اوصيكم (١) عباد الله بتقوى الله التي من اكتفى بها كفته ومن اجتن بها وقته

(٢) هذه الخطبة هكذا في نثر الدرر ونقلتها منه على علاتها ولم اتركها لما هو ظاهر من بلاغتها

هي الزاد ولها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح دعا اليها أسمع داع ووعاها خير واع فاعذر داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله والزمت قلوبهم مخافته حتى اسهرت ليلهم واظمأت هواجرهم فاحرزوا الراحة بالنصب والري بالظمأ وقربوا الاجل و بادروا العمل و كذبوا الامل ولاحظوا الاجل طوبى لهم وحسن مآب ثم ان الدنيا دار فناء وعنا وغير وعبر فمن العناء ان المرء يجمع مالا يأكل و يبني مالا يسكن ثم يخرج الى الله عز وجل لا مالاً حمل ولا بناء نقل ومن العناء ان الدهر موتر قوسه ثم لا يخطئ سهامه ولا يشوي جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا يروي ومن عبرها انك تلقى المحروم مغبوطا والمغبوط محروماً ليس ذلك الا نعيما زال و بؤسا نزل ومن عبرها ان المشرف على امله يقطعه اجله فلا امل يدرَك ولا مؤمل يترك سبحان الله ما اغر سرورها وأظمأ ريها واضحى فيئها اولياء الله فيها الى الاجر بالصبر والى الامل بالعمل جاوروا الله في داره ملوكا خالدين ان الله خلق موتا بين حياتين موتا بعده حياة وحياة ليس بعدها موت وان اعداء الله نظروا فلم يجدوا شيأ بعد الموت الا والموت اهون منه فسألوا الله عز وجل الموت فقالوا (يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون) وان اولياء الله نظروا فلم يجدوا شيأ بعد الموت اشد منه فسألوا الله الحياة جزعاً من الموت ولكل مما هو فيه مزيد فسبحان الله ما اقرب الحي من الميت باللحاق به وما ابعد الميت من الحي لانقطاعه منه انه ليس شئ بخير من الخير الا ثوابه وليس شئ بشر من الشر الا عقابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شئ من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من السماع العيان ومن العين الخبر ان الذي امرتم به اوسع مما نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما

اتسع قد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكون المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم مع انه والله قد اعترض الشك ورحل اليقين حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم والذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجي من رحمة الحياة ما يرجي من رحمة الرزق فان ما فات اليوم من الرزق يرجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرجع اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

١٨٩ وكتب سيدنا معاوية الى ابي موسى الاشعري ليضمه الى الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانه لو كانت النية تدفع خطأ لنجا المجتهد واعذر الطالب ولكن الحق لمن قصد له فاصابه ليس لمن عارضه فاخطأه وقد كان الحكمان اذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما وقد اختار القوم عليك فاكره منهم ما كرهوا منك فاقبل الى الشام فهي اوسع لك

١٩٠ فكتب اليه ابو موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني لم اقل في عليّ الا ما قال صاحبك فيك الا اني اردت ما عند الله واراد عمرو ما عندك وقد كانت بيننا شروط والشورى عن تراض فلما رجع الامر رجعت فاما الحكمان وانه ليس للمحكوم عليه الخيار فانما ذلك في الشاة والبعير فاما في امر هذه الامة فليس احد آخذا لها بزمام ما كرهوا وليس يذهب الحق بعجز عاجز ولا مكيدة كائد واما دعاؤك اياي الى الشام فليست بي

رغبة عن حرم ابراهيم عليه السلام

١٩١ وخطب سيدنا معاوية حين قدم
المدينة عام الجماعة

حمد الله واثنى عليه ثم قال

اما بعد فاني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن ابي قحافة واردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفارا شديدا واردتها على سنيات عثمان فابت على فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة فان لم تجدوني خيركم فاني خير لكم ولاية والله لا احمل السيف على من لا سيف له وان لم يكن منكم الا ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر اذني وتحت قدمي وان لم تجدوني اقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه فان اتاكم مني خير فاقبلوه فان السيل اذا جاء يثري وان قل اغنى واياكم والفتنة فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة

١٩٢ خطبة اخرى

حمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

اما بعد ايها الناس انا قدمنا عليكم وانما قدمنا على صديق مستبشر او على عدو مستتر وناس بين ذلك ينظرون و ينتظرون فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ولست واسعا كل الناس فان كانت محمدة فلا بد من مذمة فلوما هونا اذا ذكر غفر واياكم والتي ان اخفيت او بقت وان ذكرت او ثقت

١٩٣ خطبة اخرى

حمد الله واثنى عليه ثم قال

يا اهل المدينة اني لست احب ان تكونوا خلقا كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه كل امرئ منهم شيعة نفسه فاقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم وان معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ولو قد اتى فالرتق خير من الفتق وفي كل بلاغ ولا مقام على الرزية

١٩٤ وقال له عبيد الله بن زياد
بعد موت ابيه زياد

صريح العقوق مكاتمة الادنين لا خير في اختصاص وان وفر احمد الله اليكم على الآلاء واستعينه على اللأواء واستهديه من عمى مجهد واستعينه على عدو مرصد واشهد أن لا اله الا الله المنقذ بالأمين الصادق من شفا جرف هار ومن يد عار وصلوات الله على الزكي نبي الرحمة ونذير الامة وقائد الهدى (اما بعد) يا امير المؤمنين فقد عسف بنا ظن فزع وفرع صدع حتى طمع السحيق وبئس الرفيق ودب الوشاة بموت زياد فكلهم متحفز للعداوة وقد قلص الازرة وشمر عن أعطافه ليقول مضى زياد بما استحق به ودل على الانية من مستحقه فليت امير المؤمنين سلم في دعته واسلم زيادا في ضيعته فكان ترب عامه وواحد رعيه فلا تشخص اليه عين ناظر ولا اصبع مشير ولا تندلق عليه ألسن كلمته حيا ونبشته ميتا فان تكن يا امير المؤمنين حابيت زيادا بأول رفات ودعوة اموات فقد حاباك زياد بجد هصور وعزم جسور حتى لانت شكائم الشرس وذلت صعبة الاشوس وبذل لك يا امير المؤمنين يمينه ويساره تأخذ بهما المنيع وتقهر بهما البديع حتى مضى والله يغفر له فان يكن زياد أخذ بحق انزله منازل الاقربين فان لنا بعده ما كان له بدالة الرحم وقرابة الحميم فما لنا يا امير المؤمنين نمشي الضراء ونشتف النضار ولك من خيرنا اكمله وعليك من حوبنا اثقله وقد شهد القوم

وما ساءني قربهم ليقروا حقا و يردوا باطلا فان للحق منارا واضحا وسبيلا قصدا فقل يا امير المؤمنين بأي امريك شئت فما تأرز الى غير جحرنا ولا تستكثر بغير حقنا واستغفر الله لي ولكم

١٩٥ فاجابه وهو عاقد حبوته

الحمد لله على ما نحن فيه فكل خير منه وأشهد ان لا اله الا الله فكل شيء خاضع له وان محمدا عبده ورسوله دل على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله فهو خاتم النبيين ومصدق المرسلين وحجة رب العالمين صلوات الله عليه وسلامه وبركاته (اما بعد) فرب خير مستور وشر مذكور وما هو الا السهم الاخيب لمن طار به والحظ المرغب لمن فاز به فبهما التفاضل وفيهما التغابن وقد صفقت يداي في ابيك صفقة ذي الخلة من رواضع الفصلان عامل اصطناعي له بالكفر لما اوليته فما رميت به الا انتصل ولا انتضيته الا اغلق جفنه ولزت لسعنه ولاقلت الا عاثر ولا قمت الا قعد حتى اخترمه الموت وقد اوقع بختره ودل على حقده وقد كنت رايت في ابيك رأيا حضره الخطل والتبس به الزلل فأخذ مني بحظ الغفلة وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء فما برحت هناة ابيك تحطب في حبل القطيعة حتى انتكث المبرم وانحل عقد الوداد فيا لها توبة تؤتنف من حوبة اورثت ندما أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت فليهنأ الواشم ما به احتفر واراك تحمد من ابيك جدا وجسرا هما أوفيا به على شرف التقحم وغبط النعمة فدعها فقد اذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده و بها مشيت الضراء واشتففت النضار فاذهب اليك فانت نجل الدغل ونترة النغل والاشر

١٩٦ وكتب الى يزيد

وقد بلغه انهماكه على الشهوات

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) من معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين الى يزيد بن معاوية (اما بعد) فقد ادت ألسنة التصريح الى اذن العناية بك ما فجع الامل فيك وباعد الرجاء منك اذ ملأت العيون بهجة والقلوب هيبة وترامت اليك آمال الراغبين وهمم المتنافسين وسخت بك فتيان قريش وكهول اهلك فما يسوغ لهم ذكرك الاعلى الجرة المهوعة والكظ الجش اقتحمت البوائق وانقدت للمعاير واعتضتها من سمو الفضل ورفيع القدر فليتك يزيد اذ كنت لم تكن سررت يافعا ناشئا واثكلت كهلا صالغا فواحزناه عليك يزيد وما أحر صدر المثكل بك ما اشمت فتيان بني هاشم واذل فتيان بني عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب فمن لصلاح ما افسدت ورتق ما فتقت هيهات خمشت الدربة وجه التصبر بك وابت الجناية الا تحدرا على الالسن وحلاوة على المناطق ما اربح فائدة نالوها وفرصة انتهزوها انتبه يزيد للفظة وشاور الفكرة ولا تكن الى سمعك اسرع من معناها الى عقلك واعلم ان الذي وطأك وسوسة الشيطان وزخرفة السلطان مما حسن عندك قبحه واحلولي عندك مره امر شركك فيه السواد ونافسك الاعداء لاثرة تدعيها اوجبتها لك الامرة واضعت بها من قدرك فامكنت بها من نفسك فانك شانئ نفسك فمن لهذا كله اعلم يا يزيد انك طريد الموت واسير الحياة بلغني انك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى (اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) واجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريتها عندك جهرا اعلم يا يزيد ان اول ما سلبكه السكر صفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة وهي

(١) هذا الكتاب نقلته من صبح الاعشي على علاته

الجرحة العظمى والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات في اوقاتها وهو من اعظم ما يحدث من آفاتها ثم استحسان العيوب وركوب الذنوب واظهار العورة واباحة الستر فلا تامن نفسك على سرك ولا تعقل على فعلك فما خير لذة تعقب الندم وتعفي الكرم وقد توقف امير المؤمنين على شطرين من امرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكن الحاكم على نفسك واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشد ان شاء الله تعالى وليبلغ امير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه فقد اصبح نصب الاعتزال من كل مؤانس ودرأة الالسن الشامتة وفقك الله فاحسن

١٩٧ خطبة اخرى خطبها في مرض موته

حمدا لله فاوجز ثم قال

ايها الناس (١) انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيأ و يزداد الظالم فيه عتوا لانتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف من قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف (منهم) من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره (ومنهم) المصلت لسيفه والمجلب برجله والمعلن بشره قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه و بئس المتجر ان تراها لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضا «ومنهم» من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية «ومنهم» من اقعده عن الملك ضؤولة نفسه وانقطاع

(١) كذا في العقد الفريد واعجاز القرآن ونسبها في نهج البلاغة لسيدنا علي تبعاً للجاحظ

سببه فقصرت به الحال عن حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدي و بقي رجال اغض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شديد نادّ وخائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم دامية وقلوبهم قريحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا في عيونكم اقل من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشفق بها منكم

(شكوى امرأة ابي الاسود الدؤلي اياه

لسيدنا معاوية

بينا سيدنا معاوية ذات يوم جالساً وعنده وجوه قريش واشراف العرب اذ اقبلت امرأة ابي الاسود حتى حاذته

١٩٨ وقالت

السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ان الله جعلك خليفة في البلاد ورقيباً على العباد يستسقى بك المطر و يستنبت بك الشجر وتؤلف بك الاهواء و يأمن بك الخائف و يردع بك الجانف فانت الخليفة المصطفى والامام المرتضى فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير والعافية في غير تقدير لقد الجأني اليك امير المؤمنين امر ضاق عليّ فيه المنهج وتفاقم عليّ فيه المخرج لامر كرهت عاره لما خشيت اظهاره فلينصفني امير المؤمنين من الخصم فاني اعوذ بعقوته من العار الوبيل والامر الجليل الذي يشتد على الحرائر ذوات البعول الاجائر

(ثم قالت بعد محاورة بينها و بين زوجها)

يا امير المؤمنين ما علمته الا سؤولا جهولا ملحّا بخيلا ان قال فشر قائل وان سكت فذو دغائل ليث حين يأمن وثعلب حين يخاف شحيح حين يضاف ان ذكر الجود انقمع لما يعرف من قصر رشائه ولؤم آبائه ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحفظ جارا ولا يحمي ذمارا ولا يدرك ثارا اكرم الناس عليه من اهانه واهونهم عليه من اكرمه

١٩٩ وقالت امرأة من بني ذكوان
لسيدنا معاوية تشكو زيادا

الحمد لله يا معاوية الذي خلق اللسان فجعل فيه البيان ودل به على النعم واجرى به القلم فيما ابرم وحتم وذرأ وبرأ وحكم وقضي وصرّف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة الفها بالتقديم والتأخير والاشباه والمناكر والموافقة والتزايد فأدته الآذان الى القلوب وأدته القلوب الى الالسن بالبيان استُدل به على العلم وعُبد به الرب وأبرم به الامر وعرفت به الاقدار وتمت به النعم فكان من قضاء الله وقدره ان قربت زيادا وجعلت له بين آل ابي سفيان نسباً ثم وليته احكام العباد يسفك الدماء بغير حلها ولا حقها ويهتك الحرم بلا مراقبة لله فيها خؤون غشوم كافر ظلوم يتخير من المعاصي اعظمها لا يرى لله وقارا ولا يظن أن له معادا وغدا يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدي ربك ولك برسول الله صلى الله عليه اسوة وبينك وبينه صهر فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ولا طريقتهم سلكت جعلت عبد ثقيف على رقاب امة محمد صلى الله عليه يدبر امورهم ويسفك دماءهم فما ذا تقول لربك يا معاوية وقد مضى من اجلك اكثره وذهب خيره وبقي وزره اني امرأة من بني ذكوان وثب زياد المدعى الى أبي سفيان على ضيعتي وتركتي عن ابي وامي فغصبنيها وحال بيني وبينها وقتل

من نازعه فيها من رجالي فأتيتك مستصرخة فان انصفت وعدلت والا وكلتك وزيادا الى الله عز وجل فلن تبطل ظلامتي عندك ولا عنده والمنصف لي منكما حكم عدل

٢٠٠ كلام ام الخير بنت الحريش البارقية حين قتل
سيدنا عمار بن ياسر وهي من الوافدات على سيدنا معاوية

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مبهمة ولا سوداء مدلهمة فالى اين تريدون رحمكم الله افرارا عن امير المؤمنين ام فرارا من الزحف ام رغبة عن الاسلام ام ارتدادا عن الحق اما سمعتم الله جل ثناؤه يقول (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأ أخباركم)

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول

اللهم قد عيل صبري وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب ازمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق الى اهله هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر انها احن بدرية واحقاد جاهلية وضغائن احدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس

ثم قالت

قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون صبرا معشر الأنصار والمهاجرين قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكأني بكم غدا قد لقيتم اهل الشام كحمر مستنفرة لا تدري اين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى وعما قليل ليصبحن نادمين

حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار ايها الناس ان الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا لها والله ايها الناس لولا ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود و يظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه فالى اين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وزوج ابنته وابي ابنيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وخصه بسره وجعله باب مدينته وعلم بحبه المسلمين وابان ببغضه المنافقين فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته ويمضي على سنن استقامته لا يعرج لراحة الدأب ها هو مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون واطاع والناس مرتابون فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر وافنى اهل احد وفرق جمع هوازن فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا وقد اجتهدت في القول و بالغت في النصيحة و بالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

٢٠١ تحريض عكرشة بنت الاطرش في حرب صفين

وهي من الوافدات على سيدنا معاوية

ايها الناس عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من اوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها و كونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عرى الاسلام و يطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم

واصبروا على عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم اهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير

٢٠٢ كلام الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية

في حرب صفين تحض على القتال وهي من الوافدات ايضا

ايها الناس ارعووا وارجعوا انكم قد اصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها ان المصباح لا يضيء في الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس وان الزف لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد الا الحديد الا من استرشدنا ارشدناه ومن سألنا اخبرناه ايها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن احد فيقول كيف وأني ليقضي الله امرا كان مفعولا الا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده (والصبر خير في الامور عواقبا) ايها في الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين

٢٠٣ وقال روح بن زنباع لما هم به سيدنا معاوية يستعطفه

لا تشمتن بي عدوا انت وقمته ولا تسوأن بي صديقاً انت سررته ولا تهدمن مني ركناً انت بنيته هلا اتى حلمك واحسانك على جهلي واساءتي

٢٠٤ خطبة زياد البتراء (١)

بالبصرة حين قدم والياً عليها لسيدنا معاوية

---

(١) سميت بذلك لانه لم يحمد الله فيها وقيل بل حمده وعليه اثبتناها هنا بالحمد

الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعماً فالهمنا شكرا (اما بعد) فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والعمى الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب العظيم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من تركتكم الضعيف يقهر و يؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة والصفقة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل الم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة و باعدتم الذين يعتذرون بغير العذر و يقضون على المختلس كل امرىء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب حرام عليّ الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقاً اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف واني اقسم بالله لآخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد اوتستقيم قناتكم ان كذبة الامير بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا ان عندي امثالها من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه فاياي ودلج الليل فاني لا أوتي بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة و يرجع اليكم

واياي ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوم اغرقناه ومن احرق قوماً احرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه حياً فيه فكفوا عني ايديكم والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني و بين اقوام احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسناً فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيأً فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعاً ولم اهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس ايها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم لنا واعلموا اني مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو اتاني طارقاً بليل ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن ابانه ولا مجمّرا لكم بعثاً فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم و يطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتموني انفذ فيكم الامر فانفذوه على أذلاله وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرىء منكم ان يكون من صرعاي

٢٠٥ وصية له

ان الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على

طاعنه فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسيء بخذلان الله اياه ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء فما اولى من تمت عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطي ما عليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله فاحذركم الله الذي حذركم نفسه واوصيكم بتعجيل ما اخرته العجزة قبل ان تصيروا الى الدار التي صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها اوبة وانا استخلف الله عليكم واستخلفه منكم

٢٠٦ خطبة لسحبان وائل

ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار أيها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اياكم قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم

٢٠٧ خطبة لعتبة بن أبي سفيان

حين بلغه عن اهل مصر ما أغضبه

حمد الله واثنى عليه وقال

يا أهل مصر اياكم ان تكونوا للسيف حصيدا فان لله فيكم ذبيحاً لعثمان أرجو أن يوليني نسكه ان الله جمعكم بامير المؤمنين بعد الفرقة فاعطى كل ذي حق حقه وكان والله اذكركم اذا ذكر بخطة واصفحكم بعد المقدرة عن حقه نعمة من الله فيكم ونعمة منه عليكم وقد بلغنا عنكم نجم قول اظهره تقدم عفو منا فلا تصيروا الى وحشة الباطل بعد انس الحق باحياء الفتنة وامانة السنن فأطؤكم

والله وطأة لا ارمق معها حتى تنكروا مني ما كنتم تعرفون وتستخشنوا ما كنتم تستلينون وانا اشهد عليكم الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور

٢٠٨ خطبة له اخرى حين ارجف اهل مصر بموت سيدنا معاوية

حمد الله واثنى عليه ثم قال

يا اهل مصر قد طالت معاتبتنا اياكم باطراف الرماح وظُبات السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تسيغه حلوقكم وقذى في اعينكم ما تطرف عليه جفونكم افحين اشتدت عرى الحق عليكم عقدا واسترخت عقد الباطل منكم حلا ارجفتم بالخليفة واردتم توهين الخلافة وخضتم الحق الى الباطل واقدم عهدكم به حديث فار بحوا انفسكم اذ خسرتم دينكم فهذا كتاب امير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه واعلموا ان سلطاننا على ابدانكم دون قلوبكم فاصلحوا لنا ما ظهر ونكلكم الى الله فيما بطن وأَظهروا خيرا وان اضمرتم شرا فانكم حاصدون ما انتم زارعون وعلى الله اتوكل و به استعين

٢٠٩ وخطب اهل مصر فقال

يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا تفعلونه وذم الباطل وانتم تأتونه كالحمار يحمل اسفارا اثقله حملها ولم ينفعه علمها وايم الله لا اداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط ولا ابلغ السوط ما كفتني الدرة ولا ابطيء عن الاولى ما لم تسرعوا الى الاخرى فالزموا ما امركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا واياكم وقال و يقول قبل ان يقال فعل و يفعل و كونوا خير قوس سهما بهذا اليوم الذي ما قبله عقاب ولا بعده عتاب

٢١٠ وخطب في اهل مصر ايضاً

فقال

يا اهل مصر قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم فقد وليكم من يقول و يفعل و يفعل و يقول فان رددتم ترادّكم بيده وان استصعبتم ترادّكم بسيفه ثم رجا في الآخر ما امل في الاول ان البيعة متتابعة فلنا عليكم السمع والطاعة ولكم علينا العدل فاينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه والله ما انطلقت بها السنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز ومن حذر كمن بشر فنادوه سمعاً وطاعة فناداهم عدلا عدلا

٢١١ وخطب ايضاً فقال

يا حاملي ألأم انوف ركبت بين اعين انما قلمت اظفاري عنكم ليلين مسي اياكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم راجعاً عليكم فاما اذا ابيتم الا الطعن على الولاة والتنقص للسلف فوالله لاقطعن على ظهوركم بطون السياط فان حسمت داءكم والا فالسيف من ورائكم واست ابخل عليكم بالعقوبة اذا جدتم لنا بالمعصية ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التي هي ابر واتقى

٢١٢ خطبته في الموسم سنة احدى وار بعين

حمد الله واثنى عليه وقال

انا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف الله فيه للمحسنين الاجر وعلى المسيئين الوزر ونحن على طريق ما قصدنا له فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع من دوننا ورب متمن حتفه في امنيته اقبلوا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها منكم واياكم ولوّا فان لوّا قد أتعبت من قبلكم ولن تريح من بعدكم فأسأل الله ان يعين

كلا على كل

فناداه اعرابي من ناحية المسجد ايها الخليفة قال لست به ولم تبعد اسمعت فقل

فقال

والله لان تحسنوا وقد اسأنا خير لكم من أن تسيؤوا وقد احسنا فان كان الاحسان لكم فما احقكم باستتمامه وان كان لنا فما احقكم بمكافأة رجل من بني عامر بن صعصعة يتلقاكم بالعمومة و يختص اليكم بالخؤولة وقد كثر عياله ووطئه زمانه وفيه اجر وعنده شكر

فقال عتبة يستغفر الله منكم و يسأله العون عليكم وقد امرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك

٢١٣ خطبة عمران بن عصام

وكانت ابلغ خطبة في ايجاز

واياكم والتظالم فانه يثيرالاحن و يسوق المحن ولقد عركتني الايام عرك الثفال وقلبتها تقليب العصا فلم ارما لانما بظلم ولا حريماً احتمى ببغي وان لكل شيء مآلا فانظروا لانفسكم ما تقدمون وقدموا ما تجدون وأستغفر الله لي ولكم

٢١٤ خطبة يوسف بن عمر الثقفي

اتقوا الله عباد الله فكم من مؤمل املا لا يبلغه وجامع ما لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراماً وورثه عدوا فاحتمل اصره و باء بوزره وورد على ربه آسفاً لاهفاً قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

٢١٥ من خطبة لزرعة بن ضمرة

والقيام في طاعة ببلاء خيرمن قعود في معصية بعافية الا وان الفتنة قد أطلت

والبلية قد اظلت وليس على هذه العارضة الاروق السيوف ولا ينجيكم الا تلقى الخوف فبادروا طائعين واتموا ما قدمتم ولا تضيعوا ما فعلتم

٢١٦ خطبة لحنيف بن زيد

ان لكل زنديدا وان لكل يوم غدا فلا يقعدنكم يوم عن يوم ولا يشغلنكم سوء منقلب عن حسن طلب وهموا فانما الدنيا همم والايام دول والحروب نوب والحازم من لم يركن الى العجز ولكل مأثور حق ولكل طالب عون والله مع من كان معه

٢١٧ خطبة عمرو بن سعيد الاشدق

لما عقد سيدنا معاوية البيعة ليزيد

حمد الله واثنى عليه ثم قال

اما بعد فان يزيد بن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه ان استضفتم الى حلمه وسعكم وان احتجتم الى رأيه ارشدكم وان افتقرتم الى ذات يده اغناكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد وقورع فقرع فهو خلف امير المؤمنين ولا خلف منه

(ولما ولي يزيد دخل عليه عبد الله بن همام السلولي)

٢١٨ وقال

يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك في العطية واعانك على الرعية فلقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت واصبر له على ما رزيت فقد فقدت خليفة الله ومنحت خلافة الله ففارقت جليلا ووهبت جزيلا اذ قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة فاعطيت السياسة فأوردك الله موارد السرور ووفقك لصالح الامور وانشده

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة … واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا
لا رزء اصبح في الاقوام نعلمه … كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اصبحت والي امر الناس كلهم … فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف … اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

٢١٩ وكتب يزيد الى اهل المدينة وقد بلغه

(خلافهم عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال اني والله قد لبستكم فاخلقتكم ورفعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة اقل بها عددكم واترككم بها احاديث ينسخ منها اخباركم كاخبار عاد وثمود

٢٢٠ وخطب بعد موت ابيه

فقال

الحمد لله الذي ما شاء صنع من شاء اعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان امير المؤمنين كان حبلا من حبال الله مده ما شاء ان يمده ثم قطعه حين اراد ان يقطعه وكان دون من قبله وخيرا ممن يأتي بعده ولا ازكيه عند ربه وقد صار اليه فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه وقد وليت بعده الامر ولست اعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم اذا كره الله شيأ غيره واذا أحب شيأ يسره

٢٢١ وخطب ايضاً

فقال

الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيآت اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه واختاره لرسالته بكتاب فصله وفضله واعزه واكرمه ونصره وحفظه ضرب فيه الامثال وحلل فيه الحلال وحرم فيه الحرام وشرع فيه الدين اعذارا وانذارا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ويكون بلاغاً لقوم عابدين اوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الامور بعلمه واليه يصير معادها وانقطاع مدتها وتصرم دارها ثم اني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل واينعت بالفاني وتحببت بالعاجل لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجيعها اكالة غوالة غرارة لا تبقى على حال ولا يبقى لها حال لن تعدو الدنيا اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله عز وجل (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) نسأل الله ربنا والهنا وخالقنا ومولانا ان يجعلنا واياكم من فزع يومئذ آمنين ان احسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله يقول الله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

٢٢٢ وقالت له السيدة زينب

بنت سيدنا علي تؤنبه

صدق الله ورسوله يا يزيد ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون اظننت يا يزيد انه حين اخذ علينا باطراف الارض واكناف السماء فاصبحنا نساق كما يساق الاسارى ان بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وان هذا لعظيم خطرك فشمخت بانفك ونظرت في عطفك جذلان فرحا حين رايت الدنيا مسوقة لك والامور متسقة عليك وقد امهلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى (لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين) امن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك واماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه قد هتكت ستورهن وصحلت (١) حدوجهن مكتئبات تخدى بهن الاباعر ويحدو بهن الاعادي من بلد الى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن وكيف يستبطأ (٢) في بغضتنا من نظر الينا بالشنف والشنآن والاحن والاضغان اتقول « ليت اشياخي ببدر شهدوا » غير متأثم ولا مستعظم وانت تنكت ثنايا ابي عبد الله بمخصرتك ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة باهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عليه ونجوم الارض من آل عبد المطلب وليردن على الله وشيكا موردهم ولتودن انك عميت وبكمت وانك لم تقل فاستهلوا واهلوا فرحا اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا والله ما فريت الا في جلدك ولا حززت الا في لحمك وستردن على رسول الله صلى الله عليه برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث

(١) كذا بالاصل (٢) كذا رأيته

وهو قول الله تبارك وتعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون» وستعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين اذا كان الحكم الله والخصم محمد صلى الله عليه وجوارحك شاهدة عليك بئس للظالمين بدلا وايكم شر مكاناً واضعف جندا مع اني والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظم تقريعك غير ان العيون عبرى والصدور حرى وما يجزي ذلك او يغني عنا وقد قتل الحسين عليه السلام وحزب الشيطان يقربنا الى حزب السفهاء ليعطوهم اموال الله على انتهاك محارم الله فهذه الايدي تنطف من دمائنا وهذه الافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنما لتتخذنا مغرماً حين لا تجد الا ما قدمت يداك تستصرخ يا ابن مرجانة و يستصرخ بك وتتعاوى واتباعك عند الميزان وقد وجدت افضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه فوالله ما اتقيت غير الله ولا شكواي الا الى الله فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرحض عنك عار ما اتيت الينا ابدا والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان فاوجب لهم الجنة اسأل الله ان يرفع لهم الدرجات وان يوجب لهم المزيد من فضله فانه ولي قدير

٢٢٣ وقال يزيد بن اسد يشكو اليه ابن زياد

يا امير المؤمنين انا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه لم يرض الله عز ذكره بذلك ولئن تقربنا اليك بما يسخط الله ليباعدنا الله منك وان يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها وما ادري متى يقع وكل نائرة تقدح في الملك وان صغرت لم يؤمن ان تكبروا طفاؤها خير من اضرامها لا سيما اذا كانت في انف لا يجدع و يد لا تقطع فانصفنا من ابن زياد

٢٢٤ وكتب بشر الى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لولا الهفوة لم احتج الى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل الكتاب اكثر مما ضمنته لزدت فيه و بقية الاصاغر على الاكابر من شيم الاكارم ولقد احسن مسكين الدارمي حين يقول

اخاك اخاك ان من لا اخا له ... كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح

٢٢٥ وقال أعشى بني ربيعة لعبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير

يا امير المؤمنين مالي اراك متلوماً ينهضك الحزم و يقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح الى الاحجام انفذ لنصرتك وامض رأيك وتوجه الى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر واصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا مجتمعة والله ما تؤتي من ضعف جنان ولا قلة اعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش

٢٢٦ وكتب عبد الملك بن مروان للحجاج

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف (أما بعد) فقد أصبحت بامرك برما يقعدني الاشفاق و يقيمني الرجاء عجزت في دار السعادة و توسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر التمس العذر في امرك فانا لعمر الله في دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسي والتوقع لما طويت عليه الصحف اعجز وقد كنت اشركتك فيما طوقني الله حمله وألاث

بجقوى من امانة الله في هذا الخلق المرعى فدلت منه على الحزم والجد في امانة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة العائب وعذر اللاعن والشاهد القائم فلعن الله ابا عقيل وما نجل فالأم والد وأخبث نسل فلعمري ما ظلمكم الزمان ولاقعدت بكم المراتب لقد البستكم ملبسكم واقعدتكم على روابي خططكم واحلتكم على قدر منعتكم فكنتم بين حافر وناقل وماتح في الفلوات القفرة ما تقدم بكم الاسلام ولقد تأخرتم وما الطائف منا ببعيد يجهل اهله ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاء سيفك فاستخرجك أمير المؤمنين من اعوان روح ابن زنباع وشرطته وانت على معاونته يومئذ محسود فهفا امير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكان بك وكان ما لو لم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأي امير المؤمنين فقرعت صفاتنا وهتكت حجبنا و بسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة في اوعية ثقيف فأستغفر الله لذنب ماله عذر فلئن استقال امير المؤمنين فيك الرأي فلقد حالت البصيرة في ثقيف بصالح النبي صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وما هو الا اختبار للثقة والمطاب لمواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا البس امير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل امير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين مايحاول من رأيه والسلام

٢٢٧ فاجابه الحجاج

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من

خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوي امره من عبد اكتنفته الذلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعترف فادح والسلام عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى اهلها قائدا فاني احمد الله اليك راجيا لعطفك بعطفه الذي لا اله الا هو (اما بعد) كان الله لك بالدعة في دار الزوال والامن في دار الزلزال فانه من عنيت به فكرتك يا امير المؤمنين مخصوصاً فما هو الاسعيد يؤثر اوشقي يوتر وقد حجبني عن نواظر السعد لسان مرصد ونافث عقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به ابواب الوسواس بما تحتويه الصدور فوا غوثاه باستعاذة امير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما اجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد اراد اللعين ان يفتق لاوليائه فتقا نبأ عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر امير المؤمنين ملبساً وكادحاً ومؤرثاً ليفل من غربه الذي نصبني ويصيب ثارا لم يزل به موتورا واذكره قديم ما مت به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وبما كنت ابلوه من خسة اقدار ومزاولة اعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط لروح ابن زنباع وقد علم امير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضي بان الذى عير به القوم مصانعهم من اشد ما كان يزاوله اهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما جهل امير المؤمنين وللبيان موقعه غير محتج ولا معتد ان متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن اراد من فوقه وان روحاً لم يلبسني العزم الذي به رفعني امير المؤمنين عن خوله وقد الصقني بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى به البعيد وتطالع الاعلام وقد اخذت من امير المؤمنين نصيباً اقتسمه الاشفاق من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقى لنا بعد الاصابة امر تجول به النفس وتطرف

النواظر ولقد سرت بعين امير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير منبت موجف ولا متثاقل مجحف ففت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة و بادت البدعة وخسأ الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها انا ذا يا امير المؤمنين نصب المسالة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج او لائم ملتج وامير المؤمنين ولي المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ امرئ ولكل نبأ مستقر وما حفنت يا امير المؤمنين في اوعية ثقيف حتى روى الظمآن و بطن الغرثان وغصت الاوعية وانقدت الاوكية في آل مروان فاخذت ثقيف فضلا صار لها لولاه لقطنت السابلة ولقد كان مما انكره امير المؤمنين من تحاملي وكان مما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان امير المؤمنين لرابع اربعة احدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا في النجي المصطفى في الرسالة فحق لها فيه الرجاء وزالت شبهة الشك بالاختبار وقبلها العزيز في يوسف ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما وامير المؤمنين في الحجاج وما حسد الشيطان بامير المؤمنين خاملا ولا شرق بغير شجبي فكم غبطة بامير المؤمنين الرجيم ادبر منها وله عواء وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا اظن اذكر لها من امير المؤمنين ولقد سمعت لأمير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيف مقالا هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في رده بحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقد اخبر عن الله عز وجل بحكاية غر الملأ من قريش عند الاختيار والافتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم فالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وابي مسعود

الثقفي فصار في الافتخار بهما صنوين ما انكر اجتماعهما من الامة منكر في مدصوت القرآن ومبلغ الوحي وان كان ليقال للوليد في الامة يومئذ ريحانة قريش ومارد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة في القسم السابق فقال عز وجل (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) وما قدمتني يا امير المؤمنين ثقيف في الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من ايسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب والامر لامير المؤمنين عزل ام اقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله

٢٢٨ وكتب للحجاج ايضا في شأن سيدنا انس

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف (اما بعد) فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وايم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب ولا ركضنك ركضة تدخل منها في وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على اكتافهم و يحفرون الآبار في المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه انت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة وقد بلغ امير المؤمنين استطالة منك على انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة منك على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته واظنك اردت ان تروزه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان غصصت بها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد اخفش العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وايم الله لو ان امير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرماً وانتهكت له

عرضاً فيما كتب به الى امير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهي بك الى انس بن مالك فيحكم فيك بما احب ولم يخف على امير المومنين نبأك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون

﴿ ٢٢٩ ﴾ فاجابه الحجاج

بسم الله الرحمن الرحيم

(اما بعد) اصلح الله امير المؤمنين وابقاه وسهل حظه وحاطه ولا عدا مناه فان اسماعيل ابن ابي المهاجر رسول امير المؤمنين اعز الله نصره قدم علي بكتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداءه يذكر شتيمتي وتوبيخي بآبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند امير المؤمنين اتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكرني امير المؤمنين جعلني الله فداءه استطالة مني على انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وامير المؤمنين اصلحه الله من قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم النبيين احق من اقال عثرتي وعفا عن ذنبي فامهلني ولم يعجلني عند هفوتي للذي جبل عليه من كريم طبائعه وما قلده الله من امور عباده فرأى امير المؤمنين أصلحه الله في تسكين روعتي وافراج كربتي فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجاة نقمته وامير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له عن السيآت وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات احق من صفح وعفا وتغمد وابقى ولم يشمت في عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعني غصصا والذي وصف امير المؤمنين من صنيعته الى وتنويهه لي بما اسند الى من عمله واوطأني من رقاب رعيته فصادق فيه مجزي بالشكر عليه والتوسل مني اليه بالولاية والتقرب له

بالكفاية وقد عاين اسماعيل بن ابي المهاجر رسول امير المؤمنين وحامل كتابه من نزولي عند مسرة انس بن مالك وخضوعي عند كتاب امير المؤمنين واقلاقه اياي ودخوله بالمصيبة على ما سيعلمه امير المؤمنين فان رأي امير المؤمنين طوقني الله بشكره وأعانني على تأدية حقه وبلغني الى ما فيه موافقة مرضاته ومد لي في اجله ان يأمر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ويرد ما شرد من نومي ويطمئن به قلبي فقد ورد على امر جليل خطبه عظيم امره شديد على كربه اسأل الله ان لا يسخط امير المؤمنين وان يثبته في حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه مما يحمد به حسن رأيه وبعد همته انه ولي امير المومنين والذاب عن سلطانه والصانع له في امره والسلام

﴿ ٢٣٠ ﴾ وكتب سليمان بن عبد الملك للحجاج يوبخه

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على اهل الطاعة من عباد الله (امابعد) فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق اوليائه لا ما سلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك تصرفه في مهمة من امرك معموه معصوص عن الحق اعصيصاء لا تسكت عن قبيح ولا ترعوي عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك وايم الله لئن امكنني الله منك لادوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولأجعلنك شريدا في الجبال تلوذ باطراف الشمال ولاعاقن الرومية الحمراء بثديها علم الله ذلك مني فقدما غرتك العافية وانتحيت اعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرو يدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بي وبك مدة التعلق بها وان تك الاخرى

فارجو ان تؤول الى مذلة ذليلة وخزية طويلة و يجعل مصيرك في الآخرة شر مصير والسلام

٢٣١ فاجابه الحجاج

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك كتبت الى تذكر اني امرؤ مهتوك حجاب الحق مولع بما على لا لي منصرف عن منافعي تارك لحظي مستخف بحق الله وحق ولي الحق وتذكر انك ذو مصاولة ولعمري انك لصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك و يرقب فيك غيرك فاما كتابك الى فلعمري لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله ابوك افلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وامت غيظك واغمث عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبهه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من امرك حزماً جمعت امورا دلاك فيها الشيطان على اسوأ امرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من طبيعتك واقبل الشيطان بك وادبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطى ما يعيبك فتزحلقت صخرتك لقوله واتسعت جوانبها لكذبه واما قولك لو ملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بثديها فارجو ان يكرمها الله بهوانك وان لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع اني اعرف انك كتبت الى والشيطان بين كتفيك فشرمل على شر كاتب راض بالخسف فأحرى بالحمق ان لا يدلك على هدى ولا يردك الا الى ردى ومال بك الامل وتحلب فوك للخلافة فانت شامخ البصر طامح النظر تظن انك حين تملكها لا تقطع عنك مدتها انها لنعمة الله أسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع اني ارجو ان ترغب فيما رغب فيه

ابوك وأخوك فاكون لك مثلي لهما وان نفخ الشيطان في منخرك فهو امر اراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو اكمل به منك ولعمري انها النصيحة فان تقبلها فمثلها قبل وان تردها علىّ اقتطعتها دونك وانا الحجاج

٢٣٢ وكتب عبد الملك الى الحجاج في شأن عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) اما بعد فاني اجبت عدو الرحمن بلا حول ولا قوة الا بالله ولعمر الله لقد صدق وخلع سلطان الله بيمينه وطاعته بشماله وخرج من الدين عرياناً كما ولدته امه وعلى ان مثلي ومثله ما قال الآخر

اناة وحلما وانتظارا بكم غدا فما انا بالواني ولا الضرع الغمر
اظن صروف الدهر والجهل منهم ستحملهم مني على مركب وعر

فليت شعري أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها ام رام الخلافة ان ينالها واوشك بان يوهن الله شوكته فاستعن بالله واعلم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

---

(١) قبل ذلك كان ابن الاشعث كتب الى الحجاج كتاباً هذه صورته (اما بعد فان مثلي ومثلك ما قال القائل

سائل مجاور جرم هل جنيت لها حرباً تفرق بين الجيرة الخلط
ام هل دلفت بجرار له لَجب يغشي الاماعيز بين السهل والفرط

هذا مثلي ومثلك فسأحملك على اصعبه واريحك من مركبه) فكتب الحجاج بذلك الى عبد الملك فكتب اليه ما نقلناه والشعر الذي تمثل به ابن الاشعث لوعلة الجرمي والذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة

٢٣٣ وكتب الحجاج الى عبد الملك في شأن عروة بن الزبير وكان عروة عاملا على اليمن ولجأ الى عبد الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لوذان المعترضين بك وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث اخلاقك وسعة عفوك كالعارض المبرق لاعدائه لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك واذا ادني الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق مع كل ضال والناس عبيد العصا هم على الشدة اشد استباقا منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به امير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام

٢٣٤ فكتب اليه عبد الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان امير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا في السياسة خبط عشواء الليل فان رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذي اخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك واذا احرجت العامة بعنف السياسة كان او شك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعي ولاهداه اذا رجوا بذلك ادراك الثأر منك وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ احمي انوفا وأقرب من عمياء الجاهلية وكانوا عليهم اصلح منهم عليك وللشدة واللين أهلون والافراط في العفو افضل من الافراط في العقوبة والسلام

٢٣٥ وكتب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك اما بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية قد

علمت حيث تجرثمت ذلك انك عاص لله ولولاة امره غير انك اعرابي جلف امي تستطعم الكسرة وتشتفي بالتمرة والامور عليك حسرة خرجت لتناول شبعة فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش يهزون الرماح و يستنشؤون الرياح على خوف وجهد من امورهم وما اصبحوا ينتظرون اعظم مما جهلوا معرفته ثم اهلكهم الله بترحتين والسلام

٢٣٦ فاجابه قطرى

بسم الله الرحمن الرحيم

من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله و يرهبون نقمه فالحمد لله على ما اظهر من دينه واطلع به اهل السفال وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه كتبت الى تذكر اني اعرابي جلف امي استطعم الكسرة واشتفي بالتمرة ولعمري يا ابن ام الحجاج وانك لميت في جبلتك مطلخم في طريقتك واه في وثيقتك لا تعرف الله ولا تجزع في خطيئتك يئست واستيأست من ربك فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقك ولا تنازعه خناقك فالحمد لله الذي لو شاء ابرز لي صفحتك واوضح لي طلعتك فوالذي نفس قطرى بيده لعرفت ان مقارعة الابطال ليس كتصدير المقال مع اني ارجو ان يدحض الله حجتك وان يمنحني من مهجتك

٢٣٧ وكتب الحجاج الى ناس من عمرو بن تميم وحنظلة يوبخهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحجاج بن يوسف (اما بعد) فانكم استخلصتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وايم الله اني لأهم ان يكون اول ما يرد عليكم من

قبلي خيل تنسف الطارد والتالد وتدع النساء ايامي والابناء يتامي والسواد بياضاً فايما رفقة مرت باهل ماء فاهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذي يليه تقدمة مني اليكم والسعيد من وعظ بغيره والسلام

٢٣٨ وخطب الناس حين اراد الحج

فقال

ايها الناس اني اريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمدا هذا واوصيته فيكم بخلاف ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم الا واني قد اوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا وانكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من اظهارها الا مخافتي الا وانكم ستقولون بعدي لا احسن الله له الصحابة الا واني معجل لكم الاجابة لا احسن الله الخلافة عليكم

٢٣٩ خطبة له ايضاً

حمد الله واثنى عليه ثم قال

يا اهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوي الاخلاق وبني اللكيعة وعبيد العصا واولاد الاماء والفقع بالقرقر اني سمعت تكبيرا لا يراد به الله وانما يراد به الشيطان وانما مثلي ومثلكم ما قال ابن براقة الهمداني

وكنت اذ اقوم غزوني غزوتهم ... فهل انا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما ... وأنفا حميا تجتنبك المظالم

اما والله لا تقرع عصا عصا الا جعلتها كأمس الدابر

٢٤٠ وخطب حين أصيب بولده واخيه

فقال

ايها الناس محمد ان في يوم واحد اما والله لقد كنت احب انهما معي في الدنيا مع ما ارجو لهما من ثواب الله في الآخرة وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم ان يفني والجديد منا ومنكم ان يبلى والحي منا ومنكم ان يموت وان تدال الارض منا كما ادلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما مشينا على ظهرها واكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ثم يكون كما قال الله (ونفخ في الصور فاذاهم من الأجداث الى ربهم ينسلون) ثم تمثل بهذين البيتين

عزائي نبي الله من كل ميت ... وحسبي ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عني راضيا ... فان سرور النفس فيما هنالك

٢٤١ وخطب بعد دير الجماجم

فقال

يا أهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاد والشغاف ثم افضى الى الامخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً واشعركم خلافاً اخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤمرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة او تعظكم وقعة او يحجزكم اسلام او ينفعكم بيان الستم اصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم الكفر وظننتم ان الله يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفي وانتم تتسللون لواذا وتنهزمون سراعاً ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذ وليتم كالأبل الشوارد الى اوطانها النوازع الى اعطانها لا يسأل المرء عن اخيه ولا

يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله يا أهل العراق الكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الختترات والنزوة بعد النزوات ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان امنتم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون خشية ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو او استنفركم عاص او استنصركم ظالم او استعضدكم خالع الا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب او نعب ناعب او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره يا اهل العراق الم تنهكم المواعظ الم تزجركم الوقائع

ثم التفت الى اهل الشام فقال

يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر و يباعد عنها الحجر و يكنها من المطر و يحميها من الضباب و يحرسها من الذئاب يا أهل الشام انتم الجبة والرداء وانتم العدة والحذاء

٢٤٢ وخطب ايضاً فقال

اللهم ارني الغي غياً فاجتنبه وارني الهدى هدى فاتبعه ولا تكلني الى نفسي فأضل ضلالا بعيدا والله ما احب ان ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ولما بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء

٢٤٣ خطبة له حين ولي العراق

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى اضع العمامة تعرفوني

يا اهل الكوفة اني لارى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

ثم قال

هذا اوان الشد فاشتدى زيم   قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم   ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعَصْلبيّ   اروع خراج من الدَوِيّ
مهاجر ليس بأعرابي

وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عُرُدّ   مثلُ ذراع البكر او اشد
لا بد مما ليس منه بد

اني والله يا اهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان امير المؤمنين اطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما اوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت ولا اهم الا امضيت ولا اخلق الا فريت وان امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم وان اوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن ابي صفرة واني اقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة ايام الا ضربت عنقه

٢٤٤ وصية اسماء بن خارجة الفزاري لابنته هند حين اراد الحجاج البناء بها

يا بنية ان الامهات يؤدبن البنات وان امك هلكت وانت صغيرة فعليك بأطيب الطيب الماء واحسن الحسن الكحل واياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود واياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق وكوني لزوجك امة يكن لك عبدا واعلمي اني القائل لامك

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تقربيني نقرة الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب
فاني وجدت الحب في الصدر والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

٢٤٥ خطبة لسيدنا عمر بن عبد العزيز

يا ايها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمري لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم ايها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل او بحضيض ارض يأته فاتقوا الله واجملوا في الطلب

٢٤٦ خطبة اخرى

ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم فو الله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم رأيتم ورأيت من كان في الدنيا مغرورا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لا يداوي كلما الا اصابه جرح من ناحية اخرى فكيف يطمئن بالدنيا اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي

لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لانشقت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداها

٢٤٧ خطبة اخرى وهي اول خطبة خطبها

ايها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم وان امرأ ليس بينه و بين آدم اب حي لمعرق في الموت

٢٤٨ خطبة اخرى خطبها بخناصرة وهي آخر خطبة له

حمد الله واثنى عليه ثم قال

ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يتولى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض واعلموا ان الامان غدا لمن حذر الله وخافه و باع قليلا بكثير ونافدا بباق وخوفا بامان الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون وكذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم انكم في كل يوم وليلة تشيعون غاديا الى الله ورائحا قد قضى نحبه وانقضى اجله ثم تضعونه في صدع من الارض في بطن لحد ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب ووجه للحساب غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايم الله اني لاقول لكم هذه المقالة ولا اعلم عند احد منكم اكثر مما عندي واستغفر الله لي ولكم وما يبلغنا احد منكم حاجة يسعها ما عندنا الا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه ولا احد يتسع له ما عندنا الاوددت ان يده مع يدي ولحمتي الذين يلونني حتى

يستوي عيشنا وعيشكم وايم الله لو اردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان به مني ناطقاً ذلولا عالما باسبابه ولكنه سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دلّ فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته

٢٤٩ ووصف خالد بن صفوان جريرا والفرزدق والاخطل فقال

اما اعظمهم فخرا وابعدهم ذكرا واحسنهم عذرا واسدهم مثلا واقلهم غزلا واحلاهم عللا الطامي اذا زخر والحامي اذا زأر والسامي اذا خطر الذي ان هدر قال وان خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان (فالفرزدق) واما احسنهم نعتا وامدحهم بيتا واقلهم فوتا الذي ان هجا وضع وان مدح رفع (فالأخطل) واما اغزرهم بحرا وارقهم شعرا واهتكهم لعدوه سترا الأغر الابلق الذي ان طَلب لم يُسبق وان طُلب لم يُلحق (فجرير) وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العماد واري الزناد

٢٥٠ وكتب عروة بن الزبير الى الوليد ابن عبد الملك يشفع لكعب القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته لوجب ان لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تتعلق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخلطه سخط فحقق امله فيّ وصدق نفسي فيك تجد الشكر وافيا بالنعمة

٢٥١ وكتب هشام بن عبد الملك الى خالد بن عبد الله القسري يؤنبه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ امير المؤمنين عنك امر لم يحتمله لك الا لما احب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان امير المؤمنين احق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ امير المؤمنين عنك رأى في معالجتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة ابطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه و بيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغيّ والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو اراد امير المؤمنين افسادك لجمع بينك و بين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادتني ولاية العراق شرفا ولا ولاني امير المؤمنين شيأ لم يكن مَنْ قبلي ممن هو دوني يلي مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في اهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت انك رجل من بجيلة فقد خرج عليك اربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت اطعموني ماء دهشاً و بعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم اخفرت ذمتك منهم رزين واصحابه ولعمري انه لو حاول امير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك وجحودك فضله اليك وتصغير ما انعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة انت اهلها كنت لذلك مستحقا فهذا جدك يزيد بن اسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه فما اصطنع عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك امير المؤمنين وولاك وقبله من اهل اليمن و بيوتاتهم مَن قبيلته اكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم اكرم اولية واشرف اسلافا من آل عبد الله بن يزيد ثم آثرك امير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت

رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكتك وتتقدمك في
المحافل والمجامع عند بدأة الامور وابواب الخلفاء ولولا ما احب امير المؤمنين من
رد غربك لعاجلك بالتي كنت اهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها
ان ابقى الله امير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت
بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم
وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس
الجنين انت ياعديّ نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان امير المؤمنين اليك
وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فاسخطه عليك حتى قبحت امورك عنده وآيسه
من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فاصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال
الكرامة فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت اكره فقد
اصبحت وذنوبك عند امير المؤمنين اعظم من ان يبكتك بها الا راتبا بين يديه
وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا ويبكتك بما اتيت أمرا أمرا فقد نسيته واحصاه الله
عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك
في غير واحدة منها القرشي الذي تناولته بالحجاز ظالما فضربك الله بالسوط الذي
ضربته به مفتضحا على رؤوس رعيتك ولعل امير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان
يفعل فاهله انت وان يصفح فاهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهي سقيا الله
وكرامته لعبد المطلب وهذا الحي من قريش تسميها ام جعار فلا سقاك الله من
حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل شركما لخيركما الفداء ووالله
انه لو لم يستدل امير المؤمنين على ضعف نحائزك وسوء تدبيرك الا بفسالة
دخائلك وبطانتك وعيالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة بائعة الفهود
ومستعملة الرجال مع ما اتلفت من مال الله في المبارك فانك ادعيت انك انفقت

اثني عشر الف الف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل
لك امير المؤمنين ما افسدت من مال الله وضيعت من امور المسلمين وسلطت
من ولاة السوء على جمع اهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز
والمهرجان حابسا لاكثره رافعا لاقله مع مخابث مساويك التي قد اخر امير
المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك امير المؤمنين في مولاه حسان ووكيله في ضياعه
واحوازه في العراق واقدامك على ابنه بما قدمت به وسيكون لامير المؤمنين في ذلك
نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن ان الله طالبك بامور اتيتها غير تارك لتكشيفك
عنها وحملك الاموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة وتوجيهك اخاك
اسدا الى خراسان مظهرا العصبية بها متحاملا على هذا الحي من مضر قد اتت
امير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات تاسيا لحديث زرنب
وقصص الهجريين كيف كانت في اسد بن كرز فاذا خلوت او توسطت ملأ
فاعرف نفسك وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم فيك واعلم ان ما بعد
كتاب امير المؤمنين هذا اشد عليك وافسد لك وقبل امير المؤمنين خلف منك
كثير في احسابهم وبيوتاتهم واديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك
وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

٢٥٢ خطبة الكميت حين ظفر به هشام

حمد الله واثنى عليه وصلى نبيه ثم قال

اما بعد فاني كنت اتدهدى في غمرة واعوم في بحر غواية اخنى عليّ
خطلها واستفزني وهلها فتحيرت في الضلالة وتكسعت في الجهالة مهرعا عن الحق
جائرا عن القصد اقول الباطل ضلالا وافوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ
مبصر الهدى ورافض العماية فاغسل عني يا امير المؤمنين الحوبة بالتوبة واصفح

عن الزلة واعف عن الجرمة   ثم قال

كم قال قائلكم لعا — لك عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنو — ب من الاكابر والاصاغر
ابني امية انكم — اهل الوسائل والاوامر
ثقتي لكل ملمة — وعشيرتي دون العشائر
انتم معادن للخلا — فة كابرا من بعد كابر
بالتسعة المتتابعين — ن خلائفا وبخير عاشر
والى القيامة لا تزا — ل لشافع منكم وواتر

اغضاء امير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله من لا تحل حبوته لاساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين

٢٥٣ خطبة الحارث بن خزاز حين قتل يزيد بن المهلب

ايها الناس ان الفتنة تقبل بشبهة وتدبر ببيان وليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر فاتقوا عصائب تأتيكم من قبل الشام كالدلاء قد انقطعت اوذامها

٢٥٤ وقال بشر بن المغيرة لبني المهلب

يا بني عمي اني والله قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأني لست موصولا ولا محروما فعدوني امرأً خفتم لسانه او رجوتم شكره واني وان قلت هذا فلما ابلاني الله بكم اعظم مما ابلاكم بي

٢٥٥ وسأل سليمان بن عبد الملك اعرابيا

اصابتك سماء في وجهك فقال

نعم يا امير المؤمنين غير انها سحاء طحناء وطفاء كان هواديها الدلاء مرجحنة

النواحي موصولة بالآكام تكاد تمس هام الرجال كثير زجلها قاصف رعدها خاطف برقها حثيث ودقها بطيء سيرها مثعنجر قطرها مظلم نوءها قد لجئت الوحش الى اوطانها تبحث عن اصوله باظلافها متجمعة بعد شتاتها فلولا اعتصامنا يا امير المؤمنين بعضاه الشجر وتعلقنا بقنن الجبال لكنا جفاء في بعض الاودية ولقم الطريق فاطال الله للامة بقاءك ونسأ لها في اجلك ببركتك وعادة الله بك على رعيتك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

٢٥٦ خطبة لأعرابي

حمد الله واثنى عليه ثم قال

ايها الناس انما الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم (اما بعد) فانه لن يستقبل احد يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فاستعملوا انفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوي اقوى من خالق ولا ضعيف اضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب في يدي طالبه وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

٢٥٧ وقال ابو المجيب يصف ارضاً

لقد رأيتنا في ارض عجفاء (١) وزمن اعجف وشجر اعشم في قف غليظ (٢) وجادة

(١) العجف ذهاب السمن وهو هنا على المجاز فالارض لا كلأ بها الا قليل والزمن لا خير فيه الا كذلك والاعشم اليابس المحل ولذلك قيل للشيخ الكبير عشمة والقف جبل غير انه ليس بطويل في السماء انظر القاموس (٢) الجادة

مدرعة غبراء فبينا نحن كذلك اذ انشأ الله من السماء غيثاً مستكفاً نشؤه مسبلة عزاليه (١) عظاما قطره جودا صوبه زاكياً انزله الله جل اسمه رزقا لنا فنعش (٢) به اموالنا ووصل به طرقنا فاصابنا وانا لبنوطة بعيدة بين الارجاء فاهرمع مطرها حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيلُ النجاف (٣) وملأ الاودية فرعبها فما لبثنا الا عشرا حتى رأيتها روضة تندي

٢٥٨ ونعت ارضا احدها فقال

اخلع شيحها (٤) وابقل رِمثها وخصب عرفجها واتسق نبتها واخضرت قُريانها (٥) واخوصت بُطنانها واستحلست اكامها (٦) واعتم نبت جراثيمها

الطريق الى الماء والمدرعة التي لم يترك فيما يليها شيء الا اكل كالشاة الدرعاء وهي التي يبيض مقدمها وكذلك ماء مدرع والمستكف المستدير اخذ من الكفة (١) جمع عزلاء اصلها مصب الماء من الراوية ونحوها استعاره هنا لمصب الماء من السحاب (٢) النعش الجبر بعد فقر والنوطة الارض يكثر بها الطلح وليست بواد واهرمع انحدر والمراد بصهوات الطلح اعاليها والمعنى ان السيل بلغ اطراف الشجر (٣) جمع نجف وهو مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد و يكون في بطن الوادي وقد يكون ببطن من الارض انظر القاموس ورعبها ملأها (٤) الاخلاع والابقال والخصب اول الايراق والرمث مرعي للابل من الحمض وشجر يشبه الغضى والعرفج شجر سهلي والاتساق الاتصال (٥) جمع قرى كغنى وهو مسيل الماء الى الروضة والاخواص خروج الخوصة وهو اول نبات افنان ما ليس بعضة والبطنان جمع باطن وهو ما غمض من الارض والاستحلاس التغطي بالثياب حتى لا ترى الارض والمراد تغطية النبات الارض بكثرته والاكام جمع اكم جمع اكمه و يجمع على اكم ككتب و يجمع هذا على اكام كاعناق ومثله في هذه الجموع ثمرة (٦) الاعتمام

واجرت بقلتها ودرهمت قثتها وخبازتها واحورت خواصر ابلها (١) وشكرت حلوبتها وسمنت قلوبتها وعمد ثراها وعقدت تناهيها وماهت ثمادها ووثق الناس بصائرتها

٢٥٩ وقال اعرابي يصف مطرا

استقل سدٌّ (٢) مع انتشار الطفَل فشصا واحزألَّ ثم اكفهرت أرجاؤه

الطول والجراثيم جمع جرثومة وهي التراب المجتمع في اصول الشجر واجرت اخرجت جراءها جمع جرو وهو صغير كل شيء كثمرة الحنظلة والقثاء والخيار والبطيخ ودرهمت صار ورقها كالدراهم والفث بالفاء نبت يختبز حبه في الجدب و بالقاف نبت آخر وحرر (١) شكرت الناقة كفرح امتلأ ضرعها وقلوبتها كذا في المخصص ولعلها محرفة عن علوفتها وعمد الثرى كفرح بلله المطر والتناهي جمع تنهية وهي مستقر السيل حيث ينقع والمراد بعقدها اجتماع مائها لكثرته وماهت كثر ماؤها والثماد الماء القليل لا مادة له والصائرة قال في المخصص الكلأ والماء وقيل مصائر للناس يصيرون اليها وفي القاموس والصير بالكسر الماء يحضُر «٢» استقل ارتفع في الهواء والسد السحاب الذي يسد الأفق والطفل اختلاط الظلام بعد غروب الشمس وشصا ارتفع واحزألَّ انتصب واكفهر تراكم وغلظ والارجاء جمع رجا بالقصر وهو الناحية واحمومت اسودت سوادا تخالطه حمرة وارحاؤه جمع رحي تطلق على الصدر والمراد اوساطه وابذعرت تفرقت والفوارق جمع فارق واصلها الناقة يأخذها المخاض فتفارق الابل وتبعد عنها شبهت بها السحابة المنفردة عن السحاب و بوارق جمع بارق والمراد بالضحك اللمعان واستطار انتشر والوادق القطر من ودق المطر قطر وارتتقت تلاءمت والجوب

واحموت ارحاؤه وابذعرت فوارقه وتضاحكت بوارقه واستطار وادقه وارثقت جوبه وارثعن هيدبه وحشكت اخلافه واستقلت اردافه وانتشرت اكنافه فالرعد مرتجس والبرق مختلس والماء منبجس فاترع الغدر وأنبث الوجر وخلط الاوعال بالآجال وقرن الصيران بالرئال فللأودية هدير وللشراج خرير وللتلاع زفير وحط النبع والعتم من القلل الشم الى القيعان الصحم فلم يبق في القلل الامعصم

جمع جوبة بمعنى الفرجة وارثعنت استرخت لكثرة ما فيها من الماء والهيدب ما تدلى من السحاب في اعجازه فكان كالهدب له وحشكت من قولهم حشك ضرع الناقة اذا امتلأ لبنا والاخلاف جمع خلف وهو للناقة كالضرع للشاة والمراد بالارداف المآخير جمع ردف والاكناف النواحي جمع كنف ومرتجس يسمع له رجس وهو صوت بهدة شديدة واختلاس البرق كأنه يختلس الابصار من شدة لمعانه ومنبجس منصب وأترع ملأ والغدر جمع غدير وأنبث حفر وخرب والوجر جمع وجار وهو سرب الضبع والذئب والثعلب والأوعال جمع وعل وهو تيس الجبل والآجال جمع اجل وهو القطيع من بقر الوحش يريد انه جمع بين ما محلها في رؤوس الجبال وبين ما مراتعها القيعان والصيران جمع صوار وهو القطيع من بقر الوحش والرئال فراخ النعام واحدها رأل والشراج جمع شرج وهو مجرى الماء من الغلظ الى بطون الأودية والتلاع افواه الأودية واحدها تلعة اي تزفر بالماء لفرط امتلائها والنبع والعتم ضربان من الشجر لا ينبتان الا في الجبل والقلل جمع قلة وهي اعلى الجبل والقيعان جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام والصحم جمع اصحم من الصحمة وهي سواد الى صفرة والمعصم الذي اعتصم بالصخور والجرنثم المتقبض والداحض من دحضت

مجرنثم او داحض مجرجم وذلك من قضاء رب العالمين على عباده المذنبين

(وسئل اعرابي عن مطر اصاب بلادهم)

٢٦٠ فقال

نشأ عارضاً (١) فطلع ناهضاً ثم ابتسم وامضا فاعتن في الاقطار فاشجاها وامتل في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم دوى فاظلم فارك ودث وبغش ثم قطقط فافرط ثم ديم فاغمط ثم ركد فاثجم ثم وبل فسجم وجاد فانعم فقمس الربي وافرط الزبي سبعاً تباعاً ما يريد انقشاعاً حتى اذا ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء

(وسئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جدب)

٢٦١ فقال

رجله زلقت والمجرجم المصروع (١) نشأ ارتفع والعارض السحاب الذي يعترض في افق السماء وطلع ارتفع والوامض اللامع يقال ومض السحاب اذا رأيت البرق في عرضه يلمع لمعانا خفيا كالتبسم واعتن ظهر واشجاها ملأها وامتل دخل واصله الدخول في الملة وارتجزت والهمهمة اصلها تردد الزئير في الصدر من الهم استعير ودوى سمع له دوي وارك ودث وبغش مطر ركا ودثا وبغشة وهو مطر ضعيف وقطقط اتى بالقطقط وهو القطر المتتابع وديم اتى بالديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق واغمط دام ولازم وركوده دوامه ثابتا لا يتحرك واثجم أقام ووبل من الوابل وهو مطر كبير القطر شديد الوقع والسجم الصب وانعم بالغ فيه وقمس الربى غوصها في الماء وافرط ملأ والزبي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد والذئب ايضاً في موضع مرتفع وتضحضحت المتون صار فوقها ضحضاح

نشأ حملا سدا (٢) متقاذف الاحضان محمومي الاركان لماع الاقراب مكفهر الرباب تحن رعوده حنين الطراب وتزمجر زمجرة الليوث الغضاب لبوارقه التهاب ولرواعده اضطراب فجاحفت صدوره الشعاف وركبت اعجازه القفاف ثم القى اعباءه وحط اثقاله فتألق واصعق وانبجس وانبعق ثم انجم فانطلق فغادر النهاء مترعة والغيطان ممرعة حياً للبلاد ورزقاً للعباد

(وذكر اعرابي مطراغب جدب)

٢٦٢ فقال

تدارك ربك خلقه وقد كلبت الامحال (٢) وتقاصرت الآمال وعكف الياس

وهو الماء يجري على وجه الارض رقيقا والمتن ما صلب من الارض وارتفع (١) الحمل السحاب الكثير الماء والسد الذي سد الافق والاحضان جمع حِضن وهو الناحية والمحمومي تقدم والأقراب الخصور جمع قُرب والمكفهر المتراكب والرباب السحاب الابيض وفي بعض الكتب سحاب تراه كانه متعلق بالسحاب والطراب الابل النوازع الى اوطانها والزمجرة اصلها ترديد الاسد زئيره وجاحف زاحم والشعاف رؤوس الجبال واحدها شعف والقفاف جمع قف وهو ما غلظ من الارض لا يبلغ ان يكون جبلا ومعناه ان اعالي هذا السحاب مطلة على الجبال ومآخيره على القفاف والاعباء الاثقال يريد بها الماء والتألق شدة اللمعان والانبجاس الانفجار بالماء والانبعاق الصب الكثير في سعة وانجم اقلعَ والنهاء جمع نهي وهو الغدير الذي له ناه ينهاه ان يفيض والغيطان جمع غائط وهو البطن الغامض من الارض المطمئن وممرعة مخصبة (٢) كلبت اشتدت والمحل الجدب وانقطاع المطر والماشي الذي كثرت ماشيته والمصرم الفقير والركام المتراكم

وكظمت الانفاس واصبح الماشي مصرماً والمترب معدماً وجفيت الحلائل وامتهنت العقائل فانشأ سحاباً ركاماً كنهوراً سجاماً بروقه متألقة ورعوده متقعقعة فسح ساجياً راكداً ثلاثاً غير ذي فواق ثم امر ربك الشمال فطحرت ركامه وفرقت جهامه فانقشع محموداً وقد احيى فاغنى وجاد فأروى فالحمد لله الذي لا تكتّ نعمه ولا تنفد قسمه ولا يخيب سائله ولا ينزر نائله

(ووصف السحاب ثلاثة من الغلمة)

٢٦٣ فقال الاول

عنّ لنا عارض (١) قصراً تسوقه الصبا وتحدوه الجنوب يحبو حبو المعتنك حتى اذا ازلأمت صدوره وانثجلت خصوره ورجع هديره وأصعق زئيره واستقل

والكنهور من السحاب قطع كالجبال وركد دام والفواق ما بين الحلبتين من الوقت ولعل المعنى انه لم يقلع وطحرت ازالت والجهام من السحاب الذي لا ماء فيه وتكت من كتّ فلانا ساءه وارغمه (١) عنّ اعترض والعارض السحاب يعترض في الافق واكثر ما يكون ذلك مع اقبال الليل والقصر العشي والمعتنك البعير الذي يصعد في العانك وهو الرمل المتعقد المرتفع الذي لا يكون فيه طريق وازلأمّ انتصب وانثجل اتسع من قولهم بطن انثجل والنشاص ما انتصب من السحاب والخصاص الفُرج وارتجّ ارتعد وفسر بعضهم الارتعاج بتدارك الحركات والارتعاص الاضطراب والايفاد الرفع والسقاب فسره بعضهم باعمدة الخباء والذي في القاموس ان جمع السقب الذي هو عمود الخباء كغربان وحرر وحفزت اعجلت وتواليه مآخيره والعزالى جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية ونحوها والعمد الرطب يجتمع في اليد اذا جمع والعزاز الارض الصلبة والثئد الندى والحث الرمل اليابس

نشاصه وتلاءم خصاصه وارتج ارتعاصه واوفدت سقابه وامتدت اطنابه تدارك ودقه وتألق برقه وحفزت تواليه وانسفحت عزاليه فغادر الثرى عمداوالعزاز ثئدا والحث عقدا والضحاضيح متواصية والشعاب متداعية

٢٦٤ وقال الثاني

تراءت المخايل (١) من الاقطار تحن حنين العشار وترامى بشهب النار قواعدها متلاحكة و بواسقها متضاحكة وارجاؤها متقاذفة وارحاؤها متراصفة فوصلت الغرب بالشرق والو بل بالودق سحا دراكا متتابعاً لكا كا فضحضحت الجفاجف وأنهرت الصفاصف وحوضت الاصالف ثم اقلعت مُحسبة محمودة الآثار موقوفة الحبار

٢٦٥ وقال الثالث وقد بذهما

بين الحاضر بين اليأس والابلاس (٢) قد غمرهم الاشفاق رهبة الاملاق

والعقد الذي يتعقد بعضه ببعض والضحضاح الماء اليسير والمتواصي المتواصل (١) المخايل جمع مُخيلة وهي السحاب الذي تحسبه ماطرا والعشار جمع عشراء وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة اشهر او ثمانية او هي كالنفساء من النساء وقواعدها اسافلها ومتلاحكة متداخل بعضها في بعض و بواسقها اعاليها ومتضاحكة يعني بالبرق وارجاؤها نواحيها وارحاؤها اوساطها جمع رحي ومتراصفة متراكبة قد انضم بعضها الى بعض والدراك المتدارك واللكاك اللاحق بعضه ببعض والجفاجف الغلاظ من الارض جمع جفجف وانهرت جعلت الصفاصف كالنهر جمع صفصف وهي الارض الصلبة الملساء دون الحجارة واصلب من الطين وحوضت جعلت في الاصالف حياضا جمع اصلف وصلفاء وهي الارض الصلبة ومحسبة اعطت الارض ما هو حسبها والحبار الاثر و بالجيم السيل وحرر (٢) الابلاس اليأس

قد حقبت الانواء ورفوف البلاء واستولى القنوط على القلوب وكثر الاستغفار من الذنوب ارتاح ربك لعباده فانشأ سحاباً مسجهرا كنهورا معنونكا محلولكا ثم استقل واحزألّ فصار كالسماء دون السماء وكالارض المدحوة في لُوح الهواء فاحسب السهول واتأق الهجول واحيي الرجاء وامات الضراء وذلك من قضاء رب العالمين

٢٦٦ وقال اعرابي يصف مطرا بعد جدب

ارتاح لنا ربك بعد ما استولى اليأس على الظنون وخامر القلوب القنوط فانشأ (١) بنوء الجبهة قزَعة كالفرض من قِبل العين فاحزألت عند ترجل النهار

والتحير وحقبت احتبست والانواء جمع نوء وهو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق والمسجهر الابيض وفي القاموس سحابة مسجهرة يترقرق فيها الماء والمعنونك لعله من عنك الرمل تعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق والمحلولك شديد السواد ودون نقيض فوق ولها معان أخر بمعنى امام ووراء وفوق وغير والشريف والخسيس والامر والوعيد واللوح الهواء واتأق لعله ملأ من تئق السقاء امتلأ والهجول جمع هجَل وهو المطمئن من الارض (١) النوء تقدم والجبهة من نجوم الاسد ونوءها محمود والقزَعة القطعة من السحاب والفرض الترس الصغير والعين قال بعضهم عن يمين القبلة وفي القاموس العين ناحية قبلة العراق او عن يمينها وترجل النهار ارتفاعه والا زميم احدى ليالي السرار وهي ثلاثة والاحضان النواحي جمع حضن بالكسر واحومت اسودت و بسق ارتفع والعنان السحاب واكفهرت كثفت ورحاها وسطها وانبعج السحاب انفرج من الودق والكلي جمع كلية وهي ما تعين من السقاء او القربة حتى رق ورشح منه الماء فشبه

لازميم السرار حتى اذا نهضت في الافق طالعة امر مسخرها الجنوب فتنسمت لها فانتشرت احضانها واحومت اركانها وبسق عنانها واكفهرت رحاها وانبعجت كلاها وذمرت اخراها اولاها ثم استطارت عقائقها وارتعجت بوارقها وتقعقعت صواعقها ثم ارثغنت جوانبها وتداعت سواكبها ودرت حوالبها فكانت للارض طبقا سح فهضب وعم فاحسب فعلّ القيعان وضحضح الغيطان وجوخ الاضواج واترع الشراج فالحمد لله الذي جعل كفاء اساءتنا احسانا وجزاء ظلمنا غفرانا

٢٦٧ وقال اعرابي يصف مطرا

نشأ عند القصر (١) بنوء الغفر حبيا عارضا ضاحكا وامضا فكلا ولا ما كان حتى شجيت به اقطار الهواء واحتجبت به السماء ثم اطّرق فاكفهر وتراكم فادلهم وبسق فازلأم ثم حدت به الريح فخن فالبرق مرتعج والرعد متبوج والخروج تانبعج فاثجم ثلاثا متحيرا هثهاثا اخلافه حاشكة ودفعه متواشكة وسوامه متعاركة ثم ودع منجما واقلع متهما محمود البلاء مترع النهاء مشكور النعماء بطول ذي الكبرياء

مخارج المطر من السحاب بذلك والذمر الحض واستطارت انتشرت والعقائق جمع عقيقة وهي البرقة المستطيلة في عرض السحاب وارتعجت تدارك بعضها في اثر بعض وتقعقعت سمعت لها قعقعة وهي صوت الرعد وارثغنت استرخت لكثرة ما فيها من الماء وتداعت كأنه دعا بعضها بعضاً بالماء ودرت حوالبها مجاز وطبقا اي غطت الارض كلها وهضب جاء بالماء دفعة دفعة واحسب اعطاها ما هو حسبها والعلل الشرب الثاني وجوخ السيل الوادي اقتلع اجرافه والضوج منعطف الوادي والاشراج جمع شرج وهو مسيل ماء من الحرة الى السهل (١) القصر العشى والغفر من نجوم الأسد والحبيّ من السحاب ما يشرف من الأفق على الارض والعارض المعترض في الافق والوامض الذي برقه وميض ولا ولا حرفان

(وسئل اعرابي عن المطر)

٢٦٨ فقال

اخذتنا السماء (١) بدثّ يؤذي المسافر ولا يرضي الحاضر ثم ركّت ثم رسغت ثم خنقت الربي فارنت ثم غرقت ثم اخذنا جارّ الضبع فلو قذفت في الارض بضعة لم تقضّ

(وسئل رجل من بني سعد عن المطر)

٢٦٩ فقال

أقبلت حتى اذا كنت بين هذا الحزن والسهل وفي كفة النخل «٢» رأيت

اي كقولك لا ولا في السرعة وشجيت به تضايقت كما يشجي المغتص والأقطار جمع قطر بالضم وهو الناحية واطرق على افتعل تكاثف بعضه على بعض واكفهر تراكم وغلظ وبسق ارتفع وازلأم انتصب والمرتعج المضطرب ومتبوج عالي الصوت والخروج السحاب وتنبعج تشقق واثجم اقام ومتحيرا كأنه قد تحير ليس له وجه يقصده والهثهاث المتداخل بعضه في بعض والاخلاف جمع خلف وهو للناقة بمنزلة الضرع للشاة وحاشكة ممتلئة ومتواشكة مسرعة والسوام الابل السائمة اي الراعية وفيه تشبيه السحاب بالابل التي يعارك بعضها بعضاً ومنجما مقلعاً ومتهما نحو تهامة ومترع ملآن والنهاء جمع نهي وهو الغدير «١» الدث المطر الضعيف وركّت اتت بالرك وهو المطر القليل والترسيغ في المطر ان يثرّي الارض وخنقت ملأت وأرنت لعله صاحت يعني الرعد وجار الضبع اسم للمطر الشديد وللسيل والبضعة القطعة من اللحم وقضت البضعة بالتراب اصابها منه يعنى ان الارض لم يكن بها تراب فاذا وقعت البضعة فيها لم تقض «٢» الكفة من

خريجاً من السحاب منكفت الاعالي لاحق التوالي فهو غاد عليك او سار يسيل السُلاَن ويروي الغدران

(وسأل الحجاج اعرابا عن السماء)

٢٧٠ فقال متكلمهم

اصابتنا السماء بالمثل مثل القوائم حيث انقطع الدمث (١) بضرب فيه تقتير وهو على ذلك يعضد ويرسغ ثم اصابتنا سماء أميثل منها تسيل الدماث والتلعة الزهيدة فلما كنا حذاء الحفر اصابنا ضرس جود ملأ الاخاذ

(وارتاد الغيث ثلاثة زبيدي وجعفي ونخعي فلما رجعوا)

٢٧١ قال الزبيدي

رأيت ارضاً موشمة (٢) البقاع ناتحة النقاع مستحلسة الغيطان ضاحكة القريان واعدة وأحر بوفائها راضية أرضها عن سمائها

الشجر منتهاه حيث ينقطع ومنكفت منقبض والسلان جمع سليل وهو مجرى الماء في الوادي «١» الدمث بالفتح السهل من الارض والدماث الآتية قريباً جمعه والضرب المطر الخفيف والزهيدة الصغيرة والضرس المطرة القليلة والاخاذ جمع اخاذة وهي شيء يشبه الغدير وقيل الاخاذ الغدُر وقيل هو مفرد والجمع آخاذ «٢» الموشمة من اوشمت الارض اذا بدا فيها النبات والناتحة الراشحة والنقاع جمع نقع ومن معانيه القاع والارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء واستحلست الارض اذا تجللت بالنبات والغيطان جمع غائط وهو مطمئن من الارض والقريان مجاري الماء من الغلظ الى الرياض واحدها قرى كغني وارض واعدة رجي خيرها من النبت

٢٧٢ وقال الجعفي

رأيت ارضاً جمعت السماء (١) اقطارها فاترعت اصبارها وديثت اوعارها فبطنانها غمقة وظهرانها غدقة ورياضها مستوسقة ورقاقها راتخ وواطئها سائخ وماشيها مسرور ومصرمها محسور

٢٧٣ وقال النخعي

مداحي سيل (٢) وزهاء ليل وغيل مواصي غيل قد ارتوت اجرازها ودمث عزَازها والتبدت اقوازها فرائدها أُنق وراعيها سنق فلا قضض ولا رمض عازبها لا يفزع وواردها لا ينكع

«١» المراد بالسماء المطر والاقطار جمع قطر وهو الناحية يريد ان السماء اطلت عليها فكأنها جمعت اكنافها واترعت ملأت وفي المزهر وامرعت اي أعشبت وطال نبتها والاصبار نواحي الوادي جمع صبر بالضم والكسر وديثت لينت والاوعار جمع وعر وهو ضد السهل والغمقة الندية والبطنان جمع بطن وهو ما غمض من الارض والظهران جمع ظهر وهو ما غلظ من الارض وارتفع يسيراً وغدقة كثيرة البلل والماء ومستوسقة منتظمة والرقاق كسحاب الارض اللينة من غير رمل والراتخ الطين الذي قد اكثر ماؤه حتى صار كالعجين يقول فمن وطئها ساخ فيها والماشي صاحب الماشية والمصرم هاهنا الذي لا ماشية له «٢» المداحي جمع مدحى من دحاه اذا بسطه والزهاء اي كأن نباتها ليل لشدة خضرته والغيل الماء الجاري على وجه الارض ومواصي مواصل والاجراز الارضون التي لم يصبها مطر جمع جرز ودمث لين والعزاز الارض الصلبة والتبدت دخل

(ووقف اعرابي على قوم من الحاج)

٢٧٤ وقال

يا قوم بدء شأني والذي ألفجني (١) الى مسألتكم ان الغيث كان قد قوي عنا ثم تكرفأ السحاب وشصا الرباب وادلهم سيقه وارتجس ريقه وقلنا هذا عام باكور الوسمي محمود السمي ثم هبت له الشمال فاحزألت طخاريره وتقزع كرفئه متياسرا ثم تتبع لمعان البرق حيث تشيمه الابصار وتحده النظار ومرت الجنوب ماءه فقوض الحي مزلئمين نحوه فسرحنا المال فيه فكان وخما وخيما فاساف المال واضاف الحال فبقينا لا تيسر لنا حلوبة ولا تنسل لنا قتوبة وفي ذلك يقول شاعرنا

ومن يرع بقلا من سويقة يغتبط قراحاً ويسمع قول كل صديق

بعضها في بعض والاقواز جمع قوز وهي رمال تستدير وتنعطف نحو الاحقاف وأنق معجب بالمرعى وسنق تسنق ماشيته اي تبشم من كثرة المرعى والقضض الحصى الصغار اي البسها النبت فليس فيها ذلك والرمض ان يحمى الحصى من شدة الحر اي لا يرمض واطئها لان الارض مجللة بالنبت وعازبها الذاهب بابله في المرعى وينكع يمنع (١) الالفاج الالجاء الى غير اهله وقوي المطر احتبس وتكرفأ كثر وتراكم وشصا ارتفع والسيق ككيس السحاب لا ماء فيه وارتجس رعد والوسمي مطر الربيع الاول والسمي جمع سماء تطلق على السحاب وعلى المطر واحزألت انتصبت والطخارير جمع طخرور وهو السحاب وتقزع تهيأ من تقزع الفرس تهيأ للركض والكرفيء السحاب المرتفع المتراكم والتياسر يطلق على التساهل والاخذ في جهة اليسار ومرت استخرجت والمزلئم الذاهب الماضي والوخم لعله لا ينجع كلأه واصله في الارض والطعام يقال ارض وخمة ووخيمة لا ينجع

(ووقف اعرابي في المسجد الجامع بالبصرة)

٢٧٥ وقال مستمنحاً

قل النيل ونقص الكيل وعجفت الخيل والله ما اصبحنا ننفخ في وضح (١) وما لنا في الديوان من وشمة وانا لعيال جربّة فهل من معين اعانه الله يعين ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فلا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت

(ووقف آخر ومعه ابوه شيخاً)

٢٧٦ وقال مستمنحاً

ايها الناس اني الازلم الجذع (٢) على شيخي فاخنى عليه فأطرّ قناته وحصّ

كلأها وطعام وخيم غير موافق واساف لعله اهلك لكن في القاموس اساف هلك ماله واضاف أمال ويسرت ولدته في سهولة والقتوبة الابل التي تقتبها بالقتب وسويقة مكان (١) الوضح اللبن ومراده بالوشمة الحظ والجربة الجماعة والنضو المهزول والفل القوم المنهزمون والسنة الجدب والقحط (٢) الازلم الجذع الدهر الشديد الكثير البلايا وأطر قطع والحص حلق الشعر والشواة واحدة الشوي وهي اليدان والرجلان والاطراف وقحف الرأس والقفاف جمع قف وهو ما ارتفع من الارض واللامعة لعلها من اللاعة وهي الفلاة يلمع فيها السراب والضمار يطلق على المال الذي لا يرجى رجوعه ومن الدين ما كان بلا اجل والقبص العدد الكثير والضريك الزمن والضرير والفقير السيء الحال والنزيك لعله التريك واصله العنقود اكل ما عليه والإبلة الطلبة والحاجة والمباركة من الولد والربِلة المرأة عظيمة الربلات جمع ربَلة وهي كل لحمة غليظة والدآليل الدواهي والمصمئلات

شواته واخلِع كفاته فغادره في متيهة ابوال البغال وقفاف لامعة فازعجه الضارعن بلده وسلبه قبص عدده وفت في ايد عضده على فقر حاضر وضعف ظاهر فنستنجد الله ثم اياكم للضريك النزيك بعد الابلات والربلات ورماه بالداليل المضمئلات فصار كالمتقي النسيء لا تؤمن عليه وطأة منسم ولا نكرة ارقم ولا عدوة ملهم فأقرضونا على من فسح لكم المسارب وأنبط لكم المشارب

(ووقف اعرابي في المسجد الحرام)

٢٧٧ وقال مستمنحاً

يا مسلمون ان الحمد لله والصلاة على نبيه اني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي (١) المواصي اسياف تهامة عكفت علينا سنون محش فاجتبت الذرى وهشمت العرى وجمشت النجم واعجت البهم وهمّت الشحم والتحبت اللحم واحجنت العظم وغادرت التراب مورا والماء غورا والناس اوزاعاً والنبط قُعاعاً والضهيل جراعاً والمقام جعجعاً يصبحنا الهاوي و يطرقنا العاوي فخرجت لا اتلفع بوصيدة ولا اتقوت بمهيدة فالبخصات وقِعة والركبات زلِعة والاطراف قفعة والجسم مسلهمّ والنظر مدرهمّ اعشو فاغطش واضحى فاخفش اسهل ظالعاً واحزن راكعاً فهل

الشديدة (١) الملطاط اشد انخفاضاً من الغائط واوسع منه واسياف جمع سيف وهو ساحل البحر والمحش جمع محوش وهي التي تمحش الكلأ اي تحرقه واجتب قطع والعري جمع عروة وهي القطعة من الشجر وجمشت احلقت والنجم من النبات ما نجم على غير ساق واعجت جعلتها عاجة وهمت اذابت والتحبت عرقت اللحم واحجنت عوّجت فصيرته كالمحجن والمور الذي يجيء و يذهب والغور الغائر والاوزاع الجماعات

من آمر بميرأ او داع بخير وقاكم الله سطوة القادر وملكة الكاهر وسوء الموارد وفضوح المصادد

(ووقف اعرابي من بني طيء بالكناسة)

٢٧٨ وقال مستمنحاً

يا ايها البرنساء (١) كلب الازلم وضن المرزم وعكفت الضبع فجهشت المرتع وصلصلت المترع واثارت العجاج واقتمت الفجاج وانبضت الوجاج فالافق مغبرة

والنبط اول ما يظهر من ماء البئر والقعاع شديد المرارة والضهيل القليل من الماء والجراع اشد المياه مرارة والجعجاع الموضع الضيق الخشن والهاوي الجراد والعاوي الذئب والوصيدة كل نسيجة والمهيدة حب الحنظل يعالج حتى يطيب فيختبز والبخصات جمع بخصة وهي لحم باطن القدم والوقعة التي حفيت من الحجارة او الشوك والزلعة المتشققة والاطراف من البدن اليدان والرجلان والرأس وقفعة قد تقبضت و يبست والمسلهم الضامر المتغير والمدرهم الذي ضعف بصره من جوع او مرض واعشو انظر والغطش ضعف في البصر والخفش فساد في الجفون بلا وجع واسهل صار في السهل والظلع اصله غمز في مشي البعير واحزن صار في الحزن وهو ما غلظ من الارض والراكع الكابي على وجهه والمير العطية والكاهر القاهر والفضوح اسم من فضحه كشف مساو يه والمصادد لم اقف له على معنى ولعله بالضاد او نحو ذلك

(١) البرنساء الناس وكلب اشتد والازلم الدهر الشديد الكثير البلايا ولكنهم يقولون الازلم الجذع فلعل ذلك للسجع والمرزم نجم له نوء والضبع السنة المجدبة وجهشت كذا في الاصل والذي في القاموس اجهش فلانا اعجله والمرتع مكان من رتع اكل وشرب ما شاء في خصب وسعة او اسم مفعول وصلصلت لعلها من

والارض مقشعرة والعيون مسمدرّة والايام مقمطرة فباد الوفر واستحوذ الفقر فالارض امرات والجمع اشتات والطموش احياء كاموات فهل من ناظر بعين رافة او داع بكشف آفة قد ضعف النطيس و بلغ النسيس

(ووقف اعرابي على حلقة يونس النحوي)

٢٧٩ وقال مستمنحاً

الحمد لله كما هواهله واعوذ بالله ان اذكر به وانساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلاً ممن اخرجته الحاجة وحمل على المكروه لا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله ياقوم لقد جعت حتى اكلت النوي المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الأجر ولاغني عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذي يقول جل ثناؤه (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) مليّ وفيّ ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكن ليبلو الاخيار

(ودخلت اعراب البصرة و بين يديهم عربي)

٢٨٠ يقول

ايها الناس اخوانكم في الدين وشركاؤكم في الاسلام عابرو سبيل وفلال

تصلصل الغدير جفت حمأته والمترع اسم مكان من ترع الاناء امتلأ او اسم مفعول وأنبض اغار والوجاج كذا رأيته وحرره ومقشعرة ممحلة ومسمدرة ضعيفة ومقمطرة مشتدة والامرات جمع مرت وهي المفازة بلا نبات والطموش الناس والنسيس الجوع الشديد وغاية جهد الانسان

بؤس وصرعى جدب تتابعت علينا سنون ثلاثة غيرت النعم واهلكت النعم فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك انفسنا ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا عظاماً وعاد اشراقنا ظلاما واقبلنا اليكم يصرعنا الوعر و يكننا السهل وهذه آثار مصابينا لائحة في سماتنا فرحم الله متصدقا من كثير ومواسياً من قليل فلقد عظمت الحاجة و كسف البال و بلغ المجهود والله يجزي المتصدقين

٢٨١ ووقف اعرابي بقوم وقال

(مستمنحاً)

يا قوم تتابعت علينا سنون جماد شداد لم يكن للسماء فيها رجع ولا للارض فيها صدع فنضب العدّ ونشف الوشل وأمحل الخصب وكلح الجدب وشف المال وكسف البال وشظف المعاش وذهب الرياش وطرحتني الايام اليكم غريب الدار نائي المحل ليس لي مال ارجع اليه ولا عشيرة ألحق بها فرحم الله امرأ رحم اغترابي وجعل المعروف جوابي

٢٨٢ ووقف آخر على قوم وقال

مستمنحا

يا قوم تتابعت الينا سنون بتغير وانتقاص فما تركت لنا هُبعاً ولا رُبعاً ولا عافطة ولا نافطة ولا ثاغية ولا راغية فاماتت الزرع وقتلت الضرع وعندكم من مال الله فضل نعمة فاعينوني من عطية ما آتاكم الله وارحموا اب أيتام ونضو زمان فلقد خلفت اقواماً لا يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل وان كرهوه ولقد مشيت حتى انتعلت الدماء وجعت حتى اكلت الثرى

(واصيبت اعرابية بابنها وهي حاجة فلما دفنته قامت على قبره)

٢٨٣ وقالت

والله يا بني لقد غذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً وكأنه لم يكن بين الحالين مدة التذ بعيشك فيها فاصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنسم في طيب روائحها تحت اطباق الثرى جسدا هامدا ورفاتا سحيقاً وصعيدا جرزا اي بنيّ لقد سحبت الدنيا عليك اذيال الفنا واسكنتك دار البلى ورمتني بعدك نكبة الردى اي بني لقد اسفر لي عن وجه الدنيا صباح داج ظلامه

(ثم قالت)

اي رب ومنك العدل ومن خلقك الجور وهبته لي قرة عين فلم تمتعني به كثيرا بل سلبتنيه وشيكا ثم امرتني بالصبر ووعدتنى عليه الأجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله من تراحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى اللهم ارحم غربته وآنس وحشته واستر عورته يوم تكشف الهنات والسوآت

(فلما ارادت الرجوع الى اهلها قالت)

اى بنىّ اني قد تزودت لسفري فليت شعري ما زادك لبعد طريقك ويوم معادك اللهم اني اسألك له الرضى برضائي عنه

(ثم قالت)

استودعتك من استودعنيك في احشائي جنينا واثكل الوالدات ما امضّ حرارة قلوبهن واقلق مضاجعهن واطول ليلهن واقصر نهارهن واقل انسهن واشد وحشتهن وابعدهن من السرور واقربهن من الاحزان

٢٨٤ خطبة لأبي حمزة بالمدينة وكان من نساك الاباضية

اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظمت من الباطل وامانة ما احيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله و يعصي

العباد في طاعته فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ندعو الى كتاب الله وسنة نبيه والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الاخماس في مواضعها التي امر الله بها انا والله ما خرجنا اشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لعبا ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا الارض قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى وعطلت الاحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي الى الحق والى طريق مستقيم فأجبنا داعي الله فأقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وايدنا بنصره فاصبحنا بنعمته اخوانا وعلى الدين اعوانا يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم شر آخر انكم اطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين امواتا غير احياء وما تشعرون يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصح اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر الناقدة والقلوب الواعية وانتم اهل الضلالة والجهالة استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والاماني فاضلتكم فتح الله بكم باب الدين فسددتموه واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه سراع الى الفتنة بطاء عن السنة عمي عن البرهان صم عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعم ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه وبئسما تؤتون ابناءكم ان تمسكوا به نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل كان عدد آبائكم قليلا طيبا وعددكم كثير خبيث اتبعتم الهوى فارداكم واللهو فاسهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم فلا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم اخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين

الاغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الاماء وقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا انا اصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان اعذر مع انه لا عذر للجاهل ولكن ابي الله الا ان ينطق بالحق على السنتكم و يأخذكم به في الآخرة

٢٨٥ وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد
وقد تلكأ في بيعته

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله امير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت والسلام

(ووصف غلام بيت ابيه وافراسه)

٢٨٦ فقال

بيت كانه حرة سوداء (١) او غمامة حماء بفنائه ثلاثة افراس اما احدها

---

(١) الحرة ارض ذات حجارة نخرة سود والحماء السوداء والمفرع المشرف والمتماحل الطويل والماثل القائم المنتصب والطراف بيت من أدم والذيال طويل الذيل والاوصال جمع وصل والقذال معقد العذار من الفرس والمغار الشديد الفتل يريد انه شديد البدن والمدمج مجاد الفتل ومحبوك موثق مشدد ومحملج مفتول

فمفرع الأكتاف متماحل الاكتاف ماثل كالطراف واما الآخر فذيال جوال صهال امين الأوصال أشم القذال واما الثالث فمغار مدمج محبوك محملج كالقهقر الادعج

٢٨٧ وقال غلام يصف عنزا

حسراء مقبلة (١) شعراء مدبرة ما بين غثرة الدهسة وقنوء الدبسة سحجاء الخدين خطلاء الاذنين فشقاء الصورين كأن زنمتيها تتوا قلنسية يا لها ام عيال وثمال مال

(ونعت خمس جوار خيل آبائهن)

٢٨٨ فقالت الأولى

فرس ابي وردة وما وردة ذات كفل مزحلق (٢) ومتن اخلق وجوف اخوق

والقهقر الحجر الصلب والادعج الاسود (١) حسراء قد انحسر شعر مقدمها والغثرة غبرة كدرة والدهسة لون كلون الدهاس وهو كل لين لا يبلغ ان يكون رملا وليس بتراب ولا طين والقنوء شدة الحمرة والدبسة حمرة يعلوها سواد وسحجاء الخدين حسنتهما والخطلاء من الآذان المسترخية وفي المزهر طويلة الاذنين مضطربتهما والصوران تثنية صور وهو القرن وفشقاء متباعدة ما بينهما والزنمتان هنتان متعلقتان ما بين لحيي العنز والقلنسية القلنسوة وتتواها ذؤابتاها تثنية تتو (٢) المزحلق المملس والاخلق الاملس والاخوق الواسع ومروح كثيرة المرح وطروح بعيدة موقع النظر وضروح دفوع تريد انها تضرح الحجارة برجليها اذا عدت وسبوح كانها تسبح في عدوها من سرعتها والبداهة الفجأة والاهذاب

ونفس مروح وعين طروح ورجل ضروح و يد سبوح بداهتها اهذاب وعقبها غلاب

٢٨٩ وقالت الثانية

فرس ابي اللعّاب وما اللعّاب غبية سحاب « ١ » واضطراب غاب مترَص الأوصال اشم القذال ملاحك المحال فارسه مجيد وصيده عتيد ان اقبل فظبي معاج وان ادبر فظليم هداج وان احضر فعلج هراج

٢٩٠ وقالت الثالثة

فرس ابي حذَمة وما حذمة (٢) ان اقبلت فقناة مقومة وان ادبرت فأثفية مململة وان اعرضت فذئبة معجرمة ارساغها مترَصة وفصوصها ممحصة جريها انثرار وتقريبها انكدار

٢٩١ وقالت الرابعة

فرس ابي خيفق وما خيفق (٣)ذات ناهق معرق وشدق اشدق واديم مملق

السرعة والعقب الجري بعد الجري (١) الغبية الدفعة الشديدة من المطر والغاب جمع غابة وهي الاجمة ومترص محكم وفي القاموس وفرس تارص محكم والقذال معقد العذار وملاحك مداخل كانه دوخل بعضه في بعض والمحال فقار الظهر واحدها محالة ومجيد صاحب جواد والعتيد الحاضر ومعاج مسرع في السير والظليم الذكر من النعام والهداج الماشي رويدا و يكون سريعاً ضد والعلج الحمار الغليظ والهراج كثير الجري (٢) حذمة كهمزة من الحذم وهو السرعة والمقومة المعدلة تريد انها دقيقة المقدم وهو مدح في الاناث والاثفية واحدة الاثافي ومململة مجتمعة تريد انها مدورة المؤخر لان الاثافي تختار مدورة والعجرمة الاسراع ومترصة محكمة والفص ملتقى كل عظمين وممحصة قليلة اللحم قليلة الشعر وانثرار انصباب والتقريب ضرب من العدو والانكدار الاسراع (٣) الخيفق السريع والناهقان قال السيوطي العظمان



لها خلق اشدف ودسيع منفنف وتليل مسيف وثابة زلوج خيفانة رهوج تقريبها اهماج وحضرها ارتعاج

٢٩٢ وقالت الخامسة

فرس ابي هذلول وما هذلول (١) طريده محبول وطالبه مشكول رقيق الملاغم امين المعاقم عبل المحزم مخد مرجم منيف الحارك اشم السنابك مجدول

الشاخصان في خدي الفرس وفي القاموس والناهقان عظمان شاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع و يقال لهما النواهق ايضاً اه ومعرق قليل اللحم واشدق واسع الشدق والمملق المملس والاشدف العظيم الشخص والدسيع مركب العنق في الحارك ومنفنف واسع والتليل العنق ومسيف كانه سيف والزلوج السريعة والخيفانة الجرادة التي فيها نقط سود تخالف سائر لونها واذا ظهر فيها تلك النقط كان اسرع لطيرانها فشبهت بها الفرس لسرعتها والرهوج كثيرة الرهج وهو الغبار واهمج الفرس جد في جريه والارتعاج كثرة البرق وتتابعه (١) الهذلول الفرس الطويل الصلب وهو اسم لافراس والمحبول قال السيوطي في حبالة لكن في القاموس والمحبول من نصبت له الحبالة وان لم يقع بعد اه والظاهر انه المشدود بالحبل ومشكول في شكال والملاغم الجحافل والمعاقم المفاصل الواحد كمنزل والمحزم موضع الحزام ومخد يخد الارض اي يجعل فيها اخاديد اي شقوقاً ومرجم يرجم الحجر بالحجر والحارك اعلى الكاهل والسنابك جمع سنبك وهو طرف الحافر ومجدول مفتول والخصيلة لحم الفخذين والعضدين والذراعين والفلائل جمع فليل وهو الشعر المجتمع والمعوج اللين المعطف والتليل العنق والصلصلة صوت الحديد وكل صوت حاد والسبيب شعر الناصية وضاف سابغ

الخصائل سبط القلائل معوج التليل صلصال الصهيل اديمه صاف وسبيبه ضاف وعفوه كاف

٢٩٣ وقال اعرابي

اللهم انك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم فارحم أنين الآنّة وحنين الحانة اللهم ارحم تحيرها في مراتعها وانينها في مرابضها

٢٩٤ رسالة يحيى بن يعمر

انا لقينا العدو فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرائر الأودية واهضام الغيطان و بتنا بعرعرة الجبل و بات العدو بحضيضه

٢٩٥ خطبة لقطري بن الفجاءة

حمد الله واثنى عليه ثم قال

اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة ونافدة بائدة اكالة غوالة بذلة نقالة لا تعدو اذا هي تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا عنها ان تكون كما قال الله تعالى (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) مع ان امرأ لم يكن منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطناً الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله غيثة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولي امر عليه جانب وأوبي وان اتت امرأ من غضارتها ورفاهتها نعما ارهقته من نوائبها تبعاً ولم يمس امرؤ منها في جناح امن الا اصبح منها على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فان ما عليها

لا خير في شيء من زادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه و يطيل حزنه و يبكي عينيه كم واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي اختيال فيها قد خدعته وكم من ذي ابهة بها قد صيرته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذي تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام وقطافها سلَع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزي الذين اساؤا بما عملوا و يجزي الذين احسنوا بالحسنى الستم في مساكن من كان اطول منكم اعمارا واوضح منكم آثارا واعد عديدا واكثف جنودا واعند عنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية او اغنت عنهم فيما قد اهلكتهم بخطب بل قد ارهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن زان لها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء واحلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام على هذه تحرصون ام عليها تطمئنون يقول الله (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون) فبئست الدار لمن اقام فيها فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها لابد فانما هي كما وصفها الله باللعب واللهو وقد قال الله تعالى (اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) وذكر الذين قالوا من اشد منا قوة ثم قال

حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيما ان اخصبوا لم يفرحوا وان اقحطوا لم يقنطوا جمع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متنؤون لا يزورون ولا يزارون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشي فجعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله تعالى (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الاقليلا وكنا نحن الوارثين) استبدلوا بظهر الارض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غير ان ظعنوا باعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد يقول الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم اداء حقه

تنبيه

فاتني فيما مضىُ من الكتاب قطع ظفرت بها الآن ولم اتمكن من وضعها في محالها فألحقتها بآخر طبقتها حرصاً عليها واتماما لفائدة الكتاب وها هي

٢٩٦ وصية غيلان بن سلمة لبنيه

يا بني قد احسنت خدمة اموالكم وامجدت امهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم فعليكم ببيوتات العرب فانها معارج الكرم وعليكم بكل رمكاء مكينة ركينة او بيضاء رزينة في خدر بيت يتبع اوجد يرتجي واياكم والقصيرة الرطلة فان ابغض الرجال اليَّ ان يقاتل عن ابلى او يناضل عن حسبي القصير الرطل

ثم انشأ يقول

وحرة قوم قد تنوق فعلها   وزينها أقوامها فتزينت
رحلت اليها لا ترد وسيلتي   وحملتها من قومها فتحملت

٢٩٧ خطبة قس بن ساعدة الايادي

ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم شيأ فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وامهات واحياء واموات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون رضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه وادرككم ابانه فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه

ثم قال

تبّاً لارباب الغفلة والامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بني وشيد وزخرف ونجد اين المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال انا ربكم الأعلى ألم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بطوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود

ثم انشأ يقول

في الذاهبين الاولين   من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا   للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها   يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي   ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا   لة حيث صار القوم صائر

٢٩٨ وقالت الجمانة بنت قيس بن زهير

تنصح جدها الربيع بن زياد

ان كان قيس ابي فانك يا ربيع جدي وما يجب له من حق الأبوة علي الا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي والرأي الصحيح تبعثه العناية وتجلى عن محضه النصيحة انك قد ظلمت قيسا باخذ درعه وأجد مكافأته اياك سوء عزمه والمعارض منتصر والبادئ اظلم وليس قيس ممن يخوف بالوعيد ولا يردعه التهديد فلا تركنن الى منابذته فالحزم في متاركته والحرب متلفة للعباد ذهابة بالطارف والتلاد والسلم أرخى للبال وابقى لأنفس الرجال و بحق اقول لقد صدعت بحكم وما يدفع قولي الا غير ذي فهم ثم انشأت تقول

ابي لا يرى ان يترك الدهر درعه ... وجدي يرى ان يأخذ الدرع من ابي

فرأى أبي رأي البخيل بماله ... وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي

٢٩٩ وقالت بنت حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم

يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تخلى عنى فلا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي كان ابي يفك العاني ويحمي الذمار و يقرى الضيف و يشبع الجائع و يفرج عن المكروب و يطعم الطعام و يفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم طيئ

٣٠٠ وكتب سيدنا عمر الى سعد بن ابي وقاص

ومن معه من الاجناد

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل العدة على العدو واقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك

ان تكونوا اشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الانفس والكراع واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم و يرمّون اسلحتهم وامتعتهم ونحّ منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة فلا يدخلها من اصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ احدا من اهلها شيأ فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تستنصروا على اهل الحرب بظلم اهل الصلح واذا وطئت ارض العدو فأذك العيون بينك و بينهم ولا يخف عليك امرهم وليكن عندك من العرب او من اهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك وليكن منك عند دنوك من ارض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك و بينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم وتنق للطلائع اهل الرأي والبأس من اصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدوا كان اول ما تلقاهم

القوة من رأيك واجعل امر السرايا الى اهل الجهاد والصبر على الجلاد ولا تخص بها احدا بهوى فتضيع من رأيك وامرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة ونكاية فاذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك احراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تؤتي بأسير ليس له عقد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولي امرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان

الطبقة الثانية

٣٠١ كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد
لبعض من ولاه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان امير المؤمنين عند ما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافي الاعرابي المتكسع في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوي المهلكة ورعاعه الذين عاثوا في ارض الله فسادا وانتهكوا حرمة الاسلام استخفافا و بدلوا نعمة الله كفرا واستحلوا دماء اهل سلمه جهلا احب ان يعهد اليك في لطائف امورك وعوام شؤونك ودخائل احوالك ومصطرف تنقلك عهدا يحملك فيه ادبه وتسرع لك به عظته وان كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث

اصطنعك الله لولاية العهد مختصالك بذلك دون لحمتك و بني ابيك ولولا ما امر الله تعالى به دالا عليه وتقدمت فيه الحكماء آمرين به من تقديم العظة والتذكير لاهل المعرفة وان كانوا اولي سابقة في الفضل وخصيصا في العلم لاعتمد امير المؤمنين على اصطناع الله اياك وتفضيله لك بما رآك اهله في محلك من امير المؤمنين وسبقك الى رغائب اخلاقه وانتزاعك محمود شيمه واستيلائك على مشابه تدبيره ولو كان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم او لقنوه الهاما من تلقائهم ولم يصبهم تعلموا شيأ (١) من غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لاهوتيته احتجاباً منهم لتعقب في حكمه وتثبت في سلطانه وتنفيذ ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبو بمزية العلم وصفوته ادركه معانا عليه بلطاف بحثه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر سآمته وقد تقدم امير المؤمنين اليك آخذا بالحجة عليك مؤديا حق الله الواجب عليه في ارشادك وقضاء حقك وما ينظر به الوالد المعنى الشفيق لولده وامير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع وان يعصمك من كل مكروه حاق بأحد وأن يحصنك من كل آفة استولت على امرئ في دين او خلق وأن يبلغه فيك احسن مالم يزل يعوده و يريه من آثار نعمة الله عليك سامية بك الى ذروة الشرف منجحة لك بسطة الكرم لائحة بك في ازهر معالي الادب مورثة لك أنفس ذخائر العز والله يستخلف عليك امير المؤمنين و يسأل حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى و يحضرك داعي التوفيق معانا على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو . اعلم ان للحكمة مسالك تفضي مضايق

(١) كذا في الاصل

أوائلها بن امها سالكا وركب اخطارها قاصدا الى سعة عاقبتها وأمن سرحها
وشرف عزها وانها لاتعار بسخف الخفة ولا تنشأ بتفريط الغفلة ولا يتعدى فيها
بامرىء حده وربما اظهرت بسطة الغني مستور العيب وقد تلقتك اخلاق الحكمة
من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في طلبها ولا متطاول لمناولة ذروتها
بل تأثلت منها اكرم نبعاتها واستخلصت اعتق جواهرها ثم سموت الى لباب
مُصاصها واحرزت منفس ذخائرها فاقتعد ما احرزت ونافس فيما اصبت واعلم
ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع امورك مؤثرا
لها واضمار طاعته منطويا عليها واعظام ما انعم الله به عليك شاكرا له مرتبطا فيه
للمزيد بحسن الحياطة له والذب عنه من أن يدخلك منه سآمة ملال او غفلة
ضياع او سنة تهاون او جهالة معرفة فان ذلك احق ما بدئ به ونظر فيه معتمدا
عليه بالقوة والآلة والعدة والانفراد به من الاصحاب والحامّة فتمسك به لاجئا
اليه واعتمد عليه مؤثرا له والتجىء الى كنفه متحيزا اليه فانه أبلغ ما طلب رضا
الله وأنجحه مسألة وأجزله ثوابا واعوده نفعا واعمه صلاحا ارشدك الله لحظك
وفهمك سداده واخذ بقلبك الى محموده ثم اجعل لله في كل صباح ينعم عليك
ببلوغه و يظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك نصيبا تجعله له شكرا على
ابلاغه اياك يومك بصحة جوارح وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور كرامة وان تقرأ
فيه من كتاب الله تبارك وتعالى جزءا تردد رأيك في آيه وتزين لفظك
بقراءته وتحضره عقلك ناظرا في محكمه وتفهمه متفكرا في متشابهه فان في القرآن
شفاء الصدور من أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وصحاصحه «١» وضياء
معالم النور تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ثم تعهد نفسك لمجاهدة

(١) كذا في الاصل

هواك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيآت وخصم العقل واعلم ان كل
اهوائك لك عدو يحاول هلكتك و يعترض غفلتك لانها خدع ابليس وخواتل
مكره ومصايد مكيدته فاحذرها مجانبا لها وتوقها محترسا منها واستعذ بالله عزوجل
من شرها وجاهدها اذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ
لا مثنوية لرأيك بعد اصداره وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضاءة
صارمة لا اناءة معها ونية صحيحة لا خلجة شك فيها فان ذلك ظهريّ صدق
لك على ردعها عنك وقمعها دون ما تطامع اليه منك فهي واقية لك سخطة
ربك داعية اليك رضى العامة عنك ساترة اليك عيب من دونك فازدن بها
متحليا وأصب باخلاقك مواضعها الحميدة منها وتوق عليها الآفة التي تقتطعك
عن بلوغها وتقصر بك دون شأوها فان المؤونة انما اشتدت مستصعبة وفدحت
باهظة اهل الطلب لاخلاق الكرام المنتحلين سمو القدر بجهالة مواضع ذميم
الاخلاق ومحمودها حتى فرط اهل التقصير في بعض امورهم فدخلت عليهم
الآفات من جهات امنوها فنسبوا الى التفريط ورضوا بذل المنزل فاقاموا به
جاهلين بموضع الفضل عمهين عن درج الشرف ساقطين دون منزلة اهل الحجى
فحاول بلوغ غاياتها محرزا لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصنا اعمالك من
العجب فانه راس الهوي واول الغواية ومقاد الهلكة حارسا اخلاقك من الآفات
المتصلة بمساوئ الالقاب وذميم تنابذها من حيث اتت الغفلة وانتشر الضياع
ودخل الوهن فتوق غلوب الآفات على عقلك فان شواهد الحق ستظهر بامارتها
تصديق رأيك عند ذوي الحجى وحال الرأي ومحص النظر فاجتلب لنفسك
محمود الذكر و باقي لسان الصدق بالحذر لما تقدم اليك به امير المؤمنين متحرزا
من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة ثقتك بمحكمها من ذلك ان

تملك امورك بالقصد وتداري جندك بالاحسان وتصون سرك بالكتمان وتداري حقدك بالانصاف وتذلل نفسك بالعدل وتحصن عيوبك بتقويم اودك وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردي وأناتك فوقها الملال وفوت العمل ومضاءتك فدرعها روية النظر واكنفها باناة الحلم وخلوتك فاحرسها من الغفلة واعتياد الراحة وصمتك فانف عنه عيّ اللفظ وخف سوء القالة واستماعك فأرعه حسن التفهم وقوه باشهاد الفكر وعطاءك فامهد له بيوتات الشرف وذوي الحسب وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنيعة وحياءك فامنعه من الخجل و بلادة الحصر وحلمك فزعه عن التهاون وأحضره قوة الشكيمة وعقوبتك فقصر بها عن الافراط وتعمد بها اهل الاستحقاق وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ به واجب المفترض واقم به اود الدين واستئناسك فامنع منه البذاء وسوء المثافنة وتعهدك امورك فخذه اوقاتا وقدره ساعات لاتستفرغ قوتك ولاتستدعى سآمتك وعزماتك فانف عنها عجلة الرأى ولجاجة الاقدام وفرحاتك فاشكمها عن البطر وقيدها عن الزهو وروعاتك فحطها من دهش الرأي واستسلام الخضوع وحذراتك فامنعها من الجبن واعمدبها للحزم ورجاءك فقيده بخوف الفائت وامنعه من امن الطلب هذه جوامع خلال دخال النقص منها واصل الى العقل بلطائف امه (١) ولطائف حويله فأحكمها عارفاً بها وتقدم في الحفظ لها معتزما على الاخذ براشدها والانتهاء منها الى حيث بلغت بك عظة امير المؤمنين وادبه ان شاء الله ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرك اهل العفة والورع من خاصة اهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور وخبطته فصالها بين فراسن انبزل منها وقلبته الامور في فنونها وركب

(١) كذا في الاصل

اطوارها عارفا بمحاسن الامور ومواضع الرأي وعين المشورة مأمون النصيحة مطوى الضمير على الطاعة ثم احضرهم من نفسك وقارا يستدعى لك منهم الهيبة واستئناسا يعطف اليك منهم المودة وانصافا يعل اقاصهم له عذ (١) بما تكره ان ينشر عنك من سخافة الراي وضياع الحزم ولا يغلبن عليك هواك فيصرفك عن الراي و يقتطعك دون الفكر وتعلم انك وان خلوت بسرف القيت دونه ستورك واغلقت عليك ابوابك فذلك لامحالة مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل (٢) وما ارى واداعة ذلك واعلم بما يرون من حالات من ينقطع به فى تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك واسدد خلله عنك فانه ليس احد اسرع اليه سوء القالة ولفظ العامة بخير او شر ممن كان له في مثل حالك ومكانك الذي اصبحت به من دين الله والامل المرجو المنتظر فيك واياك ان يغتمز فيك احد من حامتك و بطانة خدمك بصعمة (٣) يجد بها مساغا الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمته ولا يؤمن سوء الاحدوثة فيه ولا يرخص سوء القالة به ان نجم ظاهرا او علن بادياً ولن يجترؤوا على تلت عندك الا ان يروا منك اصغاء اليها وقبولا لها وترخيصا لهم في الافاضة بها ثم واياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها اهل البطالة و يتسرع نحوها ذوو الجهالة و يجد فيها اهل الحسد مقالا لعيب يذيعونه وطعنا في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ككمون النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره وتلهب وميضه ووقد تضرمه وليست في احد

(١) كذا في الاصل (٢) في نسخة وان استتر فربما ولعل وحرر الباقي (٣) كذا في الاصل ولعلها بصفة او بضعة

اقوى سطوة واظهر توقدا واعلى كمونا واسرع اليه بالعيب. و بطرق الشين منها لمن كان في مثل سنك من اغفال الرجال، وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لائحها ظاهرا فيهم وسمها ولم تمحضهم شهامتها مظهرة للعامة فضلهم، مذيعة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمما يدفعون به عن انفسهم نواطق ألسن اهل البغي ومواد ابصار اهل الحسد ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من اهل السلطان والقدرة من ابطال البدع ونخوة الشرف والتيه وعيب الصلف فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن جمة وانحاء مصطرفة منها قلة اقتدارهم على ضبط انفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة فمن مقلقل شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله تزدهيه الخفة و يبطره أجلاب الرجال حوله ومن مقبل في موكبه على مداعبة مسايره بالمفاكهة والتضاحك اليه والايجاف في السير مرحا وتحريك الجوارح متسرعا يخال ان ذلك اسرع له وأحث لمطيته فلتحسن في ذلك هيئتك ولتجمل فيه دعتك وليقل على مسايرك اقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى محدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثته ولا موجف في السير مقلقل لجوارحك بالتحريك والاستنهاض فان حسن مسايرة الوالي واتداعه في تلك الحالة دليل على كثير من عيوب امره ومستتر احواله واعلم ان اقواماً يتسرعون اليك بالسعاية و يأتونك على وجه النصيحة و يستميلونك باظهار الشفقة و يستدعونك بالاغراء والشبهة و يوطئونك عشوة الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة الى استنكال العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة واسرعوا بك في امره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لايتاغ دينك وتحملك

على رعيتك بما لا حقيقة له عندك و يلحمك اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما اقدم به عليهم ساعيا واظهر لك منهم منتصحاً وليكن صاحب شرطتك ومن احببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه على رايك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صواباً فاليك حظوته وان كان خطأ اقدم به عليك جاهل او فرطة سعى بها كاذب فنالت الباغي منهما او المظلوم عقوبة او بدر من واليك اليه نكال لم يعصب ذلك الخطأ لك ولم تنسب الى تفريط وخلوت من موضع الذم فيه محضرا اليه ذهنك وصواب رأيك وتقدم الى من تولى ذلك الامر وتعتمد عليه فيه الاّ يقدم على شيء ناظرا فيه ولا يحاول اخذ احد طارقا له ولا يعاقب احدا منكلا به ولا يخلي سبيل احد صافحا عنه لاصحار براءته وصحة طريقته حتي يرفع اليك امره و ينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحي الحق و يقين الخبر فان رايت عليه سبيلا لمحبس او مجازا لعقوبة امرته بتولى ذلك من غير ادخاله عليك ولا مشافهة لك منه فكان المتولي لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأى ولا غلظة عقوبة وان وجدت الى العفو سبيلا او كان مما قرف به خليا كنت انت المتولى للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق اسره فتوليت اجر ذلك واستحققت ذخره وانطقت لسانه بشكرك وطوقت قومه حمدك واوجبت عليهم حقك فقرنت بين خصلتين واحرزت حظوتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة ثم واياك ان يصل اليك احد من جندك وجلسائك وخاصتك و بطانتك بمسالة يكشفها لك او حاجة يبدهك بطلبها حتى يرفعها قبل ذلك الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهيا لها على جهة الصدق عنها وتكون

على معرفة من قدرها فان اردت اسعافه بها او نجاح ما سال منها اذنت له في طلبها باسطا له كنفك مقبلا عليه بوجهك بظهور سرورك بما سالك وصحة راي وبسطة ذرع وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته واحببت رده عن طلبته وثقل عليك اجابته اليها واسعافها بها امرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها فخفت عليك في ذلك المؤنة وحسن لك الذكر ولم ينشر عنك تجهم الرد وينلك سوء القالة في المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمة انت منها برئ الساحة وكذلك فليكن رايك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود واتاك من الرسل فلا يصلن اليك احد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهه (١) ماهو مكلمك به وقدر ماهو سائلك اياه اذا وصل اليك فاصدرت رأيك في حوائجه وأجلت فكرك في امره واحبرت (٢) معتزما على ارادتك في جوابه وانفذت مصدور رويتك في مرجوع مسالته قبل دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك فرفعت عنك مؤنة البديهة وارخيت عن نفسك خناق الروية واقدمت على رد جوابه بعد النظر واجالة الفكر فيه فان دخل اليك احد منهم فكلمك بخلاف ماانهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته دفعاً جميلاً ومنعته جوابك منعاً وديعاً ثم امرتَ حاجبك باظهار الجفوة له والغلاظة عليه ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الاسباب صارفا عنك مؤونتها ومسهلا عليك مستصعبها ان شاء الله. احذر تضييع رأيك واهمالك أدبك في مسالك الرضي والغضب واعتوارهما اياك فلا يزدهينك افراط عجب يستخفك رائعه ويستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه ان حل بك او حادث ان طرأ عليك وليكن لك من نفسك ظهريّ ملجأ

«١» كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل

تتحرز به من آفات الردى وتستعضد في موهم النازل وتتعقب به امورك في التدبير فان احتجت الى مادة من عقلك وروية من فكرك او انبساط من منطقك كان مجازك الى ظهريك مزدادا مما احببت الامتياح منه والامتيار وان استدبرت من امورك بوادر جهل اومضي زلل اومعاندة حق او خطل تدبير كان ما احتجت اليه من رأيك عذرا لك عند نفسك وظهريا قويا على رد ما كرهت وتخفيفا لمؤنة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر وحصنا من غلوب الآفات عليك واستعلائها على اخلاقك. وامنع اهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض او النميمة اليك بشيء من احوالهم المستترة عنك او التجميل لك على احد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة فان ذلك ابلغ بك سموا الى منالة الشرف واعون لك على محمود الذكر واطلق لعنان الفضل في جزالة الرأى وشرف الهمة وقوة التدبير واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق وعن القطوب باظهار الغضب وتنحله فان ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل وليكن ضحكك تبسما او كشرا في احايين ذلك واوقاته وعند كل رائع مستخف مطرب وقطوبك اطراقا في مواضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة دون ان يكنفها روية الحلم وتملك عنها بادرة الجهل. اذا كنت في مجلس ملأك وحيث حضور العامة مجلسك فاياك والرمي بنظرك الى خاص من قوادك او ذي اثرة عندك من حشمك وليكن نظرك مقسوما في الجميع واراعنك سمعك ذا الحديث بدعة هادية ووقار حسن وحضور فهم مجتمع وقلة تضجر بالمحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجها بنظر ركين وتفقد محصن وان وجه اليك احد منهم نظره

محدقا او رماك ببصره ملحافا فاخفض عنه اطراقا جميلا بايداع وسكون واياك والتسرع في الاطراق والخفة في تصريف النظر والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك رامقا بنظره واعلم ان تصفحك وجوه جلسائك وتفقدك مجالس قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب وذكاء الفطنة وانتباه السنة فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك عالما بمواضعهم من مجلسك ثم اعدهم «١» عن ذلك سائلا لهم عن اشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك وعاقتهم بالتخلف عنك ان كان احد من حشمك واعوانك ثق منه بغيب ضمير وتعرف منه لين طاعة وتشرف منه على صحة رأي وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه في كل حادث يرد عليك والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك وان تريه أو أحدا من اهل مجلسك ان بك حاجة اليه موحشة او ان ليس بك عنه غنى في التدبير او انك لا تقضي دونه رأيا اشرا كامنك له في رويتك وادخالا منك له في مشورتك واضطرارا منك الى رأيه في الامر يعروك فان ذلك من العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك فانفها عن نفسك خائفا لاعتقالها ذكرك واحجبها عن رويتك قاطعا لاطماع اوليائك عن مثلها عندك او غلوبهم عليها منك واعلم ان للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ولكل امرئ غاية تحيط بحدوده وتجمع معالمه فابغها محرزا لها ورمها طالبا لنيلها واياك والقصور عن غايتها او العجز عن دركها او الافراط في طلبها ان شاء الله واياك والاعزام عن حديث اما اعجبك أو أمر اما ازدهاك بكثرة السؤال او القطع لحديث من ارادك بحديثه حتى تنفضه عليه بالخوض في غيره او المسألة عما ليس منه فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة بمساويها ولكن انصت لمحدثك وأرعه

«١» كذا في الاصل

سمعك حتى يعلم ان قد فهمت حديثه واحطت معرفة بقوله فان اردت اجابته فعن معرفة بحاجته وبعد علم بطلبته والا لكنت عند انقضاء كلامه كالمتعالل من حديثه بالتبسم والاغضاء فاجزي عنك الجواب وقطع عنك ألسن العيب اياك وان يظهر عنك تبرم بطول مجلسك او تضجرك ممن حضرك وعليك بالتثبت عند سورة الغضب وحمية الانف وملال الصبر في الامر تستعجل به والعمل تامر بانفاذه فان ذلك سخف شائن وخفة مردية وجهالة بادية وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح والرفض لحشو الكلام والترك لفضوله والاعزام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك من نحو اسمع وافهم عني ويا هناه والا ترى او ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة باهل الغفلة الشائنة لذوي الحجى في المنطق المنسوبة اليهم بالعي المردية لهم بالذكر وخصال من معايب الملوك والسوقة عنها عينة (١) النظر الا من عرفها من اهل الادب وقلما حامل لها مضطلع بها صابر على ثقلها آخذ لنفسه بجوامعها فانفها عن نفسك بالتحفظ منها واملك عليها اعتيادك اياها معتنيا بها منها كثرة التنخم والتبصق والتنحنح والتثوباء والتمطي والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الاصابع والعبث بالوجه واللحية او الشارب او المخصرة او ذؤابة السيف او الايماض بالنظر او الاشارة بالطرف الى بعض خدمك بامر ان اردته أو السرار في مجلسك او الاستعجال في طعمك او شربك وليكن طعمك متدعا وشربك انفاسا وجرعك مصا واياك والتسرع الى الأيمان فيما صغر او كبر من الامور والشتيمة بابن الهناة أو الغميزة لاحد من خاصتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك او دارك وفناؤك فان ذلك كله مما يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه ويحمل عليك معايبه وينالك شينه وينتشر

(١) كذا في الاصل

عليك سوء النبأ به فاعرف ذلك متوقيا له واحذره مجانبا لسوء عاقبته . استكثر من فوائد الخير فانها تيسر المحمدة وتقيل العثرة واصبر على كظم الغيظ فانه يورث الراحة ويؤمن الساحة وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وتبطن احوالهم واستثارة دفائنهم حتى تكون منها على رأي عين ويقين خبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم اوَدهم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقى لك لسان الصدق في العامة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك وقلوبهم المتنحية عنك قس بين منازل اهل الفضل في الدين والحجى والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والخمول عند مباهاة النسب وانظر بصحبة ايهم تنال من مودته الجميل ويستجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درجة الشرف في احوالك المتصرفة بك فاعمد عليهم مدخلا لهم في امرك وآثرهم لمجالستك لهم مستمعا منهم واياك وتضييعهم مفرطا واهمالهم مضيعاً هذه جوامع خصال قد لخصها لك امير المؤمنين مفسرا وجمع لك شواذها مؤلفا واهداها اليك مرشدا فقف عند اوامرها وتناه عن زواجرها وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل انفس الحظوظ ورغيب الشرف وتعلُ درج الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الأمل وان يجعل ذلك بك الى غبطة يسوغك اياها وعافية يحلك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد منه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفتاح الخير وبيده الملك وهو على كل شيء قدير . فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم واخذت اهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي منالة الظفر به وتكتهف به لمعاقل

الحذر تقوى الله مستشعرا لها بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لأمره مجتنباً لسخطه محتذيا سننه والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده او تعدي شرائعه متوكلا عليه فيما صمدت له واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه متبريا من الحول والقوة فيما نالك من ظفر ويلقاك من عز راغباً فيما اهاب بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله من قتال عدو الله للمسلمين اكبهم (١) عليه واظهره عداوة لهم وافدحه ثقلا لعامتهم وآخذه برمقهم واعلاه عليهم بغيا واظهره عليهم فسقا وجورا واشده على فيئهم الذي اصاره الله لهم وفتحه عليهم مؤنة وكلا والله المستعان عليهم والمستنصر على جماعتهم عليه يتوكل امير المؤمنين واياه يستصرخ عليهم واليه ينوض امره وكفى بالله وليا وناصرا ومعينا وهو القوي العزيز ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكف معرتهم ورد مشتعل جهلهم واحكام ضياع عملهم وضم منتشر قواصيهم ولم شعث اطرافهم وتقييدهم عمن مروا به من اهل ذمتك بحسن السيرة وعفاف الطعمة ودعة الوقار وهدي الدعة وحمام المستجد (٢) محكما ذلك منهم متفقدا لهم فيه تفقدك اياه من نفسك ثم اصمد لعدوك المتسمى بالاسلام الخارج من جماعة اهله المنتحل ولاية الدين مستحلا لدماء اوليائه طاعنا عليهم راغبا عن سنتهم مفارقا لشرائعهم يبغيهم الغوائل وينصب لهم المكايد اضرم حقدا عليهم وارصد عداوة لهم واطلب لغرات فرصهم من الترك وامم الشرك وطواغي الملل يدعو الى المعصية والفرقة والمروق من دين الله الى الفتنة متجرعاً بهواه للأديان المنتحلة والبدع المتفرقة جسارا وتجسرا وضلالا وتضليلا بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد وساء ما سولت له نفسه الأمارة بالسوء والله من ورائه بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

«١» كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل

. حصن جندك واشكم نفسك بطاعة الله في مجاهدة اعدائه وارج نصره وتنجز موعوده متقدما في طلب ثوابه على جهادهم معتزما في ابتغاء الوسيلة اليه على لقائهم فان طاعتك اياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك نصره مسهل لك وعوره وعاصمك من كل سيئة ومنجيك من كل هوة وناعشك في كل صرعة ومقيلك في كل كبوة وداريءٌ عنك كل شبهة ومذهب عنك لطخة كل شك ومقويك بكل ايد تكيده ومعزك في كل معترك قتال ومؤيدك في كل مجمع لقاء وكالئك عند كل فتنة وحائطك من كل شبهة مردية والله وليك وولى امير المؤمنين فيك والمستخلف على جندك ومن معك . اعلم ان الظفر ظفران احدهما وهو اعم منفعة وابلغ في حسن الذكر قالة واحوطه سلامة واتم عافية واحسنه في الامور واعلاه في الفضل شرفا واصحه في الروية حزما واسلمه عند العامة مصدرا ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويمن النقيبة واستنزال طاعة ذوي الصدوف بغير اخطار الجيوش في وقد جمرة الحرب ومبادرة الفرسان في معترك الموت وان ساعدتك ظلوق الظفر (١) ونالك مزيد السعادة في الشرف ففي (٢) مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف والم الجراح وقصاص الحرب وسجالها بمغاورة ابطالها على انك لا تدري لايّ يكون الظفر في البديهة ومن المغلوب بالدولة ولعلك ان تكون المطلوب بالتمحيص فحاول اصابة ابلغهما في سلامة جندك ورعيتك واشهرها صيتا في بدو تدبيرك ورأيك واجمعها لالفة وليك وعدوك واعونها على صلاح رعيتك واهل ملتك واقواها شكيمة في حزمك وابعدها من وصم عزمك واعلقها بزمام النجاة في آخرتك واجزلها ثوابا عند ربك وابدأ بالاعذار الى عدوك والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامن الجماعة وعز الالفة

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل ولعلها فقد

آخذا بالحجة عليهم متقدما بالانذار لهم باسطا امانك لمن لجأ اليك منهم داعيا بألين لفظك والطف حيلك متعطفا برأفتك عليهم مترفقا بهم في دعائك مشفقا عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة الهلكة بهم معتدا به رسلك اليهم بعد الانذار تعدهم اعطاء كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق و بسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم ومن تبعهم موطنا نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك والصبر على ما اعطيتهم من وثائق عقدك قابلا توبة نازعهم عن الضلالة ومراجعة مسيئهم الى الطاعة مرصدا للمنحاز الى فئة المسلمين وجماعتهم اجابة الى ما دعوته اليه و بصرته اياه من حقك وطاعتك بفضل المنزلة واكرام المثوى وتشريف الجاه ليظهر من اثرك عليه واحسانك اليه ما يرغب في مثله الصادف عنك المصر على خلافك ومعصيتك و يدعوه الى اعتلاق حبل النجاة وما هو املك به في الاعتصام عاجلا وانجى له من العقاب آجلا واحوط عن دينه ومهجته بدءاً وعاقبة فان ذلك مما يستدعى به من الله نصره عليهم و يعتضد به في تقدمة الحجة اليهم معذرا ومنذرا ان شاء الله . ثم أذك عيونك على عدوك متطلعا لعلم احوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي قد مدوا اعناقهم نحوها واي الامور ادعى لهم الى الصلح واقودها لرضاهم الى العافية واسهلها لاستنزال طاعتهم ومن اي الوجوه مأتاهم امن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب والابعاد والترغيب والاطماع متثبتا في امرك متخيرا في رويتك مستمكنا من رأيك مستشيرا لذوي النصيحة الذين قد حنكهم السن وخبطتهم التجربة وغذتهم الحروب متشزنا في حربك آخذا بالحزم في سوء الظن معدا للحذر محترسا من الغرة كأنك في مسيرك كله ونزولك اجمع مواقف لعدوك رأي عين تنتظر حملاتهم وتتخوف كراتهم معدا أقوى مكايدك وأرهب عتادك

وانكأ جدك وأجد تشميرك معظما امر عدوك لاعظم مما بلغك حذرا يكاد يفرط
لتعدله من الاحتراس عظيما ومن المكيدة قويًا من غير ان يفثأك ذلك عن
احكام امورك وتدبير رأيك واصدار رويتك والتأهب لما يحزبك مصغرا له بعد
استشعار الحذر واضطمار الحزم واعمال الروية واعداد الاهبة فان الفيت عدوك
كليل الحد وقم الحزم نضيض الوفر لم يضررك ما اعتددت له من قوة واخذت له
من حزم ولم يزدك ذلك الا جرأة عليه وتسرعًا الى لقائه وان الفيته متوقد
الحرب مستكنف الجمع قوى التبع مستعلى سورة الجهل معه من اعوان الفتنة
وتبع ابليس من يوقد لهب الفتنة مسعرا و يتقدم الى لقاء ابطالها متسرعًا كنت
لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي ولا متلهف
على اضاعة تدبير ولا محتاج الى الاعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك وخوفًا
يقلقك ومتى تغتر بترقيق المرققين وتأخذ بالهوينا في امر عدوك لتصغير المصغرين
ينتشر عليك رأيك و يكون فيه انتقاض امرك ووهن تدبيرك واهمال الحزم في
جندك وتضييع له وهو ممكن الاصحار رحب المطلب قوي العصمة فسيح المضطرب
مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن احكام اسرارهم وضبط مراكزهم لما
يرون فيه من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن وتهاونك بالتدبير فيعود
ذلك عليك في انتشار الاطراف وضياع الاحكام ودخول الوهن مما لا يستقال
محذوره ولا يدفع مخوفه ٠ احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار
عدوك واياك ومعاقبة احد منهم على خبر ان اتاك به اتهمته فيه او سؤت به ظنا
واتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه فترده عليه ولعله ان يكون قد محضت النصيحة
وصدقك الخبر وكذبك الاول او خرج جاسوسك الاول متقدما قبل وصول
هذا من عند عدوك وقد ابرموا لك امرا وحاولوا لك مكيدة وارادوا منك غرة

فازدلفوا اليك في الاهبة ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فارادوا رأيا
واحدثوا مكيدة واظهروا قوة وقربوا موعدا وأموا مسلكا لمدد اتاهم وقوة حدثت لهم
او بصيرة في ضلالة شغلتهم فالاحوال بهم متنقلة في الساعات وطوارق الحادثات
ولكن البسهم جميعًا على الانتصاح وارضخ لهم المطامع فانك لن تستعبدهم بمثلها
وعدهم جزالة المتأوب في غير ما استنامة منك الى ترفيقهم امر عدوك والاغترار
الى ما يأتونك به دون ان تعمل رويتك في الاخذ بالحزم والاستكثار من العدة
واجعلهم اوثق من يقدر عليه وآمن من يسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك
في كل يوم وليلة عندك ان استطعت ذلك فينتقض عليهم برأيك وتدبيرك
ما ابرموا وتأتيهم من حيث امنوا وتاخذ لهم اهبة ما عليه اقدموا وتستعد لهم بمثل
ما حذروا واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا
لك وعليك فنصحوك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثيرا ما يصدقونك
و يصدقونه فلا تبدرن منك فرطة عقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى
من اتهمته على ذلك واستنزل نصائحهم بالمياحة والمنالة وابسط من آمالهم فيك
من غير ان يرى احد منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت
على رأيه عمل الصادر عنه اوورددته عليه رد المكذب به المتهم له المستخف بما اتاه
منه فيفسد بذلك نصيحته و يستدعي غشه وتجتر عداوته واحذر ان يعرف جواسيسك
في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك
و يكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك
في عسكرك عيونا راصدة وجواسيس كامنة وانه لن يقع رأيه في مكيدتك بمثل
ما تكايده به وسيحتال بك كاحتيالك له و يعدلك كاعدادك فيما تزاوله منه و يحاولك
كمحاولتك اياه فيما تقارعه عنه فاحذر ان يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك

فيبلغ ذلك عدوك و يعرف موضعه فيعدله المراصد و يحتال له بالمكايد فان ظفر به فاظهر عقوبته كسر ذلك ثقاة عيونك وخزلهم عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من ينابيعها حتى يصيروا الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لفظا لها بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تامن تواطأهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك واصفاقهم على خيانتك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فأحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو اول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وحيث رجاؤك به نيل املك من عدوك وقوتك على قتاله واحتيالك لاصابة غراته وانتهاز فرصه ان شاء الله فاذا احكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه فول شرطتك وامر عسكرك اوثق قوادك عندك واظهرهم نصيحة لك وانفذهم بصيرة في طاعتك واقواهم شكيمة في امرك وامضاهم صريمة واصدقهم عفافا واجزاهم غناء وا كفاهم امانة واصحهم ضميرا وارضاهم في العامة دينا واحمدهم عند الجماعة خلقا واعطفهم على كافتهم رأفة واحسنهم لهم نظرا واشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقويا له وابسط من امله مظهرا عنه الرضا حامدا منه الابتلاء وليكن عالما بمراكز الجنود بصيرا بتقدم المنازل مجربا ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة له نباهة في الذكر وصيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكره واذكاء احراسه في ليله ونهاره ثم حذره ان يكون منه اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك فتصاب لهم غرة يجترئ بها عدوك عليك و يسرع بهم اقداما اليك و يكسر من افئدة جندك و يوهن من قوتهم فان الصواب في اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم فيك مقو لهم على

شحذ اتباعهم عليك وتصغيرهم امرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضييق عليهم والحصر لهم فيعمهم ازله و يشملهم ضنكه وتسوء عليهم حاله وتشتد به المؤنة عليهم وتخبث له ظنونهم وليكن انزاله اياهم ضاما لجماعتهم مستديرا بهم جامعاً لهم ولا يكن منبسطاً منتشرا متبددا فيشق ذلك على اصحاب الاحراس و يكون فيه النهزة للعدو والبعد من المادة ان طرق طارق في فجآت الليل و بغتاته واوعز اليه في احراسه وتقدم اليه فيهم كأشد التقدم وابلغ الايعاز ومره فليول عليهم رجلا ركينا مجربا جرئ الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيرا بمواضع احراسه غير مصانع ولا مشفع للناس في التنحي الى الرفاهية والسعة وتقدم العسكر والتأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالي و يوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه واعلم ان موضع الاحراس من معسكرك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقا او أرادهم مختاتلا ومراصدها المنسل والآبق من أرقابهم وأعبدهم وحفظها من العيون والجواسيس من عدوهم واحذر ان تضرب على يديه او تشكمه عن الصرامة بمؤامرتك في كل أمر حادث وطار الا في المهم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى نصحك واستوليت على محصول ضميره في طاعتك وأجهد نفسه في ترسك (١) وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك واعانتك وكان نعتك ورويك (٢) وقوتك ودعامتك وتفرغت انت لمكايدة عدوك مريحا لنفسك من هم ذلك والعناية به ملقيا عنك مؤنة باهظة وكلفة فادحة . واعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الاحكام ولا بمثله احد من الولاة لما يجري على يديه من مغاليظ

«١» كذا في الاصل «٢» كذا في الاصل

الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء في عسكرك من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجوه القضايا ومواقعها قد حنكته السن وايدته التجربة واحكمته الامور ممن لا يتصنع للولاية و يستعد للنهزة و يجترىء على المحاباة في الحكم والمداهنة في القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصاف فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت بادي الوقار محتسباً للخير ثم أجر عليه ما يكفيه و يسعه و يصلحه وفرغه لما حملته وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا و بوار الآخرة او شرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقته رويته وصحت سريرته وسلط حكم الله على رعيته مطلقاً عنانه منفذا قضاء الله في خلقه عاملا بسنته في شرائعه آخذا بحدوده في فرائضه واعلم انه من جندك بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية احكامه عليهم النافذة أقضيته بينهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده اليه ان شاء الله ثم تقدم في طلائعك فانها اول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة و بأس وصرامة وخبرة حماة كفاة قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا مرار كؤوسها وتجرعوا غصص درتها ور بتهم بتكرار عواطفها وحماتهم على اصعب مراكبها وذللتهم لثقاف اودها ثم انتقهم على عينيك واعرض كراعهم بنفسك وتوخ في انتقائك ظهور الجلد وشهامة الخلق وكمال الآلة واياك ان تقبل من دوابهم الا اناث الخيول المهلوبة فانها اسرع طلباً وأنجى مهربا والين معطفاً وأنفذ في اللحوق غاية وأصبر في معترك الأبطال اقداماً وخذهم من السلاح بابدان الدروع ماذية الحديد شاكة النسج متقاربة الحلق متلاحمة المسامير واسوق الحديد مموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي وصوغها فارسي رقاق

المعطف بأكف وافية وعمل محكم و يلمق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس وافية الكين مستديرة الطبع مبهمة السرد وافية الوزن كتريك النعام في الصنعة واستدارة التقبيب واستواء الصوغ معلمة باصناف الحرير وألوان الصبغ فانها اهيب لعدوهم وأفت لاعضاد من لقيهم والمعلم مخشى محذور له بديهة رادعة وهيبة هائلة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رقاق الشفرات مسنونة الشحذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر صافية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها امت الصوغ ولا شانها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد أشرعوا الدن القنا طوال الهوادي مقومات الاود زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشحذها متلهب مغافص عقدها منحوته ووصوم اودها مقومة واجناسها مختلفة وكعوبها جعدة وعقودها حبكة سبطة الاسنان محكمة الجلاء مموهة الاطراف مستحدة الجنبات رقاق الاطراف ليس فيها التواء اود ولا امت وصم ولا بها مسقط عيب ولا عنها وقوع امنية مستخفين كنائن النبل وقسى الشوحط والنبع اعرابية التعقيب رومية النصول مسمومة الصوغ وليكن سهامها على خمس قبضات سوى النصول فانها ابلغ في الغاية وانفذ في الدروع واشك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيلهم مستخفين من الآلة والامتعة والزاد الا مالا غناء بهم عنه واحذر ان تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم الى احد من اعوانك او كتابك فانك ان وكلته اليهم اضعت مواضع الحزم وفرطت جيث الرأي ووقفت دون عزم الروية ودخل عملك ضياع الوهن وخلص اليك عيب المحاباة وناله فساد المداهنة وغلب عليه من لا لا يصلح ان يكون طليعة للمسلمين ولا عدة ولا حصنا يدّرئون به و يكتهفون بوضعه والطلائع حصون المسلمين وعيونهم وهو اول مكيدتك وعروة امرك

وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم وانتقاؤك اياهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت مشهور الاسم ظاهر الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وايام طوال وصولات متقدمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته وتنقب لقاؤه امين السريرة ناصح الجيب قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته من لين الطاعة وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب مودتهم واستعداد ضمائرهم واجر عليهم وعليه ارزاقا تسعهم وتمد من اطماعهم سوى ارزاقهم في العامة فان ذلك من القوة لك عليهم والاستنامة الى ما قبلهم واعلم انهم في اهم الاماكن لك واعظمها غناء عنك وعمن معك واقمعها كبتا لحاذك واشجاها غيظا لعدوك ومن يكن في الثقة والجلد والبأس والطاعة والقوة والنصيحة والعدة والنجدة حيث وصف لك امير المؤمنين وامرك به يضع عنك مؤونة الهم ويرخ من خناقك روح الخوف وتلتجئ الى امر منيع وظهر قوي ورأي حازم تأمن به فجعات عدوك وغرات بغتاتهم وطوارق احداثهم ويصير اليك علم احوالهم ومتقدمات خيولهم فاصحبهم (١) رأي عين وقوهم بما يصلحهم من المنالات والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محادر علاقتك (٢) وحصانة كهوفك وقوة سيارة عسكرك واياك ان تدخل فيهم احدا بشفاعة او تحمله على هوادة او تقدمه لاثرة او ان يكون مع احد منهم بغل نقل او فضل من الظهر او ثقل فادح فتستد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من اثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان يدهمهم منه رائع او يفجأهم لهم طليعة فتفقد

«١» كذا في الاصل «٢» كذا في الاصل

ذلك محكماله وتقدم فيه آخذا بالحزم في امضائه ارشدك الله لاصابة الحظ ووفقك ليمن التدبير وقصد بك لاسهل الرأي واعوده نفعاً في العاجل والآجل وأكبته لعدوك واشجاه لهم . ول دراجة عسكرك واخراج اهله الى مصافهم ومراكزهم رجلا من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروفا بالنجدة ذا سن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ونية صادقة عن الادهان تحجزه واضمم اليه عدة نفر من ثقات جندك وذوي اسنانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومره فليضع القواد بانفسهم مع اصحابهم في مصافهم كل قائد بازاء مكانه وحيث منزله قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة والتراس موضونة والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدو وبياته ثم مره فليخرج كل ليلة قائدا من اصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيرا على غلوة او غلوتين من عسكرك متنبذا عنك محيطا بمنزلك ذاكية احراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبة للقتال آخذة على اطراف المعسكر ونواحيه متفرقين في اختلافهم كردوسا كردوسا يستقبل بعضهم بعضاً في الاختلاف ويكسع متقدما في التردد واجعل ذلك بين قوادك واهل عسكرك نوبا معروفة وحصصا مفروضة لا تُعر منها مزدلفاً بمودة ولا تحامل فيه على احد بموجدة ان شاء الله فوض الى امراء جندك وقواد خيلهم امور اصحابهم والاخذ على قافية ايديهم رياضة منك بهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى امراء الاجناد في النوائب التي الزمتهم اياها والاعمال التي استنجدتهم لها والاسلحة والكراع التي كتبتها عليهم واحذر اعتلال احد من قوادك عليك يحول بينك وبين تأديب جنده وتقويمهم لطاعتك

وتمعهم عن الاخلال بمراكزهم لشيء مما وكلوا به من اعمالهم فان ذلك مفسدة للجند مفتاة للقواد عن الجند (١) والايثار للمناصحة والتقدم في الاحكام واعلم ان في استخفافهم بقوادك وتضييعهم امر رؤسائهم دخولا للضياع على اعمالك واستخفافا بامرك الذي تأتمر ورأيك الذي ترتأي واوعز الى القواد ألاَّ يقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه الا عقوبة تاديب وتقويم ميل وتثقيف اود فاما عقوبة تبلغ تلف المهجة واقامة حد في قطع او افراط في ضرب او اخذ مال او عقوبة في شعر (٢) فلا يلينّ ذلك من جندك احد غيرك او صاحب شرطتك بامرك وعن رأيك وادبك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرعهم لامرائهم يوجب لهم عليك الحجة بتضييع ان كان منهم لامرك او خلل ان تهاونوا به من عملك او عجز ان فرط منهم في شيء مما وكلتهم به او اسندته اليهم ولا تجد الى الاقدام عليهم باللوم وعض العقوبة مجازا تصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تذليل اصحابهم لهم وافسادك اياهم عليك وعليهم فانظر في ذلك نظرا محكما وتقدم فيه برفقك تقدما بليغا واياك ان يدخل حزمك وهن او يشوب عزمك ايثار او يخلط رأيك ضياع والله يستودع امير المؤمنين نفسك ودينك . اذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقتربا قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فتنته فتأهب أهبة المناجزة واعد اعداد الحذر وكتب خيولك وعب جنودك واياك والمسير الا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا الاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جنودك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملتجئين الى مواقفهم عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم وليكن ترحلهم وتنزلهم على راياتهم

«١» في نسخة عن الجد «٢» في نسخة في سفر

واعلامهم ومراكزهم قد عرّف كل قائد منهم اصحابه مواقفهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها غير مخلين بما استنجدوا له ولا متهاونين بما اهيب بهم اليه حتى تكون عساكرك في منهل تصل اليه ومفازة تجتازها كانها عسكر واحد في اجتماعها على العدو وأخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها في مراكزها ومعرفتها بمواضعها ان ضلت دابة من موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها فان تقدمك في ذلك واحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة ثم اجعل على ساقتك اوثق اهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة وانصافا من نفسه للرعية وأخذا بالحق في المعدلة مستشعرا تقوى الله وطاعته آخذا بهديك وادبك واقفا عند امرك ونهيك معتزما على مناصحتك فترسك (١) نظيرا لك في الحال وشبيها بك في الشرف وعديلا في الموضع ومقاربا في الصيت ثم اكشف معه الجمع وايده بالقوة وقوه بالظهر وأعنه بالاموال واعمده بالسلاح ومره بالتعطف على ذوى الضعف من جندك ومن ازحفت به دابته واصابته نكبة من مرض او رجلة او آفة من غير ان يأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكرك او التخلف بعد ترحله الا لمجهود سقما او لمطروق بآفة جائحة ثم تقدم اليه محذرا ومره زاجرا وانهه مغلظا في الشدة على من مر به منصرفا من جندك بغير جوازك شادا لهم اسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم موجعا وموجههم اليك فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من تسكن اليه واثقا بنصيحته قد بلوت منه امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مهانته ونفاذا في

«١» كذا في الاصل

امرك برخي عنك خناق الخوف في اضاعته لم يأمن امير المؤمنين تسلل الجند عنك لواذا ورفضهم مراكزهم واخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن اعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اجترمه منهم فاوشاك ذلك في وهنك وحرك من قوتك وقلل من كثرتك اجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر شكم القوة غير مداهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارسا يحشر اليك جندك و يلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لهم في التنكيل بهم وليكن لعقوبك (١) في المنزل الذي ترحل عنه والمنهل الذي تقوض منه مفرطا في النقص له والتتبع لمن تخلف عنك به مشتدافي اهل المنزل وساكنه بالتقدم موعزا اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم عن مكانهم وايعاد العقوبة الموجعة والنكال المبسل في الاشعار والابشار واستصفاء الاموال وهدم العقار لمن اوى منهم احدا اوستر موضعه او اخفي محله وحذره عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمحاباة لذي قرابة والاختصاص بذلك لذي اثرة وهوادة وليكن فرسانه منتجبين في القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وخبب الاستجنان متقلدين سيوفهم سامطين كنائنهم مستعدين لهيج ان بدههم او كمين ان يظهر لهم واياك ان تقبل منهم في دوابهم الا فرسا قويا او برذونا غليظا فان ذلك من اقوى القوة لهم وأعون الظهري على عدوهم ان شاء الله . ليكن رحيلك ابانا واحدا ووقتا معلوما لتخف المؤونة بذلك على جندك ويعلموا أوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة اطعمتهم واعلاف دوابهم وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه و يطمئن ذو الرأي الى ابان الرحيل ومتى يكن رحيلك مختلفاً تعظم المؤونة عليك وعلى

«٢» كذا في الاصل

جندك ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالارجاف وينزلون بالتوهم حتى لاينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة اياك ان تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى تأمر صاحب تعبيتك بالوقوف باصحابه وعلى معسكرك احدا يحيي (١) نومته باسلحتهم عدة لأمران حضر او مفاجأة من طليعة للعدو ان رأت منكم نهزة اولمحت عندكم غرة ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك وافية حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريح وهدوء حملة وحسن دعة فاذا انتهيت الى منزل اردت نزوله او هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله الا بعد العلم باهله والمعرفة بمرافقه ومر صاحب طليعتك ان يعرف لك احواله و يستثير لك علم دفينه و يستبطن علم اموره ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه ليعلم كيف احتماله لعسكرك وكيف ماؤه واعلافه وموضع معسكرك منه وهل لك ان اردت مقاما به او مطاولة عدوك ومكايدته فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن ان تهجم على منزل يعجزك و يزعجك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع مواده ان اردت بعدوك مكيدة او احتجت من أمورهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ولم تجد الى المحاربة والأخطار سبيلا وان اقمت اقمت على مشقة وحصر وفي أزل وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه فان اردت نزولا امرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنحية من معسكرك عدة لامران راعك ومفزعاً لبديهة اذراعتك فقد امنت بحمد الله وقوته فجآت عدوك وعرفت موقعها من حرزك حتى تأخذ الناس منازلهم وتوضع الأثقال مواضعها و يأتيك خبر طلائعك وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بعسكرك وعدة

«١» كذا في الاصل

ان احتجت اليها وليكن دبابات جندك اهل جلد وقوة قائدا او اثنين او ثلاثة باصحابهم في كل ليلة ويوم نوبا بينهم فاذا غربت الشمس ووجب نورها اخرج اليهم صاحب تعبيتك ابدالهم عسساً بالليل في اقرب من مواضع دبابي النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباة لاحد فيه ولا ادهان اياك وان يكون منزلك الا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه الى الحزم ومن مكيدتك اذا وضعت الاثقال وحطت ابنية اهل العسكر لم يمدد طنب ولم يرفع خباء ولم ينصب بناء حتى يقطع لكل قائد ذرعاً معلوما من الارض بقدر اصحابه فيحفروه عليهم خندقا يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك طارحين لها دون اشجار الرماح ونصب الترسة لها بابان قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق كان ذانك الرجلان القائدان بمن معهما من اصحابهما اهلا لذلك المركز (١) ضع تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس لذينك الموضعين «٢» واعلم انك اذا كنت على خندق امنت باذن الله وقوته طوارق عدوك وبغتاتهم فان راموا تلك منك كنت قد احكمت ذلك واخذت بالحزم فيه وتقدمت في الاعداد له ورتقت مخوف الفتق منه وان تكن العافية استحقبت حمد الله عليها وارتبطت شكره بها ولم يضررك اخذ بالحزم لان كل كلفة ونصب ومؤنة انفاق ومشقة عمل مع السلامة غنم ان شاء الله فان ابتليت ببيات عدوك او طرقك رائعا في ليلك (٣) حذرا معدا مشمرا عن ساقك حاسرا عن ذراعك متشزنا لحربك قد قدمت دراجنك الى مواضعها على ما وصفه لك امير المؤمنين ودبابتك في اوقاتها التي قدر لك وطلائعك حيث امرك وجندك على ما طلب لك قد خطرت عليهم بنفسك وتقدمت الى جندك ان طرقهم طارق او

«١» كذا في الاصل «٢» هنا نقص في الاصل قليل (٣) كذا في الاصل

فاجأهم عدو ألا يتكلم احد منهم رافعاً صوته بالتكبير مفرقا في الاجلاب معلنا بالارهاب لاهل الناحية التى يقع بها العدو طارقا وليشرعوا رماحهم ثابتين بها في وجوههم ويرشقونهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمراكزهم غير مزيلي قدم عن موضعها ولا متجاوزين الى غير مركزهم وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون ليعرف موضع عدوك من معسكرك فتمد اهل تلك الناحية بالرجال من اعوانك وشرطك ومن انتخبت قبل ذلك عدة للشدائد بحضرتك وتدس اليهم النشاب والرماح واياك أن يشهروا سيفا يتجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى صدورهم والنشاب راشقين به وجوههم قد البدوا بالاترسة واستجنوا بالبيض والقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الخشوفان صد العدو عنهم حاملين على ناحية اخرى كبر اهل تلك الناحية الاولى وبقية العسكر سكوت والناحية التي صد عنها العدو لازمة مراكزهم ثم عملت في تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك في اخوانهم واياك ان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فاججها ساعرا لها واوقدها حطبا جزلا يعرف بها اهل العسكر مكانك وموضع رواقك ويسكن نافر قلوبهم ويقوي واهي قوتهم ويشتد متحرك ظهورهم ولا يرجمون بك الظنون ويجعلون لك آراء السوء ويرجفون بك آناء الخوف وذلك من فعلك راد عدوك بغيظه لم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله وان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه او كانت لك من فرسانك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم اكساءهم وتحملهم على سننهم فاتبعهم جريدة خيل عليها الثقاة من فرسانك واولو النجدة من حماتك فانك ترهق عدوك وقداً من من بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك

والاخذ بابواب معسكره والضبط لمحارسه عليك موهنة حماتهم لغبة ابطالهم لما الفوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم واصاب منهم وجرح مقاتلتهم وكسر من اماني ضلالهم ورد من مستعلي جماحهم وتقدم الى من توجهه في طلبهم وتتبعه اكساءهم في سكون الريح وقلة الرفث وكثرة التسبيح والتهليل واستنصار الله عز وجل بالسنتهم وقلوبهم سرا وجهرا بلا لجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون ان يردوا على مطلبهم و ينتهزوا فرصتهم ثم ليشهروا السلاح و ينتضوا السيوف فان لها هيبة رائعة و بديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه الا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي والمستميت المقاتل وقليل ماهم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع ليكن ما تقدم به في التهيؤ لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك ذوى البأس والحنكة والجلد والصرامة ممن قد اعتاد طراد الكماة وكثر عن ناجذه في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران ثقف الفروسية مجتمع القوة مستحصد المريرة صبورا على هول الليل عارفا بمناهزة الفرص لم تمهنه الحنكة ضعفا ولا بلغت به السن كلالا ولا اسكرته غرة الحداثة جهلا ولا ابطرته نجدة الاغرار صلفاً جريأ على مخاطرة التلف مقدما على ادراع الموت مكابرا لمهيب الهول مقتحما مخشي الحتوف خائضاً غمرات المهالك برأي يؤيده الحزم ونية لا يخالجها الشك واهواء مجتمعة وقلوب مؤلفة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل اهلها من التأييد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأي عين على كراعهم واسلحتهم ولتكن دوابهم اناث عتاق الخيول واسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجوهر وصافي الحديدة المتخيرة من معادن الاجناس هندية الحديد او تبتية يمانية الطبع رقاق المضارب مسمومة الشحذ مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية

التعقيب معلمة المقابض بحلق الحديد انحاؤها مربعة ومخارزها بالتجليد مضاعفة محملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي قد استحقبوها وقسى الشريان والنبع اعرابية الصنعة مختلفة الاجناس محكمة العمل مقومة التثقيف ونصول النبل مسمومة وعملها مصيصى وتركيبها عراقي وتريشها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الاعمال في التشطيب والتجنيح والاستدارة ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة السية سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمي واسعة الاسهم فرضها سهلة الورود ومعاطفها غير مقترنة المواتاة ثم ول على كل مائة منهم رجلاً من اهل خاصتك وثقاتك ونصحائك له صيت في الرياسة وقدم في السابقة واولية في المشايعة وتقدم اليه في ضبطهم وكف معرتهم واستنزال نصائحهم واستمداد طاعتهم واستخلاص ضمائرهم وتعاهد كراعهم واسلحتهم معفيا لهم من النوائب التي تلزم اهل عسكرك وعامة جندك واجعلهم عدة لامر ان حزبك او طارق ان اتاك ومرهم ان يكونوا على اهبة معدة وحذر ناف لسنة الغفلة عنهم فانك لا تدري اي الساعات من ليلك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشمير والترادف وسرعة الاجابة فانك عسيت ان لا تجد عند جماعة جندك في مثل تلك الروعة والمباغتة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا اهبة معدة بل ذلك كذلك فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدتك وقوتك بعوثاً قد وظفتها على القواد الذين وليتهم أمورهم فسميت اولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً فان اكتفيت فيما يطرقك و يبدهك ببعث واحد كان معدا لم تحتج الى انتخابهم في ساعتك تلك فقطع البعث عليهم عند ما يرهقك وان احتجت الى اثنين او ثلاثة وجهت منهم ارادتك او ما ترى قوتك ان شاء الله ٠ وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً ناصحا

امينًا ذا ورع حاجز ودين فاصل وطاعة خالصة وامانة صادقة واجعل معه خيلا يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزائنك وحولها وتقدم اليه في حفظها والتوقي عليها واتهام كل من يسند اليه شيأً منها على اضاعته والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير او ضامها في منزل او خالطها في منهل وليكن عامة الجند والجيش الامن استخلصت للمسير معها متنحين عنها مجانبين لها في المسير والمنزل فانه ربما كانت الجولة وحدثت الفزعة فان لم يكن للخزائن ممن يوكل بها اهل حفظ لها وذب عنها وحياطة دونها وقوة على من اراد انتهابها اسرع الجند وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان اهل الفتن وسوء السيرة كثير وانما همتهم الشر فاياك ان يكون لاحد في خزائنك وذواو ينك مطمع او يجدوا سبيلا الى اغتيالها ومرزأتها . اعلم ان احسن مكيدتك اثرًا في العامة وابعدها صيتًا في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بجزم الروية وحسن السيرة ولطف الحيلة فلتكن رو يتك في ذلك وحرصك على اصابته بالحيل لا بالقتال وأخطار التلف وادسس الى عدوك وكاتب رؤساءهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنّهم الولايات وسوغهم التراث وضع عنهم الاحن واقطع اعناقهم بالمطامع واستدعهم بالمناوب واملأ قلوبهم بالترهيب ان امكنتك منهم الدوائر وأصارتهم اليك الرواجع وادعهم الى الوثوب بصاحبهم واعتزاله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتبا كانها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على ألسنتهم كتبا اليك تدفعها فيهم وتحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعتهم واحن قلوبهم وسوء الظن من واليهم بهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على انفسهم اذا ايقنوا باتهامه اياهم فان بسط

يده فقتلهم واولغ سيفه في دمائهم وأسرع الوثوب بهم اشعرهم جميعا الخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الهرب فتهافتوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب وان كان متأنيا محتملا رجوت ان تستميل اليك بعضهم و يستدعى الطمع ذوى الشره منهم وتنال بذلك ما تحب من اخبارهم ان شاء الله . اذا تدانى الصفان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب وعبأت اصحابك لقتال عدوهم فاكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله عز وجل والتفوض اليه ومسألته توفيقك وارشادك وان يعزم لك على الرشد المنجي والعصمة الكائنة والحياطة الشاملة ومر جندك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة وكثرة التكبير في انفسهم والتسبيح بضمائرهم وألاّ يظهروا تكبيرا الا في الكرات والحملات وعند كل زلفة يزدلفونها فاما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن وليذكروا الله في انفسهم و يسألوه نصرهم واعزازهم وليكثروا من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شوكته المستحدة وأيدنا بملائكتك الغالبين واعصمنا بقوتك من الفشل والعجز انك ارحم الراحمين وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة وقوم موقوفون يحضونهم على القتال و يحرضونهم على عدوهم و يصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم و يذكرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم اهلها وسكانها و يقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم والتجؤوا اليه يمنعكم وان استطعت ان تكون أنت المباشر تعبية جندك ووضعهم مواضعهم من راياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك ذو سن وتجربة ونجدة على التعبية التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه فافعل ان شاء الله تعالى أيدك الله بالنصر وغلب لك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزيغ واوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء

ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله و بركاته وكتب سنة تسع وعشرين ومائة

٣٠٢ رسالته التي أوصى فيها الكتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وأبواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها و بنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لايستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولانزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج في نفسه و يحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام محجاما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي

به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل امر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفهموا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة وار بؤوا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله و يثوب اليه امره وان اقعد احداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه و يصدق ذلك فعله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه

فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولى الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكماً وللاشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن اذاهم متخلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً واذا صحب احدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وان خاف منها شرود اتوقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما امكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه

وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على افعالكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الآداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي في منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لاعباء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل

وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٠٣ وكتب الى احد الخلفاء يعزيه بامرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله امتع امير المؤمنين من انسيته وقرينته متاعاً مدة الى اجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها انفس منها في المنقلب وارجح في الميزان واسنى في العوض فالحمد لله رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون

٣٠٤ وكتب عناية بانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

حق موصل هذا الكتاب اليك كحقه عليّ اذ جعلك موضعاً لامله ورآني اهلاً لحاجته وقد انجزت حاجته فحقق امله

٣٠٥ وكتب الى اهله وهو منهزم

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها وقد كانت اذاقتنا افاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تتم البلية الى

اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار واسأل الله الذي يعز من شاء ويذل من شاء ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون

٣٠٦ وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
الى بعض اخوانه يعاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد عاقني الشك في امرك عن عزيمة الرأي فيك وذلك انك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ثم اعقبتني جفاء عن غير جريرة فاطمعني اولك في اخائك وايأسني آخرك عن وفائك فلا انا في اليوم مجمع لك اطراحاً ولا انا في غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأي في امرك عن عزيمة الشك فيك فاجتمعنا على ائتلاف او افترقنا على اختلاف والسلام

٣٠٧ وكتب وهو في السجن الى ابي مسلم
صاحب الدعوة يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الاسير في يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه (اما بعد) فآتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية والهمك عدل القضية فانك مستودع ودائع ومولي الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عارية والصنائع مرعية وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا بمبلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك واعط من نفسك من هو تحتك ما تحب ان يعطيك من هو فوقك

من العدل والرأفة والامن من المخافة فقد انعم الله عليك بأن فوض امرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت فان علينا من سمك الحديد وثقله اذى شديد مع معالجة الاغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى فمتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً وودا صحيحاً لا يضيع مثلك مثله ولا ينفي مثلك اهله فارع حرمة من ادركت بحرمته واعرف حجة من فلجت بحجته فان الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء يمشون في الابراد ونحن نحجل في الاقياد بعد الخير والسعة والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان صريح الاخبار منجي الابرار الناس من دولتنا في رخاء ونحن منها في بلاء حين امن الخائفون ورجع الهاربون رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن فانك امين مستودع ورائد مصطنع والسلام ورحمة الله

٣٠٨ خطبة محذوفة الراء لواصل بن عطاء

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل انشأه ابتداعاً وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه وتم مشيئته وأوضح حكمته فدل على الوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم واشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا

تبلغه الاوهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يُعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ويعلم ما يفعلون واشهد شهادة حق وقول صدق بأخلاص نية وصحة طوية ان محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته وصفيه ابتعثه الى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصده عنه زعم زاعم ماضياً على سنته موفياً على قصده حتى اتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد افضل وازكي واتم وانمى واجل واعلى صلاة صلاها على صفوة انبيائه وخالصة ملائكته واضعاف ذلك انه حميد مجيد اوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانبة لمعصيته واحضكم على ما يدنيكم منه ويزلفكم لديه فان تقوى الله افضل زاد واحسن عاقبة في معاد ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها فانها متاع قليل ومدة الى حين وكل شيء منها يزول فكم عاينتم من اعاجيبها وكم نصبت لكم من حبائلها واهلكت ممن جنح اليها واعتمد عليها اذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما اين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع واوثقوا الابواب وكاثفوا الحجاب واعدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا التلاد قبضتهم بمخلبها وطحنتهم بكلكلها وعضتهم بانيابها وعاضتهم من السعة ضيقاً ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء فسكنوا اللحود واكلهم الدود واصبحوا لا ترى الا مساكنهم ولا تجد الا معالمهم ولا تحس منهم من احد ولا تسمع لهم نبسا فتزودوا عافاكم الله فان افضل الزاد التقوى واتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بمواعظه ويعمل لحظه وسعادته وممن يستمع القول فيتبع احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب ان احسن قصص المؤمنين وابلغ مواعظ المتقين

كتاب الله الزكية آياته الواضحة بيناته فاذا تلي عليكم فانصتوا له واسمعوا لعلكم تفلحون اعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي ان الله هو السميع العليم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

(ثم قال)

نفعنا الله واياكم بالكتاب الحكيم والوحي المبين واعاذنا واياكم من العذاب الاليم وادخلنا واياكم جنات النعيم

٣٠٩ وكتب بشر البلوى الى يزيد بن منصور عامل أبي جعفر المنصور على اليمن يعتذر

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانه قدم على كتاب من الامير حفظه الله مع رسوله نعمان الهمداني يأمرني أن أبعث اليه بفرض الفرات بن سالم وانا اخبر الامير اكرمه الله انه كان قدم علينا قبل كتابه كتاب الله تعالى مع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيه ان نفرق ما جمع الفرات وان نهدم ما بني وان نوالي من عادي وان نعادى من والي ونظرت في الرسالتين وقست بين الرسولين لغير تحير عرض ولا لشبهة بحمد الله دخلت فرأيت ان لا انقض ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لما قدم به النعمان لعنه الله وغضب عليه وعلمت انه من يزغ منا عن امر الله يذقه من عذاب السعير فليقض الامير حفظه الله فيّ ما كان قاضياً ثم ليعجل ذلك ولا ينظرني فوالله ان العافية لفي عقابه وان العقاب لفي عافيته وان الموت لخير من الحياة معه اذا كان هذا الجد منه والحق عنده والسلام



٣١٠ وكتب الى ابراهيم بن عبد الله الحجبي والى صنعاء لهارون الرشيد يشكو

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان رأى الأمير امتع الله به ان لا يعلم هشاماً ما يريد من صلتي فانه لم يردني وآلى قط بخير ولم يفتح لي باب صلة فتكون منه خالصة لا يريد بها الا وجه الله وحده ولا يرجو بها الا ثوابه الاعرض هشام من دونها فثقلها وكثرها وادار القياس فيها وضرب لها الامثال والقى الحيلة فيها الى الكاتب والحاجب وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ومدحني بما لا يسمع به من اخلاقي وانتقصني فيما لا يطمع بغيره مني ليكون ما اظهر من المدحة مصدقاً لما اسر من العيبة ثم زخرف ذلك بالموعظة وزينه بالنصيحة وقاربه بالمودة واعراه من ناحية الشفقة وشهد عليه اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا الحاجب يزلقني ببصره واذا الكاتب يسلقني بلسانه واذا الخادم يعرض عني بجانبه واذا الوالي ينظرني نظر المغشى عليه من الموت فصارت وجوه النفع مردودة وابواب الطمع مسدودة واصبح الخير الذي كنت ارجوه هشيما تذروه الرياح والصلة التي كنت اشرفت عليها صعيداً زلقاً واصبح ماؤها غوراً فما استطيع له طلباً فاسأل الذي جعل لكل نبي عدواً من المجرمين ان يكفيني شره و يصرف عني كيده فانه يراني هو وقبيله من حيث لا أراهم والسلام

٣١١ وكتب اليه ايضاً يستمنحه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان الله وله الحمد قد كان عرضني وجوهاً كثيرة وخيرني في

مكاسب حلال و كنت بتوفيق الله عز وجل واحسانه قد اخترت منها ناحية الامير حفظه الله تعالى ورضيت به من كل مطالب واقتصرت على رجائه من كل مكسب فاثابه الله عز وجل فتحاً قريباً ومغانم كثيرة عجلها وكان الله عزيزاً حكيما وقد عرف الامير حفظه الله تعالى طول مودتي له وقديم حرمتي واني ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل ثم اني لم انافق بعد النصرة ولم اكن كحاطب حين التقى بالمدة ولا كتميم يوم نادوا من وراء الحجرات بل اقمت على مكانتي واصطبرت على عسرتي حتى جاء الفتح من عند الله وطلع الامير حفظه الله فلما ظهر وتمكن ورجونا الغنى معه حين ايسر واثخن والعز تماماً على الذي احسن قرب الاحزاب واوفي المخالفين من الاعراب وآثر بالفيء من لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب واصبحت اياديه عند المؤلفة قلوبهم ومن كان يلمزه في الصدقات منهم وصنائعه عند المعذرين من الاعراب الذين جاؤوا من بعدهم ظاهرة في الآفاق وفي انفسهم واصبح نقباء العقبة وفقراء الهجرة ومساكين الصفة تفيض اعينهم من الدمع حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون والسابقون الاولون منا ومن اهل النصرة يرجون لامر الله فان رأى الامير حفظه الله تعالى ان يعطف علينا من قبل ان يزيغ قلوب فريق منا فعل فان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ولست ادري ما ذا اعتذر به اليوم الى الناس في امرى عن الامير وهم يعلمون اني قد رأيت فيه ثلثي املي ولم ابلغ في نفسي ربع رجائي ام ما ذا ينتظر الامير حفظه الله فيّ بعد ان آتاه الله الملك وعلمه الحكمة ومكنه من خزائن الارض وجعله في الدنيا وجيها وفي الاسلام مكينا وعند الخليفة ابقاه الله تعالى مطاعاً امينا فمن يفر الامير بعد هذه النعمة او من يعذره مع هذه الكرامة ومن يرضى منه باقل من جبرانه الا من سفه نفسه والسلام

٣١٢ وكتب اليه ايضاً وكان نهى بشرا عن التعرض للوزراء ولاهل العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانك كتبت اليّ تنهاني عن السلطان وعن قربه ولست اعتذر اليك في ذلك ان دعاني السلطان سارعت وان ابطأ عني تعرضت فان كان الله تبارك وتعالى احل لك خدمة امير المؤمنين ومنادمة الفضل ومسامرة جعفر واباح لك ان تأخذ من اموالهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وحرم عليّ مكاتبة الشرط ومراسلة البرد والتخدم للخصان والتعرض للدايات وحصر عليّ من اموالهم ما اسد به الفورة وأواري به العورة فانا الهالك وانت الناجي وان لم يكن الامر على ذلك وكان لكل امرئ منا ما اكتسب من الاثم فانت الذي تولي كبره منهم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه والسلام

٣١٣ وكتب الى يحيى بن خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني كتبت اليك كتبا لم ار لشيء منها جوابا ولست امتع الله بك اتكبر عن مواترة الكتب اليك ولا استنكف على تركك الكتاب اليّ لان مثلك لا يكتب الى ضعيف مثلي الا بعون الله وتأييده ولا يلقى الحكمة كتابه الا بتوفيق الله عز وجل واحسانه ولعلك امتع الله بك لم يوافق نزول ذلك من ربك فانه تبارك وتعالى يقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير والسلام

٣١٤ وكتب اليه ايضاً يستمتع بالحجبي المذكور

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حفظ الله ابا علي حفظ لك ما استحفظك من دينك وامانتك

وخواتيم عملك اما ما تحب ان ينتهي اليك علمه من قدوم الحجبي علينا وما عمل به فينا وعلى ما اصبح المسلمون معه قبلنا فكل ذلك بحمد الله تعالى ونعمه على افضل سرورك وأعظم رجائك ومنتهى املك من سكون الدهماء وامان السبل وحسن الحال وتتابع الامطار وقد اصبح الناس بحمد الله رُحماء بينهم لا يسمع الا سلاما سلاما فذلك ان الحجبي لما قدم علينا فزع الى خيار الناس واهل الصلاح منهم فقربهم وأدناهم وغلظ على اهل الفجور والريبة وابعدهم واقصاهم وبعث لحملة القرآن فلما اجتمعوا اليه من اطراف البلاد تخير الفقهاء وذوي الرأي منهم فجعلهم بطانته واهل مشاورته وبعث اكثرهم عمالا على كثير من نواحي عمله وعهد اليهم ما عهد اليه امير المؤمنين في اخذ الصدقات والزكاة على وجوهها وقسم السهمان موفرة بين اهلها وأعلمهم ان امير المؤمنين لم يأمره ولا من قبله من ولاة اليمن وغيرها الا بالعدل والاحسان وان امير المؤمنين يبرأ الى الله من ظلم كل ظالم وجور كل جائر وانه قد خلع ما يتقلد به عن رقبته وجعله في دين الحجبي وامانته فلم يبق عند ذلك فرقة من فرق المسلمين ولا جماعة من الصالحين ولا احد من الفقراء المساكين الا دعا لأمير المؤمنين بطول البقاء ثم دعوا لك يا أبا علي بافضل الدعاء ونشروا عنك احسن الثناء لما ساقه الله اليهم بسببك وجعله بيمن موازرتك واجراه لهم على لسانك ويدك ولما اخذ الحجبي فيهم من ورائك فانا قد عرفناه بالرفق الذي ليس معه ضعف وبالشدة التي ليس معها عنف وبالجد الذي لا يخالطه هزل ثم هو مع ذلك قليل الغفلة شديد التهمة لا يتكل على كتابه ولا يفوض امره الى امنائه ولا يطمئن الى جلسائه حتى يتفقد الاشياء بنفسه فيورد ما حضر منها على عينه ويصدر ما غاب عنه منها على علمه لا يمنعه من مطالبة الصغير مزاولة الكبير قد احكم السياسة ورسخ في التدبير

فأشد الناس خوفاً لغضبه ارجاهم جميعاً لمثوبته واقلهم اماناً لعقوبته اطولهم لزوماً لمجالسته قد اشغل كلا بنفسه فأقبل كل على شأنه فليس احد يجاوز حده ولا يعدو قدره ولا يتكلم الا فيما يعنيه ولسنا نراه بحمد الله يزداد في كل يوم الا شدة ولا تزداد الامور معه الا احكاماً فليس لمغتاب اليه سبيل ولا لمنتقص معه طمع والسلام

٣١٥ وكتب الى علي بن سليمان وكان والياً للمهدي على اليمن يعاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانه لما اختلط عليّ من عقلي واشتبه على من رأيي وشككت فيه من امري فلست اشك في ان الله تبارك وتعالى اذا اراد ان يقدر عليّ رزقي وان يبتليني بالشدة على عيالي اطالعك على ذات طمعي ودلك على وجه طلبي وجعلك جليساً لاهل حاجتي ثم ابتلاني بطلبها اليك فاذا ذكرتها اسفرت وابشرت ووعدت من نفسك وعداً حسنا ففرقت نفقتي لاسفارك ووسعت على عيالي لابشارك وتسلفت من اخواني لوعدك فاذا اتيتك منتجزاً عبست وبسرت ثم ادبرت واستكبرت وقد تصرمت النفقة وانقطع الرجاء وايست من الطمع كما يئس الكفار من اصحاب القبور واعظم ذلك عندي كرباً واشده جهداً ان غيرك يعرض عليّ الحاجة التي طلبتها اليك فأكره ان تكون الا بسببك وان تجري الا على يديك ولعمري ما كان ذلك الا لسابق العلم في شقوتي بك فأسأل الله عز وجل الذي جعل جاهتك من بليتي وحسن منزلتك من مصابي وطول حياتك فتنة لعيالي ان ينقلك الى جنته قبل ان يرتد اليك طرفك والسلام

٣١٦ وكتب ينصح بشار بن رضابه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني رأيتك في اول زمانك تغدو على العلماء وتروح عنهم وتحدث عن الله وعن ملائكته ورسله وقد اصبحت تحدث عن معن وعن عماله وعن ابي مسلم وعن اصحابه فبئس للظالمين بدلا فمن خلفت على اهلك او على من تتكل في هول سفرك او بمن تثق في حال غربتك ابا لله ام عنيه وكيف ولست اخشى عليك الا من قبله لانه قد اعذر اليك وانذر فعصيت امره واطعت اعداءه وخرجت مغاضباً تظن ان لن يقدر عليك فائق على نفسك الزلل وانزل من دابتك في كل جبل فاذا استويت انت ومن معك على ظهورها فلا تقل سبحان الذي سخر لنا هذا لان الله تبارك وتعالى قد كره ان يحمد على ما نهى عنه ولكن قل ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفاً في النار

٣١٧ وكتب الى الشافعي يهجو عبد الله بن مصعب

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانك تسألني عن عبد الله كأنك هممت به اذ سرك القدوم عليك فلا تفعل يرحمك الله فان الطمع بما عنده لا يخطر على القلب الا من سوء التوكل على الله عز وجل وان رجاء ما في يده لا يكون الا بعد اليأس من روح الله لانه يرى الاقتار الذي نهى الله عنه هو الاسراف الذي يعذب الله عليه وأن الصدقة منسوخة وأن الضيافة مرفوعة وأن ايثار المرء على نفسه عند الخصاصة احدى الكبائر الموجبة الهلكة وكأنْ لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى الذين قطع الله دابرهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وكأنّ الرجفة لم تصب اهل مدين عنده الا لسخاء كان فيهم ولم يهلك الريح العقيم عادا الا لتوسع ذُكر

منهم وهو يخاف العقاب على الانفاق و يرجو الثواب على الاقتار ويَعد نفسه الفقر و يأمرها بالبخل خيفة ان ينزل به بعض قوارع الظالمين و يصيبه ما اصاب القوم المجرمين فاقم يرحمك الله على مكانك واصطبر على عسرتك وتربص به الدوائر عسى الله ان يبدلنا واياك خيرا منه زكاة واقرب رحما والسلام

٣١٨ وكتب الى آخر يؤنبه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاني رأيتك في أمر دينك متصنعا مخذولا وفي امر دنياك فاجرا مثبورا وتلك خصال لا تجتمع في مسلم الا بسوء سريرة او مقارفة كبيرة او اضمار عظيمة يعم بها اولياء الله و يخص بها ولد رسول الله ومن آيات ذلك أنها تشمئز قلوب اهل الحرمين اذا ذُكرتَ وتقشعر قلوب اهل المصرين اذا مدحت وأنهم لا يزدادون لك الا بغضا ولا في الشهادة عليك الا قطعا لمعرفتهم بك قديما وعلمهم بحالك صغيرا وكبيرا فلعمري لئن كنتَ الى يومك هذا كما زعموا انك اذاً من المستهزئين ولئن كنت قد نزعت عما عهدوا ما اخلصت لله اذاً توبتك ولا صدقت نيتك وان في ايمانك لضعفا وان في نفسك لوهنا وان في صدرك لكبرا وان في قلبك لقساوة وان في معيشتك لاسرافا وما احسبه صح في يدك من زينة الله التي أخرج لعباده وارزاقه الطيبة التي بسطها على خلقه ما تبلغ به لذة ولا تقضي به ذمة لان ذلك لم يصل اليك الا ببغي المسلمين وبطانة المستهزئين وافك المفترين فلا احسبك اذا كنت بهذا واشباهه تبرأ بشيء من كسبك عن شيء من دَينك الى احد من غرمائك الا صرت ممن يبرأ من ذلك الى اهل الارض غريما لاهل السماء ولا تصل بشيء من جمعك احدا من ذوي قرابتك الا كانت مسألة الله اياك عن قطيعتهم أهون عليك من

محاسبته اياك بما يصل اليهم ولا تنفق نفقة صغيرة ولا كبيرة الا وقعت لك في سجين ولا ترفع منزلة الا هبطت بك في اسفل السافلين وما سلم قلبك حتى عرفت به وصليت في المشرق الا من ضعف قلبك ولا صح عقلك حتى رجَّب اهلك الا من قلة عقلك ولو نفرت في الارض حيرانَ على وجهك او سرت الى الجبال هاربا من خطيئتك او ترمت العظام مع الكلاب او ولغت فضول الماء مع السباع لكان ذلك بقدر جرمك خفضا ودعة من جنائك و بقدر عملك رغدا من معيشتك ولو ابيضت عيناك من الحزن وعضضت على يديك فابنتهما من الغبن وتقطع قلبك من الهم او ذهبت نفسك حسرات لما كان ذلك أَرش ما خرجت به من دينك ولا ندر ما لويت به من امانتك ولا قيمة ما فاتك من ربك فاذا بلغت من نفسك المسكينة ما بلغت ورضيت عنك نفسك الضعيفة ما صنعت فلا تجعل مع الله الها آخر فتقعد ملوما مخذولا

٣١٩ وكتب ايضاً يهجو

اما بعد فان من الناس من تحمل حاجته اهون من فحش طلبه ومنهم من حمل عداوته اخف من ثقل صداقته ومنهم من افراط لائمته احسن من قذر مدحته وان الله خلق فلانا ليغم الدنيا و يقذر به اهلها فهو على قذره فيها من حجج الله على اهلها فاسأَل الذي فتن الارض بحياته وغم اهلها يبقائه ان يديل بطنها من ظهرها والسلام

٣٢٠ خطبة لداود بن علي خطبها بمكة

شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبني فيكم قصرا اظن عدو الله ان لن نقدر عليه أَن روخي له في خطامه حتى عثر بفضل زمامه فالآن حيث اخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك في نصابه في اهل

بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فُرُشنا أَمن الاسودُ والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية لا نهيج منكم احدا

٣٢١ رسالة ابن المقفع المسماة بالدرة اليتيمة

(الخطبة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين قال عبد الله ابن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجسادا واوفر مع اجسادهم احلاماً واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً فكان صاحب الدين منهم ابلغ في امر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية و كفونا به مؤونة التجارب والفطن و بلغ من اهتمامهم بذلك أَن الرجل منهم كان يُفتح له الباب من العلم والكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه على الصخور مبادرةً منه للاجل وكراهيةً لان يُسقط ذلك على من بعده فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي يجمع لهم الاموال والعُقد ارادة أَن لا تكون عليهم مؤونة في الطلب وخشية عجزهم ان هم طلبوا فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذي نجد في كتبهم هو المنتحل في آرائهم والمنتقى من

احاديثهم ولم نجدهم غادروا شيأ يجد واصفٌ بليغٌ في صفة له مقالاً لم يسبقوه اليه
لا في تعظيم الله عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها
ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامه وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين
مآخذهم ولا في وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الام
لقائل بعدهم مقال وقد بقيت اشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن
مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعض ما انا كاتب في كتابي
هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

(المقدمة)

يا طالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيرًا من الناس يطلبون
الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دركهم دركا ومن احرز الاصول
اكتفى بها عن الفصول وان اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل فاصل
الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدي
الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم أنه ان حرمه
هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل
واكمل واصل الامر في اصلاح الجسد ألاّ تحمل عليه من المآكل والمشارب
والباه الا خفافًا وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضارّه والانتفاع
بذلك فهو افضل ٠ واصل الامر في البأس الاّ تحدث نفسك بالادبار واصحابك
مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون اول حامل وآخر منصرف من غير
تضييع للحذر فهو افضل ٠ واصل الامر في الجود الاّ تضن بالحقوق عن اهلها ثم
ان قدرت ان تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل
واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع

الصواب فهو افضل ٠ واصل الامر في المعيشة ان لا تني عن طلب الحلال وان
تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ولا يغرّنك من ذلك سعةٌ تكون فيها فان اعظم
الناس في الدنيا خطرًا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة
لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لاقوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على
الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل وانا واعظك في اشياء من
الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقًا ان تعلمها
وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على
محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته
المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها

(الوالي ومعاشروه)

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعلم ان من العجب ان يبتلي الرجل بها
فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته
وانما الرأي له والحق عليه ان ياخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه
ونومه وحديثه ولهوه ونسائه فاذا تقلدت شيأً من الاعمال فكن فيه احد رجلين
اما رجلاً مغتبطًا به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلاً كارهًا فالكاره
عامل في سخرة اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره واياك
اذا كنت واليًا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس
ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يتقحمون عليك منها وبابًا يفتحونك منه وغيبة
يغتابونك بها و يضحكون منها ٠ اعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان
يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب
لتكن حاجتك في الولاية الى ثلاث خصال رضا ربك ورضا سلطان ان كان

فوقك ورضا صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهو عن المال والذكر فسياتيك منهما ما يكفي و يطيب واجمل الخصال الثلاث بمكان ما لابد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بدا اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك و بطانتك وثقاتك ولا يقذفنّ في روعك أنك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريده للانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلهما عند اهل الفضل ان يقال لايتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي انك ان تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين وما حاجتك الى رضا من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضا الاخيار منهم وذوى العقل فانك متي تصب ذلك تضع عنك مؤونة ماسواه لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم لتعرف رعيتك ابوابك التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها · احرص الحرص كله على ان تكون خبيرًا بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك · ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرّع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجتري به سفيه او يستخف له شانئ · لا تتركن مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيرًا ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعًا · اعلم ان رأيك لا يتسع لكل

شيء ففرّغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق وان كرامتك لا تطيق العامة فتوخ بها اهل الفضائل وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فأحسن قسمتهما بين دعتك وعملك واعلم انك ماشغلت من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضرّ بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة اعلم ان من الناس ناسًا كثيرًا يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضا اذا رضا ان يتبرع بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده و يعطي من لم يكن اعطاه و يكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد أسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرّطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله او يتخبطه المس من يعاقب في غضبه غير من اغضبه و يحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزًا في صفته · اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فأما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر اذا كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت امرًا استقام بغير رأي واعوانًا

جزوا بغير نيل وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنك ذلك فلا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الأمر بني على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم اوشك ان يتداعي ويتصدع لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احداها من الكبر والاخرى من السخف اذا كنت لا تضبط امرك ولا تصول على عدوك الا بقوم لست منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحولهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد ولا تغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذراً في تخوف الفقر وليس له ان يكون حقوداً لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس فليتق ان يكون حلافاً واحق الناس باتقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرعٌ وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عي بالكلام حتى يجعل الأيمان له حشواً ووصلاً واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عبث في القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير لاعيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوض مادون ذلك الى الكفاة . كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان الحسن

ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه ربما مع ما يقيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالي الذي ما قال او فعل كان امرا نافذا غير مردود . ليعلم الوالي أن الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التي يوصفون بها ليتفقد الوالي فيما يتفقد من امور الرعية فاقة الاحرار منهم فليعمل في سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . لا يحسدن الوالي من دونه فانه في ذلك اقل عذراً من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكلٌ لا عذر له . لا يلومن الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه الا لوم ادب وتقويم ولا يعدلن بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي احداً فانهما اذا اجتمعا في الوزير او الصاحب نام الوالي واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعمل فيما يهمه وان غفل ولا يولعن الوالي بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيباً موفوراً يروح به عن قلبه ويصدر به اعماله . لا يضيعن الوالي التثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعند ما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث . ليعلم الوالي ان الناس على رأيه الا من لا بال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فيستكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الارض . جماع ما يحتاج اليه الوالي رأيان رأي يقوي سلطانه ورأي يزينه في الناس ورأي القوة

احقهما بالبداية واولاهما بالأثرة ورأي التزيين احضرهما حلاوة واكثرهما اعواناً مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطة في غير معاتبة ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً اذا رأيت احدهم يجعلك اخاً فاجعله اباً ثم ان زادك فزده اذا نزلت من ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيراً واجلالاً من غير ان يزيدك وداً ولا نصحاً وانك ترى حقاً له التوقير والاجلال وكن في مداراته والرفق به كالمؤتنف ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدل على ذي السلطان بقدمه قد اضر به قدمه · لا تعتذرن الا الى من يحب ان يجد لك عذراً ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك ولا تحدثن الا من يرى حديثك مغنماً مالم يغلبك الاضطرار اذا غرست من المعروف غرساً وانفقت عليه نفقة فلا تضنن بالنفقة في تربية ما غرست فتذهب النفقة الاولى ضياعاً اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجه مشرق وبشر طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا زينة في الرخاء وعدة في الشدة ومعونة على المعاش والمعاد فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم اعلم انك واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابهة التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيراً ممن يرغب في امثالهم فاذا رأيت احداً من اولئك قد عثر به الزمان فأقله اذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما عظمه ووقره · ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة

الا على شعبة من قرابة او مودة فافعل فان اخطأك ذلك فاعلم انك تعمل على عمل السخرة وان استطعت ان تجعل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروءتك قبل ولايته فافعل · ان الوالي لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولي فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يثني عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال هم اشد لذلك تصنعاً وعليه مكابرة وفيه تمحلا فلا يمتنع الوالي وان كان بليغ الرأي والنظر من ان ينزل عنده كثير من الاشرار بمنزلة الاخيار وكثير من الخانة بمنزلة الامناء وكثير من الغدرة بمنزلة الاوفياء ويغطي عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحل والتصنع لا يعرفنك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشعرنه بشيء من الهوى فان الرأي يقبله منك العدو والهوى يرد به عليك الوالد واحق من احترست من ان يظن بك خلط الراي بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة وكفر · ان ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم انك قد خيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب واعلم انه لا ينبغي لك وان كان الوالي غير مرضي السيرة اذا علقت حبالك بحبله الا المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلا تبصر ما في الوالي من الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأي الذي يرضى له والذي لا يرضى ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان هذه رياضة صعبة تحمل على التنائي والقلى واعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة

والمناقضة وان لم يجمح عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي واذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذي يبصره الخطأ بالطف من تبصيرك وأعدل من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضاً ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطأ فاحفظ هذا الباب وأحكمه ولا يكونن طلبك ما عند الوالي بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وان طالت الاناءة فانك اذا استحققته اتاك من غير طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له . لا تخبرن الوالي ان لك عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك وبلاءك فافعل وليكن ما تذكره من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر بذكره اول بلائك واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عنه الآخر نسي الاول وان الكثير من أولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الا عمن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم اياك ان يقع في قلبك تعتب على الوالي او استزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليما وبدا على لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك لآمن الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالي فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالي كان قلبه هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبرا وتلتمس مرضاته مستصعباً اعلم ان اكثر الناس عدوا مجاهرا حاضرا جريئاً واشياً وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غيرانه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان

من محاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمنازل وهم وغيرهم من عدوه الذين هم حضاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه المكتتم منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحال والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح من قلبك كانه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولي الامر بسوء في وجهك او في غيبك فلا يرين منك الولي ولا غيره اختلاطا لذلك ولا اغتياظا ولا يقعن ذلك موقع ما يكرثك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك امورا مشتبهة بالريب مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطرك الامر في ذلك الى الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشكن في ان القوة والغلبة للحليم ابدا لا تحضرن عند الوالي كلاما لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جوابا بالشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالي شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ في غير سخط ولا بأس . جانب المسخوط عليه والظنين به عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرن له عذرا ولا تثنين عليه خيرا عند احد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من الاعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالي واستيقنت ان الوالي قد استيقن بتباعدك اياه وشدتك عليه فضع عذره عند الوالي واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف ليعلم الوالي انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التي يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك . اذا اصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تغيرا على احد من اهله واعوانه ولا استغناء

عنهم فانك لا تدري متى ترى ادنى جفوة فتذل لهم فيها وفي تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسار احدا من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يخيل كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة ووغرا وثقلا . لا تتهاونن بارسال الكذبة عند الوالي او غيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تاتي به تنكب فيما بينك و بين الوالي خلقا قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه حسن اثراو صواب رأي انه هو عمل في ذلك واشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك انك تنحله صواب رأيك فضلا عن انك تدعي صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل فان الذي انت آخذ بذلك اكثر مما انت معط باضعاف اذا سأل الوالي غيرك فلا تكونن انت المجيب عنه فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سالت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فاجب واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعم بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب الكلام مواثبة فان في ذلك مع شين التكلف والخفة انك اذا سبقت القوم الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت اقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جوابا رضيا واستدبرت به اقاويلهم حتى تصيخ اليك الاسماع و يهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام حتى تكتفي بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوت ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير

من سوء وضعه وان كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مائة كلمة امثالها في غير فرصها ومواضيعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم واعلم ان هذه الامور لا تنال الا برحب الذرع عند ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة اولم يظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخوانا ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها والعمل يؤمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك و يحتاج اليه و يلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينتك وما انت واجد في موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك ولينهم لك افضل مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة ولا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل و ينقادون له و يتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه في الرأي والعلم فضل فاجترؤوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجد في كل حين سامعا فهما وقاضيا عدلا وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول اذا اصبت عند الوالي لطف منزلة لغناء يجده عندك او هوى يكون له فيك فلا تطمحن كل الطماح ولا تزينن لك نفسك المزايلة له عن اليفه وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد

يبتلي بها الحلماء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه او نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من السوقة اليف وانيس قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤونة في تبذل يتبذل له عنده او رأي يستنزله منه او سر يفشيه اليه غير ان تلك الانسة وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتمس مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته ومؤانسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأي ممن قد كفي مؤانسته ووقع على طباعه لان الانسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يلتاط بالقلوب الا ما لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امرًا ذا مؤونة فاذا كلفتك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك او غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروءة انك اولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذي عليه من حق اليفه وثقته وانيسه في التكرمة والذي يعينه على ذلك من الرأي انه يجد عنده من الالف والانس ما ليس واجدًا عند غيره فليكن هذا مما تحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون انيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك . اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصة لا تشكون الى وزراء السلطان ودخلائه ما

اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لا تزيد على ان تفطنهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه . اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا آثر ان يكره كل ما يخالفه او يمتعض من الجفوة يراها في المجلس او النبوة في الحاجة او الرد للرأي او الادناء لمن لا يهوى ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالي وغيره كان ذلك لفساد منزلته سببًا فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي الولاة وقررها بانهم انما كانوا اولياءك لتتبعهم في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغضب من خلافهم اياك . اعلم ان الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم مشفقة ونظرًا ويحمدونهم عليه وان كانوا اجوادًا فان كنت مبخلا غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخيًا لم تأمن اضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأى لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تترك من تبخيل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلًا الى شيء من هواك ولا طلبًا لغير ما ترجو ان يزينه وينفعه لا تكونن صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموه وتخفي ما اطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا ساؤوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيدًا والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم

يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم لمؤونتك
والاحتمال لهم كل مؤونة والرضا عنهم بالعفو وقلة الرضا من نفسك لهم بالمجهود
فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان
من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه
يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة انك لا تأمن انفهم ان اعلمتهم ولا
عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان
حدثتهم ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك وان زايلتهم لم تامن عقابهم انك ان
تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تامن فيه مخالفتهم
انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم ما لا تطيق
فان كنت حافظاً ان بلوك جلداً ان قربوك اميناً ان ائتمنوك تشكرهم ولا تكلفهم
الشكر بصيراً باهوائهم مؤثرا لمنافعهم ذليلا ان ظلموك راضيا ان اسخطوك والا
فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك
وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد ان سمعت من
صاحبك كلاما او رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس واكتف من
التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه واعلم ان انتحالك
ذلك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عارا فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي
الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء
الادب الفاشي في الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك

بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب اليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما
استطعت لا يكونن من خلقك ان تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك
روأت فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان الحديث بعد
افتتاحه سخف . اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل
حين يحسن كل الصواب وانما تمام اصابة الرأي والقول باصابة الموضع فان اخطأك
ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تأتي به ان اتيت به في غير موضعه وهو لا
بهاء ولا طلاوة له . لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك
على ان تقول ان آثرت ان تفاخر احدا ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل
غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد او قاربه
فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت بالجد هزلا هجنته
وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير اني قد علمت موطنا واحدا فان قدرت
ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان يتوردك
متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة
من الوجه وثبات من المنطق . ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك
ذلك فانما هو احد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها
من عدوك لشر يكفيه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما
صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك
فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى
تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفسا عن كثير
مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراة لئلا يظن اصحابك ان ما بك

التطاول عليهم (١) اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك الاّ يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرحل عمن لصق به و يلصق بمن رحل عنه لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف واما ان لا ينازعوك و يخلوا الامور في يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة استحي الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً او معرضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنست من نفسك فضلا فتحرج ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقدر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك ان حرص الرجل على اظهار ماعنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذي لا خبار فيه ولا عثار (٢) فكن عالما كجاهل وناطقا كعيي فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفي عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رأيت رجلا يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبرا قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصا على ان يعلم الناس أنك قد علمته فان في ذلك خفة وشحا وسوء ادب وسخفاً ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت ان تكون الى

(١) كذا في نسخة مخطوطة واخرى مطبوعة حديثاً ولعلها ان دأبك التطاول عليهم

(٢) الخبار ما لان من الارض واسترخي وفي المثل من تجنب الخبار امن العثار وفي النسخة المطبوعة حديثا الجبار وهو غلط

ان تفعل ما لا تقول اقرب منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عار وهجنة وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن بعض ما في نفسك اعدادا لفضل الفعل على القول وتحرزا بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلما يكون الامقصرا . احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايتك فيما بينك و بين عدوك العدل وفيما بينك و بين صديقك الرضا وذلك ان العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك و بينه قاض فانما حكمه رضاه . اجعل عامة تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذرا نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارّته على غير الرضا عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت . اذا نظرت في حال من ترتئيه لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيها ليس بمراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخا صادقا لان الكذب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شائع صاحبه . تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب الوقار وتصرف

القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع · اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وان تفرشك لهم يكسبك صديق السوء وفسولة الاصدقاء اضر من بعض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تنمي والمعاذير لا تنمي البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلقين الا متحفظاً متشددا متحرزا مستعدا ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتتلقاهم بينات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك و بينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل لان ذا الرأي لا يدخل احدا من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل · اعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع وصارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهولك واذا غلب عليه شيء من اشباه ما سميت لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولى عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة اخيك فيها فاجمل فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه اذا كانت لك عند احد صنيعة او كان لك عليه طَول فالتمس احياء ذلك باماتته وتعظيمه بالتصغيرله ولا تقتصرن في قلة المن على ان تقول

لا اذكره ولا اصغي بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالستك اياه وما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف · احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء فاما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل القوي اذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت لم يلبث ان يميتها حتى كانها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما تستورى عند القدح ثم لا يبدأ ضرها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه · ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك ما لا يكاد يخطئك (١) فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطرا واعلم ان اللئام اصبر اجسادا والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي او يده قوية على العمل

---

(١) اسم الاشارة راجع الى ما ذكر من المجاورة والمعاشرة والمجالسة اي هذه الاشياء لا بد لك منها وفي النسخة المطبوعة يخطبك واسم الاشارة عليها راجع الى الصبر وهي صحيحة لو كان يخطبك يوقعك في الخطب

فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوباً وللامور محتملا وفي الضر متجملا ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثرا وللهوى تاركا وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذا · حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين وأحراهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في الالباب عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في ايدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس امحض في التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم · ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الاّ تكون حسودا فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل بالادني فالادنى من الاقارب والاكفاء الخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وأن غنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقبس من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه · ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك اعلم ان اعظم خطرك ان ترى عدوك انك لا تتخذه عدوا فان ذلك غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت

اغتفارا لعداوته عن ان تكافئ بها فهنالك استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فاياك ان تكافئ عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار واعلم مع ذلك انه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله كالخيانة لا تكافأ بالخيانة والسرقة لا تكافأ بالسرقة ومن الحيلة في امرك مع عدوك ان تصادق اصدقاءه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق والتجافي فانه ليس رجل ذو طرق يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير ذوي طرق فلا عدوك لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع عوراته حتي لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير ان تشيع عليه فيتقيك به ويستعد له او تذكره في غير موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحاً فانه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة ان اردت ان تكون داهياً فلا تحبن ان تسمى داهياً فانه من عرف بالدهاء خاتل علانية وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف وان من ارب الاريب دفن اربه ما استطاع حتى يعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه الا يؤارب العاقل المستقيم له الذي يطلع على غامض اربه فيمقته عليه · ان اردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فاشعب لمدارة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة من رأيك وان ابتليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التى وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر في امرك والجراءة في قلبك حتى تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر · ان عدوك من تعمل

في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعورات كلما احصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله او مشاكله فان كنت قارفت منه شيئاً فاحصه فيما تحصى على نفسك حتى اذا احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك واحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسياً مصبحاً فاذا آنست منها دفعاً لذلك او تهاوناً به فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً لعدوك ممكناً له من رميك وان حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من امر قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك او مثالب ابائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك مريدك بذلك فلا تغفل عن التهيؤ له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سراً وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له ولا تشتغلن به فانه لا يهولك ما لم يقع واذا وقع اضمحل ۰ اعلم انه قلما بده احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها واعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم ما عنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن وانما النساء اشباه وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير ممن يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما

المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلاً وتفاوتاً مما في رحالهم من النساء ومن العجب ان الرجل الذي لا بأس في لبه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادمّ الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأناً غير شأن ما ذاق وهذا هو الحمق والشقاء ومن لم يحم نفسه ويظلفها ويجلها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه في امر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع ۰ ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم تزين هو الجمال ۰ لا يعجبنك العالم ما لم يكن عالماً بمواضع ما يعلم ان غلبت على الكلام وقتاً فلا تغلبن على السكوت فانه لعله يكون المراء واعرفه ولا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة واعلم ان المماري هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه يخاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذي لا يعدو بالخصومة الا اليه

عدل صاحبه وعقله فان آنس او رجا من صاحبه عدلا يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممار يا ٠ ان استطعت الاّ تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجن عنه بعض ذلك التماسا لفضل الفعل على القول واستعدادا لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلال ٠ اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها بالروغان منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر عليها هو يخففها وان الضجر منها هو يراكمها عليك فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر و يأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر ذلك بنفسه تكديرا يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحدا منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر أولي الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمن عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف رضا الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود اعلم ان بعض العطية لؤم و بعض البيان عي و بعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جورا ولا بيانك هذرا ولا علمك جهلا فافعل ٠ اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقا بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب من



شأن الناس وليس كل معجب لك معجبا لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك فازدجر عن العود فان العجب من غير عجيب سخف شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود اياك والاخبار الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق ومزراة بالرأي فان استطعت الا تخبر بشيء الا وانت به مصدق وألا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل ٠ ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفهاء اكثر من هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعيا وحاملا كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترع المخترع باضعاف انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخو نفسك عما اعتاص مما قبله غير معاتب ولا مستبطي٠ ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضا بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروءة اعلم انك ستبتلي من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما اتي به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموما فحقق ذمك اياه بترك معارضته فاما ان تذمه وتمتثله فليس ذلك لك لا تصاحبن احدا وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا والدا ولا ولدا الا بمروءة فان كثيرا من اهل المروءة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيرا من الخلصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروءة

ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزلة لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأي ولا تجترئن على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواما يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك على ان يتعقبوا الكلمة بعد ما تنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق ٠ لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالا ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا اكرمت على دين او مروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لا تزايلك في الدنيا والدين لا يزايلك في الآخرة ٠ اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت أمَن قتل في القتال مقبلا اكثر ممن قتل مدبرا وانظر أمَن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو اليه نفسك بطلبته امن يطلب اليك بالشره اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في مواطن المحاماة لم يحفل ما تركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك الاّ تذكره الا حيث يضره والاّ تعد يسير الضر ضرا اعلم ان الرجل قد يكون حليما فيحمله الحرص على ان يقال جليد والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتا فيحمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله ٠ اذا بدهك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء

عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك ٠ لا تجالس امرأ بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعي بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادوه ونصبوا له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به ليعلم صاحبك انك حدب على صاحبه واياك ان عاشرك امرؤ ورافقك ان لا يرى منك باحد من اصحابه واخدانه رأفة فان ذلك ياخذ من القلوب مأخذا وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعاً من لطفك به بنفسه انق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويشكر للمكتئب ٠ اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطأ تخاف ان يعقد عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة واعلم ان البغضة خوف والمودة أمن فاستكثر من المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسنى فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسل سخيمة الوغر ٠ واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت

والشنآن تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيى الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلاً تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولولا انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبدا صوابك فلا تمتن ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرراً تقول الم اقل لك الم افعل فان هذا مجانب لادب الحكماء اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن صواب ما تأتي به ويذهب بهجته ويزري بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يفضي اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا حدث الرجل حديثاً تعرفه الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى كانك تظهر للناس بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة او الفصاحة . اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء يدعو اليك ما تتقي ان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا اودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر

واستخذاء وتغير نفس عند ما اعجزك من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى عليك منها ولو تممت على رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول باضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها اعرف عورتك واياك ان تعرض باحد فيما شاركها واذا ذكرت من احد خليقته فلا تناضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلح كل الالحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب واذا كنت في جماعة قوم ابداً فلا تعمن جيلاً من الناس او امة بشتم ولا ذم فانك لا تدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم ولا تذمن مع ذلك اسماً من اسماء الرجال والنساء بان تقول ان هذا لقبيح من الاسماء فانك لا تدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرن من هذا شيأ فكله يجرح في القلب وجرح اللسان اشد من جرح اليد اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وضح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تجعلن نفسك من اهله . اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا تدعوه اليه مؤونة ولا يستخف له رأياً ولا بدناً وكان لا يتأثر عند نعمة ولا يستكين عند مصيبة وكان خارجاً من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يماري فيما علم وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة بمنفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذ القائلين وكان يرى متضاعفاً مستضعفاً فاذا جد الجد فهو الليث عادياً وكان لا يدخل

في دعوي ولا يشركـ في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضيا فهما وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبا الا أن يرجو منه النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهي ولا يتشكى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولي ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت وان تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

٣٢٢ وكتب ابو علي البصير يعتذر عن هفوة

ذكرت اعزك الله في كتابك ما يعلم الله اغتمامي به واستكانتي له وقلقي عند ما ورد عليّ منه واكباري قدر البلية به والمصيبة فيه والعالم بالسرائر المطلع على الضمائر يشهد وكفى به شهيدا أني ما اقف على ما ذكرت ولا اتوهمه ولا يومئ لي ظن اليه واني لافكر مذ ورد كتابك بما ورد به فما اجد ذُكري يحيط بشيء منه وان اقصى حفظي مما كان في ذلك المجلس لغلبة السكر عليّ ثم خانني فهمي فما كان بعد ذلك فبغير علمي ولا قصد مني ومما زاد في غمي وضاعف المكروه على تحققك للامر وهو خبر معترض الشك فيه والبطلان اولى به حتى الزمتني اياه وقرعتني به كانه قرع سمعك فان ذلك اراني صورة المقت منك لي والغلظة علي والاسراع الى قبول القبيح المضاف الي ووالله لو واجهتك على تلك الحال بما انهي اليك وبالله اعوذ من ذلك فيما بيني وبين من هو دونك عندي من اخواني لكان فيما اطلعتك عليه العشرة الطويلة والخبرة القديمه من اجلالي اياك وخالص محبتي لك مع ما يضطرني اليه متقدم برك واحسانك ومرضيات اخلاقك من البعد بقلبي ولساني من كل ما ساءك ما يدلك على ان ما كان من

ذلك كان آفة نالتني في عقلي ومزاجاً فاسدا رديأ استولى على ووالله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما كتبت الا بالحقيقة عندي ولا تحريت زيادة ولا نقصا فان تقبل تتخذ بذلك عندي يدا وتوجب عليّ شكرا مجددا وان تقم على موجدتك اقم على تنصفك واستعطافك والتذلل لك والتضرع اليك والتحمل عليك حتى يعدل حكمك ويفي بك كرمك والسلام

٣٢٣ وكتب ايضاً يمدح عبيد الله بن يحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

وان امير المؤمنين لما استخلصك لنفسه وائتمنك على رعيته فنطق بلسانك واخذ واعطى بيدك واورد واصدر عن رأيك وكان تفويضه اليك بعد امتحانه اياك وتسليطه الحق على الهوى فيك وبعد ان مثل بينك وبين الذين سموا لمرتبتك وجروا الى غايتك فاسقطهم مضمارك وخفوا في ميزانك ولم يزدك اكرمك الله رفعة وتشريفا الا ازددت له هيبة وتعظيما ولا تسليطا وتمكينا الا زدت نفسك عن الدنيا عزوفا وتنزيها ولا تقريبا واختصاصا الا ازددت بالعامة رأفة وعليها حدبا لا يخرجك فرط النصح له عن النظر لرعيته ولا ايثار حقه عن الاخذ بحقها عنده ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ولا يشغلك معاناة كبار الامور عن تفقد صغارها ولا الجد في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها تمضي ما كان الرشد في امضائه وترجئ ما كان الحزم في ارجائه وتبذل ما كان الفضل في بذله وتمنع ما كانت المصلحة في منعه وتلين في غير تكبر وتخص في غير ميل وتعم في غير تصنع لا يشقى بك المحق وان كان عدوا ولا يسعد بك المبطل وان كان وليا فالسلطان يعتد لك من الغناء والكفاية والذب والحياطة والنصح والامانة والعفة والنزاهة والنصب فيما ادى الى الراحة بما يراك

معه حيث انتهى احسانه اليك مستوجبا للزيادة وكافة الرعية الا من غمط منهم النعمة مثنون عليك بحسن السيرة ويمن النقيبة و يعدون من مآثرك انك لم تدحض لاحد حجة ولم تدفع حقا لشبهة وهذا يسير من كثير لوقصدنا لتفصيله لا نفدنا الزمان قبل تحصيله ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

٣٢٤ وكتب ايضاً اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اوجب المعروف شكراً واحسنه عند الاحرار موقعاً معروفك عندي وذلك انك تطوعت به مبتدئاً وشفعت ما تقدم منه متفضلاً عن غير كد لي الزمك دينا او اوجب عليك حقاً ثم يقطعني عن الاخذ بحظي من لقائك وتعريفك ما انا عليه من شكر انعامك والانتساب الى نعمتك وافرادي اياك بالتأميل دون غيرك تخلفي عن منزلة الخاصة ورغبتي عن مشاركة العامة وأني لست معتادا للخدمة ولا قويا على الملازمة فلا يمنعك ارتفاع قدرك وعلو منزلتك وما تعاني من جلائل الامور التي تشغل عمن قدمت حرمته ووجب حقه ونسي من ان يذكر بنفسه ان تتطول بتجديد ذكري وخبري والاصغاء الى من يحثك على وصلي وبري و يرغبك في الصنيعة عندي وانا اسأل الذي وهب ذلك منك بغير سعي مني له ولا نصب كابدته فيه ان ينسيء لك ولكافة الاحرار في اجلك وان يمن عليك بحياطة نعمتك وكبت عدوك والزيادة في القدرة لك ولا يخلي مكانك منك والله يعلم اني لا احب ان اتحمل منة الا لك ولا اعتد عارفة مذكورة الا منك

٣٢٥ وكتب ايضا يشكر و يعتذر

النعمة شفيع صدق عند وليها تقتضيه ربابتها والزيادة فيها والمحافظة عليها

وارغام اعدائها وحسادها الملتمسين لافسادها وازالتها والاغضاء على ما يغضي الحر على مثله في استتمامها سيما اذا كانت عند اهلها وفي موضعها ومحلها وكان المقلد لها من يقوم بشكرها ونشرها و يشيد بذكرها و يستفرغ المجهود من نفسه في شكرها و يعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها والانتساب اليها والمحاماة عليها وانا احد من اسكنته ظلك واعلقته حبائلك وحبوته بلطيف برك وخاص عنايتك فانتصفت بك من الزمان واستغنيت بك عن الاخوان فأنا لا ارغب الا اليك ولا اعتمد الا عليك ولا استنجح طلباً الا بك والله اسأل البقاء لك ودوام عزك وعزنا بك وحراسة النعمة عندك وعندنا فيك وكان فرط مني قول ان تاملته اراك وجه عذري وقام عندك بحجتي واغناني عن توكيد الايمان على حسن نيتي وان تأولته عليّ و بالله اعوذ من ذلك ألحق بي لائمتك وجنى على حالي ومنزلتي عندك وقد اتيتك معترفا بالزلة مستكينا للموجدة عائذا بالصفح والاقالة فان رايت ألاّ تقرعينا قذيت بنعمتك عندي ولا تلبسني فيها ما البستني وان تقتص من عقوبتي على المكروه الذي نالني بسبب عتبك وتامر بتعريفي من رأيك ما يطامن حشاي وتسكن اليه نفسي و يأمن به روعي

٣٢٦ وكتب ابو العيناء الى ابي الصقر يشكره

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعزك الله طليقك من الفقر ونقيذك من البؤس اخذت بيدي عند عثرة الدهر وكبوة الكبر وعلى أية حال حين فقدت الاولياء والاشكال والاخوان والامثال الذين يفهمون في غير تعب وهم الناس الذين كانوا غياثا للناس فحللت عقدة الخلة ورددت اليّ بعد النفور النعمة وكتبت لي كتابا الى الطائي فانما كان منك اليك اثبته وقد استصبت عليّ الامور واحاطت بي النوائب فكثر

من بشره و بذل من يسره واعطى من ماله اكرمه ومن بره احكمه مكرما لي مدة ما اقمت ومثقلا لي من فوائده لما ودعت حكمني في ماله فتحكمت وانت تعرف جوري اذا تمكنت وزاد في طوله فشكرت فاحسن الله جزاك واعظم حماك وقدمني أمامك واعاذني من فقدك وحماك فقد انفقت على مما ملكك الله وانفقت من الشكر ما يسره الله لي والله عز وجل يقول (لينفق ذو سعة من سعته) فالحمد لله الذي جعل لك اليد العالية والرتبة الشريفة لا ازال الله عن هذه الامة ما بسط فيها من عدلك و بث فيها من رفدك

٣٢٧ وكتب الى عبيد الله بن سليمان يستمنحه

انا اعزك الله تعالى وولدي وعيالي زرع من زرعك ان اسقيته راع وزكا وان جفوته ذبل وذوي وقد مسني منك جفاء بعد بر واغفال بعد تعاهد حتى تكلم عدو وشمت حاسد ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم لاعبا ولهم محرسا ولله در ابي الاسود في قوله

لا تهني بعد اذ اكرمتني   وشـــديد عادة منتزعه

٣٢٨ وأرتج على السفاح فنزل ثم صعد وقال

ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل لكلاله و يرتجل لارتجاله ونحن امراء الكلام بنا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين

٣٢٩ وكتب ابو شراعة الى سعيد بن مسلم

(١) استنسيء الله اجلك واستعيذه من الآفات لك واستعينه على شكر

---

(١) قبل ذلك كان كتب ابو شراعة الى سعيد هذا يستهديه نبيذا فكتب اليه سعيد (اذا سألتنى جعلنى الله فداءك حاجة فاشطط واحتكم فيها

ما وهب من النعمة فيك انه لذلك ولي و به ملي اتاني غلامك المليح قده السعيد بملكتك جده بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ولا مزور عن القصد ينطق بحكمتك و يبين عن فضلك فوالله ما اوضح لي خفيا ولا زادني بك علما واذا انت تسأل فيه ان تهب وتحب ان تحمد ولا غرو ان تفعل ذلك ومن كثب اخذته وعن كلالة وغير كلالة ورثته موسى ابوك وسعيد جدك وعمرو عمك ولك دار الصلة ودار الضيافة وصاحب البغلة الشهباء وحصين بن الحمام وعروة بن الورد ففي أي غلوات المجد يطمع قرينك ان يستولى على المدى والأمد والأمد دونك و كتابك الي أن أتحكم عليك تحكم الصبي على اهله فلشد ما جررت الي معروفك ودللت على الانس بك وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب العتيق والمنظر الأنيق الذي يسر القلب و يلائم الروح و يطرد الهم

تدب خلال شؤون الفتى   دبيب دبا النمـلة المنتعش

اذا فتحت فغمت ريحها   وان سيل خمارها قال خش

فان كنت رعيت لها عهدا وحفظت لها عندك يدا فانظر رب الحانوت فامطله دينه واقطع السبب بينك و بينه فقد اساء صحبتها وافسد بالماء جثتها وسلط عليها عدوها واعلم بان اباك المتمثل بقوله

يرى درجات المجد لا يستطيعها   فيقعد وسـط القوم لا يتكلم

وقد بسطت قدرتك لسانك واكثرت لك الحمد فدونك نهزة البديهة

حكم الصبي على اهله فان ذلك يسرني واسارع الى اجابتك فيه) وامر له بما التمس من النبيذ فمزجه صاحب شرابه و بعث به فكتب اليه ابو شراعة هذا الكتاب وخش كلمة فارسية تفسيرها طيب

منه فقال

وبادر بمعروف اذا كنت قادرا — زوال افتقار أو غنى عنك يعقب

وقد بعثت اليك بقرابة مع الرسول وأنشأت في اثرها اقول

اليك ابن موسى الجود اعملت ناقتى — مجللة يضفو عليها جلالها
كتوم الوجى لا تشتكي الم السرى — سواء عليها موتها واعتلالها
اذا شربت ابصرت ماجوف بطنها — وان ظمئت لم يبد منها هزالها
وان حملت حملا تكلف حملها — وان حط عنها لم ابل كيف حالها
بعثنا بها تسمو العيون وراءها — اليك وما يخشى عليك كلالها
وغنى مغنينا بصوت فشاقني — متى راجع من أم عمرو خيالها
احب لكم قيس بن عيلان كلها — ويعجبني فرسانها ورجالها
ومالي لا أهوى بقاء قبيلة — ابوك لها بدر وانت هلالها

(مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان)

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ايام تحاملت عليهم العمال واعنفت فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على ان نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال والتووا بما عليهم من الخراج وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم على ان اقال عثرتهم واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولاً بالفضل واتساعاً بالعفو واخذاً بالحجة ورفقاً بالسياسة ولذلك لم يزل مذ حمله الله اعباء الخلافة وقلده امور الرعية رفيقاً بمدار سلطانه بصيراً باهل زمانه باسطاً للمعدلة في رعيته تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه فاذا وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس

عنده هوادة ولا اغضاء ولا مداهنة أثرة للحق وقياماً بالعدل واخذاً بالحزم فدعا اهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ان كسروا الخراج وطردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار وخصومة باقرار وتنصلاً باعتلال فلما انتهى ذلك الى المهدي خرج الى مجلس خلائه وبعث الى نفر من لحمته ووزرائه فأعلمهم الحال واستنصحهم للرعية ثم امر الموالي بالابتداء وقال للعباس بن محمد أي عم تعقب قولنا وكن حكماً بيننا وارسل الى ولديه موسى وهرون فاحضرهما الامر وشاركهما في الرأي وامر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم في كتاب

✻ ٣٣٠ ✻ فقال سلام صاحب المظالم ✻

ايها المهدي ان في كل امر غاية ولكل قوم صناعة استفرغت رأيهم واستغرقت اشغالهم واستنفذت اعمارهم وذهبوا بها وذهبت بهم وعرفوا بها وعرفت بهم ولهذه الامور التي جعلتنا فيها غاية وطلبت معونتنا عليها اقوام من ابناء الحرب وساسة الامور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز واخوان التجارب واطفال الوقائع الذين رشحتهم سجالها وفيأتهم ظلالها وعضتهم شدائدها وقرمتهم نواجذها فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد امرك وتجارب توافق نظرك واحاديث تقوي قلبك فاما نحن معاشر عمالك واصحاب دواوينك فحسن بنا وكثير منا ان نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من امانتك وشغلتنا به من امضاء عدلك وانفاذ حكمك واظهار حقك

فأجابه المهدي ان في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبير يبطل الآخر الاول ونحن اعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نعم ايها المهدي انت متبع الرأي وثيق العقدة قوي المنة بليغ الفطنة

معصوم النية محضور الروية مؤيد البديهة موفق العزيمة معان بالظفر مهدي الى الخير ان هممت ففي عزمك مواقع الظن وان اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك وقل ينطق الله بالحق لسانك فان جنودك جمة وخزائنك عامرة ونفسك سخية وامرك نافذ

فاجابه المهدي ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأي ولا يتفيل معهما حزم فاشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم فاني من ورائكم وتوفيق الله من وراء ذلك

٣٣١ قال الربيع

ايها المهدي ان تصاريف وجوه الرأي كثيرة وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ولكن خراسان ارض بعيدة المسافة متراخية الشقة متفاوتة السبيل فاذا ارتأيت من محكم التدبير ومبرم التقدير ولباب الصواب رأيا قد احكمه نظرك وقلبه تدبيرك فليس وراءه مذهب طاعن ولا دونه معلق لخصومة عائب ثم اجبت البرد به وانطوت الرسل عليه كان بالحرى ان لا يصل اليهم محكمه وقد حدث منهم ما ينقضه فالسر ان ترجع اليك الرسل وترد عليك الكتب بحقائق اخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر امورهم تحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه قد انفرجت الحلق وتحللت العقد واسترخى الحقاب وامتد الزمان ثم لعلها موقع الآخرة كمصدر الاولى ولكن الرأي لك ايها المهدي وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل في امرهم الى الطالب لرجل ذي دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفاً بهوى في سواك ولا متهماً في أثرة عليك ولا ظنينا على دخلة مكروهة ولا منسوباً الى بدعة محذورة فيقدح في ملكك ويريض الامور لغيرك ثم تسند اليه امورهم

وتفوض اليه حربهم وتأمره في عهدك ووصيتك اياه بلزوم امرك ما لزمه الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأي عن استحالة الامور واشتداد الاحوال التي ينقض امر الغائب عنها ويثبت رأي الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواثب امرهم من قريب وسقط عنه ما يأتي من بعيد تمت الحيلة وقويت المكيدة ونفذ العمل وأحد النظر ان شاء الله

٣٣٢ قال الفضل بن العباس

ايها المهدي ان ولي الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق امواله في غير ما ضيق امر حزبه ولا ضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديماً منها فاقداً لها لا يثق بقوة ولا يصول بعدة ولا يفزع الى ثقة فالرأي لك ايها المهدي وفقك الله ان تعفي خزائنك من الانفاق للاموال وجنودك من مكابدة الاسفار ومقارعة الخطار وتغرير القتال ولا تسرع للقوم في الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسد عليك ادبهم وتجرئ من رعيتك غيرهم ولكن اغزهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلهم بالرفق وابرق لهم بالقول وارعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث وجند الجنود وكتب الكتائب واعقد الالوية وانصب الرايات واظهر انك موجه اليهم الجيوش مع احنق قوادك عليهم واسوئهم اثرا فيهم ثم ادسس الرسل وابثث الكتب وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضا على خوف من وعيدك واوقد بذلك واشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس اشجار التنافس بينهم حتى تملأ القلوب من الوحشة وتنطوي الصدور على البغضة ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة فان مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب القوي الموقع من النفوس المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبني على

اللين الذي يستميل القلوب و يسترق العقول والآ راء و يستميل الاهواء و يستدعى المؤاتاة انفذ من القتال بظبات السيوف واسنة الرماح كما ان الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل و يفرق كلمة عدوه بالمكايدة احكم عملا والطف منظرا واحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك الا بالقتال والاتلاف للاموال والتغرير والخطار وليعلم المهدي انه ان وجه لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على اسفار ضيقة واموال متفرقة وقواد غششة ان ائتمنهم استنفذوا ماله وان استنصحهم كانوا عليه لا له

قال المهدي هذا رأي قد اسفر نوره وابرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم ثم نظر الى ابنه علي فقال ما تقول

٣٣٣ قال علي

ايها المهدي ان اهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك احدا يقدح في تغيير ملكك و يريض الامور لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخطب ايسر والشأن اصغر والحال اذل لان الله مع حقه الذي لا يخذله وعند موعده الذي لا يخلفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك و بينهم حاكما طلبوا حقا وسألوا انصافا فان اجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل ان يتلاحم منهم حال او يحدث من عندهم فتق اطعت امر الرب واطفأت نائرة الحرب ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك واسجاح خليقتك ومعدلة نظرك فأمنت ان تنسب الى ضعفة وان يكون ذلك فيما بقى دربة وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم الى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال

وساويتهم في ميدان الخطاب فما ارب المهدي ان يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون انفسهم عن قدرته ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم انفسهم و يخلع نفسه عنهم و يقف على الحيل معهم ثم يجازيهم السوء في حد المنازعة ومضمار المخاطرة ايريد المهدي وفقه الله الاموال فلعمري لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق اكثر منها مما يطلب منهم واضعاف ما يدعي قبلهم ولو نالها فحملت اليه او وضعت بخرائطها بين يديه ثم تجافي لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب و به يعرف من الجود الذي طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدي هذا رأي مستقيم سديد في اهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فاما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وانطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغي لهم ان اجعلهم نكالاً لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدي انه لو اتى بهم مغلولين في الحديد مقرنين في الاصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه اولمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكراً من نظره لقد علمت العرب انه اعظم الخلفاء والملوك عفواً واشدها وقعاً واصدقها صولة وانه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأي للمهدي وفقه الله تعالى ان يحلل عقدهم الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وان يذكر اولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برا بهم وتوسعاً لهم فانهم اخوان دولته واركان دعوته واساس حقه الذين بعزتهم يصول و بحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن اجابته ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم او نقل من حاله لهم او تغير من نعمته به كمثل رجلين اخوين

متناصرين متوازرين اصاب احدهما خبل عارض ولمو حادث فنهض الى اخيه بالاذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد اخوه الا رقة له ولطفاً به واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه و برا به ومرحمة له

فقال المهدي أما علي فقد كوى سمت اللبان وفض القلوب في اهل خراسان ولكل نبأ مستقر فقال ما ترى يا ابا محمد يعني موسى ابنه

٣٣٤ فقال موسى

ايها المهدي لا تسكن الى حلاوة ما يجري من القول على السنتهم وانت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم الحال من القوم ينادي بضمرة شروخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها ستراً واتخذوا العلل من دونها حجاباً رجاء ان يدافعوا الايام بالتأخير والامور بالتطويل فيكسروا حيل المهدي فيهم و يفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم امرهم ويتلاحق مادتهم وتستفحل حربهم وتستمر الامور بهم والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة قد فتر لها وأنس بها وسكن اليها ولولا ما اجتمعت به قلوبهم و بردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال او شيطان فساد لرهبوا عواقب اخبار الولاة وغب سكون الامور فليشدد المهدي وفقه الله ازره لهم و يكتب كتائبه نحوهم وليضع الامر على اشد ما يحضره فيهم وليوقن انه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة لى فسادهم وقوة على معصيتهم وداعية الى عودتهم وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ومن ببابه من الوفود الذين ان اقرهم وتلك العادة واجراهم على ذلك الارب لم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا وان طلب تغييره بغير استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة والمؤنة الشديدة والرأي للمهدي

وفقه الله ان لا يقيل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف و يستحر بهم القتل و يحدق بهم الموت و يحيط بهم البلاء و يطبق عليهم الذل فان فعل المهدي بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل عادة سوء فيهم واحتمال المهدي في مؤنة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

قال المهدي قد قال القوم فاحكم يا ابا الفضل

٣٣٥ فقال العباس بن محمد

ايها المهدي اما (الموالي) فاخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا اموراً قصر بنظرهم عنها انه لم تأت تجارب بهم عليها واما (الفضل) فاشار بالاموال ان لا تنفق والجنود ان لا تفرق و بان لا يعطي القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا وجاء بامر بين ذلك استصغاراً لامرهم واستهانة بحربهم وانما يهيج جسيمات الامور صغارها واما (علي) فاشار باللين وافرد الرفق واذا جرد الوالي لمن غمط امره وسفه حقه اللين بحتا والخير محضا لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه ولا بشر يحبسهم الى خيره فقد ملكهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثني اعناقهم فان اجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدة ونزوة في رؤسهم يستدعون بها البلاء الى انفسهم و يستصرخون بها رأي المهدي فيهم وان لم يقبلوا دعوته و يسرعوا لاجابته باللين المحض والخير الصراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأي فيهم وما قد يشبه ان يكون من مثلهم لان الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس اليها ورغبهم فيها فلولا انه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة لما اجابوا ولا قبلوا واما (موسى) فاشار بان يعصبوا بشدة لا لين فيها وان

يرموا بشر لا خير معه واذا اضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردا والشر مجردا ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم استدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم الى احد امرين اما ان تدخلهم الحمية من الشدة والانفة من الذلة والامتعاض من القهر فيدعوهم ذلك الى التمادى في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت واما ان ينقادوا بالكره و يذعنوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق فاذا امكنتهم فرصة او ثابت لهم قدرة او قويت لهم حال عاد امرهم الى اصعب واغلظ واشد مما كان

(وقال في قول ابي الفضل)

ايها المهدي اكفي دليل واوضح برهان وابين خبر بان قد اجمع رأيه وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم وتوجيه البعوث نحوهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم الى ما سألوه من العدل

قال المهدي ذلك رأي

قال هرون ما خلطت الشدة ايها المهدي باللين وانتظم امر الدنيا بالدين فصارت الشدة امر فطام لما تكره وعاد اللين اهدى قائد الى ما تحب ولكن ارى غير ذلك

قال المهدي لقد قلت قولا بديعاً وخالفت به اهل بيتك جميعاً والمرء مؤتمن بما قال وظنين بما ادعى حتى يأتي ببينة عادلة وحجة ظاهرة فاخرج عما قلت

٣٣٦ قال هرون

ايها المهدي ان الحرب خدعة والاعاجم قوم مكرة وربما اعتدلت الحال بهم واتفقت الاهواء منهم فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون وربما افترقت الحالان وخالف القلب اللسان فانطوى القلب على محجوبة تبطن

واستسر بمدخولة لا تعلن والطبيب الرفيق بطبه البصير بامره العالم بمقدم يده وموضع ميسمه لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء فالرأي للمهدي وفقه الله ان يفر باطن امرهم فر المسنة و يمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ومظاهرة الرسل وموالاة العيون حتى تهتك حجب عيونهم وتكشف اغطية امورهم فان انفرجت الحال وافضت الامور به الى تغيير حال او داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانقاد الرجال اليه وامتدت الاعناق نحوه بدين يعتقدونه واثم يستحلونه عصبهم بشدة لا لين فيها ورماهم بعقوبة لا عفو معها وان انفرجت العيون واهتصرت الستور ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة والامور بهم معتدلة في ارزاق يطلبونها واعمال ينكرونها وظلامات يدعونها وحقوق يسألونها بمتاتة سابقتهم ودالة مناصحتهم فالرأي للمهدي وفقه الله ان يتسع لهم بما طلبوا و يتجافي لهم عما كرهوا و يشعب من امرهم ما صدعوا و يرتق من فتقهم ما قطعوا و يولي عليهم من احبوا و يداوي بذلك مرض قلوبهم وفساد امورهم فانما المهدي وامته وسواد اهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي الجرب الذي يحتال لمرابض غنمه وضوال رعيته حتي يبرئ المريضة من داء علتها و يرد الصحيحة الى انس جماعتها ثم ان خراسان بخاصة الدين لهم دالة محمولة ومانة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لانهم ايدي دولته وسيوف دعوته وانصار حقه واعوان عدله فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوعر بهم ولا المكافأة باساءتهم لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل ان تقوى ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل ان تغلظ احزم في الرأي واصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع اطرافها الى جمهورها

قال المهدي ما زال هرون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء

قال وانسل انسلال السيف فيما ادعى فدعوا ما سبق موسى فيه انه هو الرأي وثني بعده هرون ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقيادة الناس ان امعن بهم اللجاج وافرطت بهم الدالة

٣٣٧ قال صالح

لسنا نبلغ ايها المهدي بدوام البحث وطول الفكر ادنى فراسة رايك و بعض لحظات نظرك وليس ينقص عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأي كامل وتدبير قوي تقلده حربك وتستودعه جندك ممن يحتمل الامانة العظيمة و يضطلع بالاعباء الثقيلة وانت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة مخبور التجارب محمود العواقب معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على احد توليه امرك وتسند اليه ثغرك الا اراك الله ما تحب وجمع لك منه ما تريد

قال المهدي اني لارجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ولكن احب الموافقة على الرأي والاعتبار للمشاورة في الامر المهم

٣٣٨ قال محمد بن الليث

اهل خراسان ايها المهدي قوم ذوو عزة ومنعة وشياطين خدعة زروع الحمية فيهم نابتة وملابس الانفة عليهم ظاهرة فالروية عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عذلهم لانهم بين سفلة لا تعدو مبلغ عقولهم ومنظر عيونهم و بين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ولا يفطمون الا بالمر وان ولى المهدي عليهم وضيعاً لم تنقد له العظماء وان ولى امرهم شريفاً تحامل على الضعفاء وان اخر المهدي امرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه او بني عمه او بني ابيه ناصحاً يتفق عليه امرهم وثقة تجتمع له املاؤهم بلا انفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم ولا مصيبة تنفرهم تنفست الايام بهم وتراخت الحال

بامرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير والضياع العظيم مالا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان وجد ولا يستصلحه وان جهد الا بعد دهر طويل وشر كبير وليس المهدي وفقه الله فاطماً عاداتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثل احد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل في ذلك بهما احدهما لسان ناطق موصول بسمعك و يد ممثلة لعينك وصخرة لا تزعزع وبهيمة لا تثنى و بازل لا يفزعه صوت الجلجل نقي العرض نزيه النفس جليل الخطر قد اتضعت الدنيا عن قدره وسما نحو الآخرة بهمته فجعل الغرض الاقصى لعينه نصباً والغرض الادنى لقدمه موطئاً فليس يقبل عملاً ولا يتعدى املاً وهو رأس مواليك وأنصح بني ابيك رجل قد غذي بلطيف كرامتك ونبت في ظل دولتك ونشأ على قوائم ادبك فان قلدته امرهم وحملته ثقلهم واسندت اليه ثغرهم كان قفلاً فتحه امرك و باباً اغلقه نهيك فجعل العدل عليه وعليهم اميرا والانصاف بينه و بينهم حاكماً واذا احكم المنصفة وسلك المعدلة فاعطاهم مالهم واخذ منهم ما عليهم غرس في الذي لك بين صدورهم واسكن لك في السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق باسقة الفروع متماثلة في حواشي عوامهم متمكنة من قلوب خواصهم فلا يبقى فيهم ريب الا نفوه ولا يلزمهم حق الا ادوه وهذا احدهما والآخر عود من غيضتك ونبعة من ارومتك فتى السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف يجرد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون وعلى حسب ما يستوجبون وهو فلان ايها المهدي فسلطه اعزك الله عليهم ووجهه بالجيوش اليهم ولا تمنعك ضراعة سنه وحداثة مولده فان الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة وانما احداثكم اهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصكم به من مكارم الاخلاق ومحامد الفعال ومحاسن الامور وصواب التدبير وصرامة الانفس كفراخ عتاق

الطير المحكمة لاخذ الصيد بلا تدريب والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم مزروع في قلوبكم مستحكم لكم متكامل عندكم بطبائع لازمة وغرائز ثابتة

٣٣٩ قال معاوية بن عبدالله

افتاء اهل بيتك ايها المهدي في الحلم على ما ذكر واهل خراسان في حال عز على ما وصف ولكن ان ولى المهدي عليهم رجلاً ليس بقديم الذكر في الجنود ولا بنبيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الاعداء دخل ذلك امران عظيمان وخطران مهولان احدهما أن الاعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترؤون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل ما حين الاختبار لامره والتكشف لحاله والعلم بطباعه والامر الآخر ان الجنود التي يقود والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصوت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البوار قبل الاختبار وبباب المهدي وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاك وصوت عال قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف اهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ووثقوا به كل الثقة فلوولاه المهدي امرهم لكفاه الله شرهم

قال المهدي جانبت قصد الرمية وابيت الاعصبية اذ رأى الحدث من اهل بيتنا كرأي عشرة حلماء من غيرنا ولكن اين تركتم ولى العهد

٣٤٠ قالوا

لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ونسيج وحده ومن الدين واهله بحيث يقصر القول عن ادنى فضله ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر من

دون عباده علم ما تختلف به الايام ومعرفة ما تجرى عليه المقادير من حوادث الامور وريب المنون المخترمة لخوالي القرون ومواضي الملوك فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الامامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود ومجمع الاموال التي جعلها الله قطباً لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ودواعي البدع وفرسان الضلال وابناء الموت وقلنا ان وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدي ان يعقبهم بغيره الا ان ينهد اليهم بنفسه وهذا خطر عظيم وهول شديد ان تنفست الايام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض لا يستغنى عنه او يحدث امر لا بد منه صار ما بعده مما هو اعظم هولا واجل خطراً له تبعاً وبه متصلاً

٣٤١ قال المهدي

الخطب ايسر مما تذهبون اليه وعلى غير ما تصفون الامر عليه نحن اهل البيت نجري من اسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ومحتوم من الامر قد انبأت به الكتب وتنبأت عليه الرسل وقد تناهى ذلك باجمعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا فبه ندبر وعلى الله نتوكل انه لا بد لولي عهدي وولي عهدي عقبي بعدي ان يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود اما الاول فانه يقدم اليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم يريد ان لا يدع احدا من اخوان الفتن ودواعي البدع وفرسان الضلال الا توطأه بحر القتل والبسه قناع القهر وقلده طوق الذل ولا احدا من الذين عملوا في قص جناح الفتنة واخماد نار البدعة ونصرة ولاة الحق الا اجرى عليهم ديم فضله وجداول نصله فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه لم يسر الا قليلا حتى تاتيه ان قد عملت حيله

وكدحت كتبه ونفذت مكايده فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الاهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فميل نظرا لهم و برا بهم وتعطفا عليهم الى عدو قد اخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حجاجهم بيت الله الحرام وسلب تجارهم رزق الله الحلال واما الاخر فانه يوجه اليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء ما يطلبون و بذل ما يسالون فاذا سمحت الفرق بقراباتها له وجنح اهل النواحي باعناقهم نحوه فاصغت اليه الافئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصد لاوّل ناحية نجعت بطاعتها والقت بازمتها فالبسها جناح نعمته وانزلها ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه ثم عم الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلاتبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته ووصلت اليها منفعته فاغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الاهواء فتستخف بدعوته وتبطىء عن اجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وابطأ من يوجه فيصطلي عليها موجوده و يبتغي لها علة لا يلبث ان يجد بحق يلزمهم وامر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف و يستحر بهم القتل و يحيط بهم الاسر و يفنيهم التتبع حتى يخرب البلاد و يؤتم الأولاد وناحية لا يبسط لهم امانًا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة لانهم اول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا ولكنه يقتل اعلامهم و يأسر قوادهم و يطلب هرابهم في لجج البحار وقلل الجبال وخمل الاودية و بطون الارض تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً حتى يدع الديار خرابًا والنساء ايامى وهذا امر لا نعرف له في كتبنا وقتًا ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرًا واما موسى وليّ عهدي فهذا اوان توجهه الى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخوص اليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله باذن الله

عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع امواجنا فيتصاغر عظيم فضله و يتذاءب مشرق نوره و يتقلل كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء و يختار له من الناس

٣٤٢ قال محمد بن الليث

ايها المهدي ان وليّ عهدك اصبح لامتك واهل ملتك علما قد ثنت نحوه اعناقها ومدت سمته ابصارها وقد كان لقرب داره منك ومحل جواره لك عطل الحال غفل الامر واسع العذر فاما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة ان تتفقد مخارج رأيه وتستنصت لمواقع آثاره وتسأل عن حوادث احواله في بره ومرحمته واقساطه ومعدلته وتدبيره وسياسته ووزرائه واصحابه ثم يكون ما سبق اليهم اغلب الاشياء عليهم واملك الامور بهم والزمها لقلوبهم واشدها استمالة لرأيهم وعطفًا لاهوائهم فلا يعلم المهدي وفقه الله ناظرًا له فيما يقوى عمد مملكته و يسدد اركان ولايته و يستجمع رضا امته بامر هو ازين لحاله واظهر لجماله وافضل مغبة لامره واجل موقعًا في قلوب رعيته واحمد حالاً في نفوس اهل ملته ولا ادفع مع ذلك باستجماع الاهواء له وابلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله ومعدلة تنتشر عن اثره ومحبة للخير واهله وان يختار المهدي وفقه الله من خيار اهل كل بلدة وفقهاء اهل كل مصر اقوامًا تسكن العامة اليهم اذا ذكروا وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه

قال المهدي صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى

٣٤٣ فقال

اي بنيّ انك قد اصبحت لسمت وجوه العامة نصبًا ولمثني اعطاف الرعية غاية

لحسنتك شاملة واساءتك نائية وامرك ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سخط الناس فيهما ولا تطلب رضاهم بخلافهما فان الله عز وجل كافيك من اسخطه عليك ايثارك رضاه وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه ثم اعلم ان لله تعالى في كل زمان فترة من رسله و بقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدد حبل الاسلام بدعواهم و يشيد اركان الدين بنصرتهم و يتخذ لاولياء دينه انصاراً وعلى اقامة عدله اعوانا يسدون الخلل و يقيمون الميل و يدفعون عن الارض الفساد وان اهل خراسان اصبحوا ايدي دولتنا وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم وندافع ريب الزمان بعزائمهم ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم فهم عماد الارض اذا ارجفت كنفها وخوف الاعداء اذا ابرزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات اخمدت نيران الفتن وقصمت دواعي البدع واذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا واقاموا في ظل دعوتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التي اعز الله بها ذاتهم ورفع بها ضعتهم وجعلهم بها اربابا في اقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذل وقناع الخوف وطباق البلا ومحالفة الاسى وجهد البأس والضر فظاهر عليهم لباس كرامتك وانزلهم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ووسيلة دالتهم ومائة سابقتهم وحرمة مناصحتهم بالاحسان اليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمحسنهم والاقالة لمسيئهم اسي بنيّ ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها واستجلب مودتها بالانصاف لها وتحسن بذلك لربك وتوثق به في عين رعيتك واجعل عمال العذر وولاة الحجج مقدمة بين يدي عملك ونصفة منك لرعيتك وذلك ان تأمر قاضي كل بلد وخيار اهل كل مصر ان يختاروا لانفسهم رجلا

توليه امرهم وتجعل العدل حاكما بينه و بينهم فان احسن حمدت وان أساء عذرت هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج فلا يسقطن عليك ما في ذلك اذا انتشر في الآفاق وسبق الى الاسماع من انعقاد ألسنة المرجفين وكبت قلوب الحاسدين واطفاء نيران الحروب وسلامة عواقب الامور ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا و بمراحبك متعلقا رجلان احدهما كريمة من كرائم رجالات العرب واعلام بيوتات الشرف له ادب فاضل وحلم راجح ودين صحيح والآخر له دين غير مغمور وموضع غير مدخول بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وانحاء العرب ووضع الكتب عالم بمجالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره في حربك وتدخله في امرك فرجل اصبته كذلك فهو يأوي الى محلتي و يرعى في خضرة جناني ولا تدع ان تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصار اقواما يكونون جيرانك وسمارك واهل مشاورتك فيما تورد واصحاب مناظرتك فيما تصدر فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي الى الصواب قلبك وهاديا ينطق بالخير لسانك وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد

٣٤٤ رسالة سهل بن هرون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

اصلح الله امركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من اهله قال الاحنف ابن قيس يا معشر بني تميم لا تسرعوا الى الفتنة فان اسرع الناس الى القتال اقلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا اردت ان ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ومن اعيب العيب ان تعيب ما

ليس بعيب وقبيح ان تنهي مرشداً وان تغرى بمشفق وما اردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم ولئن اخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم وقد تعلمون انا ما اوصيناكم الا بما اخترناه لكم ولانفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه (وما اريد أن اخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) فما كان احقنا بكم في حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر لرأينا في انفسنا من ذلك شغلاً عبتموني بقولي لخادمي اجيدي العجين فهو اطيب لطعمه وازيد في ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه املكوا العجين فانه احد الريعين وعبتموني حين جثمت على شيء عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وامة لكعاء وزوجة مضيعة وليس من اصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عدالة العادة ولا في تدبير السادة ان يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوي مواضعهم في المجالس ومواقع اسمائهم في العنوان ومن شاء اطعم كلبه الدجاج السمين وعلف حماره السمسم المقشر وعبتموني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ وقال طينة خير من طية فامسكتم عمن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء وعبتموني ان قلت للغلام اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طبخ احدكم لحما فليزد من الماء فمن لم يصب لحما

أصاب مرقا وعبتموني بخصف النعل وبتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة من النعل ابقى واقوى واشبه بالشد وان الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع والاجماع مع الحفظ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلعق اصابعه ويقول لو اهدى الي ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام من لم يشبع من الحلال خفت مؤنته وقل كبره وقالت الحكماء لا جديد لمن لم يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه ان يكون عاقلا فأتاه به موافقا فقال له اكنت به ذا معرفة قال لا ولكني رأيته في يوم قائظ يلبس خلقاً ويلبس الناس جديدا فتفرست فيه العقل والادب وقد علمت ان الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه وقد جعل الله لكل شيء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مقالا وقد احيا الله بالسم وامات بالدواء واغص بالماء وقد زعموا ان الاصلاح احد الكاسبين كما زعموا ان قلة العيال احد اليسارين وقد جبر الاحنف بن قيس يد عنز وامر مالك بن انس بفرك النعل وقال عمر بن الخطاب من اكل بيضة فقد اكل دجاجة ولبس سالم بن عبد الله جلد اضحية وقال رجل لبعض الحكماء اريد ان اهدي اليك دجاجة فقال ان كان لا بد فاجعلها بيوضا وعبتموني حين قلت من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي ولقد اتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية واشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق اجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضيعة الماء وجدت في الاعضاء فضلا عن الماء فعلمت ان لو كنت سلكت الاقتصاد في اوائله لخرج آخره على كفاية اوله ولكان نصيب الاول كنصيب الآخر فعبتموني بذاك وشنعتم علي وقد قال الحسن وذكر السرف اما انه ليكون في الماء والكلأ فلم يرض

بذكر الماء حتى اردفه الكلأ وعبتموني ان قلت لا يغترن احدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته وان يرى نحوه أ كثر ذريته فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون معمراً وهو لا يدري وممدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله ان يرزق الولد على الياس و يحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل فيسترده ممن لا يرده و يظهر الشكوى الى من لا يرحمه اصعب ما كان عليه الطلب واقبح ما كان به ان يطالب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاصي اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً وعبتموني بان قلت بان السرف والتبذير الى مال المواريث واموال الملوك وان الحفظ للمال المكتسب والغني المجتلب والى من لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتضام القلب اسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الأصل ومن لم يعرف للغني قدره فقد اذن بالفقر وطاب نفساً بالذل وعبتموني بان قلت ان كسب الحلال يضمن الانفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق في الهوى حجاب دون الهوى فعبتم على هذا القول وقد قال معاوية لم ار تبذيرا قط الا والى جنبه تضييع وقد قال الحسن ان اردتم ان تعرفوا من اين اصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وانتم في دار الآفات والجوائح غير مأمونات فان احاطت بمال احدكم آفة لم يرجع الى نفسه فاحذروا النقم واختلاف الامكنة فان البلية لا تجري في الجميع الا بموت الجميع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والامة

والشاة والبعير فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين وقال ابن سيرين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة اكثر ما حملنا اموالنا في البحر قال ابن سيرين يحسبها خرقاء وهي صناع وعبتموني بان قلت لكم عند اشفاقي عليكم ان للغنى لسكرا وللمال لثروة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد اضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد اهمله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس احد اقصر عقلا من غنى أمن الفقر وسكر الغني اكثر من سكر الخمر وقال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك

وهوب تلاد المال فيما ينوبه ... منوع اذا ما منعه كان احزما

وعبتموني حين زعمتم اني اقدم المال على العلم لان المال به يفاد العلم و به تقوم النفس قبل ان تعرف فضل العلم فهو اصل والاصل احق بالتفضيل من الفرع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياء افضل ام العلماء قال العلماء قيل له فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر ما يأتي الاغنياء ابواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الاغنياء بحق العلم فقلت حالهما هي القاضية بينهما وكيف يستوي شيء حاجة العامة اليه وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال ابو بكر رضي الله عنه اني لا بغض اهل بيت ينفقون نفقة الايام في اليوم الواحد وكان ابو الاسود الدؤلي يقول لولده اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض وعبتموني حين قلت فضل الغني على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في البيت ان احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة وقد قال الحصين بن المنذر وددت ان لي مثل احد ذهباً لا انتفع منه بشيء قيل له فما كنت تصنع به قال لكثرة من كان يخدمني عليه لان

المال مخدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا انه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لاصحاب اللهو ولستم علي تردون ولا رأيي تفندون فقدموا النظر قبل العزم وادركوا ما لكم قبل ان تدركوا ما لكم والسلام عليكم

٣٤٥ عهد المأمون لعلي بن موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هرون الرشيد امير المؤمنين بيده لعليّ بن موسى بن جعفر ولي عهده (اما بعد) فان الله عز وجل اصطفى الاسلام دينا واصطفى له من عباده رسلا دالين عليه وهادين اليه يبشر اولهم باخرهم و يصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله الى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهدا لهم ومهيمنا عليهم وانزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فاحل وحرم ووعد واوعد وحذر وانذر وامر به ونهى عنه لتكون له الحجة البالغة على خلقه وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم فبلغ عن الله رسالته ودعا الى سبيله بما امره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ثم بالجهاد والغلظة حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده صلى الله عليه فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة جعل له قوام الدين ونظام امر المسلمين بالخلافة واتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها فرائض الله وحدوده وشرائع الاسلام وسننه و يجاهد بها عدوه فعلى خلفاء الله

طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على اقامة حق الله وعدله وأمن السبل وحقن الدماء وصلاح ذات البين وجمع الالفة وفي خلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة فحق على من استخلفه الله في ارضه وائتمنه على خلقه مؤثرا ما فيه رضا الله وطاعته و بعد لما واقفه عليه وسائله عنه (١) و يحكم بالحق و يعمل بالعدل فيما حمله الله وقلده فان الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام (يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال عز وجل (فو ربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون) و بلغنا ان عمر بن الخطاب قال لو ضاعت سخلة بجانب الفرات لتخوفت ان يسألني الله عنها وايم الله ان المسؤول عن خاصة نفسه الموقوف على عمله فيما بين الله و بينه سعرض امر كبير (٢) وعلى خطر عظيم فكيف بالمسؤول عن رعاية الامة و بالله الثقة واليه المفزع والرغبة في التوفيق مع العصمة والتسديد والهداية الى ما فيه ثبوت الحجة والفوز من الله بالرضوان والرحمة وأنظر الائمة لنفسه وانصحهم في دينه وعباده وخلافته في ارضه من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة ايامه واجتهد واجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده و يختاره لامامة المسلمين ورعايتهم بعده و ينصبه علما لهم ومفزعاً في جمع الفتهم ولم شعثهم وحقن دمائهم والامن باذن الله من فرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم فان الله عز وجل جعل العهد بالخلافة من تمام امر الاسلام وكماله وعزه وصلاح اهله والهم خلفاءه من توسيده

«١» كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل

لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة وشملت فيه العافية ونقض الله بذلك مراهل الشقاق والعداوة والسعي في الفرقة والرفض للفتنة ولم يزل امير المؤمنين منذ افضت اليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها وثقل محملها وشدة مؤونتها وما يجب على من يقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها فانصب بدنه واسهر عينه واطال فكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الامة ونشر العدل واقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة مهنئ العيش علماً بما الله سائله عنه ومحبة ان يلقى الله مناصحه في دينه وعباده و يختار لولاية عهده ورعاية الامة من بعده افضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وارجاهم للقيام بامر الله وحقه مناجياً لله بالاستخارة في ذلك و يسأله الهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره ومعملاً في طلبه والتماسه من اهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن ابي طالب فكره ونظره ومقتصرا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه و بالغا في المسألة عمن خفي عليه امره جهده وطاعته حتى استقصى امورهم بمعرفته وابتلى اخبارهم مشاهدة وكشف ما عندهم مساءلة فكانت خيرته بعد استخارته لله واجهاده نفسه في قضاء حقه و بلاده من البيتين جميعاً على بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لما رأى فضله البارع وعلمه الناصع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه متواطئة والالسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ولما لم يزل نعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلا فعقدله بالعقد والخلافة ايثاراً لله والدين ونظرا للمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ودعا امير المؤمنين ولده واهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعوه مسرعين مسرورين عالما بايثار امير المؤمنين

طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو اشبك به رحما واقرب قرابة وسماه الرضى اذ كان رضى عند امير المؤمنين فبايعوا معشر بيت امير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين الرضي من بعده على اسم الله و بركته وحسن قضائه لدينه وعباده بيعة مبسوطة اليها ايديكم منشرحة لها صدوركم عالمين بما اراد امير المؤمنين لها وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها شاكرين لله على ما الهم امير المؤمنين من فصاحته في رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائده في ذلك في جمع الفتكم وحقن دمائكم ولم شعثكم وسد ثغوركم وقوة دينكم ورغم عدوكم واستقامة اموركم وسارعوا الى طاعة الله وطاعة امير المؤمنين فانه الأمر ان سارعتم اليه وحمدتم الله عليه عرفتم الحظ فيه ان شاء الله تعالى

٣٤٦ وكتب محمد بن يحيي بن خالد لرجل وشي اليه

قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها وسوق السعاية بحمد الله في ايامنا كاسدة وألسنة السعاة في ايامنا كليلة خاسئة فاذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قانونك وخذهم بما في ديوانك فانا لم نولك الناحية لتتبع الرسوم العافية ولا لاحياء الاعلام الداثرة وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

٣٤٧ ووصف محمد بن الحسين فرسا فقال

هو حسن القميص جيد الفصوص (١) وثيق القصب نقى العصب يبصر بأذنيه و ينبوع بيديه و يداخل برجليه كأنه موج في لجة او سيل في حدور يناهب

(١) لعل المراد بالقميص اللون والفصوص من الفرس مفاصل ركبتيه

المشي قبل ان يبعث و يلحق الاراناب في الصعداء و يجاوز جواري الظباء في الاستواء و يسبق في الحضور جري الماء ان عطف جار وان ارسل طار وان كلف السير امعن وسار وان حبس صفن وان استوقف قطن وان رعي أتن فهو كما قال تأبط شرا

و يسبق وفد الريح من حيث تنتحي   بمنخرق من شده المتدارك

٣٤٨ وقال بعض البلغاء في ذم الحجاب

اذا اسدل الوالي على نفسه ستر الحجاب وهي عمود تدبيره واسترخت عليه حمائل الحزم وازدلفت اليه وفود الذم وتولى عنه رشد الراجي ونال اموره خلل الانتشار وآفة الاهمال وتسرع اليه العائبون بلواذع السنتهم ودبيب قوارصهم

٣٤٩ وكتب عبد الله بن سليمان الى سعيد

ابن عبد الملك وكان سعيد حجب عنه

سرت الى بابك اعزك الله عند ما حدث من امرك فلم يقض لقاؤك وعلمت ان ثقتك بما عندي قد مثلت لك حالي من السرور بنعمة الله عندك وأزتك موضعي من الاعتداد بكل ما خصك ووصل اليك فوكلت العذر الى ذلك ثم انا نأتيك مهنئين بطاعتك مشتاقين الى رؤيتك فيحجبنا عنك ملاحظ وهو كما علمت كن الصنيعة لئيم الطبيعة يحجب عنك الكرام و يأذن عليك للئام كلما نجمت له يد بيضاء اتبعها يد اسوداء فان رأيت اعزك الله ان تصرفه عن باب مكارمك فعلت ان شاء الله

وارساغه والقصبة كل عظم ذي مخ وجمعها قصب والتبوع طول الخطا وأتن لبث واقام

٣٥٠ وقال الحسن بن سهل

اذا كان الملك محتجباً عن الرعية ولم ينزل الوزير نفسه منزلة تكون وسائل الناس اليه انفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات حتى يختص الفاضل دون المفضول و يرتب الناس على اقدارهم واوزانهم ومعرفتهم امترج التدبير واختلت الامور ولم يميز بين الصدور والاعجاز والنواصي والاذناب وكان الناس فوضى ووهت اسباب الملك وانتقضت مرائره وشاعت سرائره وان اقرب ما ارجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المتنسمين بأنفسهم المتوسلين بأفهامهم المتوصلين بكفاياتهم وابتذال نفسي لهم وصبري عليهم وتصفحي ما توسلوا به وانتحلوه من العقول والآداب والحماية والكفاية فمن ثبتت له دعواه انزلته تلك المنزلة ولم اتحيفه حقه ولا نقصته حظه ومن قصر عما ادعى كانت منزلته منزلة المقصرين ولم اخيب امله من مقدار ما يستحقه

٣٥١ وكتب الى الحسن بن وهب وقد اصطبح

في يوم دجن لم يمطر

اما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر و بعده كانه قول كثير

واني وتهيامي بعزة بعد ما   تخليت ممـا بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما   تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وما اصبحت امنيتي الا في لقائك فليت حجاب النأي هتك بيني و بينك ورقعتي هذه وقد دارت زجاجات اوقعت بعقلي ولم تحيفه و بعثت نشاطا حركني للكتاب فرأيك في امطاري سرورا بسارّ خبرك اذ حرمت السرور بمطر هذا اليوم موفقاً ان شاء الله

٣٥٢ فأجابه

وصل كتاب الامير ايده الله وفمي طاعم و يدي عاملة ولذلك تأخر الجواب قليلا وقد رايت تكافؤ احسان هذا اليوم واساءته وما استوجب ذنباً استحق به ذماً لانه اذا اشمس حكي حسنك وضياءك وان امطر حكى جودك وسخاءك وان غام اشبه ظلك وفناءك وسؤال الامير عني نعمة من نعم الله عز وجل اعفي بها آثار الزمان السيء عندي وانا كما يحب الامير صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه

٣٥٣ وكتب ابن وهب الى مالك بن طوق عناية

بابن ابي الشيص

كتابي اليك خططته بيميني وفرغت له ذهني فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني اتراني اقبل العذر فيها او اقصر في الشكر عليها وابن ابي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت ايدينا تنبسط ببره ما عدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا

٣٥٤ وكتب ايضا يشكر

من شكرك على درجة رفعته اليها او ثروة اقدرته عليها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت به وقمت بين التلف وبينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره واتت من وراء كل غاية رددت عنا كيد العدو وارغمت انف الحسود فنحن نلجأ منك فيها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهده المجتهد

٣٥٥ وكتب عمرو بن مسعدة عناية

عن لسان الخليفة

كتابي هذا كتاب معتن بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن يضيع حامله بين الثقة والعناية

٣٥٦ وكتب ابراهيم الصولي عن الخليفة

الى بعض الخارجين يتهددهم

اما بعد فان لأمير المؤمنين اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه والسلام

٣٥٧ وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء يعتذر

نبت بي غرة الحداثة فردتني اليك التجربة وقادتني الضرورة ثقة باسراعك الى وان ابطأت عنك وقبولك لعذري وان قصرت عن واجبك وان كانت ذنوبي سدت علي مسالك الصفح عني فراجع في مجدك وسؤددك واني لا اعرف موقفاً اذل من موقفي لولا ان المخاطبة فيه لك ولا خطة ادنأ من خطتي لولا انها في طلب رضاك

٣٥٨ وكتب المطلب بن عبد الله الى الحسن

ابن سهل عناية برجل

طلب العافين الوسائل الى الامير اعزه الله ينبيء عن شروع موارد احسانه و يدعو الى معرفة فضله وما انصفه اعزه الله تعالى من توسل الى معروفه بغيره ورأى الامير في التطول على من قصرت معرفته عن ذلك ما يريد الله تعالى فيه موفقاً

٣٥٩ وكتب احمد بن يوسف عن لسان طاهر
ابن الحسين يخبر المأمون بقتل اخيه الامين

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان كان المخلوع قسيم امير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية والخدمة بمفارقته عصمة الدين وخروجه عن الامر الجامع للمسلمين لقول الله عز وجل فيما اقتص علينا من نبأ نوح وابنه (انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح) ولا طاعة لاحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله وكتابي الى امير المؤمنين وقد انجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده والحمد لله الراجع الى امير المؤمنين معلوم حقه الكائد له فيمن ختر عهده ونقض عقده حتى رد به الالفة بعد فرقتها وجمع به الامة بعد شتاتها واضاء به اعلام الدين بعد دروسها وقد بعثت اليك بالدنيا وهي رأس المخلوع وبالآخرة وهي البردة والقضيب والحمد لله الآخذ لامير المؤمنين حقه الراجع اليه تراث آبائه الراشدين

٣٦٠ وكتب الى بني سعيد بن مسلم ذاما

لولا ان الله عز وجل ختم نبوته بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتبه بالقرآن لنزل فيكم نبي نقمة وانزل فيكم قرآن غدر وما عسيت ان اقول في قوم محاسنهم مساوي السفل ومساويهم فضائح الامم والسنتهم معقولة بالعي وايديهم معقودة بالبخل وهم كما قال الشاعر

لا يكبرون وان طالت حياتهم ... ولا تبيد مخازيهم وان بادوا

٣٦١ وكتب الى ابراهيم بن المهدي يعتذر

بلغني استقلالك لما الطفتك والذي نحن عليه من الانس سهل قلة الحشد لك في البر فاهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم

٣٦٢ كتاب طاهر بن الحسين لابنه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد عليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد احسن اليك واوجب عليك الرأفة لمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنهم ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت وفرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس أمرك وملاك شأنك واول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وينسب اليه فعلك المواظبة على ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وعلى سننها من اسباغ الوضوء وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك واتصدق فيها لربك ونيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهي عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده فاذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله تعالى في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه

بما يحق لله عز وجل عليك ولا تميلن عن العدل فيما أحببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد واثر الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما يزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد اليه والآمر به والناهي عن المعاصي الموبقات كلها وبها مع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والأنس بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا احضر امنا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية لاستكثار البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة اولياء الله في دار كرامته واعلم ان القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومرتبتك ولا تستصلح امورك بافضل منه فأته واهتد به تتم امورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك واحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك عن اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزا فانه انما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك واعلم

انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما احببت كفايته من امورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك ان تستعمل المسألة والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية في النظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيى للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقديم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزي بما احسن ومأخوذ بما اساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى واقم حدود الله تعالى في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهدا فاوف به واذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة فان اول فساد امورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لطبعها امر وأحب اهل الصلاح والصدق وأعز الاشراف بالحق واوصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى

سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيش والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انا مسلط افعل ما اشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له واخلص لله النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغيير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم أن الاموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في اصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وزكت وصلحت العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال في عمارة الاسلام وأهله وفرق منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك واطيب نفسا بكل ما اردت فأجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم خشيتك فيه فانما يبقى من المال ما انفق في سبيل الله بحقه واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله

سبحانه قد أسبغ نعمته عليك في الدنيا وأظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين وفضل الحق فيما حمل من النعم وألبس من الكرامة ولا تحقرن ذنباً ولا تمالئن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تحسنن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن موعداً ولا تزهون فخراً ولا تظهرن غضباً ولا تأتين ندماً ولا تمشين مرحاً ولا تزكين سفيهاً ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفعن للنمام عيناً ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن اهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فان ضررهم اكثر من نفعهم وليس شيء اسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلاً فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صافاك من اوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فيئك حظاً ونصيباً وايقن ان الجود من افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومذهباً وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم وأدر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معايشهم ليذهب الله بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد به قلوبهم

في طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون
على جنده ورعيته ذا رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته و بره
وتوسعته فزايل مكروه احد البابين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به
تلق ان شاء الله تعالى نجاحاً وفلاحاً واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذي
ليس فوقه شيء من الامور لانه ميزان الله الذي تعدل عليه احوال الناس في
الارض و باقامة الفصل والعدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأمن
السبل و ينتصف المظلوم و يأخذ الناس حقوقهم وتحصل المعيشة و يؤدي حق
الطاعة و يرزق الله العافية والسلامة و يقوم الدين وتجري السنن والشرائع على
مجاريها بتنجيز الحق والعدل في القضاء واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن
النطق وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم
وليسكن ريحك و يقر حدك وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك واسدد في منطقك
وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا تأخذك في احد من
رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر
واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن
الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر
هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله
توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولاهل الكفر من معاهدتهم ذلا
وصغاراً فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه
شيأ عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن احد من
خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال ولا تكلفن امرًا فيه شطط
واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم وألزم لرضا العامة واعلم

انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وانما سمي اهل عملك رعيتك لانك
راعيهم وقيمهم وخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعمل
بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما
تقلدت واسند اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فانك
متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدوثة في عملك واجتررت به المحبة من رعيتك واعنت على الصلاح فدرّت
الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك
وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتياض جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء
فيهم من نفسك و كنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت
في امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيأ تحمد
عاقبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك اخبار
عمالك و يكتب اليك بسيرهم واعمالهم حتى كانك مع كل عامل في عمله معاين
لاموره كلها واذا اردت ان تأمرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان
رأيت السلامة والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه والا
فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في أمر
من اموره وقد اتاه على ما يهوى فاغراه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه
ونقض عليه امره فاستعمل الحزم في كل ما اردت و باشره بعد عون الله بالقوة
واكثر من استخارة ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره فان لغد
امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب
بما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيثقلك ذلك حتى تمرض منه

واذا امضيت لكل يوم عمله ارحت بدنك ونفسك واحكمت امور سلطانك وانظر احرار الناس وذوي السن منهم فمن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم منافرا وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخفى مسألة ووكل بامثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وارامهم واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره في الجراية على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم وقواما يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى اسراف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وافضل امانيهم لم يرضهم ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما برم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره منها مما نناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته فاكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن لهم حراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك وان لهم في المسألة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة

ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من امور الدنيا ممن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم معاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر واعلامك ما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد الا الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة عدلا وصلاحا وانا اسأل الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

٣٦٣ وكتب ابراهيم بن العباس يشفع لرجل

فلان ممن يزكو شكره ويحسن شكره ويعني امره والصنيعة عنده واقعة موقعها وسالكة طريقها

وافضل ما يأتيه ذو الدين والحجا   اصابة شكر لم يضع معه أجر

٣٦٤ وكتب الجاحظ الى رجل يعاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

زينك الله بالتقوى وكفاك ما اهمك من الآخرة والاولى من عاقب ابقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى في الظلم ومن لم يفرق بين الاسافل والاعالي والاداني والاقاصي فقد قصر والله لقد كنت اكره سرف الرضا مخافة ان يؤدي الى سرف الهوى فما ظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول فحاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وانت روح كما انت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا ان التأثر في الرقاق اسرع وضده في الغلاظ الجفاة اكمل ولذلك اشتد جزعي عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا اردت ان تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر في علته وفي سبب اخراجه الى معدنه الذي منه نجم وعشه الذي منه درج والى جهة صاحبه في التسرع والثبات والى حاله عند التعريض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الغيظ في المقادير او من طريق الانفة وغلبة الطباع الحمية من جهة الجفوة او من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به عن حقه مؤخر عن رتبته او كان مبلغا عنه مكذوبا عليه او كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا ينظر فيها حليم ولست اسميه بكثرة معروفه

كريما حتى يكون عقله غامرا بعلمه وعلمه غالبا على طباعه كما لا اسميه بكف العقاب حليما حتى يكون عارفا بمقدار ما اخذ وترك ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والنفار الغالب فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من العقلاء وصوب رايك عالم من الاشراف والاناة اقرب من الحمد وابعد من الذم وانأى من خوف العجلة وقد قال الاول عليك بالاناة فانك على ايقاع ما لم توقعه اقدر منك على رد ما قد اوقعته وليس يصارع الغضب ايام شبابه شيء الا صرعه ولا ينازعه قبل انتهائه الا قهره وانما يحتال له قبل هيجه فمتى تمكن واستفحل واذكي ناره واشعل ثم لاقى من صاحبه قدرة ومن اعوانه سمعا وطاعة فلو استبطنته بالتوراة واوجرته بالانجيل ولددته بالزبور وافرغت على رأسه القرآن افراغا واتيته بآدم شفيعا لما اقصر دون اقصى قوته وتمنى ان يعار اضعاف قدرته وقد جاء في الاثر ان اقرب ما يكون العبد من غضب ربه عز وجل اذا غضب وقال قتاده لن يسكن غضب العبد الا ذكره غضب الرب فلا تقف حفظك الله بعد مضيك في عتابي التماسا للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم ان للكريم اعداء ويمسك امساك من لا يبرئ نفسه ولا يبرئ الهوى من الخطأ ولا تنكر لنفسك ان تزل ولعقلك ان يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست اسألك الا ريثما تسكن نفسك ويرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد اردت ان افديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرأيت ان من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك ان افديك بنفس ميتة وان اريك اني قد جدت بانفس ذخر والذخر

معدوم وانا اقول لك كما قال اخو ثقيف مودة الاخ التالد وان اخلق خير من مودة الاخ الطارف وان طهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك

٣٦٥ وكتب ايضاً الى ابن ابي دواد يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس عندك اعزك الله سبب ولا اقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتاميل الذي لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المامول وارجو ان اكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب واكون افضل شاكر ولعل الله ان يجعل هذا الامر سبباً لهذا الانعام وهذا الانعام سبباً للانقطاع اليكم والكون تحت اجنحتكم فيكون لا اعظم بركة ولا انمى بقية من ذنب اصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد اخذ حظه وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وارجو ان لا اضيع واهلك فيما بين كرمك وعقلك وما اكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة امركم فلا انتم عن ذلك تنكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملأ من بني اسرائيل الا اسمعوه شرا واسمعهم خيرا فقال شمعون الصفا ما رايت كاليوم كلما اسمعوك شرا اسمعتهم خيرا فقال كل امرىء ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا في اوعيتكم الا الرحمة (وكل اناء بالذي فيه ينضح)

٣٦٦ فصل له في ذكر قريش وبني هاشم

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها وكيف عقولها ودهاؤها وكيف رأيها وذكاؤها وكيف سياستها وتدبيرها وكيف ايجازها وتحسيرها وكيف رجاحة احلامها اذا خف الحليم وحدة اذهانها اذا كل الحديد وكيف صبرها عند اللقاء وثباتها في اللأواء وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر وكيف جودها اذا حب المال وكيف ذكرها لأحاديث غد وقلة صدودها عن جهة القصد وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه وكيف وصفها له ودعاؤها اليه وكيف سماحة اخلاقها وصونها لأعراقها وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم وطريفهم بتليدهم وكيف اشبه علانيتهم سرهم وقولهم فعلهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بعد غدره وهل غفلته الا في وزن صدق ظنه وهل ظنه الا كيقين غيره

٣٦٧ وكتب الى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

اعاذك الله من سوء الغضب وعصمك من سرف الهوى وصرف ما اعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح في قلبك ايثار الأناة فقد خفت ايدك الله ان اكون عندك من المنسوبين الى نزق السفهاء ومجانبة سبل الحكماء (وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وان امرأً امسى واصبح سالما   من الناس الا ما جنى لسعيد

(وقال الآخر)

ومن دعا الناس الى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

فان كنت اجترأت عليك اصلحك الله فلم اجترىء الا لأن دوام تغافلك عني شبيه بالاهمال الذي يورث الاغفال والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ولذلك

قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله عمر كان خيرا لي منك أرهبني
فأتقاني واعطاني فاغناني فان كنت لا تهب عقابي ايدك الله لخدمة فهبه
لاياديك عندي فان النعمة تشفع في النقمة والا نفعل ذلك لذلك فعد الى
حسن العادة والا فافعل ذلك لحسن الأحدوثة والافآت ما انت اهله من
العفو دون ما انا اهله من استحقاق العقوبة فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد
وتجافي عن عقاب المصر حتى اذا صرت الى من هفوته ذكر وذنبه نسيان ومن
لا يعرف الشكر الا لك والانعام الا منك هجمت عليه بالعقوبة واعلم ايدك الله
ان شين غضبك عليّ كزين صفحك عني وان موت ذكري مع انقطاع سببي
منك كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك واعلم ان لك فطنة عليم وغفلة كريم
والسلام

٣٦٨ وكتب الى بعض أخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة واستعمله بالطاعة كتبت اليك وحالي
حال من كثفت غمومه واشكلت عليه اموره واشتبه عليه حال دهره ومخرج
امره وقل عنده من يثق بوفائه او يحمد مغبة اخائه لاستحالة زماننا وفساد ايامنا
ودولة أنذالنا وقدما كان من قدم الحياء على نفسه وحكم الصدق في قوله
وآثر الحق في اموره ونبذ المشتبهات عليه من شؤونه تمت له السلامة وفاز
بوفور حظ العافية وحمد مغبة مكروه العاقبة فنظرنا اذ حال عندنا حكمه وتحولت
دولته فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال والقصد في الطلب
بترك استعمال القحة واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأي
اذ صارت الحظوة الباسقة والنعمة السابغة في لؤم المشيئة وثناء الرزق من جهة

محاشاة الرخاء وملابسة معرة العار ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا والكاشر
لحجتنا فاقمنا له علما واضحا وشاهدا قائما ومنارا بينا اذ وجدنا من فيه السفولية
الواضحة والمثالب الفاضحة والكذب المبرح والحلف المصرح والجهالة المفرطة
والركاكة المستخفة وضعف اليقين والاستثبات وسرعة الغضب والجراءة قد
استكمل سروره واعتدلت اموره وفاز بالسهم الاغلب والحظ الاوفر والقدر
الرفيع والجواز الطائع والامر النافذ ان زل قيل حكم وان اخطأ قيل اصاب
وان هذى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة فهذه حجتنا
والله على من زعم ان الجهل يخفض وان النوك يردي وان الكذب يضر وان
الخلف يزري ثم نظرنا في الوفاء والامانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال
المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة والفائق في سعة علمه والحاكم
على نفسه والغالب لهواه فوجدنا فلان بن فلان ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من
حقه ولا قام له بوظائف فرضه ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به فهذا دليل ان
الطلاح اجدى من الصلاح وان الفضل قد مضى زمانه وعفت آثاره وصارت
الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ووجدنا العقل يشقى به قرينه كما ان
الجهل والحمق يحظي به خدينه ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ومعربا عن
الايام حيث يقول

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ... ولاقهم بالجهل فعل أخي الجهل
وخالط اذا لاقيت يوما مخلطا ... يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت ابقاك الله مثل من اصبح على أوفاز ومن النقلة على جهاز لا يسوغ
له نعمة ولا تطعم عينه غمضة في اهاويل يباكره مكروهها ويراوحه عقابيها

فلو ان الدعاء اجيب والتضرع سمع لكانت العدة العظمى والرجفة الكبرى فليت اي اخي ما استبطئه من النفخة ومن فجأة الصيحة قضى فحان واذن به فكان فوالله ما عذبت امة برجفة ولا ريح ولا سخطة عذاب عيني بروية المغايظة المدمنة والاخبار المهلكة كأن الزمان يوكل بعذابي او ينصب باياي فما عيش من لا يسر بأخ شفيق ولا يصطبح في اول نهاره الا بروية من يكرهه و يغمه بطلعته فقد طالت الغمة وواظبت الكربة وادلهمت الظلمة وخمد السراج وتباطأ الانفراج

٣٦٩ وكتب ايضاً

كتابي مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان ذدته لم اذممك

٣٧٠ وكتب الى قليب المغربي يعاتبه

والله يا قليب لولا ان كبدي في هواك مقروحة وروحي بك مجروحة لساجاتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة وارجو ان الله تعالى يديل صبري من جفائك فيردك الى مودتي وانف القلا راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء

٣٧١ وكتب أيضا

اما بعد فما اقبح الا حدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل اليك بعنانه لويت عنه فتثبت في ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم

٣٧٢ وكتب مستنجزا وعدا

اما بعد فقد رسفنا في قيود مواعيدك وطال مقامنا في سجون مطلك

فاطلقنا ابقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة او مريحة

٣٧٣ وكتب احمد بن ابي طاهر
يشكر علي بن يحيى

وصل الي واصل الله نعمتك بالمزيد ما ابتدأت به من برك المتتابع وفضلك الواسع فصادفنا على حال من الخلة قد دعتنا ضرورة الحاجة بها الى ذل المسألة فرم ما ثلمه الدهر من مروءتنا وسد ما كشفه من خلتنا وكفانا مؤنة الامتحان للاخوان في مودتنا وستر وجوهنا بالصيانة عن المسألة وبقى جاهنا عند اهل المودة فما ظنك بمعروف صادف حاجة وصنيعة كان الباسها بلا ذلة ولا بذلة ومعونة جاءت بلا مؤونة وغيث جاد بلا عارض ولا مخيلة وأمل ادرك بلا تعب وحق اوجب بلا حرمة ولا سبب ما كان الا كالقطر في الارض القفر اغفلها الزمان وجفاها العمران وكل معروف وان كثر فاكثر منه فضلك وكل صنيعة وان كبرت فاكبر منها الامل فيك وكل شكر بلغ غاية محمودة فاقل كرمك يستغرقه وكبيره يقصر عن تطولك قد فت والله المادح المطنب وقصر عنك لسان الشاكر المعترف والحامد المجتهد وأنفد فضلك المحاسن واستوفى اقلك جميع الفضائل وكل دونك لسان الخطيب والشاعر وتزينت بك الايام وازدحمت عليك الآمال وامتثل مكارمك الكرام وقصر عنك الجياد والاجواد فالى الذي زيننا باخائك نرغب في بقائك ونسأله ان يهبك لفاقتنا اليك واتكالنا بعده عليك

٣٧٤ وكتب ابن المعتز الى القاسم
ابن عبيد الله يعتذر

ترفع عن ظلمي ان كنت بريئاً وتفضل بالعفو ان كنت مسيئاً فوالله اني

اني لا طلب عفو ذنب لم اجنه والتمس الاقالة مما لا اعرفه لتزداد تطولا وأزداد تذللا وانا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها وأحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها واسأل الله تعالى ان يجعل حظي منك بقدر ودي لك ومحلي من رجائك بحيث أستحق منك

٣٧٥ وله في البلاغة

البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول ومجلي الشبهة وموجب الحجة والحاكم عند اختصام الظنون والمفرق بين الشك واليقين وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب واستقام الاصيد وبهت الكافر وسلم الممتنع حتى اشب الحق بانصاره وخلى ربع الباطل من عماره وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقيه وموجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول وظاهر غير خفي يشهد بذلك عجز المتعاطين ووهن المتكلفين وتحير الكذابين وهو المبلغ الذي لا يمل والجديد الذي لا يخلق والحق الصادع والنور الساطع والماحي لظلم الضلال ولسان الصدق النافي للكذب ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك وناعي الدنيا المنقولة وبشير الآخرة المخلدة ومفتاح الخير ودليل الجنة ان اوجز كان كافياً وان اكثر كان مذكراً وان اومأ كان مقنعاً وان اطال كان مفهماً وان امر فناصحاً وان حكم فعادلا وان اخبر فصادقا وان بين فشافياً سهل على الفهم صعب على المتعاطي قريب المأخذ بعيد المرام سراج تستضيء به القلوب حلواذا تذوقته العقول بحر العلوم وديوان الحكم وجوهر الكلم ونزهة المتوسمين وروح قلوب المؤمنين نزل به الروح الامين على محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين فخصم الباطل وصدع بالحق وتألف من النفرة وانقذ من الهلكة فوصل الله له النصر واضرع

به خد الكفر

٣٧٦ وقال ايضاً في الدنيا

وعد الدنيا الى خلف وبقاؤها الى تلف وبعد عطائها المنع وبعد امانها الفجع طواحة طراحة آسية جراحة كم راقد في ظلها قد ايقظته وواثق بها قد خانته حتى يلفظ نفسه ويودع دنياه ويسكن رمسه وينقطع عن امله ويشرف على عمله وقد رجح الموت بحياته ونقض قوي حركاته وطمس البلى جمال بهجته وقطع نظام صورته وصار كخط من رماد تحت صفائح انضاد وقد اسلمه الاحباب وافترش التراب في بيت قد نجرته المعاول وفرشت فيه الجنادل ما زال مضطرباً في امله حتى استقر في اجله ومحت الايام ذكره واعتادت الالحاظ فقره

٣٧٧ وكتب الى عبيد الله في يوم عيد

اخرتني العلة عن الوزير اعزه الله فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما اخلته العوائق مني وانا اسأل الله تعالى ان يجعل هذا العيد اعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ودون الاعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له ويقبل ما توسل به الى مرضاته ويضاعف الاحسان اليه على الاحسان منه ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقصاً ولا يقطع عنه مزيدا ويجعلني من كل سوء فداءه ويصرف عيون الغير عنه وعن حظي منه

(نبذة من خطب لبني العباس قد مر بعضها)

٣٧٨ خطبة للسفاح خطبها بالشام لما قتل مروان بن محمد

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار نكص بكم يا اهل الشام آل حرب وآل مروان يتسكعون بكم الظلم

ويتهورون بكم مداحض الزلق يطؤون بكم حرم الله وحرم رسوله ماذا يقول
زعماؤكم غدا يقولون ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اذا يقول الله
عز وجل لكل ضعف ولكن لا تعلمون اما امير المؤمنين فقد ائتنف بكم التوبة واغتفر
لكم الزلة وبسط لكم الاقالة وعاد بفضله على نقصكم وبحمله على جهلكم فليفرخ
روعكم ولتطمئن به داركم وليقطع مصارع اوائلكم فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا

٣٧٩ خطبة للمنصور حين خروجه الى الشام

شنشنة اعرفها من اخزم   من يلق ابطال الرجال يكلم

مهلا مهلا روايا الارجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كفيتم والتخطي
الى ما حذرتم قبل ان تتلف نفوس ويقل عدد ويذل عز وما انتم وذاك الم تجدوا
ما وعد ربكم من ايراث المستضعفين من مشارق الارض ومغاربها حقا والحجر
الحجر ولكن خب كامن وحسد مكمن فبعدا للقوم الظالمين

٣٨٠ خطبة لصالح بن علي

يا اعضاد النفاق وعبد الضلالة اغركم لين اساسي وطول ايناسي حتى ظن
جاهلكم ان ذلك لفلول حد وفتور جد وخور قناة كذبت الظنون انها العترة بعضها
من بعض فاذ قد استوليتم العافية فعندي فطام وفكاك وسيف يقد الهام

اغركم اني باكرم شيمة   رفيق واني بالفواحش اخرق
ومثلي اذا لم يجز احسن سعيه   تكلم نعماه بفيها فتنطق
لعمري لقد فاحشتني فغلبتني   هنيأ مريأ انت بالفحش ارفق

٣٨١ خطبة لداود بن علي

ايها الناس حتام يهتف بكم صريخكم اما آن لراقدكم ان يهب من نومه

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال
هيهات منكم وكيف بكم والسوط كفي والسيف مشهر

حتى تبيد قبيلة فقبيلة   ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا   يمسحن عرض ذوائب الايتام

٣٨٢ خطبة للمهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ورضي به من خلقه احمده على آلائه
وامجده لبلائه واستعينه واومن به واتوكل عليه توكل راض بقضائه وصابر
لبلائه واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده المصطفى
ونبيه المجتبى ورسوله الى خلقه وامينه على وحيه ارسله بعد انقطاع الرجاء وطموس
العلم واقتراب من الساعة الى امة جاهلية مختلفة أمية اهل عداوة وتضاغن
وفرقة وتباين قد استهوتهم شياطينهم وغلب عليهم قرناؤهم فاستشعرهم الردي
وسلكوا العمى يبشر من اطاعه بالجنة وكريم ثوابها وينذر من عصاه بالنار واليم
عقابها ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم
اوصيكم عباد الله بتقوى الله فان الاقتصار عليها سلامة والترك لها ندامة واحثكم
على اجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته والانتهاء الى ما يقرب من رحمته
وينجي من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب وجزيل المآب فاجتنبوا
ما خوفكم الله من شديد العقاب واليم العذاب ووعيد الحساب يوم توقفون بين
يدي الجبار وتعرضون فيه على النار يوم لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه يوم لا تجزي نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولاهم ينصرون يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده

شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فان الدنيا دار غرور و بلاء وشرور واضمحلال وزوال وتقلب وانتقال قد افنت من كان قبلكم وهى عائدة عليكم وعلى من بعدكم من ركن اليها صرعته ومن وثق بها خانته ومن املها كذبته ومن رجاها خذلته عزها ذل وغناها فقر والسعيد من تركها والشقي فيها من آثرها والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة و بادروا بالاعمال الزكية في هذه الايام الخاليه قبل ان يؤخذ بالكظم وتندموا فلا تنالون الندم في يوم حسرة وتأسف وكآبة وتلهف يوم ليس كالايام وموقف ضنك المقام ان احسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله يقول الله تبارك وتعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)

٣٨٣ خطبة لهرون الرشيد

الحمد لله نحمده على نعمه ونستعينه على طاعته ونستنصره على اعدائه ونؤمن به حقا ونتوكل عليه مفوضين اليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله بعثه على فترة من الرسل ودروس من العلم وادبار من الدنيا واقبال من الآخرة بشيرا بالنعيم المقيم ونذيرا بين يدي عذاب اليم فبلغ الرسالة ونصح الامة وجاهد في الله فأدي عن الله وعده ووعيده حتى اتاه اليقين فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام اوصيكم عباد الله بتقوى الله فان في التقوى تكفير السيآت وتضعيف الحسنات وفوزا بالجنة ونجاة من النار واحذركم

يوما تشخص فيه الابصار وتبلى فيه الاسرار يوم البعث ويوم التغابن ويوم التلاقي ويوم التنادي يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد في حسنة يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون عباد الله انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى حصنوا ايمانكم بالامانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة فقد جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا صلاة لمن لا زكاة له انكم سفراء مجتازون وانتم عن قريب تنتقلون من دار فناء الى دار بقاء فسارعوا الى المغفرة بالتوبة والى الرحمة بالتقوى والى الهدى بالامانة فان الله تعالى ذكره اوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهداه للمنيبين قال الله عز وجل وقوله الحق (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) وقال (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) واياكم والاماني فقد غرت وأوردت واوبقت كثيرا حتى اكذبتهم مناياهم فتناوشوا التوبة من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون فاخبركم ربكم عن المثلات فيهم وصرف الآيات وضرب الامثال فرغب بالوعد وقدم اليكم الوعيد وقد رأيتم وقائع بالقرون الخوالي جيلا فجيلا وعهدتم الآباء والابناء والاحبة والعشائر باختطاف الموت اياهم من بيوتكم ومن بين اظهركم لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم فزالت عنهم الدنيا وانقطعت بهم الاسباب فاسلمتهم الى اعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ان احسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله يقول الله عز وجل (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم

انه هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد) آمركم بما أمركم الله به وانهاكم عما نهاكم الله عنه واستغفر الله لي ولكم

٣٨٤ خطبة للمأمون في يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ومستوجبه على خلقه احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدًا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده والعمل لما عنده والتنجز لوعده والخوف لوعيده فانه لا يسلم الا من اتقاه ورجاه وعمل له وارضاه فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ويفني وترحلوا عن الدنيا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا كقوم صيح فيهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثًا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة وان غائبًا يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه واملة خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم عليه منيته اغفل ما يكون عنها فيالها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وتؤديه منيته الى شقوة نسأل الله ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غفلة ولا يحل به بعد الموت فزعة انه سميع الدعاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير

فعال لما يريد

٣٨٥ وكتب ابو الطيب المتنبي بعد ان أبلّ

من مرض الى احد اخوانه

وصلتني اعزك الله معتلا وقطعتني مبلا فان رأيت ان لا تكدر الصحة علي وتحبب العلة اليّ فعلت

٣٨٦ وكتب ابن عباد الى ابي سعيد الشبيبي

من رسالة عناية

قد رأي شيخ الدولتين كيف الكلف بسادتي من اهل ميكال ايدهم الله بين ود اضمره على البعد وايثار اظهره على تراخي المزار وتقريظ يمليه عليّ الملوان ومدح انطق فيه بلسان الزمان حتى ان ذكرهم اذا جرى على لساني اهتزت له نفسي وفضلهم اذا جرى على سمعي انفرج له صدري فتلك عصبة خير فضلها باهر وشرفها على شرف النماء زاهر وشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء والله يتم اعدادها ولا يعدمني ودادها واذا كان اكباري لهم هذا الاكبار فكل منتسب الى جنبهم اثير لدىّ كثير في يديّ وطرأ عليّ فلان منتسبًا الى جملتهم وحبذا الجملة ومعتزيًا الى خدمتهم ونعمت الخدمة فقررناه عن طبع سمح ولفظ عذب وصلة نثر بنظم فان شاء قال انا الوليد وان شاء قال انا عبد الحميد ولم اعظم بمن خرجته تلك النعمة ونتجته تلك السدة ان يأخذ من كل حسنة بعروة ويقدح في كل نار بجذوة وآنسنا بالمقام مدة اكدتها شوافع عدة الى ان تذكر معاهد رأي فيها الدهر طلقا والزمان غلاما والفضل رهنا والافضال لزاما فحن حنين الركاب وركب عزيم الاياب

٣٨٧ وكتب ايضاً الى ابي العباس الضبي عناية
بأبي الحسن علي بن
احمد الجوهري

اوصافي لمولاي ادام الله تعالى عزه تودع الشوق اليه حبات القلوب كما تملأ له بالمحبة اوساط الصدور فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق في خصال العلم الا ونار الحنين حشو ثيابه او يرحل اليه و ينيخ ركائب السير لديه لا جرم ان جل من يحضرني يطالبني بالاذن له في قصده ولا يهتبل غرة الزمان في الحظوة بقربه نعم وذوو التحصيل اذا حظوا لدى بزلفة واحصفوا عروة خدمة اعتقدوا انهم ان لم يعتمدوا ظله ولم يعتلقوا حبله كانوا كمن حج ولم يعتمر ودخل ظفار ولم يحمر الا ان جميعهم اذا دفعته اندفع واذا خدعته انخدع غير واحد ملط ملحف مشط يغريه الرد بالمراجعة و يغويه المنع للمعاودة و يقول بملء لسانه الى ان يسأم و يقتضي طول زمانه حتى يبرم وكم جررته على شوك المطل ونقلته من حزن الى سهل وصرفته على انجاز وعد بوعد ودفعته من استقبال شهر الى انسلاخ شهر ثم خوفته كلب الشتاء اجعل الربيع موعدا وحذرته وهج المصيف أعطيته للخريف موثقا وكم شغلته بعمالة بعد عمالة ووفادة بعد وفادة او يد في كل ان اصدفه عن وجهته واصده عن عزمته ليس لغرض اكثر من ان السؤال منه والدفاع مني تساجلا والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا فلما خشيت صبابته باصبهان ان يردها بل بخدمة مولاي ان يعتقدها تجنى على قلبه او يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله القيت حبله على غاربه و بردت بالاذن جمرات جوانحه فان يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته اقل من فضله برهان حق وشعره لسان صدق ومن اطبق اهل جلدته على انه معجزة

بلدته ولا يعد بجرجان بعيدا ولا قريباً او لاختهان طبرستان قديما ولا حديثا مثله ومن اخذ برقاب النظم اخذه وملك رق القوافي ملكه ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره وقبل ان تحدثه الآداب وقيل جري المذكيات غلاب ابو الحسن الجوهري ايده الله و بناؤه عند مولاي منذحين وخصوصه بي كالصبح المبين الا انه لمشاهدة الحاضر ومعاينة الناظر مزية لا يستقصيها الخبر وان امتد نفسه وطال عنانه ومرسه وقد الف الى هذه الفضيلة التي فرع بنيها واوفي على ذوي التجربة والتقدمة فيها نفاذاً في ادب الخدمة ومعرفة بحق الندام والعشرة وقبولا يملأ به مجلس الحفلة انصاتا منا للمتبوع الا اذا وجب القول واعظاماً للمخدوم الا اذا خرج الامر وظرفاً يشحن مجلس الخلوة حديثاً يسكت به العنادب و يطاول البلابل فان اتفق ان يفسح له في الفارسية نظما ونثرا طفح آذيه وسال اتيه فالسنة اهل مصره الا الافراد بروق اذا وطئوا اعقاب العجم وقيود اذا تعاطوا لغات العرب حتى ان الاديب منهم المقدم والعليم المسوم يتلعثم اذا حاضر بمنطقه كانه لم يدر من عدنان ولم يسمع من قحطان ومن فضول اخينا او فضله انه يدعي الكتابة و يدارس البلاغة و يمارس الانشاء و يهدي فيه ما شاء وكنت اخرجته الى ناصر الدولة ابي الحسن محمد بن ابراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه وامانة في ودائع لسانه و يده واظهار النسك لم اعهده في مسكه حتى خرج وسلم على نقده وان نقده يشد به لمثله ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه اما بين يدى او باقرب المجالس لدي ولا يقولن هذا اديب وشاعر او وافد وزائر بل يحسبه قد تخفف بين يديه اعواماً واحقاباً وقضى في التصرف لديه صبا وشبابا وهذا انما يحتاج الى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه ولم يظهر طرزه والا فسيكون بعد شفيع من سواه ووسيط من عداه

فهناك يحمد الله درقه وحدقه ووجنة مطرقة وما ا كثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها ورفارفها وطواشيها فليملأ مولاي عينه من منتزهات اصبهان فعسى طماحه ان يخف وجماعه ان يقل وشريطة اخرى في بابه وهي انه ليس موضعاً لماله فسبيل ما يرزأه ان يكون ما اقام في حجره وان اذن له مولاي في العود داخلا في حظر فما ا كثر ما يبادي البرامكة تبرماً بجانب الجمع وتخرقا في مذاهب البذل ونسبة للرياح الى الامساك والبخل فبينا تراه والثروة اقرب وصفيه حتى تراه والحاجة احد خصميه وكم وكم تداركت امره فما ازداد الخرق الا وسعاً لا يقبل رتقاً وتهاوناً لا يسع تلافياً وما كنت مع ابرامه لافسح له في الخروج وامد له طول النهوض مع انسي الشديد بحضوره واستمتاع النفس بعقله وجنونه غير اني ازرته من ينظر بعيني و يسمع باذني ومن اذا ارتاح للامر فقد ارتحت واذا انشرح صدراً فقد انشرحت ونكتة اخرى وهي واسطة التاج وفاتحة الرتاج مولاي سمح بماله مقرب لمناله بخيل بجاهه ضنين بكلامه وابو الحسن لا يقبل العذر او يصدق النزر فيجعل جوده بلسانه ابلغ من جوده ببنانه وحق اخبر ان قصده الا كثر الارتفاع لا الانتفاع غير أني انبأت عن سره وعن سن بكره وانقضت الخطبة والسلام

٣٨٨ وكتب ابن العميد الى ابي عبد الله الطبري

وصل كتابك فصادفني قريب العهد بانطلاقي من عنت الفراق ووافقني مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق فان الدهر جرى على حكمه المألوف في تحويل الاحوال ومضي على رسمه المعروف في تبديل الاشكال واعتقني من مخالبك عنقاً لا تستحق به ولاء وابرأني من عهدتك براءة

لا تستوجب معها دركا ولا استثناء ونزع من عنقي ربقة الذل في اخائك بيدي جفائك ورش على ما كان يضرم في ضميري من نيران الشوق بالسلو وشن على ما كان يلتهب في صدري من الوجد ماء اليأس ومسح أعشار قلبي فلاءم فطوري بجميل الصبر وشعب أفلاذ كبدي فلاحم صدوعها بحسن العزاء وتغلغل في مسالك انفاسي فعوض عن النزاع اليك نزوعا ومن الذهاب فيك رجوعا وكشف عن عيني ضبابات ما القاه الهوى على بصري ورفع عنها غيابات ما سدله الشك دون نظري حتى حدر النقاب عن صفحات شيمك وسفر عن وجوه خليقتك فلم اجد الا منكرا ولم الق الا مستكبرا فوليت منها فرارا وملئت رعبا فاذهب فقد القيت حبلك على غاربك ورددت اليك ذم عهدك

(ومنها)

واما عذرك الذي جزمت بسطه فانقبض وحاولت تمهيده وتقريره فاستوفز واعرض ورفعت بضبعه فانخفض وقد ورد واعتبه وجه يؤثر قبوله على رده وتزكيته على جرحه فلم يف بما بذلته من نفسك ولم يقم عند ظنك به أني وقد غطى التذمم وجهه ولف الحياء رأسه وغض الخجل طرفه فلم تتمكن من استكشافه وولى فلم نقدر على ايقافه ومضى يعثر في فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط فقلنا للفم واليدين ثم امر بمطالعة صحبه فلم أجده الا تأبط شرا او تحمل وزرا

٣٨٩ وكتب الى بعض اخوانه يعاتبه

انا اشكو اليك جعلني الله فداك دهرا خؤونا غدورا وزمانا خدوعا غرورا لا يمنح ما منح الا ريثما ينتزع ولا يبقى فيما يهب الا ريثما يرتجع يبدو خيره لمعا ثم ينقطع و يحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع وكانت منه شيمة مألوفة وسجية معروفة أن يشفع ما يبرمه بقرب انتقاض و يهدي لما يبسط وشك انقباض وكنا نلبسه على

ما شرط وان خاف منه وقسط ونرضى على الرغم بحكمه ونستنم بقصده وظلمه ونعتد من اسباب المسرة ان لا يجيء محذوره مصمتا بلا انفراج ولا يأتي مكروهه صرفا بلا مزاج ونتعلل بما نختلسه من غفلاته ونسترقه من ساعاته وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة وشريعة متبعة واعد لكل صالحة من الفساد حالا وقرن بكل خلة من المكروه خلالا وبيان ذلك جعلني الله فداءك انه كان يقنع من معارضته الالفين بتفريق ذات البين فقد اتنى ممنوا فيك بجميع ما أوغره وما اطويه من البلوى منك اكثر مما انشره واحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه والزمته جرما لم يكن قدره مما يحيط به وقدرته ترتقي اليه ولو انك اعنته وظاهرته وقصدت صرفه وآزرته وبعتني بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص ثم اعرضت عني اعراض غير مراجع واطّرحتني اطراح غير مجامل فهلا وجدت نفسك اهلا للجميل حين لم تجدني هناك وانفذت من جل ما عقدت من غير جريمة ونكث ما عهدت من غير جريرة فأجبني عن واحدة منها ما هذا التغالي بنفسك والتعالي على صديقك ولم نبذتني نبذ النواة وطرحتني طرح القذاة ولم تلفظني من فيك وتمجني من حلقك وانا الحلال الحلو والبارد العذب وكيف لا تخطرني ببالك خطرة وتصيرني من اشغالك مرة فترسل سلاما ان لم تتجشم مكاتبة وتذكرني فيمن تذكر ان لم تكن مخاطبة واحسب كتابي سيرد عليك فتنكره حتى تثبت ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تتذكر فقد صرت عندك ممن محا النسيان صورته من صدرك واسمه من صحيفة حفظك ولعلك ايضاً تتعجب من طمعي فيك وقد توليت واستمالتي لك وقد ابيت ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال و يلين من هو اقسى منك قلبا فيعود الى الوصال وآخر ما اقوله ان ودي وقف عليك وحبس في سبيلك ومتى عدت اليه وجدته غضا

طريا فجربه في المعاودة فانه في العود احمد

۳۹۰ وكتب اليه ايضا

اخاطب الشيخ سيدي اطال الله بقاءه مخاطبة محرج يروم الترويح عن قلبه ويريد التفريج من كربه فاكاتبه مكاتبة مصدور يريد ان ينفث بعض ما به ويخفف الشكوى من اوصابه ولو بقيت من الصبر بقية لسلوت ولو وجدت في اثناء وجدي محرجة يتخللها تجلد لا مسكت فقديما لبست الصديق على علاته وصفحت له عن هناته ولكنني مغلوب على العزاء ومأخوذ على عادتي في الاغضاء فقد سل من جفائك ما ترك احتمالي جفاء وذهب في نفسي من ظلمك ما انشف حلمي فجعله هباء وتوالى عليّ من قبح فعلك في هجر يستمر على نسق وصد مطرد متسق ما لو فض على الورى وافيض على البشر لامتلأت صدورهم فهل اقدر على الاقوال وهل يكلك الى مراعاتك وهل تشكو اليّ ان الدهر حليفك على الاضرار وعقيدك على الافساد او اشكوه اليك فانكما وان كنتما في قطيعة الصديق رضيعي لبان وفي استيطاء مركب العقوق شريكي عنان فانه قاصر عنك في دقائق مخترعة انت فيها نسيج وحدك او قاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة انت فيها وحيد عصرك انتما متفقان في ظاهر يسر الناظر و باطن يسوء الخابر وفي تبدل الابدال والتحول من حال الى حال وفي بث حبائل الزور ونصب اشراك الغرور وفي خلف الموعود والرجوع في الموهوب وفي فظاعة اهتضام ما يعير و بشاعة ارتجاع ما يمنح وقصد مشارة الاحرار والتحامل عند ذوي الأخطار وفي تكذيب الظنون والميل عن النباهة للخمول الى كثير من شيمتكما التي استندتما اليها ومنيتكما التي تعاقدتما عليها فأين هو ممن لا يجاري فيه نقض عرى العهود ونكث قوى العقود وأنى هو عن النميمة والغيبة ومشي الضراء في

الغيلة والنفق بالنفاق في الحيلة واين هو ممن ادعى ضروب الباطل والتحلي بما هو منه عاطل وتنقص العلماء والافاضل هذا الى كثير من مسا ومنثورة انت ناظمها ومضار متفرقة انت جامعها انت ايدك الله ان سويته بنفسك ووزنته بوزنك اظلم منه لذويه واعق منه لبنيه وهبك على الجملة قد زعمت مفتريا عليه انه أشد منك قدرة واعظم بسطة واتم نصرة واطلق يدا في الاساءة وامضي في كل نكاية شباة واحدّ في كل عاملة شذاة واعظم في كل مكروه متغلغلا والف الى كل محذور متوصلا وان الدهر ليس بمعتب من يجزع وان العتبي منك مأمولة ومن جهتك مرقوبة وهيهات فلو توهم انه لو كان ذا روح وجثمان مصور في صورة انسان ثم كاتبته استعطفه على الصلة واستعفيه من الهجر واذكره من المودة واستميل به الى رعاية المعتب واستخمد به ما شبه الفراق في نفسي من اللوعة واضرمه البعاد في صدرى من الحرقة لكان لا يستحسن ما استحسنته من الاضطراب عند جوابي ولا يستجيز ما استجزته من الاستخفاق بكتابي

ومنها وقد ذكر دعواه في العلم

وهبك افلاطون نفسه فأين ما سننته من السياسة فقد قرأناه اتجد فيه ارشادا الى قطيعة صديق فاحسبك ارسطاليس بعينه اين ما رسمته من الاخلاق فقد رأيناه فلم نر فيه هداية الى شيء من العقوق واما الهندسة فانها باحثة عن المقادير ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه وقدر الحق عليه وله بل لك في رؤساء العربية مناريح ومضطرب ولسنا نشاحك لكن اتحب ان تتحقق بالغريب من القول دون الغريب من الفعل وقد اغتربت في الذهاب بنفسك الى حيث لا تهتدي للرجوع عنه واما النحو فلن ترفع عن حذق فيه و بصر به وقد اختصرته اوجز اختصار وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة و يرضى

بك اسوة فقلت الغدر والباطل وما جرى مجراهما مرفوع والصدق والوفاء من صاحبهما مخفوض وقد نصب الصديق عندك ولكن غرضاً يرشق بسهام الغيبة وعلما يقصد بالوقيعة ولست بالعروضي ذي اللهجة فاعرف قدر حذقك فيه الا اني لا اراك تتعرض لكامل وليتك سبحت في بحر المجتث حتى تخرج منه الى شطر المتقارب

ومنها

وهبني سكت لدعواك سكوت متعجب ورضيت رضا متسخط ايرضى الفضل اجتذابك باهدابة من يدي اهله واصحابه واحسبك لم تزاحم خطابه حتى عرفت فلة فقره وقلة حصره فاصدقني هل انشدك

لو بأبانين جاء يخطبها   ضرج ما انف خاطب بدم

وليت شعري بايے حلى تصديت له وانت لو تتوجت بالثريا وتقلدت قلادة الفلك وتمنطقت بمنطقة الجوزاء وتوشحت بالمجرة لم تكن الا عطلاً ولو توضحت بانوار الربيع الزاهرة وسرجت في جبينك غرة البدر الباهر ما كنت الا غفلاً لا سيما مع قلة وفائك وضعف اخائك وظلمة ما نبصره من خصالك وتراكم الدجى في ضلالك وقد ندمت على ما اعدلك من دوني ولكن اي ساعة مندم بعد افناء الزمان في ابتدائك وتصفحي حالات الدهر في اختبارك و بعد تضييع ما غرسته ونقض ما اسسته فان الوداد غرس اذا لم يوافق ثرى ثريا وجوى عذبا وماء رويا لم يرج زكاؤه ولم يجر ماؤه ولم تتفتح ازهاره ولم تجن ثماره وليت شعري كيف ملكت الضلال قيادي حتى اشكل عليّ ما يحتاج اليه المزوجان ولا يستغني عنه المتآلفان وهي ممازجة طبع وموافقة شكل وخلق ومطابقة خيم وخلق وما وصلتنا حال جمعتنا على ائتلاف وحمتنا من اختلاف

ونحن في طرفي ضدين و بين امرين متباعدين واذا حصلت الامر وجدت ما بيننا من البعاد اكثر مما بين الوهاد والنجاد وابعد مما بين البياض والسواد وايسر ما بيننا من النفار اقل ما بيننا من التضاد واكثر ما بين الليل والنهار والاعلان والاسرار

٣٩١ وكتب البديع الهمذاني الى ابن اخته

انت ولدي ما دمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك فان قصرت ولا اخالك فغيري خالك والسلام

٣٩٢ وكتب الى القاسم الكرجي يعاتبه

انا اطال الله بقاء الشيخ سيدي ومولاي وان لم الق تطاول الاخوان الا بالتطول وتحامل الاحرار الا بالتحمل احاسب الشيخ ايده الله على اخلاقه ضنا بما عقدت يدي عليه من الظن به والتقدير في مذهبه ولولا ذلك لقلت في الارض مجال ان ضاقت ظلالك وفي الناس واصل ان رثت حبالك واواخذه بافعاله فان اعارني اذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذي يقرعه ونزولا عن الصعود الذي يفرعه فرشت لمودته خوان صدري وعقدت عليه جوامع خصري ومجامع عمري وان ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التغالي في غير مذهبه اقطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و

لا اذود الطير عن شجر   قد بلوت المر من ثمره

فاني وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر وضربت ابطي العسر واليسر وبلوت طعمي الحلو والمر ورضعت ضرعي العرف

والنكر فما تكاد الايام تريني من افعالها غريبا وتسمعني من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت احدا الا ملأت حافتي سمعه وبصره وشغلت حيزي فكره ونظره واثقلت كتفه في الحزن وكفته في الوزن وود لو بادر القرن صحيفتي او لقي صفيحتي فمالي صغرت هذا الصغر في عينه وما الذي ازرى بي عنده حتى احتجب وقد قصدته ولزم ارضه وقد حضرته انا احاشيه ان يجهل قدر الفضل او يجحد فضل العلم او يمتطي ظهر التيه على اهليه واسأله ان يختصني من بينهم بفضل اعظام ان زلت بي مرة قدم في قصده وكاني به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة والرتبة المتحيفة وهو في جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته ونزع عن شيمته في الجفاء فأطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزه وتأييده

٣٩٣ وكتب الى بعض اخوانه في شأن
ابي الحسن المحتسبي

بلغني اطال الله بقاءك ان فاضلا يكني ابا الحسن معدودا في نزل الكتاب وفرج اهل الفضل والآداب انتدب لملاقاتي وبيني وبينه مهامه فيح وما شككت انا اذا وردنا نيسابور استقبلنا مراحل بفضائله وتلقانا فراسخ بمسائله وقد وردناها فلا أرض استقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤل قرع وما زلنا ننتظر نشاطه لما اسلف حتى اخلف ونصرته لما بذل حتى خذل واهتزازه لما اقدم حتى احجم وقيامه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو ايده الله وان لم يستقل بلسان قوله فقد استقال بلسان فعله وان لم يعتذر في ظاهر أمره فقد اعتذر في باطن سره ولا اعلم ما الذي نهاه كما لا اعلم ما الذي اغراه وما اعرف السبب في نشوزه كما لا اعرفه في بروزه ولعل العلة في

عذره الآن كالعلة في نذره كان ومن طلب لغير ارب هرب لغير سبب ومن
شهر سيفه قبل الحرب اغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير
هدنة وما احسن البناء على القاعدة واقبح الصلف تحت الراعدة ورحم الله
الجاحظ فقد ضرب حالي مع هذا الفاضل في قالب فضة ظريفة وحكاها في
معرض اعجوبة لطيفة وذكر في كتاب طبائع الحيوان ان فارين خرجا من
نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه و يرفع صدره و يخبط ارضه
و يحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من دون اللقاء فاوى الى حجره وقد كان
عجب من رآهما في ذلك الفرار عقيب ذلك الضرار وذلك الهرب تلو هذا الطلب
وتلك الشراسة بعد هذه الحماسة ولو شاهد هذا النفار لنسي الفار وما الوم هذا
الفاضل على بساط شرطواه وموقد حرب اجتواه لكني الومه على ما نواه ثم لم
يبلغ هواه واراده ثم لم يور زناده ورامه ثم لم يبلغ مرامه فأقول قد ضرب فاين
الايجاع وانذر فاين الايقاع وهذي بوارقه فاين صواعقه وذاك وعيده فاين
عديده وتلك بنوده فاين جنوده وهذي معاهده فاين عهوده وما اهول رعده
لو امطر بعده ولا كفران فلعله اشفق على غريب ان يظهر عواره وان طار
طواره فامسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد اساء الى نفسه من حيث
احسن اليّ واجحف بفضله من حيث أبقى عليّ واوهم الناس انه هاب البحران
يخوضه والاسد ان يروضه والحية ان تطوقه والسم ان يذوقه وظننت غير المظنون
بفضله بعد ان شرقت بكأس الغم من اجله وهجرت الوساد من خوفه و بينا انشد
(ان جنبي عن الفراش لناب) حتى انشدت (طاب ليلي وطاب فيه شرابي)
و بينا اقول (ما لقلبي كأنه ليس مني) حتى قلت (اين من كان قائلا انا عني)
ومن وقع بما لم يكتسب نجا من حيث لا يحتسب وما احسن منارا في هذا الفاضل

ان وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلام فامتطاه ومن ابى الايام قبل الليالي
ومن عصي الزجاج اطاع العوالي ومن لم يشرب كأس السلامة هنيا سقي سجل
الندامة رويا وان يعدم طالب الملامة عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن
أساء بدأ لقد احسن عودا ولئن اوعد قولا لقد أمن فعلا و بقي ان ينظم على
النضال ولا يندم على الافضال فيأتينا من باب المعاشرة ان لم ياتنا من باب
المكاشرة و ينشرنا في الوداد ان لم يطونا في باب الجهاد اللهم الا ان يكون بقي في
صدره غرض او في قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله ان يستر
علينا ما يظهر له وليت شعري بم اراد امتحاني و رام امتهاني فليفطن اني غفلت
عما فطن واسترحت مما تعب

﴿ ٣٩٤ ﴾ وكتب الى ابي عامر يعزيه ببعض اقاربه

اذا ما الدهر جر على اناس   كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

احسن ما في الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى
اذا ساء و يختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت
ولينظر الانسان في الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره
هل يجد لنفسه أثراً في نفسه ام لتدبيره عوناً على تصويره ام لعمله تقديماً لامله
ام لحيله تاخيراً لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكوراً خلق مقهوراً
ورزق مقدوراً فهو يحيا جبراً و يهلك صبراً وليتأمل المرء كيف كان قبلاً فان
كان العدم اصلاً والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل
الدهر ما ساء ليذهب ما ضر بما نفع وان احب ان لا يحزن فلينظر يمنة هل يرى
الا محنة ثم ليعطف يسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن

لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فاعد لنعمتها صدراً لا يملؤه فرحاً ولبؤسها قلبا لايطيره جزعاً وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمتعة حدا وللعارية ردا واقد نعي الي ابو قبيصة قدس الله روحه و برد ضريحه فعرضت علي آمالي قعودا وأماني سودا و بكيت والسخي بما يملك وضحكت وشر الشدائد مايضحك وعضضت الاصبع حق افنيته وذممت الموت حتي تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وامر قد خشن حتى لان ونكر قد عم حتي عاد عرفاً والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها وجنت حتى صار اصغر ذنوبها واضمرت حتى صار ايسر غيوبها وابهمت حتى صار اظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما في كنانتها وازكى مافي خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه في الجزيل وهو الاجر فليرفيهما رايه ان شاء الله تعالى

٣٩٥ وكتب يذم رجلا ولى عملا

فهمت رقعتك وسررت بسلامتك وفهمت ماذ كرته من امر فلان اعنى الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافاً على الهلاك بيد الاتراك فلا يحزنك فالحبل لايبرم الا للفتل ولا تعجبنك خلعته فالثور لا يزين الا للقتل ولا يرعك نفاقه فارخص ما يكون النفط اذا غلا واسفل مايكون الارنب اذا علا وكانك به وقد شن عليه جران العود شن المطر الجود وقيد له مركب الفجار من مربط النجار وانما جرله الحبل ليصفع كما صفع من قبل وستعود تلك الحالة احالة وتنقلب تلك الحبل حبالة فلا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة وهبه ولى امارة ما بين البحرين أليس مرجعه ذلك العقل ومصيره ذلك الفضل ومنصبه ذلك الاصل وعصارته ذلك النسل وقعيدته

تلك الاهل وقوله ذلك القول وفعله ذلك الفعل وكان ماذا اليس ماسلب اكثر مما اعطى وما حرم افضل مما اولى وما عدم اوفر مما غنم مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه اكان يعجبك ان تكون قعيدته في بيتك وبغلته من تحتك ام كان يسرك ان تكون اخلاقه في اهابك و بوابه على بابك ام كنت تود ان تكون وجعاؤه في ازارك وغلمانه في دارك ام كنت ترضي ان تكون في مربطك افراسه وعليك لباسه وراسك راسه جعلت فداءك ماعندك خير مماعنده فاشكر الله وحده على ما آتاك

ان الغني هو الراضي بقسمته لامن يظل على مافات مكتئباً

٣٩٦ وكتب الى القاضي ابي القاسم يشكوابا بكر الحيري

الظلامة اطال الله بقاء القاضي اذا اتت من مجلس القضاء لم ترق الا الى سيد القضاة وما كنت لاقصر سيادته على الحكام دون جميع الانام لولا اتصالهم بسببه واتسامهم بلقبه وهم القضاة اتسموا بسمته متطفلين على قسمته الهم اديم في الصحة كأديمه او قديم في الشرف كقديمه او حديث في الكرم كطريفه فهنيئاً لهم الاسماء وله المعاني ولا زالت لهم الظواهر وله الجواهر ولا غرو ان سموا قضاة فما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل سيرة عدل العمرين ولا كل قاض قاضي الحرمين و يا لثارات القضاء ماارخص مايبع واسرع ماضيع والبسته الانذال قبل خلو الديار وموت الخيار الا يغارون لحلي الحسناء على السوداء ومركب اولي السياسة تحت الساسة ومنزل الانبياء من تصدر الاغبياء وحمي البزاة من صيد البغاث ومربع الذكور من تسلط الاناث ويا للرجال واين الرجال ولي القضاء من لايملك من آلاته غير السبال ولا يعرف من ادواته غير الاختزال

ولا يتوجه من احكامه الا في الاستحلال ولا يرى التفرقة الا في العيال ولا يحسن من الفقه غير جمع المال ولم يتقن من الفرائض الا قلة الاحتفال وكثرة الافتعال ولم يدرس من ابواب الجدل الا قبح الفعال وزور المقال ذاك ابو فلان الفلاني اضاعه الله كما اضاع امانته وخان خزانته ولا حاطه من قاض في صولة جندي وسبلة كردي فما اشبهه في قضاياه وتحيره بين خطاياه الا بالصبي يسلم الى عديله ويلف وجهه في منديله ويجتمع عليه اترابه فيجنى قذاله كل رفعة بصفعة ويسأل عن ضاربها فان غلط في صاحبها اعيد على وجهه الالف وعلى قذاله الكف وكذا من شغل ايام صباه بما شغل وفعل ايام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا ووسع كل شيء جهلا وبعد فان القضاء من القضية والحية لا تلد غير الحية فمن اعتزى الى اب كابيه واقترن بأخ كاخيه لم يلم على جهله فهو الشيء من اهله والفرع في اصله والعلم اطال الله بقاء القاضي شيء كما تعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى في المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتتب للئام وزرع لا يزكو في كل ارض حتى يصادف من الحرص ثرى طيبا ومن التوفيق مطرا صيباً ومن الطبع جوا صافياً ومن الجهد روحاً دائمًا ومن الصبر سقيا نافعا والعلم علق لا يباع ممن زاد وصيد لا يألف الاوغاد وشيء لا يدرك الا بنزع الروح وغرض لا يصاب الا بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وادمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر واعمال الفكر ثم هو معتاص على من زكا زرعه وخلا ذرعه وكرم اصله وفرعه ووعى بصره وسمعه وصفا ذهنه وطبعه فكيف يناله من انفق صباه على الفحشاء وشغل سلوته بالغنى وخلوته بالغناء وافرغ جده على الكيس وهزله على الكأس والعلم ثمر لا يصلح الا للغرس ولا يغرس الا في النفس وصيد لا يقع الا

في البذر ثم لا ينشب الا في الصدر وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ ثم لا يعقله الا شرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطا الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد المجد ايكفي ان يصبح المرء بين الزق والعود ويمسي بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب اترابه ثم يلبس دنيته ليخلع دينيته ويسوي طيلسانه ليحرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدي شقاشقه ليغطي مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفي طمعه ويغشى محرابه ليملأ جرابه ويكثر دعاءه ليحشو وعاءه ويرجو ان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد حاكما هذا اذا المجد كالوه بقفزان كلا حتى ينسى الشهوات ويجوب الفلوات ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر وينتج الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليلة باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجني على العين وينفق من العيش ويخزن في القلب ولا يستريح من النظر الا الى التحديق ولا من التحقيق الا الى التعليق وحامل هذه الكلف ان اخطأه رائد التوفيق فقد ضل سواء الطريق وهذا الحيري رجل سفلة طلب الرياسة بغير تحصيل آلاتها واعجله حصول الامنية عن تمحل ادواتها

والكلب احسن حالة   وهو النهاية في الخساسة
ممن تصدر للريا   سة قبل ابان الرياسة

فولي المظالم وهو لا يعلم اسرارها وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها والامانة عند الفاسق خفيفة المحمل على العاتق تشفق منها الجبال وتحملها الجهال وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى وحديث رسوله يروى وبين البينة والدعوى فقبحه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنده من السلة

والجام يدلي بهما الى الحكام ولا مزكي اصدق لديه من الصفر ترقص على الظفر ولا وثيقة احب اليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل اوقع بوفاقه من خبيئة الذيل وحمال الليل ولا كفيل اعز عليه من المنديل والطبق في وقتي الغسق والفلق ولا حكومة ابغض اليه من حكومة المجلس ولا خصومة اوحش لديه من خصومة المفلس ثم الويل للفقير اذا ظلم فما يغنيه موقف الحكم الا بالقتل من الظلم ولا يجيره مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء واقسم لو ان اليتيم وقع في انياب الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منها احسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضي واقاربه وما ظن القاضي بقوم يحملون الامانة على متونهم ويأكلون النار في بطونهم حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى وتسمن اكفالهم من مال الايامى وماظنك بدار عمارتها خراب الدور وعطلة القدور وخلاء البيوت من الكسوة والقوت وما قولك في رجل يعادي الله في الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس وفي حاكم يبرز في ظاهر اهل السمت وباطن اصحاب السبت فعله الظلم البحت واكله الحرام السحت وما رأيك في سوس لا يقع الا في صوف الايتام وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ولص لا ينقب الا خزانة الاوقاف وكردي لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود وما زلت ابغض حال القضاة طبعا وجبلة حتى ابغضتهم دينا وملة والعنهم دربة حتى لعنتهم قربة بما شاهدت من هذا الحيري وقاسيت وعانيت من خبطه وخطبه ما عانيت وسأسوق حديثي معه انه اصلحه الله قد فتش اعطاف نيسابور فما وجد الا رأسي دبة والا لحيتي مذبة يجنى لي على خمسة آلاف درهم ارقت في كسبها ماء العمر واخرجتها من انياب الخطوب الحمر وخمسة اشهر من عمري كل يوم منها



خير من عمر شريح القاضي في امر الباغ المعروف بباغ اسد عقد لي اجارة ثلاث سنين واحتملت دخله اياما قلائل ثم لم يكن مثلي معه الا مثل البخارى الذي ضاع حماره وخرج في طلبه حتى عبر جيحون بسببه يطلبه في كل منهلة وينشده في كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وانتهى الى طبرستان واتي العراق وطاف الاسواق فلما لم يجده وأيس عاد وقد طالت اسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل في بلده بين اهله وولده احب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وثفره وحزامه قائما على المعلف ينش وانا ايضاً ما زال يرددني في هذا الباغ بامل يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ بارضه ومائه وزرعه وبنائه في يد الهمذاني اليس اطال الله بقاء القاضي يعامل مثلي بمثلها الا سخي او سخيف اما السخي فالذى يجعل حرمه طعمة ويصيره في فمي لقمة واما السخيف فالذي لا يبالي بما يؤل اليه عقباه ولا يوجعه الصفع على قفاه والله المستعان والقاضي الفاضل المستجار ولعن الله الحيري ووقتا قطعته بذكره وقرطاسا دنسته باسمه والحمد لله

٣٩٧ وكتب الى الشيخ الامام ابي الطيب

سهل بن محمد من سرخس

كتابي اطال الله بقاء الشيخ من سرخس وانا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ يعدني عن هذه الحضرة عدات اشم لها الانف لا ذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استحالة من هذا الزمان ان يجود بها فحين اشرفت على الحضرة ماجت على امواج الشرف منها وخلص الى نسيم الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بمركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ وحنين شرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتائب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز

مستقبلا بملك الشرق فجذب بضبعي عن ارض الخدمة الى جوار ولي النعمة فاهتز اهتزازا فات سمة الكرام وتجاوز اسم الاعاظم الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الآفاق ولحقت منه بقاب العقاب فخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الآمال وهلم جرا الى ماتبعها من جميل الانزال وسنى الانزال نظرات من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد كالنكر وسلطان يحلم حلم السيف مغمدا ويغضب غضبه مجردا فهو عند الكرم لين كصفحته وعند السياسة خشن كشفرته وملك ياتي الكرم نشية والخير سجية ويفعل الشر كلفة اوخطية فهو ضرور بآلاته نفوع بذاته عطارد قلمه ودواته مريخ سيفه وقناته حسب لاعيب فيه فيصرف عين الكمال عن معاليه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وجبلا قد سمى انسانا وحسنا قد ملىء احسانا واسدا قد لقب سلطانا وبحرا امسك عنانا وحططت رحلي بفناء الامير الفاضل ابي جعفر فوجدت حكمي في ماله انفذ من حكمه وقسمي من غنائه اكبر من قسمه واسمي في ذات يده مقدما على اسمه و يدي الى خزانته اسرع من يده وان قصدت ان اقرر ذلك مدحا واعبر الجملة شرحاً اطلت فهلم الى ما افتتحت الكتاب لاجله ورد للخوازمي كتاب يتقلب فيه على جنب الحر و ينقلى على جمر الضجر و يتأوه عن غمار الخجل ويتعثر في اذيال الكلل ويذكر ان الخاصة قد علمت الفالج لاينا كان فقلت است البائن أعلم والخوارزمي اعرف والاخبار المتظاهرة اعدل والآثار الظاهرة اصدق وحلبة السباق احكم وما مضي بيننا اشهد والعود ان نشط احمد ومتي استزاد زدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندي اذا شاء كل ماساء وناء ولن يعدم اذا اراد نقداً يطير فراخه ونفقا يصم صماخه وما كنت اظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتي

بعد ما سقيته كاس الحنظل واطعمته الخ بالخردل فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استعواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو مني على ميعاد وانا له بمرصاد وكأنما حرر ذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملاه من صحيفة خوازيه فما ترك لنفسه عرضاً لئيماً ولا عاراً بهيماً الا نحله كريماً واستباح منه حريماً ثم ما اغرى هذا السفيه بي وانساني له فما اتصوره في وقتي الحديث والغزل ولا اصحبه في طريقي الجد والهزل ولا اذكره في حال اليقظة والنوم ولا فصلي النهار والليل ونحن في كل حال على طرفي محال هو خوارزمي ولست من خوارزم وهو شاعر والعن الله النظم وسفيه ولا انازعه الشتم وسخيف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشحاذ ولا انزع هذا السهم وصفعان ولا ارجم هذا الرجم وخمري ولا اشرب الخمر ونائي ولا اسمع الزمر وعودي ولا احسن النقر ونردي ولا العب القمر وكشحان ولا آخذ الجذر ودهري ولا اعبد الدهر ومركوب ولا اعير الظهر هذه فضائل لا سخلة لى في قطيعها ومناقب لا واحد لي من جميعها ثم هو بزعمه طالبي وانا بدعواه ناصبي ولعن الله اقلنا لاهل البيت موالاة واكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكنني اجود بالمال وهو يجود بالعيال وحمة الحماية لكنني احمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكنني اشرب البزر وهو يشرب الخمر ولا نصطحب الا في طريق الاسجاع لكنه يرغب في المتاع و يردد كلمة المبتاع فتارة يقول هو اشرف المتاع وتارة يقول ما اليق المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سني والمبتاع غني وكثيراً يقول لكل متاع مبتاع احسن الله بالمتاع امتاعه فما افسح فيه رباعه ولانقترن الا في حبل الادب ولكنه اديب ما دام وحده مفوه ما لم احضر عنده

فاذا التقينا نال شعري شعره   ونزا على شيطانه شيطاني

ولا نلتقي الا في طرفي الصنعة ولكنه يدعى فلا يحسن ولا ادعى ما عذيري من هذا السخيف من تفاوت ما بين الثلج والنار وتضاد ما بين الليل والنهار ومسافة ما بين الفرس والحمار هو احمر وانا اسمر وهو ازرق وانا احور وهو اشقر وانا احمر وهو اقرن وانا اجم وهو قصير يتطاول وناقص يتفاضل وسفيه يتحامل وانا على الضد اتطول وعلى النقيض اتفضل وعلى الخلاف اتحمل فما أبعد ما وجدنا خلفا ووقعنا خلفا وسلكنا طرقا وضربنا عرقا و بعد فان كان زعم كما زعم ووهم كما اوهم وكبر كما ذكر وطال كما قال فما هذا الدرد والحرد ولم هذا الغيظ والكمد وكم ننساه و يذكرنا ونطويه و ينشرنا وقد رأت الاعين ونقلت الالسن فهلا ترك الحديث لعره اوطواه على غره وما رأيت كهذا السخيف اذا شهدت صلق بالضراط مراثه واذا غبت استنسر بغاثه ان اللسان الذي اخرس لسانه والبنان الذي ابنس بيانه لم تكسبهما مرو مجاجة ولا كستهما سرخس بلادة ولا بثت الغربة لهما غربا ولا امتهنت هذه الحضرة منهما عضبا وهما معي لم يفارقاني وذلك الحفظ لم يعد بعد بحره نزرا وتلك البديهة لم يصر برها جزرا وتلك الكتابة صار واحدها عشرا وما زادتنا الايام الا نشرا ولا الليالي الا بشرا وورد له عن الامير كتاب فابكى زيدا واضحك عمرا حلف انه لا نظير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها وفخر الدولة ومؤيدها و يسأل الامير ان لا يوطئني بساط خدمته ولا يمطرني سحاب نعمته متوسلا بانه ناصري وان غيره تالشي والتركي اذا آل الى الاستجار بالله امره فقد انتهى عمره والخوارزمي اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعري عنه اذا لم يوال الامير ما يصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يعطه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم

يرض ايامه فما يؤثر وهوان سخطها لا يغير و يك هذا السخيف وقد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحماقة والجنون وتجاوز حمى الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول اصحاب المحابر الى لفظة ارباب المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالات الامراء و بالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولولا كها شمس المعالي لما عدت صغيرة امثل الخوارزمي يخادع كتخداي الخاقان وملك الشرق بهذا الزرق ومتى جاز للموالي ان تتقلب بالموالي فالعبد وان احب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب اباه فليس برفيقه وليس السوقي اذا امر اميرا ولا الحمال اذا نهض قديرا ولا العبد اذا أرسل نبيا ولا الخوارزمي اذا والى وليا ولكل رتبة محررة وحلية مقررة واما مسألته الامير ان لا يخرطني في سلكه ولا يمكنني من بساط ملكه فقد شملتني على رغمه اطراف النعم و بلتني سحائب الهمم وللراغب التراب وللحاسد الحائط والباب والكاره اليد والناب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يحن الى ادبه والسلام

٣٩٨ المقامة الاسدية من مقاماته

حدثنا عيسى بن هشام قال كان يبلغني من مقامات الاسكندري ومقالاته ما يصغى اليه النفور و ينتفض له العصفور و يروى لنا من شعره ما يمتزج باجزاء النفس رقة و يغمض عن اوهام الكهنة دقة وانا اسأل الله بقاءه حتى ارزق لقاءه واتعجب من قعود همته بحالته مع حسن آلته وقد ضرب الدهر شؤونه باسداد دونه وهلم جرا الى ان اتفقت لي حاجة بحمص فشحذت اليها الحرص في صحبة افراد كنجوم الليل احلاس لظهور الخيل واخذنا الطريق ننتهب مسافته ونستأصل شافته ولم نزل نفري اسنمة النجاد بتلك الجياد حتى صرن كالعصي ورجعن كالقسي وتاح لنا واد في سفح جبل ذي ألاء واثل

كالعذارى يسرحن الضفائر و ينشرن الغدائر ومالت الهاجرة بنا اليها ونزلنا نغوّر ونغور وربطنا الافراس بالامراس وملنا مع النعاس فما راعنا الا صهيل الخيل ونظرت الى فرسي وقد ارهف اذنيه وطمح بعينيه يجذ قوى الحبل بمشافره و يخد خد الارض بجوافره ثم اضطربت الخيل فارسلت الابوال وقطعت الحبال واخذت نحو الجبال وطار كل واحد منا الى سلاحه فاذا السبع في فروة الموت قد طلع من غابه منتفخاً في اهابه كاشراً عن انيابه بطرف قد ملئ صلفاً وانف قد حشي انفاً وصدر لا يبرحه القلب ولا يسكنه الرعب وقلنا خطب ملم وحادث مهم وتبادر اليه من سرعان الرفقة فتى

اخضر الجلدة في بيت العرب يملأ الدلو الى عقد الكرب

بقلب ساقه قدر وسيف كله اثر وملكته سورة الاسد نخانته ارض قدمه حتى سقط ليده وفمه وتجاوز الاسد مصرعه الى من كان معه ودعا الحين اخاه بمثل ما دعاه فصار اليه وعقل الرعب يديه فاخذ ارضه وافترش الليث صدره ولكني رميته بعمامتي وشغلت فمه حتى حقنت دمه وقام الفتى فوجأ بطنه حتى هلك الفتى من خوفه والاسد للوجأة في جوفه ونهضنا في اثر الخيل فتألفنا منها ما ثبت وتركنا ما افلت وعدنا الى الرفيق لنجهزه

فلما حثونا الترب فوق رفيقنا جزعنا ولكن اي ساعة مجزع

وعدنا الى الفلاة وهبطنا ارضها وسرنا حتى اذا ضمرت المزاد ونفد الزاد أو كاد يدركه النفاد ولم نملك الذهاب ولا الرجوع وخفنا القاتلين الظمأ والجوع عن لنا فارس فصمدنا صمده وقصدنا قصده ولما بلغنا نزل عن حر فرسه ينقش الارض بشفتيه ويلقى التراب بيديه وعمدني من بين الجماعة فقبل ركابي وتحرم بجنابي ونظرت فاذا هو وجه يبرق برق العارض المتهلل وقوام متى ما ترق العين فيه تسهل وعارض

قد اخضر وشارب قد طر وساعد ملآن وقضيب ريان ونجار تركي وزي ملكي فقلنا ما لك لا اباً لك فقال انا عبد بعض الملوك هم من قتلي بهم فهمت على وجهي الى حيث تراني وشهدت شواهد حاله على صدق مقاله ثم قال انا اليوم عبدك ومالي مالك فقلت بشرى لك وبك اداك سيرك الى فناء رحب وعيش رطب وهنأت الجماعة وجعل ينظر فتقتلنا الحاظه و ينطق فتفتننا الفاظه فقال ياسادة ان في سفح الجبل عيناً وقد ركبتم فلاة عوراء فخذوا من هنالك الماء فلوينا الاعنة الى حيث اشار وبلغناه وقد صهرت الهاجرة الابدان وركب الجنادب العيدان فقال الا تقيلون في هذا الظل الرحب على هذا الماء العذب فقلنا انت وذاك فنزل عن فرسه وحل منطقته ونحى قرطقته فما استترعنا الا بغلالة تنم على بدنه فما شككنا انه خاصم الولدان ففارق الجنان وهرب من رضوان وعمد الى السروج فحطها والى الافراس فحشها والى الامكنة فرشها وقد حارت البصائر فيه ووقفت الابصار عليه فقلت يا فتى ما الطفك في الخدمة واحسنك في الجملة فالويل لمن فارقته وطوبى لمن رافقته فكيف شكر الله على النعمة بك فقال ما سترونه مني اكثر اتعجبكم خفتي في الخدمة وحسني في الجملة فكيف لو رأيتموني في الرفقة اريكم من حذقي طرفاً لتزدادوا بي شغفاً فقلنا هات فعمد الى قوس احدنا فأوتره وفوق سهماً فرماه في السماء واتبعه بآخر فشقه في الهواء وقال سأريكم نوعاً آخر ثم عمد الى كنانتي فأخذها والى فرسي فعلاه ورمى احدنا بسهم اثبته في صدره وآخر طيره من ظهره فقلت ويحك ما تصنع قال اسكت يا لكع والله ليشدن كل منكم يد رفيقه او لاغصنه بريقه فلم ندر ما نصنع وافراسنا مربوطة وسروجنا محطوطة واسلحتنا بعيدة وهو راكب ونحن رجاله والقوس في يده يرشق بها الظهور و يشق بها البطون والصدور وحين رأينا الجد

اخذنا القد فشد بعضنا بعضاً و بقيت وحدي لا اجد من يشد يدي فقال اخرج باهابك عن ثيابك فخرجت ثم نزل عن فرسه وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر و ينزع ثيابه وصار الي وعلي خفان جديدان فقال اخلعهما لا ام لك فقلت هذا خف لبسته رطباً فليس يمكنني نزعه فقال عليَّ خلعه ثم دنا الي لينزع الخف ومددت يدي الى سكين كان معي في الخف وهو في شغله فاثبته في بطنه وابنته من متنه فما زاد على فم فغره والقمه حجره وقمت الى اصحابي فحللت ايديهم وتوزعنا سلب القتيلين وادركنا الرفيق وقد جاد بنفسه وصار لرمسه وصرنا الى الطريق ووردنا حمص بعد ليال خمس فلما انتهينا الى فرضة من سوقها رأينا رجلاً قد قام على رأس ابن و بنية بجراب وعصية وهو يقول

رحم الله من حشا — في جرابي مكارمه
رحم الله من رنا — لسعيد وفاطمه
انه خادم لكم — وهي لا شك خادمه

قال عيسى بن هشام فقلت ان هذا الرجل هو الاسكندري الذي سمعت به وسألت عنه فاذا هو هو فدلفت اليه وقلت احتكم حكمك فقال درهم فقلت

لك درهم في مثله — مادام يسعد ني النفس
فاحسب حسابك والتمس — كيما انيل الملتمس

وقلت له درهم في اثنين في ثلثة في اربعة في خمسة حتى انتهيت الى العشرين ثم قلت كم معك قال عشرون رغيفاً فامرت له بها وقلت لا نصر مع الخذلان ولا حيلة مع الحرمان

٣٩٩ المقامة المضيرية

حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بالبصرة ومعي ابو الفتح الاسكندري رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة تثني على الحضارة وتترجرج في الغضارة وتؤذن بالسلامة وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة في قصعة يزل عنها الطرف ويموج فيها الظرف فلما اخذت من الخوان مكانها ومن القلوب اوطانها قام ابو الفتح الاسكندري يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ويثلبها وطابخها وظنناه يمزح فاذا الامر بالضد واذا المزاح عين الجد وتنحى عن الخوان وترك مساعدة الاخوان ورفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت خلفها العيون وتحلبت لها الافواه وتلمظت لها الشفاه واتقدت لها الاكباد ومضى في اثرها الفؤاد ولكنا ساعدناه على هجرها وسألناه عن امرها فقال قصتي معها اطول من مصيبتي فيها ولو حدثتكم بها لم آمن المقت واضاعة الوقت قلنا هات قال دعاني بعض التجار الى مضيرة وانا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم والكلب لاصحاب الرقيم الى ان اجبته اليها وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته و يفديها بمهجته و يصف حذقها في صنعتها وتأنقها في طبخها و يقول يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها وهي تدور في الدور من التنور الى القدور ومن القدور الى التنور تنفث بفيها النار وتدق بيديها الابزار ولو رأيت الدخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل واثر في ذلك الخد الصقيل لرأيت منظراً تحار فيه العيون وانا اعشقها لانها تعشقني ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته وان يسعد بظعينته ولا سيما اذا كانت من طينته وهي ابنة عمي لحاً طينتها طينتي ومدينتها مدينتي وعمومتها عمومتي وارومتها ارومتي لكنها اوسع مني خلقاً واحسن خلقاً وصدعني بصفات زوجته

حتى انتهينا الى محلته ثم قال يا مولاي ترى هذه المحلة هي اشرف محال بغداد يتنافس الاخيار فى نزولها و يتغاير الكبار في حلولها ثم لا يسكنها غير التجار وانما المرء بالجار وداري في السطة من قلادتها والنقطة من دائرتها كم تقدر يا مولاي انفق على كل دار منها قله تخمينا ان لم تعرفه يقينا قلت الكثير فقال يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط تقول الكثير فقط وتنفس الصعداء وقال سبحان من يعلم الاشياء وانتهينا الى باب داره فقال هذي داري كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة انفقت والله عليها فوق الطاقة ووراء الفاقة كيف ترى صنعتها وشكلها ارأيت بالله مثلها انظر الى دقائق الصنعة فيها وتأمل حسن تعريجها فكأنما خط بالبركار وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب اتخذه من كم قل ومن اين اعلم هو ساج من قطعة واحدة لا ماروض ولا عفن اذا حرك ان واذا نقر طن من اتخذه يا سيدي اتخذه ابو اسحق بن محمد البصري وهو والله رجل نظيف الاثواب بصير بصنعة الابواب خفيف اليد في العمل لله در ذلك الرجل بحياتي لا استعنت الا به على مثله وهذه الحلقة تراها اشتريتها في سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزية وكم فيها يا سيدى من الشبه فيها ستة ارطال وهي تدور بلولب في الباب بالله دورها ثم انقرها وابصرها و بحياتي عليك لا اشتريت الحلق الا منه فليس يبيع الا الاعلاق ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال عمرك الله يا دار ولا خربك يا جدار فما امتن حيطانك واوثق بنيانك واقوى اساسك تأمل بالله معارجها وتبين دواخلها وخوارجها وسلني كيف حصلتها وكم من حيلة احتلتها حتى عقدتها كان لي جار يكنى ابا سليمان يسكن هذه المحلة وله من المال ما لا يسعه الخزن ومن الصامت ما لا يحصره الوزن مات رحمه الله وخلف خلفاً اتلفه بين الخمر والزمر ومزقه بين النرد والقمر

واشفقت ان يسوقه قائد الاضطرار الى بيع الدار فيبيعها في اثناء الضجر او يجعلها عرضة للخطر ثم اراها وقد فاتني شراها فاتقطع عليها حسرات الى يوم الممات فعمدت الى اثواب لا تنض تجارتها فحملتها اليه وعرضتها عليه وساومته على ان يشتريها نسية والمدبر يحسب النسية عطية والمتخلف يعتدها هدية وسألته وثيقة باصل المال ففعل وعقدها لي ثم تغافلت عن اقتضائه حتى كادت حاشية حاله ترق فاتيته فاقتضيته واستمهلني فانظرته والتمس غيرها من الثياب فاحضرته وسألته ان يجعل داره رهينة لدي ووثيقة في يدي ففعل ثم درجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لي بجد صاعد و بخت مساعد وقوة ساعد ورب ساع لقاعد وانا بحمد الله مجدود في مثل هذه الاحوال محمود وحسبك يا مولاي اني كنت منذ ليال نائماً في البيت مع من فيه اذ قرع علينا الباب فقلت من الطارق المنتاب فاذا امرأة معها عقد لآل في جلدة ماء ورقة آل تعرضه للبيع فأخذته منها اخذة خلس واشتريته بثمن بخس وسيكون له نفع ظاهر وربح وافر بعون الله تعالى ودولتك وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة والسعادة تنبط الماء من الحجارة الله اكبر لا ينبئك اصدق من نفسك ولا اقرب من امسك اشتريت هذا الحصير في المناداة وقد اخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات وزمن الغارات وكنت أطلب مثله منذ الزمن الاطول فلا اجد والدهر حبلى ليس يدرى ما يلد ثم اتفق اني حضرت باب الطاق وهذا يعرض في الاسواق فوزنت فيه كذا وكذا دينارا تأمل بالله دقته ولينه وصنعته ولونه فهو عظيم القدر لا يقع مثله الا في الندر وان كنت سمعت بابي عمران الحصيري فهو عمله وله ابن يخلفه الآن في حانوته لا يوجد اعلاق الحصر الا عنده فبحياتي لا اشتريت الحصر الا من دكانه فالمؤمن ناصح لاخوانه لا سيما من تحرم بخوانه

ونعود الى حديث المضيرة فقد حان وقت الظهيرة يا غلام الطست والماء فقلت الله اكبر ربما قرب الفرج وسهل المخرج وتقدم الغلام فقال ترى هذا الغلام انه رومي الاصل عراقي النشء تقدم يا غلام واحسر عن رأسك وشمر عن ساقك وانض عن ذراعك وافتر عن اسنانك وأقبل وأدبر ففعل الغلام ذلك وقال التاجر بالله من اشتراه اشتراه والله ابو العباس من النخاس ضع الطست وهات الابريق فوضعه الغلام واخذه التاجر وقلبه وادار فيه النظر ثم نقره فقال انظر الى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب او قطعة من الذهب شبه الشام وصنعة العراق ليس من خلقان الاعلاق قد عرف دور الملوك ودارها تأمل حسنه وسلني متى اشتريته اشتريته والله عام المجاعة وادخرته لهذه الساعة يا غلام الابريق فقدمه واخذه التاجر فقلبه ثم قال وانبوبه منه لا يصلح هذا الابريق الا لهذا الطست ولا يصلح هذا الطست الا مع هذا الدست ولا يحسن هذا الدست الا في هذا البيت ولا يجمل هذا البيت الا مع هذا الضيف ارسل الماء يا غلام فقد حان وقت الطعام بالله ترى هذا الماء ما اصفاه ازرق كعين السنور وصاف كقضيب البلور استقي من الفرات واستعمل بعد البيات فجاء كلسان الشمعة في صفاء الدمعة وليس الشأن في السقاء الشأن في الاناء لا يدلك على نظافة اسبابه اصدق من نظافة شرابه وهذا المنديل سلني عن قصته فهو نسج جرجان وعمل ارجان وقع الي فاشتريته فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا واتخذت بعضه منديلا دخل في سراويلها عشرون ذراعاً وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعا واسلمته الى المطرز حتى صنعه كما تراه وطرزه ثم رددته من السوق وخزنته في الصندوق وادخرته للظراف من الاضياف لم تذله عرب العامة بايديها ولا النساء لمآقيها فلكل علق يوم ولكل آلة قوم يا غلام الخوان فقد طال الزمان والقصاع فقد طال المصاع والطعام فقد

كثر الكلام فاتى الغلام بالخوان وقلبه التاجر على المكان ونقره بالبنان وعجمه بالاسنان وقال عمر الله بغداذ فما اجود متاعها واظرف صناعها تأمل بالله هذا الخوان وانظر الى عرض متنه وخفة وزنه وصلابة عوده وحسن شكله فقلت هذا الشكل فمتى الاكل فقال الآن عجل يا غلام الطعام لكن الخوان قوائمه منه قال ابو الفتح فجاشت نفسي وقلت قد بقي الخبز وآلاته والخبز وصفاته والحنطة من اين اشتريت اصلاً وكيف اكتري لها حملا وفي اي رحي طحن واجانة عجن واي تنور سجر وخباز استأجر وبقي الحطب من اين احتطب ومتى جلب وكيف صفف حتى جفف وحبس حتى يبس وبقي الخباز ووصفه والتلميذ ونعته والدقيق ومدحه والخمير وشرحه والملح وملاحته وبقيت السكرجات من اتخذها وكيف انتقذها ومن استعملها ومن عملها والخل كيف انتقى عنبه او اشتري رطبه وكيف صهرجت معصرته واستخلص لبه وكيف قير حبه وكم يساوي دنه وبقي البقل كيف احتيل له حتى قطف وفي اي مبقلة رصف وكيف تؤنق حتى نظف وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ووفي شحمها ونصبت قدرها واججت نارها ودقت ابزارها حتى اجيد طبخها وعقد مرقها وهذا خطب يطم وامر لا يتم فقمت فقال اين تريد فقلت حاجة اقضيها فقال يا مولاي اتريد كنيفاً يزري بربيعي الامير وخريفي الوزير قد جصص اعلاه وصهرج أسفله وسطح سقفه وفرشت بالمرمر ارضه يزل عن حائطه الذر فلا يعلق ويمشي على ارضه الذباب فيزلق عليه باب غير انه من خليطي ساج وعاج مزدوجين احسن ازدواج يتمنى الضيف ان يأكل فيه فقلت كل انت من هذا الجراب لم يكن الكنيف في الحساب وخرجت نحو الباب واسرعت في الذهاب وجعلت اعدو وهو يتبعني و يصيح يا ابا الفتح المضيرة وظن الصبيان ان المضيرة لقب لي

فصاحوا صياحه فرميت احدهم بحجر من فرط الضجر فلقي رجل الحجر بعمامته فغاص في هامته فأخذت من النعال بما قدم وحدث ومن الصفع بما طاب وخبث وحشرت الى الحبس فاقمت عامين في ذلك النحس فنذرت ان لا آكل مضيرة ما عشت فهل انا في ذا يال همذان ظالم قال عيسى بن هشام فقبلنا عذره ونذرنا نذره وقلنا قديماً جنت المضيرة على الاحرار وقدمت الاراذل على الاخيار

٤٠٠ وكتب الخوارزمي الى الحاجب ابي اسحق
لما نكبه الوزير ابن عباد يؤنبه

وفقك الله في مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك وألهمك في استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك ولا خلصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك فان نفسك اعظم خصميك وان كانت اصغرها لديك وقد مثات ايدك الله بين ان احرش لك كلامي وافوق نحوك سهامي واقضي بذلك حق عظتك واخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك و بين ان يايس مس قولي لك فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك فرأيت الاول عليّ اوجب والى الصواب اقرب هذا وانا اقول

اخوك الذي ان اجرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول

وليس اخوك بالذي ان تشعبت ... عليك امور ظل يلحاك لائما

اصاب المرقش ايدك الله في بيت الواجم ولم يصب في بيت اللائم وكيف يهدي الطريق لرشده في غده دون ان يلام على غيه في امسه وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف الا بتقبيح الخطأ السالف وكيف لا يلام المسيء

والنهي عما بعد يقتضي اللوم على ما قبل وكما لا بد في الكلام من الاثبات والنفي كذلك لا بد في العظة والنصيحة من الامر والنهي فاللوم اذاً على هذه القضية اجدر اذ كانت النصيحة التي عليها قامت وبها استقامت وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب وهل يرخي له عنان العذل و يتجوز معه في اللوم الا معارفه الاجانب واذا فرغت للحق زاوية من قلبك وحكمت على هواك لعقلك علمت ان ما تكره فيما تحب خير لك مما تحب فيما تكره وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك ولئن كان ظاهر كلامي يلذعك فان باطنه لينفعك انت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل في مكان يتخطاك الناظر و يدوسك الخف والحافر لا يشرفك نسب ولا يرفعك ادب ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك عن يمينك الخمول وعن يسارك الذبول و بينهما الفقر الذي لو قسم على الاغنياء لصاروا فقراء والضعف الذي لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء تصبح في قل وتمسي في ذل وتروح الى انثى وتغدو الى طفل فانصفك الدهر الظالم وانتبه لك البخت النائم واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك و يقوم من حدبتك فينظر كيف تعملون والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتصلت من ولي نعمتك برجل لو اتصل به الادبار لتقدم الاقبال ولو خدمه النقص لفضل الكمال ولو تعرف اليه الجماد لنطق بمجده ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده فما هو الا ان نسبت اليه وحسبت في آثار يديه حتى قاتلت الايام بسلاحه وطرت الى المنى والمطالب بجناحه وحتى طمحت الى امور كنت عنها مصروفا وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا

ومثل الذي نالته حافيا ... يؤثر في قدم ناعل

وحتى زارك قوم لوزرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب وكثر

تردّدك بين الاذن والحجاب وخدمك أناس مامنهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب ونقلت اليه قدم راغب او راهب هذا الى استسلابه لك من الردى بيد الهدى واخراجه اياك من ظلمة العمي والتقليد الى نور العدل والتوحيد فلزمك ولاؤه مرتين واحاطت برقبتك نعمته من جهتين لانه انقذك من النار كما انقذك من العار واعتق رقبتك من اسار الضلال كما اعتقها من ذل السؤال فكانت نعمته عليك مضاعفة وصنيعته اليك مداخلة وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدي زكاة الاحسان وترتهن الصنيعة باليد واللسان و يريك يقظان ما تحتلم وسنان و يزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك ولم تستوجبه بقيمتك الى ان اصلح عليك الدهر الطالح وملكك عنان البخت الجامح وانت سكران من خمر اليسار والغني غريق في لجج المطالب والمنى لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك او طرت نحوه بجناح لك والاقبال يستر عيوبك والامهال يغفر ذنوبك ولا ستر اكشف من اقبال ولا شفيع انجح من امهال والدولة تجعل البعيد قريباً والجد يرى المخطئ مصيبا والمجدود يمس بيديه ما لا يراه المحدود بعينيه و يتناول قاعدا ما لا يتناوله غيره قائما ولا رسول اسرع من دهر ولا مستحث اوحي من يسر بلا عسر فلما جازيت النعمة بالكفران ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان نظرت الايام اليك شزرا و بدلتك باليسر عسرا فاصبحت تلك البوارق وهي صواعق واستحالت تلك المواهب وهي مصائب ونقاضاك دهرك ما اسلف واستأنف بك خلاف ما سلف والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى وحاكم لا يراجع اذا قضى ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع ومعط اذا لم تشكر عطيته منع ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب واذا تعلم منه ادب وهذب على اني ما رأيت معلما احسن تعليما من زمان ولا متعلما اسوأ تعلما من انسان

فها انت قد ذمك حامدك ورحمك حاسدك واحتقبت اوزار الندامة ورضيت من الغنيمة بالسلامة وكانت الايام تعد نابك فاوعدتنا فيك وخلف ليل الشك نهار ووراء سكر النعمة خمار فانت الآن عليل دواؤه التوبة وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الداء وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى فربما قد اخلف الدواء شاربه وخان الرجاء صاحبه فيا طبيب نفسه ارفق بها و يا مداوي جراحه الطف بها واعلم انه قد كان شكر الرخاء اهون من مصابرة البلاء وكان حفظ الصحه ايسر من معالجة العلة ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك واقل ما كان يجب لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته علي كفران نعمته ولا تكتب حسنته في جريدة سيئته ولا تسل عليه من لسانك سيفا يده صقلته ولا تشرع اليه من كلامك رمحا يده قومته

لقد جازيت بالاحسان سوأ ... اذن وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى ... انخت الشرك في دار الجهاد

يا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان وكم تفضون ختام العافية بالغدر وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر ولا تقلدونها حلية من طيب النشر وكم تتبعون الوفاء بالملق وتنادون على الامانة كما ينادي على الثوب الخلق وكم تقبحون في النعم وتحسنون في النقم وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم مركبه حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو أحله الشرع لحرمه الطبع ولو جاز من طريق

الملة والديانة لحظر من طريق المروءة والصيانة فان للمحسن من الله عيناً كالئة لا تنام وان وراءه من واقية الاحسان ركناً منيعاً لا يرام ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده وصار في حكم الاحسان عبده واذا خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته وغش الثاني بخدمته وهل يبرأ العليل بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين وهل ينطق لسان واحد بشكرين او يتسع قلب واحد لمحبة اثنين ولهذا الشان طلقت الناس ثلاثاً وفارقت المدح بتاتاً لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لها غفران وسيئة لا يمحوها احسان فلما رأيته علمت ان الايام قد خبأته لي ذخراً واعدته لي عذرا واراد الله تعالى ان اعاشر الناس حرا ونذلا واجوب البلاد حزناً وسهلا حتى اذا جبت الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الارض في عيني داراً هجم بي السعد على حسنة الايام وغريبة الانام ونصفة الدهر الظلوم ومكرمة العالم اللئيم فاذا هو ضالة رجائي الحائم وبغية قلبي الهائم فختمت به جريدة المدح والثناء واغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء وفتحت له مغاليق فكري ودفعت اليه مقاليد نظمي ونثري واقطعته لساني غير منقطع ووهبت له قلبي غير مرتجع ونظرت الى ابي الطيب والى تناقض حكمته وتفاوت طرفي فعلته حيث قال في سيف الدولة

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته ... ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

ثم قال في كافور الاخشيدي

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقاً خطيراً واعتاض من الطمع ثمناً يسيراً وحال ضباب الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع ويسامحها في اختيار المبتاع ويخلع خلعة من نظمه تساي بدره على عرض

من لا يساوي بعره ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنده كريمة ولم تعرف له قيمة لو رأى الطمع في جحر فأرة لدخله ولو اتاه الدرهم من است كلب لما غسله فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما اعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطي ثم يسترجع عطيته وكم من حر فضله ثم ثلبه وكم من عرض كساه ثم سلبه وكم من صحفة اكل منها ثم بصق فيها ولكن في قميص ابي بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع واذا طلق لم يراجع واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم واذا طيب فكيه بالمدح لكريم لم يلطخهما بمدح للئيم واذا زوج كرائمه كفوءا حجبهن ان يتبرجن الا لديه ويجتليهن غير عينيه وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران وجذبها الى شق النسوان وهو اذن مخنث من حيث الخلق غير مخنث من حيث الخلق وقد يصلح الانسان خلقه ولا يمكنه ان يغير خلقه فالغدر اذن على هذه القضية هو التخنيث الاكبر والتأنيث الاعم الاكثر والوفاء حمية القلب كما ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم وثبات الحمية من قوة الحمية وحفظ العهد من شرائط الرجولية وانني لاعجب ممن يعادي المقبل والله معه والايام مدد له وداعية الجد خلفه وقدامه وقد رأيت ما صارت اليه مصارع اعداء هذه الدولة وختمت به احوال حساد هذه النعمة فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها فاخترموا واصطلموا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا طافت الايام على الوزير بمناياهم فابقاه الله تعالى وافناهم ولم يزل نقصهم يحارب كماله وادبارهم يزاحف اقباله حتى اجلت معركة العواقب عنه راضياً وعنهم ساخطين واقشعت غبرة الايام والليالي عنه قائماً وعنهم مصروعين

فلولم تبق لم تعش البقايا   وفي الماضي لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي واجر مع الفلك كما تجري وارفق بمن رفقت الايام به وارع لمن رعت السعادة له ولا تزاحم الفلك الدوار ولا تناطح الاقسام والاقدار ولا تصغر الكبار ولا تحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه ومسلط لا يؤخذ على يديه وانزل حيث انزلك الاستحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق ولا تجلس على طريق السيل الراعب ولا تطعن في نحر القضاء الغالب ولا تحارب جيش السعد ولا تطاعن حد الجد ولا تستسلف اجلك ولا تتناول ما لم يوضع لك واحذر قوس الخذلان فانها نافذة الرمية صريعة الرمية قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك وجاوزت بالعقاب ذنبك ولكني عاتبتك لك وحاربتك عنك رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك و يستحسن تألم وقع هذه السهام بك ولولا ذلك لم اذقك مرارته ولم اعرض لطيف ما بيني و بينك له وما أغتم لك من الحبس وروعته ولا من الهوان ولذعته كما أغتم من نظرولي نعمتك اليك ووقوع بصره عليك وقد قعدت تحت اعباء بره وقابلت احسانه بكفره وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعاً ولم تجلب نفعاً فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك واتفكر في ساعة سعدك لا في ساعة نحسك فقد شغلني الخجل عن الوجل ونسيت لقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول فلا غضاضة عليك من امتداد يد الدهر اليك

فان امير المؤمنين وفعله   لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

٤٠١ وكتب الى ابي نصر الميكالي يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته

ابلغ قتادة غير سائله   جزل العطاء وعاجل الشكم

اني شكرتك للعشيرة اذ   جاءت اليك مرقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب يمدحونه وان لم يحسن اليهم و يشكرونه وان لم يفضل عليهم كما ان المسيء في النفوس صغير وان كبر مالا وحالا وقبيح وان حسن زينا وجمالا على هذا أسست البنية وعليه وضعت الفطرة وفيه اتفقت الخاصة والعامة ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات كما ان الاساءة وان كانت كلها سيأ على درجات فمن اصاب بالاحسان بقعة لا يخاف شجرها ولا يمر ثمرها واسداه الى كريم يربي الصنيعة بلسانه و يخرج الاحسان في موضع استحسانه فقد سددت رميته واصيبت رميته وزكا صنعه ونما ريعه وما اعرف اهل بيت احسن لمواضع الصنائع ارتيادا واجود لاهلها انتقادا واصون لها اصدارا وايرادا من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم والشيخ بحمد الله على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج فصنائعه في قوالب الحمد والشكر وعلى طريق الاجر والذخر لا يقع الا بين الشرف والثواب ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا او يحكم مهراً او كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمناً او يأمن غبناً والجواد محتكر بر لا محتكر بر والكريم تاجر جمال وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من فقره وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده في بلاده خلقهم لينعش بهم العاثر و يشد بازرهم المفاقر ويحيى بحياتهم المعالي والمآثر فهم ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت ومعرض الايام والليالي اذا حشدت بلغني ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياساً على قدره العظيم و بره الجليل الجسيم ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد ومن

طريف نازع التالد ومن غصن من اغصان الشرف نما على عرقه في السلف ومن نفس رضعت ثدى المكارم وربيت في حجر الاكارم فجرت على سنن اوائلها واحيت فضائلهم بفضائلها وانما تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد ومن صواب ما غزا واراد فما اكثر من تخطى بصنعه طريق المصنع وخالف بزرعه موضع المزرع وما اكثر من يلد معروفه فلا ينجب مما ولد ولا يبلغ به صاحبه المقصد وهذا الفقيه بين نفس مقبلة ودولة مقتبلة يرمي به كماله وراء ميلاده ويسبق فضله غايات آبائه واجداده وللدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد ولله تعالى منة لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله ويكمل الاقبال في تمامها عمله والحمد لله الذي جعل الشيخ ابا عذرة اصطناعه واول من منّ عليه يبسط يده ومد باعه والحمد لله الذي جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع ابكار الجواري وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالي فالمصطنع في الرؤساء والامراء كالمصطنع في العلماء والفقهاء فسبحان من لفق بين الشكلين وزواج بين المثلين وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازا لا يبلى واوقد من ذكره شهاباً لا يخفى فملأ بقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر بل الكتب والدفاتر حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع وحتى قلنا

ما لقينا من احمد بن عليّ   ترك الناس كلهم فقهاء
ونسينا ما لقينا من جود فضل بن يحيى   ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولي على امد كل غاية بفعله وقوله وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه باغلى الاثمان

٤٠٢ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جواباً عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

فهمت كتابك الذي هو اشرف كتاب اليّ قد رصع باظرف عتاب عليّ وما كان احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه وتحلي ظرفك الناصع ببهائه فلا تشوبه بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد ادبتنا بصمتك وعاقبتنا بعفوك فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا تبلغه الاساءة ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة على اني ما اجهل منفعة العتاب ولا انكر مرافقه بين الاحباب ولا اشك في انه يطري خلق الود ويجلو غبرة العهد ويداوي ادواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء والجسر بين المدح والهجاء والمصلح للعشرة الفاسدة والمقرب بين الديار المتباعدة ولهذا اشتقت لفظة العتبى وهي الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية ومنبعه عن جناية ووقع عن فترة في الود عرضت او ثلمة في الانصاف حدثت جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة وازال ما وقع من الفترة واذا كان مصدره عن تجرم تجن كان مفتاحاً لباب العربدة ومكدرا لصفو المودة وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء واذا صادفه كان شفاء وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقاك الله شرها فمن عاد الى مثلها قتلناه بسم القطيعة وهو اشد الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف ولولا اني لا استخير مقابلتك ولا أرعى معارضتك لزعمت انك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك لما عرفت جرمك وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذي هو ابلغ العقاب ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احات عرضك الالسنة الواقعة فيك واهدفت جانبك

للظنون المظنونة بك اخذت اخاك قبل ان ياخذك وشكوته قبل ان يشكوك و برزت هاربا في زي طالب وخرجت جانيا في معرض عاتب وتكلمت بجراءة المنصف وتحتها جور الظالم وادليت بحجة البريء وانت عين الجارم حتى لقد كدت ان تشككني في نفسي وتغلبني على علمي وتجعل لوهمي سلطانا على فهمي لولا يقيني بباطلك ومعرفتي ان الاساءة في شقك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا اذاقنا مرارة صده وسامنا بشاعة فقده وصفرت بيننا و بينه وطاب اللقاء واقفرت بيننا و بينه معاهد الاخاء ودبت لناوله عقارب القطيعة وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة واذا صالحنا نسب الينا المظالم وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه و بعده اثقل علينا من قربه

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك مترجح مني بين وصل واعراض ومرتبك من عشرتي بين انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا اقول كذبت في الاخرى سقى الله ايامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر وجلت عن ان تثلمها انياب السعاة ونبت عن ان تمضي فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة وفتلنا من الوصل مرائر البين والغيبة حتى اذا امنت عليك الدهر الذي لا يؤمن وائتمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن خالفتني الى الود فهدمت منه ما بنيته وسبقتني الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته وابرزت مصون الوفاء للغدر ووضعت ربقة الاخوة في يد الدهر وسلطت على ما زرعته يد الوفاء حاصدا من الجفاء وذكرت بعد هذا كله اني استاذك في الهجران والصد وتلميذك في الوفاء وحسن

العهد وانك عرفتني ثم انكرتني واستلنت مسي ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت اولها وانكرت آخرها وانا فيما عرفته لك ولست فيما انكرته عليك فان العمر اقصر مدة والزمان اصغر مسافة من ان اخترمها معك بالعتب والعتاب واستهلك نفسي منهما ومنك من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء ولا يمشي أمرها الا بالعتب والاشتكاء كانت كالعلق النفيس يحتوي غصبا و يؤخذ سلبا وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه وكالمستنزل كرها عن حبه وانا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة خاطري العليل ولساني الكليل وكيف ينبعثان لي في عتابك وهما مقصران في مدحك وكيف يسرعان في حربك وهما بطيآن في صلحك هذا وطريق مدحك نهج قصد وطريق عتابك وعث وعر وجانب صلحك مورق مشرق وجانب حربك مهول غلق واني لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى عليّ ويسقط من يدي وكيف تساعدني بناني على ما يخالفني فيه جناني وكيف يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي ولو كنت احمد ابن يوسف في البلاغة وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة وجعفر بن يحيى في الاختصار وابا الربيع في التوسع والاكثار وابا العيناء في العارضة وابا العتاهية في البديهة وابن المعتز في التشبيهات وابا نواس في الخمريات والطرديات والعتابي في المعاتبات والنابغة في الاعتذارات وصريع الغواني في الاستعارات والفرزدق في الفخريات وجريرا في المهاجاة وغلبت في المخاطبة صعصعة بن صوحان وقمعت في الفصاحة خالد بن صفوان ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا واتيت بعجوز آل رقية مبتدعاً و بعذراء آل خارجة مقتضبا وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل و بوهي به في العي عندي لا بباقل وحفظت حفظ الشعبي وحاضرت محاضرة ابن القرية النمري وابدعت ابداع ابي تمام الطائي ووعظت عظة الحسن البصري وجادلت جدل

النظام في الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل واربيت على اياس ابن معاوية في الذهن والعقل وبهرجت الاصمعي رواية وزيفت ابا عبيدة حفظا ودراية وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم ووفقت توفيق سليمان في الحكم واخذ عني بطليموس علم الهيئة وارسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم والحيلة وقرأ عليّ سيبويه نحو البصريين والفراء نحو الكوفيين واختلفت اليّ الهند في تعليم الحساب ودرس على ابو عثمان المازني علم التصريف والاعراب واقتبس مني الخليل عروض الشعر وكان هاروت وماروت تلميذي في السحر وضرب على قالب خطي خط ابن مقلة وتوارث الكتابة اهل بيتي كما توارثها بنو ثوابه وامليت على ابن الكلبي شجرة النسب وعلى ابي عمرو بن العلاء ايام العرب واوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذي عنده علم من الكتاب وعددت في الراسخين في العلم عدا وقال لي موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضي بي في عتاب الاخوان لساني او يجري فيه بناني لقصر عن ذلك عناني ولارتبك فيه عقلي وبياني ولعييت والحق لي وانقطعت والحجة لي وما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما وخلقين ركبت منهما جبني عن الاصدقاء وجرأتي على الاعداء رأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لي فيما تجليته من الفضل الذي لو صح لي لكنت فيه جنيبتك ولسلكت فيه طريقتك وانت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك وان تتواضع وانت ترتفع من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع وان يخصك في المراتب الكبر من خص غيرك الكبر ولست اقول انك صادق فادعى لنفسي فضلا ولا انك كاذب فاناقض لك قولا ولكني

اضع بيننا قول الاول

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المعايبا

ولولا اني اكره ان ننسب جميعا الى التقارض في الثناء وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التي انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعيّ وانت لها نسيب قريب وغيرك عنها اجنبي بعيد وبعد فانا والله معتدّ للايام بنصيبي منك متحمل لها شكر العارفة فيك منافس في نعم الله تعالى عليّ بك لا افتح عيني على احب منك اليّ ولا اضم جناحي الا على اعز منك عليّ ولا اقرأ لك كتابا يهون على ما قبله ويزهدني فيما بعده

٤٠٣ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه

ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير

كتابي اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته ومن مستقر عزه الى مقر عزه فانا بما تبعني من عنايته وشيعني من عساكر حياطته ورعايته ونسبت اليه من خدمته ولاح على صفحات احوالي من مواسم نعمته صالح الحال بل ناعم البال راضٍ عن الايام والليال والحمد لله ذي الجلال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله خير آل وقد كنت احسب ايد الله الوزير اني انما اتوصل الى بره واكرع من بحره وارد شريعة نواله واضرب عطفي بين جاهه وماله اذا وردت حضرته البهية وطالعت طلعته الزكيه فاذا فارقتها انحسمت عني مواد المواهب ولم تصافحني ايدي الرغبات والرغائب فاذا انا بنعمته تشيعني غائبا كما تتلقاني حاضرا وتمشي على عقبي ظاعنا كما تنزل ربعي قاطنا كالغيث يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر طلوعها على الحاضر وذلك اني وردت هذه الناحية المعمورة ببركات دولته المكنوفة بافضاله وفضله فرأيت بها من

غرائب الاكرام والاعظام ومن رقائق الافضال والانعام ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة وجعل ايدي التعديد قاصرة مقصورة وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية وضرب في قالب الفتوة والانسانية وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار و يصرفها على حكم الاختيار اوله ثناء جميل وآخره عطاء جزيل وفيما بينهما ترحيب وتأهيل وتعظيم وتبجيل بر حتى سر وعظم حتى افخم وافضل حتى اخجل وتركني اتردد بين محاسن قوله وافعاله واجيل طرفي بين طرفي تنزيله وانزاله واذكر به اخلاق الوزير التي ما رأيت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه منها ولا لئيماً الا مثلها لي لتخليه عنها

يذكرنيه كل خير رأيته   وشر فأنفك منه على ذكر

وكيف اتعجب من علق الوزير اتخذه ومن سيف بنانه شحذه ومن جواد هو ضمره للرهان ومن حر هو علمه نسخة الحسن والاحسان ومن تلميذ استفاد منه وخريج صدر عنه فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفرى وان الخيل على حسب فرسانها تجري وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون غزيراً والنجم استضاء من بدر ان يكون منيراً على انه بالآباء تقتدي الاولاد وعلى اعراقها تجري الجياد

والسيف ما لم يلف فيه صيقل   من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم فقال له السائل اني لم استكثر منه فصفه لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ماذا اقول في جمر هذا شرره وفي سيف هذا اثره وفي كريم هذا نتائج سودده وآثار يده فسبحان من جعل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبة وتحيط بي من الجوانب الستة فاذا حضرته

طالعني واذا فارقته تبعني

ففي كل نجد في البلاد وغائر   مواهب ليست منه وهي مواهبه

المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها وحقق في مغفرته املها وان كانت نالت كلا من خدمه ومتحملي اعباء نعمه بالغم الذي لا تنجلي كربته والجرح الذي لا تؤسي ضربته وخصتني من بينهم بالنصيب الاوفر والقسم الاكثر فاني اغار لهيبة الوزير من ذكر النساء اولا واتطير لنعمته ان يتخللها التعازي والمراثي ثانياً وآنف له من ان اقيمه مقام من يوعظ و ينبه ثالثاً والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة والخواطر مجيبة والشعر ليس بعازب والشيطان ليس بغائب والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

يعلمن حين تحيا حسن مبسمها   وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن حرمة لي بمثل هذا لالحقته بها وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عز الوزير و بهائه ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه و بقائه وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطى فناءه واخطأت حوادثه حوباءه فسائر ما يأتيه صغير محتقر ومنسي مغتفر و باطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة ولم يخلد الى الغيبة ولم يدخر شعره ولم يخبأ بعد عروس عطره ووالله ما انصفنا ولي نعمنا ومالك رقنا وجالب رزقنا فلمَ نشاركه في نعمائه ولا نشاركه في بكائه ونساهمه في احوال الرخاء ولا نقاسمه احوال البلاء ولا نساعده على البكاء ونتحمل اعباء منته ولا نتحمل اعباء محنه قضية والله سدومية وسنة حديثية لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة وصروف الايام عن

مستقر عزه مصروفة والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة ولا زال يتعرف من الله صنعاً به يزكو طريفه على تليده و يقع عتيقه وراء جديده واراناالله جماعة اوليائه فيه ما تضيق عنه ساحة رجائنا من نعمته و يأتي على صالح دعائنا برحمته فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله وقلدني نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهب وعلى قالبه ضرب وكان خدم الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم وتكافؤ احوالهم حلقة مفرغة لا يدري ما طرفاها وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها وكلما فقدت منهم درهما وجدت ديناراً وكلما فقدت ديناراً وجدت قنطاراً والوزير اوسع لمكافأة خدمه عن خدمه فانما يتقارضون ما عندهم من فضلات ماء نعمه و يعير بعضهم بعضاً ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه ومدار الاحسان والاستحسان عليه وما عسى ان اقول في مدح الوزير ونعمه الا ان استعير لسان طفيل الغنوي فاقول

جزى الله عنا جعفراً حين ازلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا ... تلاقي الذي يلقون امنا لملت

٤٠٤ خطبة لعبد الرحيم بن نباتة الخطيب

الحمد لله الذي لا يرادّ في حكمه ولا يراجع ولا يضاد في ملكه ولا ينازع ولا يحاد في مراده ولا يمانع ولا يحاج عن عباده ولا يدافع احمده على ما قدر و بسط حمد من لا كفر ولا قنط واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها يوم المآل الفرط وتؤمنه من ذي الجلال السخط واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله وللكفر في الآفاق زجل وعلى القلوب من النفاق طفل وفي اعناق اهل الشقاق عن الحق ميل وفي الاقوال عن محجة الصدق خطل فقوم الله

بنبيه صلى الله عليه اود المنآد وهزم به مدد الجحّاد وابرم به سحيل الايمان وأطفأ بنوره نار الطغيان واكرم به قبيل مضر بن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله صلاة مؤكدة الادمان مجددة في كل حين واوان وسلم تسليما (ايها الناس) اضللنا القلوب فلا دليل عليها مرشد واهملنا النفوس فكل الى عطبه مخلد واثقلنا الظهور بما ليس لنا على حمله مسعد واعملنا الجوارح فيما هو لها عن الراحة مبعد فلا العبر عن الفساد ناهية ولا الفكر الى الرشاد داعية ولا الهمم الى الثواب سامية ولا الذمم عن الاحساب محامية والموت تنظمكم رماحه وتقسمكم بايدي الفناء قداحه و يختطفكم بالصغار اجتياحه وتنسفكم الى دار القرار رياحه وكلما قربت الايام منكم مسافته ابعدت الآثام عنكم مخافته حتى كأن ما ترون في غيركم من اثره امان لكم من وقوع حذره ولا بد لكلّ من محتضر يرق فيه الشامت و يعظ فيه الناطق الصامت و يظهر له المقت الماقت و يكثر اليه النظر الحائر الباهت يا له مصرعاً اطفأ مصابيح الحيل وأنشأ مجاديح المقل واوشك مر الفراق وفتك بانفس الاعلاق وحط اهل السرور والمنابر الى ظلم الحفر والمقابر حتى يدع نعيم الدنيا زهيدا ومنظومها فريدا وحديثها وقديمها فقيدا ومن عليها من الخلائق بسيف الموت حصيدا فلا تجعلوا عباد الله حطام الدنيا بينكم دولا ونهبى وتعرضوا عن الآخرة اعراض الفارك الغضبي واهنؤوا بتقوى الله عر قلوبكم الجربى من قبل ان تشتملوا الندامة في منقاب العقبي حيث يستعتب الظالم فلا يجاب الى العتبي (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) كنف الله منا ومنكم محال اليقين وصرف عنا وعنكم مضال اللعين وجعلنا واياكم بقدره راضين و بجلاله عن حرامه متغاضين انه اقدر القادرين ان اعذب الكلام في الافواه واحلى واحق النظام بالاسماع واولي

كلام من هو بالمنظر الاعلى بسم الله الرحمن الرحيم (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) الآيات

٤٠٥ خطبة اخرى له

الحمد لله مسخر الكواكب جارية في بروح افلاكها ومطهر السموات بقدس تسبيح املاكها وميسر انفس المطيعين للسعي في فكاكها ومنظر كافة المضيعين حلما وثقة بادراكها احمده على خوالي نعم خولها وتوالي قسم اكملها وملابس آلاء خلعها ومعاطس اعداء جدعها حمدا يكون اليه واصلا و بما وعد عليه كافلا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تألق في القلب كوكبها وتعلق بالرب سببها واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله للرسل عاقبا وللملل غالبا و بالحقوق طالبا وعن الفسوق ناكبا فلم يزل صلى الله عليه وسلم لامته ناصحا وعن أسرته مكافحا حتى اظهر كعبه وسر قلبه وكثر صحبه ونصر حزبه وآثر قربه ثم قبض بعد ذلك نحبه صلى الله عليه وعلى آله ومن اتبعه واعتقد حبه وسلم تسليما (ايها الناس) الزموا التقوى يلزمكم وقارها واحتموا الدنيا يحتمكم صغارها وأموا سبل الهدى فقد وضح لكم منارها وحرموا ظهر المنى فقد جد بكم عثارها وانظروا بعيون الهمم في مصارع الامم الذين فوقهم الزمان دره وجنبهم الحدثان كره فعمروا الدنيا عمارة آمن من غدرها ونفذ امرهم في برها و بحرها حتى اذا اقتعدوا منها مقاعد الشرف وتمهدوا فيها مماهد اللطف وصدقوا كواذب امانيها ولم يرمقوا المعاطب في طيها ونواحيها قلبت لهم عين فراتها اجاجا وامرتهم على آفاتها افواجا اخرست ديارهم بعدا فصاحها وطمست آثارهم بعد اتضاحها اخلفتهم بروق المواعد والحفتهم فتوق الرواعد عثروا فقال لهم الدهر لا لعا وسقوا كأس الحمام فبادوا معا فيا ايها الحُلاّل منازل الراحلين والورّاد مناهل الاولين

لقد هتف بكم هادم اللذات فاسمع وجادكم عارض الشتات فما اقلع واثخن فيكم سيف الممات فاوجع وسعى اليكم فيلق الآفات فاسرع وانتم مغترون بغمائم الآمال الساترة بينكم و بين حوائم الآجال حتى كأن الموت على غيركم كتب او كأن الحق على سواكم وجب وأعجب بها غفلة شاملة ونقلة عاجلة وامنية خائنة ومنية حائنة لقد انذرتكم الايام هجومها واورتكم في غيركم محتومها فبادروا عباد الله وابواب العمل مفتوحة وفي ساحات المهل مندوحة قبل قطع الوتين ورجع الانين ورشح الجبين ومعاينة المسلط الامين قبل سفه الحليم ووله اليتيم وعويل الحريم لنزول الامر العظيم قبل اوان الغيبة وهوان الشيبة وانخراق الهيبة واستحقاق دار الخيبة فيومئذ تتفطر القلوب من الاملاق اشفاقا وتصير الذنوب في الاعناق اطواقا وتتعذر الانساب فلا يعرف والد ولدا و يحرر الحساب فلا يظلم ربك احدا فتح الله لنا ولكم اقفال القلوب وانجح لنا ولكم السؤال في المطلوب وجعلنا واياكم بزواجره ايقاظا ولنواهيه واوامره حفاظا ان احسن الكلام اثراً وابين النظام عبرا كلام من خلق من الماء بشرا بسم الله الرحمن الرحيم (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)

٤٠٦ خطبة له أيضا

الحمد لله ناقض عزائم المخلوقين بابرام عزمه وقابض خزائم انفس الآبقين لالزام حكمه وحالّ عقد الشبهات عن بصائر اهل وده وفال عدد ذوي الرغبات عن محجة قصده احمده حمدا يستوجبه فضله وأعلم ان اختلاف مقاديره عدله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اجدد بها في كل مقام مقالا وامجد بها ذا الجلال والاكرام تعالى واشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله والحق

خافية صواه واهية قواه حل حرمه فل عصمه طامسة اعلامه دارسة احكامه منكورة ايامه مبتورة اوذامه فأقدم صلى الله عليه على اظهاره ونصرته واعلم في انصاره واسرته وناصح الله في تشييد ملته وكافح اعداءه على الاقرار بوحدانيته حتى دك رعان البهتان فاصحرها وفك اركان الطغيان فدمرها واطلع شمس اليقين وندب اليها وشرع شرائع الدين فاوضحها لديها صلى الله عليه وعلى آله صلاة يسوق ثوابه بين يديها و يؤمن عقابه من أمن من العالمين عليها وسلم تسليما (ايها الناس) اسيموا القلوب في رياض الحكم وادبموا النحيب على ابيضاض اللمم واطيلوا الاعتبار بانتقاض النعم واجيلوا الافكار في انقراض الامم الذين كانوا من قبلكم في الارض قاطنين وعلى مهاد الخفض مستوطنين و بعهود الايام واثقين والى غايات الاماني سابقين ممن تبوأ عرعرة دهر اصبحتم بحضيضه وتملأ صفو زمان جار عليكم بقروضه حتى اذا استحكمت فيهم طماعية التخليد واستولت عليهم رفاهية التمهيد وقادوا الخليقة بازمة الرغب والرهب وسارت بهم الدنيا مسير التقريب والخبب وعموا عن مناصب اشراك جدها في مراعي اللعب ولهوا عما يدل عليه الاعتبار فيها من سوء المنقلب رغا في وسط ديارهم سقب العطب واعدى فيهم الهلاك اعداء الجرب واوقعت بهم المنون ايقاع الغضب وادت اليكم الايام من اخبارهم انواع العجب سحبت عليهم الهوج اذيال نقائها وحلبت عليهم المنون سجال غنائمها فاضحوا رهين اجداث موصدة وودائع قبور ملحدة ذهبوا فلم يرجعوا وندبوا فلم يسمعوا وازعجوا فلم يمنعوا واستضيموا فلم يدفعوا اتراهم رضوا بدار الغربة دارا ام آثروا قرار الوحشة قرارا لا والله ما اختاروا فرقة الاحباب والكون تحت اطباق التراب ولكن صال عليهم القضاء فاطرقوا وطال بهم العفاء فاخلقوا واتفقت عليهم الحادثات فافترقوا واعنقت اليهم المثلات فتمزقوا فليت

شعري ما ذا قيل لهم وما لقوا اسعدوا بمكتسبهم في الآخرة ام شقوا فهلم عباد الله الى محاسبة النفوس قبل مواثبة النحوس ومقارنة الرموس ومعاينة اليوم العبوس يوم غض الرؤوس وفض الطروس والفحص عن المحسوس والمموس بين يدي الملك القدوس (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) (يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) (يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا) (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) طبنا الله وايا كم بطب كتابه وادبنا وايا كم بآدابه ووفقنا وايا كم للاخذ بصوابه ووقفنا وايا كم عند ما امرنا به ان اولي ما اهتديتم بارشاده واحق ما صدقتم بوعده وايعاده كلام من جعلكم من خير عباده بسم الله الرحمن الرحيم (فكلا اخذنا بذنبه) الآية

٤٠٧ خطبة له اخري

الحمد لله الذي لا تفصح بماهيته العبارات ولا تلوح بكيفيته الاشارات ولا تدل على اينيته الأمارات ولا تكشف حجاب لا هويته الا مثال المستعارات احمده حمد من اوزع الشكر قلبه وعلم ان الموفق لذلك ربه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من وضع رداء الكبر عن منكبه وصدع بالتوحيد في نثره وخطبه وآمن بالله وملائكته ورسله وكتبه وصدق محمدا صلى الله عليه فيما جاء به واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله حين صرت من الكفر جنادبه وذرت بالغدر كواكبه وكرت في الآفاق كتائبه وهرت بالشقاق ثعالبه ودرت بالملح الزعاق سحائبه وازبأرت في قلوب اهل النفاق عقاربه فاطفأ الله به شواظ الحروب وألان به فظاظ القلوب حتى فشا الايمان اسرارا واعلانا واصبح اهله بنعمة الله اخوانا صلى الله عليه وعلى آله

صلاة يتبعها روحاً وريحانا ومغفرة ورضوانا كما امرنا بذلك واوصانا وسلم تسليما (ايها الناس) ان الدنيا متاع مقامكم فيها اطلاع ووصلها لكم انقطاع وارتفاعها بكم اتضاع تحلى مذاقة ما تمر ختامه وتصبي بالرضاع من تسر فطامه وتظهر مصافاة من تضمر حمامه وتختلُ بالصغار من تظهر اكرامه ما نال احد رغد مراعيها الا من بين انياب افاعيها ولا ثوب بالسرور داعيها الا اجابه بالثبور ناعيها قد اوردت ابناءها شر الموارد وارصدت لهم آفاتها بكل المقاصد تحزهم ايامها حز المبارد وتشوب لهم صفو الحياة بسم الاساود فرحم الله امرأ لحظها لحظ المعرض الصادف ولفظها لفظ المبغض العائف فانها دار أُولعت بشتات القرناء واودعت منيات الآباء والابناء لها من الموت يد غالبة لا تطاول وقدرة غاصبة لا تصاول وعين مراقبة لا تخاتل ورسل مطالبة لا تماطل وسهام صائبة لا تناضل واحكام واجبة لا تقابل الا فاسرحوا الابصار في آثار معاركها واقدحوا الافكار بتذكار ملوكها وممالكها تنزلكم ظلم اقطار مسالكها وتسعدكم الدموع بمدرار سوافكها وتخبركم الديار بمصارع اقوامها وتشهد عندكم الآثار بقوارع ايامها وترجع اليكم القول لو افصحت بكلامها أن الحوادث اعنقت على اهلها باحكامها وازعجت الملوك عن نعمها بارغامها ومعكتهم بزلازل اقدامها وطحنتهم بكلاكل انتقامها وغيبتهم في وهاد الارض وآكامها فتلك منازلهم بادية اعلامها خاطبة على اطلالها ابوامها قد البسها حلل العفاء اجرامها ورقمها في طراز الفناء رقامها اولئك الذين افلوا فنجمتم ورحلوا فاقمتم وابادهم الموت كما علمتم وانتم طامعون في البقاء بعدهم فيما زعمتم كلا والله ما اشخصوا لتقروا ولا نغصوا لتسروا ولابد ان تمروا حيث مروا فلا تثقوا بخدع الدنيا ولا تغتروا وهب الله لنا ولكم حسن الاستعداد للموت ووفقنا واياكم العمل الصالح قبل الفوت ان افصح ما نطق به الناطق واوضح

ماجاء به الوعد الصادق كلام من كلامه لا مخلوق ولا خالق بسم الله الرحمن الرحيم (انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام) الآية

٤٠٨ وكتب المعري الى خاله ابي القاسم

عند طلوعه من العراق ووجد امه قد توفيت

ولم يعلم قبل مقدمه بذلك

كتابي اطال الله بقاء سيدي ما طلع صبير ورسا ثبير من معرة النعمان ولكل نبأ مستقر ووردتها بعد سآمة ورود كعب بن مامة فانا لله وانا اليه راجعون وله الحمد ممزوجاً به الدمع مستتماً له من الوجد السمع وصلى الله على سيدنا محمد وعترته صلاة يثقل بها لساني حزنا وترجح في المحشر قدرا ووزنا ثم أذكر قصصي بعد ذلك

الا يا ليتني والمرء ميت   وما تغني من الحدثان ليت
يا ليت عمرا وليت ضلة سفه   لم يغز فيها ولم يحلل بواديها
لو ان صدور الامر يبدون للفتى   كأعقابه لم تلفه يتندم
رحمكِ الله من ساكنة رمس اصبحت حياتك كأمس
فان ينقطع منك الرجاء فانه   سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر
ولا آمل بعدها خيرا ولا ازيد في المحن الا ايضاعاً وسيرا
صلى الاله عليك من مفقودة   اذ لا يلائمك المكان البلقع
أني حللت وكنت جد فروقة   بلدا يمر به الشجاع فيفزع
لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت   اسباب دنياك من اسباب دنيانا
يا سلوة الايام موعدك الحشر موعد والله بعيد لا سلوة حتى يؤوب عنزي

القرظة و يرجع النعمان الى الحيرة و يبعث نبي من مكة لولم تكن الآجال زبرا لوجب ان اقتل بها صبرا على اني والله قد اعلمتها اني مرتحل وان عزمي على ذلك جادمزمع فاذنت فيه واحسبها ظنته مذقة الشارب ووميض الخالب ولكل اجل كتاب وحزني لفقدها كنعيم اهل الجنة كلما نفد جدد وشرحه املال سامع وافناء زمان والله يجعلها واياي فداء مولاي من كل رزية و يصيره المخصوص عني بالعزية ورب سامع خبري لم يسمع عذري والمعاذر مكاذب غير ان الرائد لا يكذب اهله فان قال أدام الله عزه يأبي الحقين العذرة واذا سمعت بسرى القين فاعلم انه مصبح وفي النوى يكذبك الصادق فو الذي اخرج الجذع من الجريمة والنار من الوثيمة ما نكبت حلب في الابداء والانكفاء الا كما تنكب خريدة المحار لما دونها من هول البحار وانا كما علم أدام الله تأييده وحشي الغريزة انسي الولادة وكل أزب نفور

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى   وصوت انسان فكدت اطير

يرى الوحشة الانس الانيس و يهتدي   بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك

يود بجدع الانف لو ان ظهرها   من الناس اعرى من سراة اديم

لو وردت حلب تعينت علي حقوق ان قضيتها نصبت وان تخلفت عنها عوتبت وقصبت ومن لم يهبط نعمان الاراك لم يعتب عليه في اهداء المسواك و يطلب من راكب هجز الفرض ومن مسافر البحرين الحساس وشوقي الى مشاهدته شوق اليفن الى الشباب والشارف الى السقاب ولو اوسقته الحمائل اضعفها عن الذميل او طوقته الحمائم لاغصها بالهديل وكيف تزيد الحمامة الخطباء على الحامة الخطباء الرياش افضل من الريش المكر والمنزل اشرف من الوكر وطوق الذهب خير من طوق الغيهب واين الشارف من اللبيب العارف ليس ام الفصيل من

ذوات التحصيل انما هي حنين بعده سلو واشتغال لب ثم خلو وأسفي على فائت قربه كأسف وحشية ترب طلا في صفاصف وفلا اتخذت بيتا كالخدر في ظل الفاردة من السدر ثم هكعت في الهجير فدرج الطفل وهو لابي جعدة نصيب وكفل فلما قضت الرقاد نظرت فاذا بقية اجلاد فهي بين وله وعله والله سبحانه يسهل اجتماعا يكون به شملنا كنجوم ذات العرش لا ترهب فرقة ولا نقص ارش وقد كنت كاتبته كتابا من الرقة اشرح له فيه ما حملني على النزول فان كان وصل فهو الفرض وان تخلف فالاعادة لمعناه جرض ولكل مقام مقال ولكل أوان ثمرة وفي كل واد سمرة وجدت بغداذ لجناح الاخيل حسن وليس فيه ما حمل

ان العراق لاهلي لم يكن وطنا   والباب دون ابي غسان مسدود

فانم القتود على عيرانة اجد   مهرية مخطتها غرسها الصيد

كم دون مية من مستعمل قذف   ومن فلاة بها تستودع العيس

حنت الى نخلة القصوى فقلت لها   بسل حرام الا تلك الدهاريس

أمي شآمية اذ لا عراق لنا   قوما نودهم اذ قومنا شوس

فان يك في كيل اليمامة عسرة   فما كيل ميا فارقين باعسرا

لنفسي اقول اعيتني بأشر فكيف بدردر وعصيتني من شب الى دب ليس بمشك فادرجي هذا احق منزل بترك الصيف ضيعت اللبن الربيع اغفلت الكمأة وعلى المفازة ارقت السقاء عودي الى مباركك الحقك الشر باهلك فمن اناس ما انت ليس النيق بموطن الظليم ولا الهجل بمرتع الغفر

لكل اناس من معد عمارة   عروض اليها يلجؤون وجانب

وكنت ظننت ان الايام تسمح لي بالاقامة هناك فاذ الضارية احجأ

بعراقها والامة ابخل بضربتها والعبد اشح بكراعه والغراب اضن بتمرته ووجدت العلم ببغداذ اكثر من الحصى عند جمرة العقبة وارخص من الصيحاني بالجابرة وامكن من الماء بخضارة واقرب من الجريد باليمامة ولكن على كل خير مانع ودون كل درة خرساء موجية او خضراء طامية

اذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه الى ما تستطيع

يكفيك ما بلغك المحل ان عجز ظل عن شخصك فلا يعجزن عن عضو منك فلما زبنت الضروس الحالب ونزت العتود تحت الراكب ومنعت القلوع النازع ولم تعم الفلوت شاكي الارز وغشى القول وجه المشتار وخيب رائداً سحاب وكذب شائماً برق واخلف روعيا مظنة عادت الى عترها لميس وذكر وجاره ثعالة وطرب لو كنته ابن دأية وما هبطت في طريقي وادياً ولا فرعت جبلاً ولا حملتني سفينة ولا ذلت لي مطية الا بن الله سبحانه ومنة سيدي وعنايته وجاهه واياديه اكبر من الشكر واوسع من احاطة الذكر وقد علمت انه يعمل ذلك معي لا يريد جزاء ولا شكورا ولكن لما كان السكوت غباوة عند الجماعة والشكر اذية لمسدي الصنيعة كان احتمال ملامة واحدة ايسر من احتمال ملاوم كثيرة واما سيدي ابو طاهر فقد حملني من الانعام اوقاً لا آمل النهوض بجزء منه وما ورث بري عن كلالة ولا اخذ تفقدي من دار غربة شنشنة من اخزم ونشانشة من اخشن انما نقيل اباه والشكير نابت من العضة والبرم من السلم ومن اشبه اباه فما ظلم ما زالت كتبه تطرق اصدقاءه محافظة على المكارم ومراعاة لامر غير لازم حتى جعلهم الي كعرف الفرس او قوي المرس كلما عرضوا قضاء حاجة اعرضت عن تكليف المشقة لاني اعتقد حكمة زهير في قوله

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه   ولا يعفها يوماً عن الذم يسأم

ولو علمت اني ارجع على قروائي لم اتوجه لهذه الجهة ولكن البلاء موكل بالمنطق والخيرة مغيبة والخطوب مثل دوك النوفل يفتح بعضه عن مثل نبات الغمق وبعضه عن ذوات النسق لا يدري الرجل بم يولع هرمه ولا الى اي اجمة يسوقه جده ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء

يا ايها المضمر هما لا تهم   انك ان تقدر لك الحمى تحم

ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداذ فلقد افردوني بحسن المعاملة واثنوا علي في الغيبة واكرموني دون النظراء والطبقة ولما آنسوا تشميري للرحيل واحسوا بتأهبي للظعن اظهروا كسوف بال وقالوا من جميل كل مقال وتلفعوا من الاسف ببرد قشيب وذرفت عيون اشباح شيب فلا اله الا الله اي نابتة ليست لها راعية لا تخلو لها فاغية من سائفة ولا تعدم الخرقاء ثلة ولا النقال سائقة ولا السمحة قانية وامروني لرغبتهم في صقبي منهم بامور تنهى عنها القناعة وتكف دونها العادة وما ابعد نضاد من جبال الضريب واشد اختلاف الغائر والمنجدين

شتان ما يومي على كورها   ويوم حيان اخي جابر
على حين ان ذكيت وابيض مفرقي   اسام الذي اعييت اذ انا امرد
اماوي ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

والله يحسن جزاءهم ان كان ما فعلوه حفاظا فهو منة عظيمة وان كان نفاقا فهو عشرة جميلة وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب ما ارقت منه قطرة في طلب ادب ولا مال وقد فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شآم من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا والذي اقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها

ولست وان احببت من يسكن الغضا   باول راج حاجة لا ينالها

شرفا لذلك المنزل منزلا وللساكنين به نفرا ولماء دجلة واديا ومشربا

وانّي وتهيامي بعزة بعدما … تخليت من حبل الهوى وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما … تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وكنت اذا خبرت رجلا بمسيري بانت فيه كآبة و بدت عليه كبوة فكتمت ذلك عنهم كتمان المرأة ضرتها بالغيب ما في جسدها من سوء وعيب فلما علق حرباء البين تنضبته ووقف صرد الفراق موقفه كنت واياهم كأبي قابوس و بني رواحة

قال لهم خيرا واثنى عليهم … وودعهم وداع الاّ تلاقيا

وسرت عن بغداذ لست بقين من شهر رمضان سيرا تنحط ابله وتئط نسوعه وتوقع الغرق سفنه يود الماشي الرجيل فيه انه بعض الركب ولو كانوا ركبان الجذوع وانه انتعل ولو باديم الوجه والجبين واضطجع ولو على القصد والشبهان عند الصباح يحمد القوم السري الغمرات ثم ينجلين ومررت بطرف الشبهاء لاني سلكت طريق الموصل وميافارقين وفيها امواه كامواه الطثرة والعذيب فسبحان الله القديم

وردت مياها ملحة فكرهتها … فسقيا لاهلي الاولين ومائيا

كلما شحجت النوائب قلت خير ايتها الطير لا علم لك بما كان ولا علم لك بما يكون وراءك وراءك فغيرك من تهيبين طالما نزل نازلك على النبيلة فهاض جناحه الوليد

من مبلغ عمرو بن لأ … ي حيث كان من الاقاوم
لا يمنعنك من بغا … ء الخير تعقاد التمائم
فلقد غدوت وكنت لا … اغدو على واق وحاتم

فاذا الاشائم كالايا … من والايامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا … شر على احد بدائم

ولما نزلنا بالحسنية تساوي حامل المال وحامل الرمال وقل بلاء الغادي اين قال والرائح اين عرس و بات فلم نزل كذلك حتى بلغنا آمد ثم عادت السبيل الى غوائلها وسدكت الرفاق بمخاوفها

فما بلغتنا الا جريضا … بلا نقي العظام ولا سنام

ولما فاتني المقام بحيث اخترت اجمعت على انفراد يجعلني كالظبي في الكناس و يقطع ما بيني و بين الناس الا من وصلني الله به وصل الذراع باليد والليلة بالغد وانا احمل الى مولاي ادام الله عزه والى مولاي ابي طاهر عضدني الله ببقائه سلاما له نضرة الآلاء وصفاء الماء وعذوبة الأري وتتابع القطر وخلود النجوم وارج العرار وتألق الوميض والسلام

٤٠٩ وكتب الى ابي طاهر وهو ببغداذ يذكر له امر شرح السيرافي وما جرى فيه من التعب

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الحمد ما أحصي خطأ وعمد وصلى الله على محمد ما التأم شعب وعلا كعبا كعب شوقي الى سيدي الشيخ شوق البلاد الممحلة الى السحابة المسحلة وانتفاعي بقربه انتفاع الارض الاريضة بالامواه الغريضة وتشوفي لأخباره تشوف راعي انعام اجدب في عام بعد عام لبارق يمان هوله مرتقب ممان واسفي لفقده اسف وحشية رادت بالعشية فخالفها السرحان الى طلا راد فخار فهي تطوف حول اميل وترى صبرها ليس بجميل وتذكري لاوقاته تذكر الفطيم ثدي الوالدة والمقسم بالملح لبني خالدة وانتظاري لقدومه انتظار تاجر مكة وفد

الاعاجم ورب الماشية ظهور النبت الناجم وفزعى الى نجدته فزع الغرق الى سيف دان والفرق الى سيف ليس بمدان واعتذاري من التثقيل عليه اعتذار الورقاء من الغدر وابي جهل من حضور بدر وثقتي بمكارمه ثقة راكب الماء بالعامة والحرث بالنعامة وشكري على اياديه حبيس ليس بمحبس يتجدد مع النفس وفي هذا اليوم وهو يوم كذا وصل كتابه فسررت به سرور الظمآن ورد نميرا والساهر صادف سميرا وكان ما ضمنه من سلامته بشرى لها تخف الاحلام خفة القائل ولا يلام يا بشراي هذا غلام والله يمن باجتماع ليس بعده من ازماع وفهمت ما ذكره من امر النسخة المحصلة وهو ادام الله عزه الكريم المتكرم وانا المتقل المبرم جرى في التفضل على الرسم وألحت الحاح الوسم فاما الشرح ان سمح القدر والا فهو هدر وقد كنت قلت في بعض كتبي الى سيدي ان كانت الخطوط مختلفة والابواب مؤتلفة فلا بأس يغني عن لبس السرق ثوب جمع من شتى خرق ما عدا خط علي بن عيسى فانه رجل اتكل على ما في صدره فتهاون باحكام سطره وانما رجوت ببركته ان يتفق اناس كما قال الله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) فاما انا فلا اقول عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واما ما ذكره من فساد الناس فاحلف ما حلم الاديم وان ذلك لداء قديم النمرة بنت النمرة والقتادة اخت السمرة وهو ادام الله تاييده من الملامة في احصن لامة فلا يبعثه تعذر الحاجة على اللجاجة اهو الكتاب المكنون الذي لا يمسه الا المطهرون انما هو اباطيل لياة وتعليل في ايام الحياة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور فاما سيدي الشيخ ابو عمر فان اسمه وافق آية بلغت بفألها النهاية وهي قوله جل اسمه (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) وانا والجماعة نهدي الى سيدي الشيخ والى جميع اصدقائه سلاما تأرج الكتب بحمله وتروض

المجدبة من سبله وحسبي الله

٤١٠ وكتب الصابي الى ابي الفرج يعزيه عن ولد ولد له وهو في بعض اسفاره ومات قبل ان يراه

لله اطال الله بقاء سيدنا اقدار ترد في اوقاتها وقضايا تجري الى غاياتها لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ولا يصد دون مطالبه ومنحاه فهي كالسهام التي تثبت في الاغراض ولا ترجع بالاعتراض والناس فيها بين عطية يجب الشكر عليها ورزية يوثق بالعوض عنها يمضيها عليهم الدهر الأخرج من لونيه المتعاقب في ملويه عن تدبير من الله الكريم وحكمة ورأفة بالعباد ورحمة ومن عرف ذلك معرفة سيدنا لم يغمط مع الزيادة ولم يقنط من النقيصة وامن ان يستخف احد الطربين حلمه او يستنزل احد الامرين حزمه ولم يدع ان يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها و يأخذ الاهبة للحادثة قبل حلولها وان يجاور المنحة بالشكر و يساور المحنة بالصبر ليتنجز فائدة الاولى عاجلاً و يستثمر عائدة الاخرى آجلاً وقد نفذ من قضاء الله في المولود الجليل قدراً الحديث سنا ما ارمض وامضّ واقلق واقضّ ومسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن توافت ايادي سيدنا اليه ووجبت مشاركته في الملم عليه فانا لله وانا اليه راجعون وعند الله نحتسبه غصناً ذوي وشهاباً خبا وفرعاً دل عليه اصله وخطيا انبته وشيجه واياه نسأل ان يجعله لسيدنا فرطاً صالحاً وذخراً عتيداً وان ينفعه به يوم الدين وحيث لا ينفع الا مثله من البنين بجوده ومجده وحوله وطوله ولئن كان المصاب به عظيماً والحادث فيه اليماً فلقد احسن الله اليه والى الرئيس فيه اما اليه فبان نزهه بالاخترام عن مقارفة الآثام وصانه بالاخنضار عن ملامسة الاوزار فورد دنياه رشيدا وانصرف عنها سعيداً نقي الصحيفة من سواد الذنوب بريء الساحة

من درن العيوب لم تدنسه الجرائم والجرائر ولم تعلق به الصغائر والكبائر قد رفع الله عنه دقيق الحساب واسهم له مع اهل الثواب والحقه بالفاضلين الصديقين في المعاد وبوأه منازلهم من غير سعي ولا اجتهاد واما الى سيدنا ايده الله فيه فبانه جل وعز لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته اياه التي تكون معها الرقة ومعاينته له التي تتضاعف بها الحرقة وحماه من فتنة مقارنته ليرفعه عن جزع مفارقته حتى خف عنه ثقل اللوعة وسهل عليه مرام السلوة واجتمع له بالاولاد السادة الباقين المتعة في دنياه ومن هذا الواحد الماضي الذخيرة في اخراه وقد قيل ايد الله سيدنا ان تسلم الجلة فالسخل هدر وعزيز على ان اقول قول المهون للخطب في فقده وان لا اوفي التفجع عليه واجب حقه وهوله سلالة ومنه بضعة ولكن تلك طريق التسلية وسبيل التعزية والمنهج المسلوك في مخاطبة مثله ممن لا يدفع منفعة الذكرى وان اغناه الاستبصار ولا يأبي ورود الموعظة وان كفاه الاعتبار والله يقي سيدنا المصائب ويعيذه من النوائب ويرعاه بعينه التي لا تنام ويجعله في حماه الذي لا يرام ويبقيه موفوراً غير منتقص ومهنأ غير منغص ويقدمنا معشر اوليائه الى السوء امامه والى المحذور قبله ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة اذ كنت اراها من اسعد احوالي واعتدها من اكبر امالي وحسبي الله وحده

٤١١ وكتب الى سبكتكين الحاجب

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد اطال الله يا اخانا على انطاعة اللائقة بك والهداية المشاكلة لفضلك بقاءك وادام عزك وتأييدك وسعادتك وسلامتك ونعمتك وكفايتك وامتعنا بك في عود الى المعهود منك وانصراف عما نزغ الشيطان به لك ولا اخلانا منك

ومن اجابة هذه الدعوة فيك فان اولي ما اعتمده العاقل واتاه وذهب اليه وتوخاه ان يعرف الحق عليه فيؤديه كما يعرفه له فيقتضيه وان يتحرز في مجاري كلمه ويتوقى في مساعي قدمه مما يوتغ الدين ويسخط رب العالمين واذا نزلت عنده نعمة قراها بغاية شكره وحمده واحسن ضيافتها بمنتهى وسعه وجهده وصانها عن عواقب انكاره وجحده ووقاها من جرائر كفره وغمطه اذ كان للنعم شرط من الشكر لا يريم ما وجدته ولا يقيم ما فقدته وكثيرا ما تسكر الواردين حياضها ويعشي عيون المقتبسين اياضها فيذهلون عن الامتراء لدرتها ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن اطار طائرها لما وقع ونفر وحشيها لما انس ولا يلبثون ان يتعروا من جلابها وينسلخوا من اهابها ويتعوضوا منها بالحسرة والغليل والاسف الطويل ونعيذك بالله من استمرار ذلك بك ونسأله ان يأخذ قبل التمادي فيه بيدك بقدرته وانت ادام الله عزك الراجح الذي قد حلب الدهر اشطره وعرف خيره وشره وخرج عن حد الحداثة وارتفع عن عذر الغرارة وتجلل بملابس الكهول وتحلى بحلي اهل العقول وقبيح بك ان تهفو هفوة الجذع وقد قرحت واحتنكت وان تغلط غلط الصرورة وقد مارست وداوست وقد اجرى الله لك على ايدينا ويد الامير معز الدولة نضر الله وجهه قبلنا نعماً ما ندعي عليك شيأ منها الا وانت له مسلم ولسان حالك به متكلم لان ذلك السيد الماضي غفر الله له اعطاك ما لم تسم لك اليه همة وخولك ما لم تبلغه منك امنية وفضلك على الوف كثيرة من عباده واوليائه وقروم كريمة من اذانيه واقربائه وانما ظن بك الايفاء عليهم في الوفاء فاوفي بك عليهم في الرتبة واستشعر فيك الابرار في الحفاظ فجعلك لنا كالعدة ولم يدر في خلده رحمه الله ان مثل احسانه اليك يكفر ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح

الارقاه العبيد الى مراتب الاحرار الصيد واوطأ الرجال عقبك وكثر مالك ونشبك وعظم خطرك وقدرك وابعد صيتك وذكرك وانتهى بك من الاثرة والتزوة (١) الى ما اقدرك الآن على المخالفة والمكاشفة اللتين كنت عنهما بالعدول حريا حقيقاً و باستعمال ضدهما وليا خليقاً وان تأملت ايدك الله صنيعنا بك بعده وجدته احسن واجمل واوفر واجزل لاننا ملكنا الامور ودبرنا الجمهور وقدرنا على ان ننفع ونضر ونسوء ونسر وننقص ونزيد وتجع (٢) ونفيد فلم نثلم لك مالاً ولم نغير عليك حالاً ولم ننزع عنك عادة ولم نقطع مادة ولم نبزك لباس الكرامة ولم نعدمك ظل السلامة بل زدناك على ما كنت تحويه واعطيناك اكثر مما ترومه وتبغيه وكنت في ايامنا مرفها موفراً مصوناً موقراً مرفوعاً عن بذلة الخدمة محمولا على دالة الحرمة مسامحاً بما تطالبه مسوغاً ما تقترحه مشفعاً فيما تسأله مجاباً الى ما تلتمسه نقرب من قربت ونبعد من ابعدت ونرضى ما رضيت ونكره ما كرهت اقطاعاتك مقرة عليك وموادك منصبة اليك لا تعرف الا الصبوح والغبوق والتمتع بالمآرب والاوطار واعتقاد الذخائر الدثرة النفيسة و بناء الابنية الرفيعة المشيدة ونحن في نوائب تلم بنا وجوائح تبلغ منا بين مال ينكسر على ضمنائنا وزيادات نلتزمها لاوليائنا ومؤن تعجز عنها الحال وكلف تزيد على الاستغلال وعدو ننهد له ونساوره ووجه تعلق علينا فنشخص اليه ونباشره من حيث لا نبتديك ولا تبتدينا باسعاد في شدة ولا باسعاف عند ضغطة ولا ترى لنا ما يراه الشريك لشريكه فضلاً عن المولى لمليكه وما زلت ترقي في اطراح الحقوق واستعمال العقوق الى ان صرت لا تحضر عندنا في مجلس ولا تركب معنا في موكب ولا تهنينا بعطية ولا تعزينا عن رزية وتدعي مع ذلك علينا انا نبغيك

«١» كذا في الاصل ولعلها النزوة او التزود (٢) كذا في الاصل

الغوائل وننصب لك الحبائل ونشره الى حيازة مالك ونسف الى استضافة حالك لا بدلالة نقيها ولا عن حجة تدلى بها الا الارادة منك ان يتداول الناس دعواك و يتفاوضوا شكواك فيخمر في نفوسهم و يقرر في قلوبهم ان لك رخصة في المركب الذي ارتكبته وفسحة في الاثم الذي احتقبته و بالله لو كانت التهمة منك لنا واقعة لحقها ومقرونة بشاهدها لكانت طاعتك ايانا مظلوماً متحيفاً ازين بك من مخالفتنا مقتصاً منتصفاً فكيف وعلام الخفايا والغيوب والمطلع على الضمائر والقلوب يشهد عليك باستحالة ما تذكره ولنا بصفاء ما نضمره وانا بريؤون من كل ما قلت وزعمت وظننت واتهمت ولو كنا نريد بك سوأ لكان مرامه اسهل وايسر وطريقه اخصر واقصر ولا نتهزنا فيك فرصاً كثيرة منها شغب غلمانك عليك واحاطتهم بك وهربك منهم وحيداً وخروجك من بينهم فريداً وقد علمت انا وقيناك منهم وكفيناك اياهم وانفذنا اليك من جمالك وحرسك وصانك (١) وكلاك وفعلنا في ذلك ضد فعلك في افساد غلماننا علينا وتربية الوحشة في قلوبهم منا ومنها فرصة الحمية من الديلم عند فتك الاتراك بخمار الشرطي وقد كانوا يتنزّون اليك و يتلهفون عليك و يرون انك سبب التبسط الذي تبسطوه والحدث الذي احدثوه ونحن نمنعهم وندفعهم ولا يجدون عندنا مسامحة فيك ولا تخلية عنك ومنها فرصة حضور أبي دلف سهلان بن مسافر قريبنا ادام الله عزه وقد كان تمكن الاستظهار به في شيء لو اردناه وامر لوحا ولناه فوالله ما هممنا في الاوقات كلها بقطع لحبلك ولا باضاعة لحقك بل كنا الى الوقت الذي خرجت فيه الى ما خرجت نحفظك حفظ السمع والبصر ونعدك للتصاريف والغير ونراك على العلات التي نعرفها والهنات التي نعلمها الاخ الذي لا بد منه

«١» كذا في الاصل

والعلق الذي لا عوض عنه ولقد كنا نعجب من تلك الظنون التي تعترضك والجفاء الذي يبدو منك في ادعاء الغدر علينا ونسب المكر الينا وفي مضادتك ايانا في اقصاء من ندني وادناء من نقصى من جماعة من الناس لا حاجة بنا الى ذكرهم هذا ونحن نتجشم لك الجشم التي ان رمنا استقصاء شرحها اوفت وجلت وطالت واملت الا انا نذكر البعض منها تنبيها لك ان كنت غفلت واذ كارا ان كنت نسيت الا ترى انا شريناك بأعين بك كل وزير وظهير وكبير وصغير وانك ذممت من شيرذاذ بن سرخاب شيأ لم نقم به بينة ولا وضحت عليه دلالة وكان منا كجلدة بين العين والانف فابعدناه واتهمت العباس بن الحسين اكفى ما كان لنا فصرفناه ونكبناه واخترت محمد بن العباس فقربناه وقلدناه وافسدك العباس بن الحسين من بعد عليه فانحرفت عنه وملت اليه واردت منا ان نصرف هذا ونعيد ذاك فما راجعناك ولا خالفناك ثم ظهر من العباس بن الحسين في وزارته الاخيرة ما ظهر من العظائم وارتكب ما ارتكب من الجرائم التي كان في الحق ان نأخذك بها ونرجع عليك بدركها لضمانك عنه ماضمنت وتوسطك من امره ما توسطت فاحتملناها لما كنت بها راضياً وابيناها لما صرت لها كارهاً كل ذلك طلما (١) لمرادك وايثارك واحتراساً من استيحاشك ونفارك ووفق الله لنا من الناصح ابي طاهر ادام الله عزه من سد ذلك المكان وفاق فيه الاقران ونصح في كل قول وفعل واستقل بكل عبء وثقل وجهد نفسه في صلة ما بيننا وبينك وتهذيب ما يجمعنا واياك مما استقر في موضعه ولا سحب اذيال خلفه حتى بلغت عنه البلاغات فسمعتها وحكيت لك فيه المحالات فقبلتها وشرع في ان تشمئزمنه وتنحرف عنه والضرر عائد علينا فيما نأتيه وتتابعك فيه لانه اورثنا

«١» كذا في الاصل ولعلها طلبا

ملامة وندامة وعاق علينا شناعة وضراعة واختلفت اعمالنا باختلاف الايدي المتعاقبة واضطربت شؤوننا بتوغر الصدور النقية وظن الناس ان ذهابنا معك الى اغراضك وانقيادنا الى مرامك وغاياتك عن التياث حزم وصريمة وانتكاث رأي وعزيمة وان امرارنا تلك الكتب على أولئك الطبقات من سوء رعاية لمن نصح لنا ونقصان وفاء لمن خدمنا وتالله ما كان ذلك الا توفيرا للوفاء والرعاية عليك واغراقا فيهما لك وما عسيت غفر الله لنا ولك ان تقول اذا تناولتك الالسنة العاذلة وتناقلت حديثك الاندية الحافلة وقد دلفت بالحرب الى فناء كبيرتنا وسيديك واخوينا ومولييك ادام الله عزهم فازعجتهم وروعتهم وأغضبتهم وأحرجتهم واخرجتهم عن الاوطان وطوحت بهم في البلدان واحرقت دورهم التي فيها درجت ومنها خرجت وقلدت نفسك من امورهم عارا لا يرحضه الاعتذار ولا يعفيه الليل والنهار وهاأنت ايدك الله مشف على مسلك هواوعر وخطة هي انكر بتحققك بمجاربتنا وتصديك لمغالبتنا وما معك جيش تظن انه ينصرك الا غلماننا الذين هم بين حازم يوافقك ليسلم عليك وينافقك الى ان يجد لنفسه فرصة الانسلال منك وبين غر يريد منك ما ان اعطيته جميعه صفرت يداك وان منعته بعضه آثر عليك سواك واصغرهم يضيف نفسه اليك اضافة الرفيق وان زدت عليه في القدرة ويصاحبك مصاحبة القرين وان فقته في البسط وانت ناصب نفسك بينهم منصب الذبال الذي يستضاء به وهو يحرق وينتفع به وهو يمحق ولعلك تظن ان هرب الهاربين منهم اليك واكبابهم ومثابرتهم عليك ايثار لك علينا وازورار اليك عنا وليس ذلك كذلك بل قلوبهم الينا اميل واعينهم نحونا اصور لانهم غرائس ايدينا واغذياء نعمتنا وعقائل اموالنا واشبال عريننا نحنو عليهم حنو الجلة الرائمة ويلوذون بنا لياذة السخال الراضعة ولولا

الحفائظ بينهم وبين الديلم التي كنت انت السبب فيها والمسدي والملحم في تمكنها وترميها (١) لما زال منهم عنا زائل ولا مال اليك مائل وتلك الوحشة الآن مؤذنة بالزوال مسفرة عن الاتصال الم يبلغك ويبلغهم ان اكثر الديلم في عسكرنا انكروا على الاقل ما اتوه من منافرتهم ومشاغبتهم وخالفوا عليهم في مهاجرتهم ومغاضبتهم وان الجماعة تحالفت بين ايدينا باليمين الغموس على زوال ما في النفوس والعود الى التصافي والاجتماع على التراضي واننا قد عفونا عن غلماننا الذين معك وبذلنا لمن جاءنا الآن أو عند الامكان اقرار حاله وماله عليه ومتابعة الانعام والاحسان اليه فما هذه الثقة منك بانهم يخاطرون لك بنفوسهم واحوالهم ويخرجون من اجلك عن ديارهم واوطانهم ويوتغون اديانهم باسخاط باريهم ويحرجون مرواتهم بعصيان مواليهم ومن اضعف ما اعتصمت به وأوهن ما عولت عليه ان دعوت ادون طوائف العوام الى الكون معك واهبت بهم الى الذب عنك ورضيت لنفسك ان تكون عليهم اميرا ورضيتهم ان يكونوا لك جندا وابحتهم النهب والسلب وحكمتهم في المهج والحرم واطلقتهم اطلاقا قد اعوزك ان تضبطه واعجزك ان تكفه ومكنت في نفوسهم اننا معتقدون للايقاع بهم والاستباحة لدمائهم فان كانت هذه الاحافة (٢) التي اودعتها اسماعهم واشعرتها قلوبهم عن ظن ظننته فقد ذهبت فيه بعيدا الا تعلم ايدك الله انهم مختلطون بجماعة لا يحصرها العدد من مشايخ ديانين اهواؤهم معنا وصلحاء مستورين موالين لنا وان السوء لا يخلص الى واحد من هؤلاء الاحداث الاغمار الا بعد اتيانه على الكثير من اولئك الاخيار الابرار وانه لا تعدل عندنا فائدة الانتقام من الظالم مضاضة الاجتياح للمظلوم وان كان ذلك على سبيل المكيدة لنا بايحاش رعايانا منا

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل

والاستجاشة بهم علينا انها لمكيدة لا تضر وحيلة لا تستمر اذ كنا قد اشهدنا الله وملائكته وانبياءه واولياءه عليهم السلام انا قد عفونا ومننا وحلمنا وكظمنا وبان الجماعة الجانية علينا من هذه الرعية في حل وسعة من كل ذنب وجريرة ما وقفوا حيث انتهوا وانصرفوا عما اتوا لم نرض لهم بالصفح والغفران حتى اضفنا اليهما الفضل والاحسان ورفعنا عنهم ما كان يؤخذ منهم لك ولنظرائك الاتراك من ضرائب الغنم المجلوبة والامتعة التي يحملها الحجيج صادرة وواردة هذا الى غيره من مؤن اعتقدنا ازالتها ونوائب نوينا حسمها وابواب شر نسأل الله المعونة عليها وحسن الجزاء لنا بها ونعود معك الى ذكر الحرب التي انت مجتهد في ان تشب بيننا نارها وتطير شرارها فيا ليت شعرنا باي قدم توافقنا وراياتنا خافقة على راسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك وخيلنا موسومة باسمائنا تحتك وثيابنا محوكة في طرزنا على جسدك وسلاحنا مشحوذ لاعدائنا في يدك والله لو لم يكن بيننا فرق غير هذا لكان كافيا في الاستظهار عليك فكيف وهاهنا فروق كثيرة ومقاييس بعيدة منها ان غلماننا الذين معك يلقوننا بهيئة الابناء لآبائهم والمماليك لملاكهم وانا نلقاهم على ثقة بان الله يردهم علينا رد الضالة على ناشدها ويوصلهم الينا ايصال الظلامة الى مستحقها ومنها انا اهل بيت عودنا الله ان ينصرنا على كل باغ ويمكننا من ناصية كل طاغ مدا منه جل اسمه في عمر دولة لنا لا يمكن المخلوقين جميعا ان يقربوا لها اجلا قبل اوانه ولا يطرقوا عليها خللا في غير ابانه ولا يضرنا الله مع تفضله الذي نعول عليه والتألف الذي نرجع اليه بكيد الكائدين ولا حسد الحاسدين وهذه العساكر التي معنا وانت تعرفها متحاشدة لدينا ومتحالفة على نصرنا والامير السيد ركن الدولة والاميران عضدها ومؤيدها اطال الله بقاءهم وعدتها ابو تغلب ادام الله عزه وسائر من في اكناف الارض واطرافها

واوساطها واتباعها مطلون عليك متوجهون اليك قد امتعضوا لنا وتوافوا لمعاونتنا وليس منهم فئة الا وهي بمن معك وافية اذا انفردت وعليهم زائدة اذا تجردت فما ظنك بالحال مع اجتماعها واتفاقها واسراعها واستباقها و كيف لا يهزك مضجعك و ينبو بك موضعك وقد قطعت العصمة بيننا و بتت قرابتك منا واحوجتنا الى ان نتحرز منك بعد ان كنا نتحرز بك وان ندافعك عن حال كنا ندافع عنها لك وان نذكرك العدة والصديق بما تذكر به العصاة بعد ان كسوناك شعار السلاطين الولاة واي شيء اقبح بمثلك من ان تسلب الاسم الجميل وتنبز النبز القبيح في عصر السن والحنكة واوان الثبات والمسكة وان يقال فيك انك بعلت بحمل الانعام وارنت على طول الجمام وعزيز علينا ان نسمع ذلك فيك فنرضاه وقد كنا نسخطه ونأباه وان يخلد في بطون الصحائف غلطنا وغلطك في احساننا واساءتك وحفظنا واضاعتك فانا لله وانا اليه راجعون وما كنا لنلقاك لقاك الله هداك والهمك تقاك لقاء المحاربين الا بعد ان نقدم اليك تقدمة المعذرين اخذاً بأدب الله في دعائك الى رشدك والصدوف بك عن غيك وتقليدك النبي (١) فيما بيننا و بينك ولاننا لم نيأس الى هذه الغاية من ان نعود وتعود كما كنا وكنت اذ كان الله قادراً على ان يكشف الخطب و يذلل الصعب و يدني البعيد و يلين الشديد وكان الامير السيد ركن الدولة وكنا نقيلك اذا استقلت ونعذرك اذا اعتذرت و بالله ما ذلك من جهتنا متعذراً ان كان من جهتك متيسراً فان فعلت ورددت الامور الى حقوقها ورسومها وازلت كل ما احدث من تغييرها وتبديلها واستظهرت لنفسك بما تحب ان تستظهر به لها فان الله يعفو عما سلف و يحسن في المؤتنف وان ابيت وتماديت فالحجة متوجهة عليك

(١) كذا في الاصل

والجيوش من كل ناحية منصبة اليك ولا تأخر لها عنك ولا عائق لنا دونك والله الحاكم بيننا و بينك والمطلع على سرنا وسرك والمجازي لنا ولك والسلام

وكتب يوم الاثنين لثمان ليال خلون من المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة

٤١٢ وكتب عن معز الدولة

عند ظفره بروزبهان العاصي عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان احق النعم بان يلقى ضيفها العصا وتستقر به النوى و يستوطن عاكفاً ويطمئن محالفاً نعمة قربت الشكر وجنبت الكفر وتلقيت بالارتباط والاستدامة وتنوولت بالتأنيس والاستمالة وصادفت كفوًا مطيقاً لحملها وواليًا حقيقاً بمثلها وناهضاً مستقلا باعبائها وناشراً مثنياً بآلائها فثبت الله عنده اطنابها ومكن لديه اسبابها واضفى عليه ملابسها وساق اليه نفائسها وعقد له بها لواء الظفر أين يمم ومد عليه رواق النصر حيث خيم والله سبحانه يقول (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور) وان اخلقها بان يأبي زورها المقام و ينبو عن الدوام و ينعب غرابه بالزيال و يحدي ركائبه الانتقال نعمة وقعت عند مسيء لجوارها جاهل بمقدارها عيي بحراستها ملي باضاعتها فاتخذها اكبر اعوانه على كيد موليها واحصن جنته على حرب مسديها غافلاً عن عادة الله الجارية بنزعها عمن سلك موحش سبيله واتبع مضل دليله وتعويضه منها بشعار العار والشنار وجلباب المذلة والصغار فلا يلبث ان يصبح مترديًا رداء بغيه متقنعاً قناع خزيه مأخوذا من مأمنه وحرزه مستنزلا عن نخوته وعزه مائلا عرشه بعد السمو مخفوضاً عماده بعد العلو متهتكا حجابه وذراه مستباحاً حريمه وحماه مستمرئاً ما كان استحلاه مستوبئاً ما كان استمرأه كابيًا ليديه وفمه مفضيًا الى

عواقب حسرته وندمه عاثرًا لا يستقل سقيما لا يبل كسيرا لا ينجبر مضيما لا ينتصر قد حقت عليه كلمة الله اذ يقول (ذلك بما قدمت ايديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) واذ يقول عز وجل (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) فالحمد لله الذي نصب لنا معالم الهداية وجنبنا مجاهل الغواية وجعلنا من العارفين بنعمه الشاكرين لمننه المستحقين لمزيده المعضودين بتأييده وعصمنا من مراكب اهل البغي المزلة لأقدامهم الجالبة لحمامهم المذلة لآيامهم (١) الصارعة لجنوبهم الصائرة بهم الى العذاب الاليم والمآل الذميم وسكنى الجحيم وشرب الحميم والحمد لله الذي اعلقنا من طاعة امير المؤمنين اطال الله بقاءه بالعروة الوثقى والعصمة الكبرى والسبب المتين والجبل الامين والكهف المنيع والمحل الرفيع وقرن مشايعتنا بمشايعته ومبايعتنا بمبايعته حتى صار ولينا وليه وعدونا عدوه وحربنا حربه وحزبنا حزبه والقريب منا قريبا منه والبعيد منا بعيدا عنه فما يلوذ بجانبنا لائذ ولا يعوذ بعقوتنا عائذ الا كانت عليه يد من الله كانفة واقية وعين كالئة راعية وكانت السلامة له مضمونة والعاقبة عليه مأمونة ولا ينجم بمنابذتنا ناجم ولا يعزم على مباينتنا عازم الا قطع الله دابره وجب غاربه وكور شمسه وازهق نفسه وطمس نوره واظلم ديجوره وكانت دعائمه مخفوضة ومرائره منقوضة والهلكة عليه مكتوبة واللعنة به معصوبة تكرمة من الله بها علينا واحسن فيها الينا وحملنا اوق شكرها وطوقنا طوق نحرها وآثرنا بفضلنا على كل حاسد لعين وعدو مبين وان الله بحكمته الباهرة وقوته القاهرة ومشيئته النافذة وعزيمته الماضية خلق الخلائق من طينة واحدة ابتدعها وعلى صور شتى اخترعها غير حاذ على مثال ولا راجع الى استدلال ولا محتاج الى معين ولا معتضد

(١) كذا في الاصل ولعلها لرقابهم

بقرين ولا آخذ بتعريف معرف ولا مؤتم بتوقيف موقف واختص منها الانسان بالعقل الذي هداه بعد الضلالة وفقهه بعد الجهالة واهله به لأ كمل تكاليفه والتصرف مع تصاريفه والائتمار لاوامره والازدجار لزواجره والاستحقاق لثوابه او عقابه ورحمته او عذابه وهو مطلع من كل نفس براها ونسمة ذراها على طاعة مطيعها واضاعة مضيعها ونسك ناسكها وفتك فاتكها غير ممتنع مع علمه بخوائن العيون وخفايا الصدور من اسداء النعمة الى الشاكر والكافر واقرارها عند البر والفاجر ابتداء بالمنة واتماماً للموهبة وايجاباً للحجة وتأكيدا للتوثقة وليجزى كلا منهم عن بينة بما كسب و بصيرة بما احتقب واذا فعل ذلك علام الغيوب ومستبطن القلوب الذي لا تحتجب عليه الضمائر ولا تنطوي دونه السرائر فلا تثريب علينا في ايداع الحسنة عند من نظن به شكرها ونقدر فيه حفظها وليس لنا ما لله من علم البواطن الدفينة والدخائل الكمينة التي لم يوازه في ادراكها مواز ولم يساوه في الاحاطة بها مساو فان اصبنا بالصنيعة طريق المصنع واودعناها عند خير مستودع فقد اصمى سهمنا وانجح سعينا وصدقت مخيلتنا وسلمت ذخيرتنا وان خاب حدسنا وكذبنا حسنا واخطأت فراستنا وضلت دلالتنا فالله يظفرنا بمن شذعنا وبغي ويمكننا من ناصية من اعتدى وطغي ويجعل كلمتنا عليه العليا ويدنا فوقه الطولى ويعوضنا من تقديرنا فيه المعكوس وتاميلنا المنكوس ان يحل به نقمة من نقمه وقارعة من قوارعه يضحى بها عبرة لنظرائه وعظة لقرنائه فيصلحهم الله لنا بفساده ويجمعهم بشتاته وانفراده ويبصرهم بعماه وينجيهم برداه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكان الغامط لانعامنا الجاحد لاحساننا المتردي من ذروة طاعتنا الهاوي في هوة معصيتنا الخالع ربقة ذمتنا النازع جنة مشايعتنا زور بهان بن وندا خرشيد تصنع عندنا في قديم امره بالولاية وتنفق بالكفاية

واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة و كدحه وسرابا لامعا من وفائه ونصحه وهو يدب الضراء و يسرحسوا في ارتغاء و يوكي على الغش عيابه و يحنو على النكث ضلوعه وحجابه لا يبدي لنا بادية وفاق الا عن خافيه نفاق ولا يطلع طالعة وداد الا عن خبية عناد ولا يبرز في شيمة من شيم التقرب منا والتوصل الى قلوبنا الا كانت غطاء على حيلة يعملها وغيلة يرصد لها وغشاء على فرصة ينتهزها وغرة يهتبلها ونحن نحمل امره على ظاهره ونظن غائبه مثل حاضره و باطنه مثل عالنه بل كلما زدناه احسانا وامتنانا زدنا اليه سكونا وركونا وكلما ارتقينا به الى منزلة ورتبة ارتقينا فيه الى مثلها من انسة وثقة حتى استنبطناه من الحضيض الاوهد الى السناء الا مجد وجذبنا بضبعه من المسقط المنحط الى المرفع المشتط وانتهينا في الانافة بقدره والاشادة لذكره والتفخيم لامره والتقديم لقدمه الى الغاية التي لا يسمح بها نفس باذل ولا تسمو اليها همة آمل فلما عز بعد الذلة وكثر بعد القلة و بعد صيته بعد الخمول وطلع سعده بعد الافول وجمت عنده الاموال ووطئت عقبه الرجال وتضرمت بحسده جوانح الاكفاء وتقطعت بمنافسته انفاس النظراء نزت به بطنته وادركته شقوته ونزغ له شيطانه وامتدت في الغي اشطانه فنصب اشراكه وحبائله واعمل مكايده ومخاتله وجعل المدخل الى اربه والمسلك الى غرضه ان تصدي لمقارعة عمران وضمن ذلك او كد ضمان وزعم انه لمجاورته اياه في اعماله ومقاربته له في اوطانه قد اطلع على مالم يطلع عليه غيره من عوراته واهتدى الى مالم يهتد اليه سواه من غراته ومره باباطيله وتمادي في اضاليله وقرب في مواعيده وزخرف من اقاويله فاجبناه الى ما طلب وآثرناه بما خطب ونطنا به الامر الذي شرع فيه ورغب الينا في تواليه وضممنا اليه العدد الوافر من قوادنا والجم الغفير من اوليائنا واطلقنا يده في انفاق

اموالنا وتناول ذخائرنا قبولا لما اظهر من الحرص وتأميلا لاستئصال ذلك اللص ونحن لا نعلم ان الطالب شر من المطلوب والقاصد اضر من المقصود وانهما في سوء النية سيان وفي خبث الطوية اخوان فما زال ينازله منازلة المطاول و يزاوله مزاولة المماطل لتتراخي به الايام و يتسق له النظام و يصل من مراده الى الاتمام والابرام وهو يختدع من قبله من الرجال و يعدهم بكل باطل ومحال و يحملهم من طاعته والعصيان لنا وممايلته والازورار عنا على كل خطة شنعاء وداهية دهياء الى ان استمال سفهاءهم اغترارا واجترارا واستولى بهم على من سواهم اقتارا واضطرارا وكان ابو محمد الحسين بن فناخسرو ممن حصل تحت امره واعتلقته اشراك مكره وكتب الى اخيه اسفار بن وندا خرشيد المقيم كان في اعماله ضمانه بالاهواز باخراج كوركير والفتح اللاشكرى من القلعة بجنديسابور التي كانا معتقلين فيها وهما ممن كان الشيطان (١) واستفل حزمه واستزل قدمه وعرض دمه واطال ندمه فعصينا فيهما بواعث الانتقام والسطو واطعنا عواطف الاغتفار والعفو ونفسنا بهما عن افاظة النفوس واقتصرنا في عقوبتهما على اطالة الحبوس واقررناهما من هذه القلعة بحيث أمنا وسكنا واطمأننا ووثقنا ففعل اسفار ما امره به وامتثل ما رسمه له ثم انكفأ روزبهان عن البطائح بالعساكر ناكصا عن محاصرة ذلك الفاجر وقدم الينا كتبا ينقض بعضها بعضا و يخالف آخر منها اولا بناها على ذم فعل اخيه والبراءة منه فيه وتصرف تصرف المذكر لنا بحرماته المستحفظ لمواتّه وادعى من تنكرنا له وتغيرنا عن العناية واصغائنا الى افساد المفسدين عليه وايحاش الموحشين منه دعاوي اتخذها سلما الى المركب الصعب الذي ارتكبه وعذرا في المنهج الوعر الذي انتهجه فاجبناه جوابا

«١» كذا في الاصل

أتبعناه بامثال له لم نأل في جميعها جهدا شديدا ولفظاً سديدا في تسكين نفرته والاهابة به الى مصلحته والتوثقة له بكل ما اخذ الله على أنبيائه الصديقين وملائكته المقربين من عهد محصد وعقد محصف ويمين غموس لا مخلص للمخل بها ولا فسحة للمتأول فيها ألاّ نؤاخذه بجريرة ولا نعاقبه على كبيرة اقترفها ولا صغيرة ولا ننقصه من رتبة بلغها ولا نبعده عن قربة وصل اليها ولا نلحق به ضيما ولا نطلق عليه هضما ولا نتصرضدا له ولا نمكن خصما منه ولا نفسد العارفة عنده التي انفقنا في اسدائها الاموال وخالفنا في اتمامها العذال ولا نشمت به اعداء طالما اشاروا فعصوا وتنصحوا فأقصوا واننا نغضي له عن كل مال انفقه واستهلكه وذخر أجحف به وانتهكه ونستأنف به المزيد في الاحسان والصنيعة والمنزلة الرفيعة ثم تكون حاله في نفوسنا اذا حضرنا بعد النبوة ووطيء بساطنا بعد الهفوة حال من لا يعترضنا ابدا فيه عارض الشك ولا نصغي الى طعن طاعن عليه بصدق ولا افك وحذرناه عواقب الكفر النازعة للنعم وخوفناه مصارع البغي الجالبة للنقم وتلونا عليه آيات القرآن المبصرة وضربناه بقوارعه المنذرة ودعوناه الى التنزه عن ميسم العاصين وشعار المخالفين وسوء قالة القائلين واحاديث المتحدثين فابى له ضعف العقل والنحيزة ولؤم الطبع والغريزة الا اصرارا على طيشه وسفهه واستمرارا في طيخه وعمهه حتى كانّ الوعظ اغراه والارشاد اغواه فلما حصل بواسط هتك حجاب نفاقه واظهر مكنون شقاقه وجاهر بالخلاف وظاهر وكاشف بالانحراف ورحل الى سوق الاهواز عاملا على الاستيلاء عليها ودفع ابي محمد الحسن بن محمد المهلبي ادام الله عزه عنها وتوافي اليها معه اسفار اخوه ومن معه فكتبنا الى ابي محمد الحسن بن محمد بمقارعته ان استصوبها ووثق ممن معه بالاستقلال بها والانحياز الى البصرة ان خاف منهم

نكولا عن اللقاء اوعدولا عن الوفاء فاخذ في الحزم في تقديم ما كان قبله من الاموال والاثقال والمير والازواد ووجوه اهل البلاد الى البصرة ونصب ابا العباس ليلي بن موسى زعيما لمن كان بالاهواز من الشحنة والرجال ووقف معه وقوف الابلاء والاعذار فلما احسا منهم بالاسفاف الى الدنية والايضاع في الفتنة وكانوا كالغنم السارحة التي لا راعي لها والابل السائمة التي لا سائق معها انجذبا الى البصرة ومن تابعهما من اهل البصيرة والنصرة وافرجا له عن الاهواز بعد ان كان ابو محمد اصفرها من كل خير واقفرها من كل مير ودخلها الخائن دخول الكافر الغادر وتنابحت اليه كلاب الغارة الشعواء وتعادت عليه ذئاب الصيلم الصماء طمعا منهم في الوصول الى ما عنده واقامة سوق يستفيدون بها حاصله ووجده وهو يزداد تماديا في غيه وتناهيا في بغيه وقبولا من شيطانه المارد وعصيانا لنصيحه الراشد وانحاز اليه بالاهواز محمد بن احمد الخوميني عاملنا كان عليها بعد مكاتبة منه لهذا الخائن خان معه فيها وعن مواطأة بينهما تنجز العقوبة بها فقبله وأقبل عليه واستوزره وفوض اليه وكان الله قد قضى عليهما بهذا الاجتماع في المعصية ان يجتمعا في انصرام المدة وعسكر ومن معه بظاهر سوق الاهواز على سمت الطريق التي عليها نسير اليه وتجاه الجهة التي منها نرد عليه فلما تحققت عندنا هذه الاخبار واسفرت اوضح الاسفار حاكمنا هذا اللعين الى الله العادل حكمه السابق في الاشياء علمه العارف باحساننا اليه وافضالنا عليه ورفعنا خسيسته وتشريفنا نيته وانه قابلنا مقابلة العبيد الاباق وجازانا مجازاة الفجار الفساق حين ضفت عليه ملابسنا وكرمته مجالسنا وكملت لديه فواضلنا وتظاهرت عليه نوافلنا وقوت يده ايادينا وتحاشدت اليه موالينا وتوجهنا نحوه فيمن كان بحضرتنا من العساكر واصناف الغلمان الاكابر

والاصاغر مستنصرين عليه بكفاية الله التي هي اعز نصير ومستظهرين عليه بمعونته التي هي انجد ظهير ووردنا اوائل اعمال الاهواز فوجدنا خواص كل كورة من كورها وعوامها ووجوه كل ناحية من نواحيها ورعاياها على ما ينبغي ان يكونوا عليه من الشعف بوردنا والتجرد في نصرتنا والدعاء لنا والمباينة لعدونا فلما ايقن باقبالنا اليه واوجس من اطلالنا عليه سار الى عسكر مكرم معرجاً عن المواجهة معرداً عن المناجزة مظهراً لاصحابه ان طريقنا كان عليها وانه سابقنا اليها واتممنا الى سوق الاهواز ووضعنا العطاء في الاولياء فتشوف الينا من كان استغره منهم باخذه وتلهف من كان استجره بخدعه وخفت ذات يده في الاطلاق وانقطعت عن عسكره مادة الانفاق وعلم ان الامر له مرهق والبلاء به محدق فثنى الينا عنقا قد اعنقت اليها الحتوف وابرقت نحوها السيوف وقد كان ابو محمد الحسن ابن محمد وابو العباس ليلي بن موسى عادا الى الاهواز ممتثلين في التعجيل الينا واللحاق بنا امراصدر اليهما منا ووكيدا ورد عليهما من كتبنا وبثثنا رسلنا الى اوليائنا الحاصلين مع هذا الخائن الذين كل منهم احد رجلين اما مسف الى تناول حطامه عازم على خذلانه واسلامه او مغلوب على رأيه محام عن حوبائه طالب لنفسه فرصة الانسلال وخلسة الانتقال فاستجابوا الى الواجب واذعنوا بالحق اللازب واقاموا ضروباً من العذر عندنا ولاذوا بالعفو والغفران منا واستأمن الينا ابو محمد الحسن بن فناخسرو مستقيلا من عثرته مستصفحاً عن جريرته فتلقيناه بالاحسان وغمرناه بالامتنان وثلم الله به جانب العدو وايقن بحلول المكروه والسوء واقتضى الرأي ان رددنا ابا محمد الحسن بن محمد الى الباسيان لنبعده عن مباشرة الحرب ونصونه عن مشاهدة الطعن والضرب بعد ان اتت المفاوضة بيننا وبينه على ما استدعيناه من اجله وأن عدلنا الى قنطرة اربق حتى ملكناها

وعسكرنا من ورائها جلوساً بالمراصد له وضرباً للأسداد عليه واخذا بمخنقه وتضييقاً لطرقه وكرّ هو الى سوق الاهواز راجعاً واقبل منها الينا مسارعاً دالفا دلوف الجاهل بربه الذاهل عن رشده المركوس في غيه المسوق الى حتفه قد اعجبته نفس محبطة العمل وغرته امنية خائبة الامل واوردته قحة الاديم ورقة الدين موارد هلكة لا صدر عنها واقتحمت به قحم خطة لا انفراج لها والله في ذلك كله ناصرنا وخاذله ومظفرنا وقاتله ومعلينا ومسقطه ومديلنا ومورطه اذ كان سبحانه العالم بان الجنود المطيفة به جنودنا والبنود الخافقة على رأسه بنودنا وان لنا الثوب الذي سحبه والطرْف الذي ركبه والدرع التي ادرعها واللامة التي استلأمها والعضب الذي انتضاه والسهم الذي امضاه وعبرنا القنطرة اليه في خواص غلماننا الاتراك ونخب من الديلم والجيل الفتاك ذوى صدور منه ومن اصحابه الخونة حامية وقلوب عليهم ملتظية وايد في جهادهم متفقة واقدام الى لقائهم مستبقة فلم تزل الخيل تطرقهم والكر يرهقهم والجراح تثخنهم والقتل يمحقهم والحرب تذيقهم حر حديدها وجلاد صناديدها وترميهم بكماتها وابطالها وتعركهم عرك الرحا بثفالها سحابة يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان الذي ختم الله به شهر الصيام وعظم بركته على الاسلام فلما تراأى الناس هلال شوال وكادت تتغشاهم غواشي الظلام انزل الله نصره على اوليائه وشفع لهم وعده بوفائه فانهزم الخائن هزيمة قوض الله بها عروشه وفض جيوشه وضلل وساوسه وابطل هواجسه واستلحمت رجاله السيوف وحرقتهم نار الحتوف واقتسمتهم المكاره شعاعاً وايدى سبا بين قتيل مزمل واسير مكبل وهارب مفلول ومستأمن ذليل وكان كوركير والفتح اللشكرى ممن جرى عليه حكم الامان واعتلق حبل الذمام فدخلا في الجملة دخول التائب المنيب والراشد المصيب وتغمدنا سالف وطارف جرائرهما

وصفحنا عن قديم وحادث جرائمها وانزلناها منازل نظرائها الشامل لهم فضلنا الممتد عليهم ظلنا واتبع سرعان خيلنا عدو الله الهارب منا فلحقوه وادركوه واحاطوا به وملكوه و بدر اليه من الغلمان من ضربه ضربات أثرت فيه آثارا لم تجحف و بلغت منه مبالغ لم توغل وتباكوا عليه تباكي المتنافسين في الاثر المتشاحين على الظفر الى ان اكب عليه ابو الفوارس شيرزيل بن كندر امين فاستخلصه واستحياه واستنقذه واستبقاه واتانا به اسيرا عقيرا خاضعاً ضارعاً بغير عهد يحجز عنه ولا عقد يمنع منه ولا امان يعلق بحجته ولا ضمان يطالب بوثيقته ووجد احمد بن محمد الخوميني صريعاً مجدلا طريحاً معفرا قد اثخنته ضربة في رأسه لم يلبث بعدها الا قليلا حتى قضى نحبه ولقي باسود صحيفته ربه واجلى هذا الفتح العظيم خطره الجسيم قدره عن سكون الدهماء وشمول النعماء وعز الاولياء وكبت الاعداء وشفاء الصدر وادراك الوتر واخذ الثار المنيم والظفر بشيطان الفتنة الرجيم وتلك عاقبة من ظلم وكفر وخان وغدر وبغى واستكبر وعتا وتجبر والله تعالى يقول فيه وفي امثاله (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فالحمد لله رب العالمين الذي لا يضيع اجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين ذي الحجج البوالغ والنعم السوابغ والنقم الدوامغ جبار الارض والسموات وعالم الجليات والخفيات الذي لا ينجو منه الهارب ولا يعجزه الطالب ولا يضيمه ضائم ولا يروم مغالبته رائم واياه نسأل ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم صلاة زاكية نامية دامية راتبة منجزة عدته رافعة درجته قاضية حقه مؤدية فرضه وان يديم لمولانا امير المؤمنين احسن ما خوله واولاه ومنحه واعطاه من نصرة رايته واعلاء



كلمته واظهار من ظاهره وتأييد من ضافره وان يجعلنا ممن اذا انعم عليه شكر واذا ابتلى صبر واذا زيد لم يغمط واذا نقص لم يقنط والاّ يخلينا من الكفاية وجميل الولاية فيما غاب وحضر واستسر وجهر و بطن وعلن واحتجز و برز انه ولي ذلك والقادر عليه والمرجو له وحسبنا الله ونعم الوكيل

٤١٣ المقامة الدمياطية للحريري

اخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وانا يومئذ مرموق الرخاء موموق لاخاء اسحب مطارف الثراء واجتلي معارف السراء فرافقت صحباً قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الاهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلاً او وردنا منهلاً اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى وملنا الى الكرى صادفنا ارضاً مخضلة الربا معتلة الصبا فتخيرناها مناخاً للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدأ بها الاطيط والغطيط سمعت صيتاً من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك فقال ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم ولو جرعني الحميم وافضل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وان لم يكافئ بالعشير واستقل الجزيل للنزيل واغمر الزميل بالجميل وانزل سميري منزلة اميري واحل انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي مرافقي والين مقالي للقالي وأُديم تسآلي عن السالي وارضى من الوفاء باللفاء واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا اتظلم حين اظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم

فقال له صاحبه ويك يا بني انما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكن انا لا آتي غير المواتي ولا اسم انعاتي براعاتي ولا اصافي من يأبي انصافي ولا اواخي من يلغي الاواخي ولا امالي من يخيب آمالي ولا ابالي بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري ولا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا ابذل ودادي لاضدادي ولا أدع ايعادي للمعادي ولا اغرس الايادي في ارض الاعادي ولا اسمح بمواساتي لمن يفرح بمساآتي ولا أرى التفاتي الى من يشمت بوفاتي ولا اخص بحبائي الا احبائي ولا استطب لدائي غير اودائي ولا املك خلتي من لا يسد خلتي ولا اصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا اخلص دعائي لمن لا يفعم وعائي ولا افرغ ثنائي على من يفرغ انائي ومن حكم بان ابذل وتخزن والين وتخشن واذوب وتجمد واذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذي في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن ونكفي التضاغن والا فلم اعلك وتعلني واقلك وتستقلني واجترح لك وتجرحني واسرح اليك وتسرحني وكيف يجتلب انصاف بضيم واني تشرق شمس مع غيم ومتي اصحب ود بعسف واي حر رضي بخطة خسف ولله ابوك حيث يقول

جزيت من اعلق بي وده ... جزاء من يبني على اسه
وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسره وشر الورى ... من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى ... فماله الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني ... بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني ... اصدقه الود على لبسه

ومادري من جهله انني ... اقضى غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى ... انك محتاج الى فلسه

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى ان اعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء والحف الجو الضياء غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت استقري صوب الصوت الليلي واتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا ليلتي ومعتزي روايتي فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما واجتهما التحول الى رحلي والتحكم في كثرى وقلى وطفقت اسير بين السيارة فضلهما واهز الاعواد المثمرة لهما الى ان غمرا بالنحلان واتخذا من الخلان وكنا بعرس نتبين منه بنيان القرى ونتنور نيران القرى فلما رأى ابو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن لي في قصد قرية لاستحم واقضي هذا المهم فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد مطاعي عليك اسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان أضعنا الزمان وبان ان الرجل قد مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتي وأتحمل لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يامن غدا لي ساعدا ... وساعدا دون البشر
لاتحسبن أني نأيـ ... ـتك عن ملال أو أشر
لكنني مذلم أزل ... ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فاعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

٤١٤ المقامة الفراتية له

حكي الحرث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات فلقيت بها كتاباً ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقاً من الماء الفرات فاطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم وكاثرتهم لادبهم لا لمآدبهم فجالست منهم اضراب قعقاع بن شور ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع واحلوني محل الانملة من الاصبع واتخذوني ابن انسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالحباب ثم دعوني الى المرافقة فلبيت بلسان الموافقة فلما توركنا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء الفينا بها شيخاً عليه سحق سربال وسِب بال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله واستبراد طله تعرض للمنافثة فصمت وحمدل بعد ان عطس فما شمت فاخرد ينظر فيما آلت حاله اليه و ينتظر نصرة المبغي عليه وجلنا نحن في شجون من جد ومجون الى ان اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحسّاب واحتد

الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم ياقوم اللغط وآثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا احدا بعدي اعلموا ان صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشيء جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدني القاصي وصاحبه بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما انتهى في الفصل الى هذا الفصل لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا و بغضا وأرضى بعضاً واحفظ بعضاً فعقب كلامه بان قال الا ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشيء خابط و بين اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس اذالا تاوة تملأ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات واعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج و به مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولا تصل التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد

التناصف مغلولاً وسيف التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء متقول و يراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش ولكليهما حمة حين يرقي الى ان يلقي و يُرقي واعنات فيما ينشا حتى يغشي و يرشي الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم قال الحرث بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع استنسبناه فاستراب وابى الانتساب ولو وجد منساباً لانساب فحصلت من لبسه على غمة حتى اذكرت بعد امة فقلت والذي سخر الفلك الدوار والفُلك السيار اني لاجد ريح ابي زيد وان كنت اعهده ذارواء وايد فتبسم ضاحكاً من قولي وقال انا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريه ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود و بذلوا له الوجد فرغب عن الالفة ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد أن سحقتم حقي لاجل سحقي و كسفتم بالي لاخلاق سربالي فما اراكم الا بالعين السخينة ولا لكم مني الا صحبة السفينة ثم انشد

اسمع اخيّ وصية من ناصح   ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة   في مدح من لم تبله او خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي   وصفيه في حالي رضاه و بطشه

و يبين خلب برقه من صدقه   للشائمين ووبله من طشه

فهناك ان ترما يشين فواره   كرماً وان ترما يزين فأفشه

ومن استحق الارتقاء فرقه   ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بان التبر في عرق الثرى   خاف الى ان يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها   من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة ان تعظم جاهلاً   لصقال ملبسه ورونق رقشه

اوان تهين مهذباً في نفسه   لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم اخي طمرين هيب لفضله   ومفوف البردين عيب لفحشه

واذا الفتى لم يغش عاراً لم تكن   اسماله الا مراقي عرشه

ما ان يضر العضب كون قرابه   خلقاً ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم ان استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط في ذاته واغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصاً لرثاثة برده وان لا نزدري سيفاً مخبوا في غمده

٤١٥ وكتب علي بن خلف مهنئاً بوزارة

اطال الله بقاء حضرة الوزارة السامية فارعة من المعالي اسمقها نجوداً كارعة من المنن اعذبها وروداً ساحبة من الميامن ارقها بروداً ممتعة بالنعم التي يرامى الشكر عن حوزتها و يحامي البشر عن حومتها مبالغة في اوليائها واعدائها قاصية ما ترتمي اليه برحابها فلا ترى لها وليا الا لاحب المذهب ثاقب الكوكب سامي الطرف حامي الانف ولا عدوا الا ضيق المطرح وعر المسرح صالد الزند مفلل الحد راغم العرنين متلولا للجبين ولا زالت ازمة الدنيا بيدها حتى تبلغ بآمالها منتهاها وتجري بايامها الى اقصى مداها من اعظم النعم خطراً واحسنها على الكافة اثراً واولاها بان يفاض في شكرها وتتعطر الآفاق بذكرها ولسيدنا الوزير الاجل يراع يستيقظ في صلاحهم وهم هاجعون و ينتصب في الذب عنهم وهم وادعون ووكل تدبيرهم فيه الى مدبر يخاف الله و يتقيه و يعمل فيمن استرعاه بما يرتضيه ولا يمد يد الاقتدار عليهم متسلطا ولا يتبع دواعي الهوى فيهم مسقطاً واضعاً الاشياء في حقائقها سالكاً بها امثل طرائقها ملايناً من غير ضعف مخاشناً من غير عنف قريباً من غير صغر بعيداً من غير كبر مرغبا بلا اشراف

مرهباً بانصاف ناظرا الى محقرات الامور واطرافها كما ينظر في معاظمها واشرافها آخذا بوثائق الحزم متمسكا بعلائق العزم رامياً بفكرته من وراء العواقب خاطما بآرائه أنوف المصاعب ناظما بايالته عقود المصالح موطئاً برياضته ظهور الجوامح ان ثقف ذا النبوة الفريدة والهفوة الوحيدة اقتصر على ما يوافقه الوالد الحدب من مقوم الازب على المرتكس في غوايته المفلس في عنايته ضيق عليه مجال العفو واحاق به اليم العذاب والسطو فقد سكنت الرعية في عدله واوت حرماً منيعاً من ظله اووثقت ان الحق بنظره شائخ شاهق والباطل سائخ زاهق والانصاف مبسوط منشور والاجحاف محطوط مبتور والشمل منظوم والشر مضموم فنطقت السنتها باحماده واشتملت افئدتها على وداده واتفقت اهواؤها على رياسته وتطابقت آراؤها المسابقة على دوام سيادته وعرف امير المؤمنين صدق النظر في دولته وسلم امور مملكته الى النصيح المأمون والنجيح الميمون الذي رفعه الله تعالى لاختياره ويسره لاطفائه وايثاره وانه قد ناط اموره بمن لم يستخف بثقل محملها وينوء بباهظ ثقلها فتمتع بلذيذ الكرى وتودع بعد السير والسرى والم من المام ملم معضل وحدوث حدث مشكل وهذه نعمة تعم الخاصة والعامة عموم الغيث اذا همع وتدفق وشملهم شمول النهار اذا لمع وتألق وهم أولى بالتهنئة فيها وشكرا لله تعالى عليها وسيدنا الوزير حقيق بأن يهدي اليه الدعاء المرفوع والتضرع المسموع بان ينهضه الله تعالى بما حمله ويعينه على ما كفله ويتولاه بتوفيق شفت انواره وتأييد يطبق غراره وتسديد تحسن آثاره واجراء ما يتولاه على اوضح سبيل واقصده واوضح دليل وارشده اذ لايجوز ان يهنأ بما له عباؤه وكله ولمد عينه صلاحه كله والعبد يسأل الله ضارعا لديه باسطا يده اليه في ان يقبل صالح ادعيته بحضرة الوزارة السامية وان يجعل ما حله من محله من رياستها

واوقعه في موقعه من سياستها دائبا لاينزع وخالدا لايرتجع وان يؤيد بها فيه بما يقضى له بالاحراز والتخويل ويحميه من الابتزاز والتحويل انه سميع الدعاء فعال لما يشاء ان شاء الله تعالى

(تنبيه)

فاتني هنا ايضاً بعض قطع رأيتها بعد جمع ما تقدم فالحقتها بآخر طبقتها حرصا عليها وهي

٤١٦ كتب ابو الحسن بن سهل مهنئا بوزارة

من كانت النعمة أيد الله الوزير نافرة عنه وبفنائه غريبة فهي تأوى من الوزير الى مثوى معهود وكنف محمود وتجاور منه من يوفيها حقها ويقابلها بحسن الصحبة لها وتجري في الشكر لما تولاه والرعاية لما يسترعاه على شاكلة مضى عليها السلف في اهله ونشأ في مثلها الخلف مقتديا بالاول الآخر وبالماضي الغابر تشابها في كرم الافعال ورعاية لحقوق الآمال واعتمادا للرأفة والرحمة وعموما بالانصاف والمعدلة الى ما خص الله به اهل البيت رضى الله عن الماضين منهم واقام عز الباقين وحراستهم من العلم بالسياسة والوراثة لتدبير المملكة ورعاية الامة والهداية فيهم لطرق الحيطة ونهج المصلحة والحمد لله على ما خص به الوزير من فضله الذي رفع قدره فيه عن مساماة ومشاكلة المقادر والشبيه وجعله فيما حباه به نسيج وحده وقريع دهره وجمع له من مواهب الخير وخصائص الفضل ما ابان به موقعه في الدين واعطاه معه الولاية من جميع المسلمين والحمد لله حمدا مجددا على ما جدده الله من رأى امير المؤمنين واجتبائه ومحله من اختياره واصطفائه والحمد لله على ما منحه من كرامته وجدد له من نعمته فيما اعاد الى تدبيره من وزارته واشركه فيه من امانته احتياطا منه للمملكة ونظرا للخاصة والعامة

فان عائدة رأيه سوت بين الضعيف والقوي ووصلت الى الداني والقصي واعادت الى الملك بهاءه والى الاسلام نوره وضياءه فاكتست الدنيا من الجدة بعد الاخلاق والنضارة بعد الانهاج مالم يكن يوجد مثله الا بالوزير في شرف منصبه وكرم مركبه فهنأ الله الوزير ما آتاه وتابع له قسمه ووصل له ما جدد له بالسعادة وأمد فيه بالزيادة واعطاه من كل مأمول اعظم حظ واوفر نصيب وقسم تراخيا في مدة العمر وتناهيا في درجة العز واحتياطا بالموهبة في العاجلة وفوزا بالكرامة في الآجلة انه فعال لما يشاء

٤١٧ وكتب البديع الى ابي نصر يذم الكتاب

كنت اطال الله بقاء سيدي ومولاي في قديم الزمان اتمنى للكتاب الخير واسال الله ان يدر عليهم اخلاف الرزق و يمد لهم اكناف العيش و يوطئهم اعراف المجد و يؤتيهم اصناف الفضل و يركبهم اكتاف العز وقصاراي ان ارغب الى الله تعالى في ان لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يمد لهم في حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسرع ما ينظرون من عال بما ينظمون من حال و يجمعون من مال وتنسيهم ايام اللدونة اوقات الخشونة وازمان العذوبة ساعات الصعوبة وللكتاب مزية في هذا الباب فبيناهم في العطلة اخوان كما انتظم السمط وفي العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة او صك جمالة فيعود عامر ودهم خراباً و ينقلب شراب عهدهم سراباً فما غلت امورهم حتى اسبلت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا اوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تبجلت عناقهم الا فظعت اخلاقهم ولا صلحت احوالهم الا فسدت

افعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت خدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت ايديهم الا قصرت اياديهم وقصاري احدهم من المجد ان ينصب تخته تحته و يوطئ استه دسته و يقف غلامه امامه ونائبه من الكرم دار يصهرج ارضها و يزبرج بعضها و يزوق سقوفها و يعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان تحمل الغاشية قدامه وتمدو الحاشية امامه وناهيه من الشرف الفاظ قفاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوماً و يحشوها لوماً ولوماً وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحتمل الود ايام خشكاره حتى اذا ايسر جعل ميزانه وكيله واسنانه أكيله وأليفه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه يمينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة خاتمه الا يوم ماتمه فهو يجمع لحادث حياته او وارث مماته يسلك في الغدر كل طريق و يبيع بالدرهم الف صديق وقد كان الظن بصديقنا ابي سعيد أيده الله انه اذا اخصب آوانا كنفاً من ظله وحبانا من فضله فمن لنا الآن بعدله انه اطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجاس من الديوان في صدر الايوان اقتض عذرة السياسة ببعض المخالفة الي وجعل يعرضه للهلاك و يسبب عليه بمال الاتراك و يشحن داره بالدجالة و يكده بالفرسان والرجالة وجعلت أكاتبه مرة واقصده اخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالي ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة في الصدر فلا وما يجمعني والشيخ ان زاده قولي الا غلواً في تهكمه وعلواً في تحكمه وجعل يمسني الجر في ظله و يبرأ الى من علمه واقول اذا رأيت ذلة السؤال وعزة الرد منه

قل لي متي فرزنت سر عة ما أرى يا بيدق

وما أضيع وقتاً بذكره قطعته هلم الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف اكاد اصف شوقاً لايفرع الدهر فروة حاله ولاينقض عروة انحلاله فما اولاني ان اذكره مجملا واتركه مفصلا

٤١٨ وكتب ايضاً الى وارث مال

وصلت رقعتك ياسيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغي وقد مات الميت فليحي الحي فاشدد على مالك بالخمس فانت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكي لك وقد مولك بما الف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيعجم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وانفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال فان اطعتهم فاليوم في الشراب وغدا في الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يامولاي ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقرا والجاهل نقرا وذلك المسموع من الناي هو اليوم في الآذان زمر وغدا في الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار في هذا العمل بضاعة وان لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش عينك وتمنع نفسك وتبوء في دنياك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه فليكن لله في مالك قسط وللمروءة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا

قطعت فلان تكون في جانب التقدير خير لك من ان تكون في جانب التبذير

٤١٩ المقامة الجرجانية

حدثنا عيسى بن هشام قال بينا نحن بجرجان في مجمع لنا نتحدث وما فينا الا منا اذ وقف علينا رجل ليس بالطويل المتمدد ولا القصير المتردد كث العثنون يتلوه صغار في اطمار فافتتح الكلام بالسلام وتحية الاسلام فولانا جميلاً واوليناه جزيلاً فقال يا قوم اني امرؤ من اهل الاسكندرية من الثغور الاموية نمتني سليم ورحبت بي عبس جبت الآفاق وتقصيت العراق وجلت البدو والحضر وداري ربيعة ومضر ما هنت حيث كنت فلا يزرين بي عندكم ما ترونه من سملي واطماري فلقد كنا والله من اهل ثم ورم نرغي لدى الصباح ونثغى عند الرواح

وفينا مقامات حسان وجوههم وانديه ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ثم ان الدهر يا قوم قلب لي من بينهم ظهر المجن فاعتضت بالنوم السهر وبالاقامة السفر نترامى بي المرامي وتتهادى بي الموامي وقلعتني حوادث الزمن قلع الصمغة فاصبح وامسي انقى من الراحة واعرى من صفحة الوليد واصبحت فارغ الفناء صفر الاناء مالي الا كآبة الاسفار ومعاقرة السفار اعاني الفقر واماني القفر فراشي المدر ووسادي الحجر

بآمد مرة وبرأس عين واحيانا بميا فارقينا
ليلة بالشآم ثمت بالاهـ واز رحلي وليلة بالعراق

فما زالت النوى تطرح بي كل مطرح حتى وطئت بلاد الحجر واحلتني بلد همذان فقبلني احياؤها واشرأب الى احباؤها ولكني ملت لاعظمهم جفنة

وازهدهم جفوة

له نار تشب على يفاع   اذا النيران ألبست القناعا

فوطأ لي مضجعاً ومهد لي مهجعاً فان وني لي ونية هب لي ابن كانه سيف يمان او هلال بدا في غير قتمان واولاني نعماً ضاق عنها قدري واتسع بها صدري اولها فرش الدار وآخرها الف دينار فما طيرني الا النعم حيث توالت والديم لما انثالت فطلعت من همذان طلوع الشارد ونفرت نفار الآبد افرى المسالك واقتفر المهالك واعاني الممالك على اني خلفت ام مثواي وزغلولاً لي

كأنه دملج من فضة نبه   في ملعب من عذاري الحي مفصوم

وقد هبت بي اليكم ريح الاحتياج ونسيم الالفاج فانظروا رحمكم الله نقض من الانقاض مهزول هدته الحاجة وكدته الفاقة

اخا سفر جواب ارض تقاذفت   به فلوات فهو اشعث اغبر

جعل الله للخير عليكم دليلاً ولا جعل للشر اليكم سبيلاً قال عيسى بن هشام فرقت والله له القلوب واغرورقت للطف كلامه العيون ونلناه ما تاح في ذلك الوقت واعرض عنا حامداً لنا فتبعته فاذا هو والله شيخنا ابو الفتح الاسكندري

٤٢٠ المقامة الوصية

حدثنا عيسى بن هشام قال لما جهز ابو الفتح الاسكندري ولده للتجارة اقعده يوصيه فقال بعد ما حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم يا بني اني وان وثقت بمتانة عقلك وطهارة اصلك فاني شفيق والشفيق سيء الظن ولست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه لبوس ظهارته الجوع وبطانته الهجوع وما

لبسهما اسد الا لانت سورته افهمتهما يا ابن الخبيثة وكما اخشى عليك ذاك فلا آمن عليك لصين احدهما الكرم واسم الآخر القرم فاياك واياهما ان الكرم اسرع في المال من السوس وان القرم أشام من البسوس ودعني من قولهم ان الله كريم انها خدعة الصبي عن اللبن بلى ان الله لكريم ولكن كرم الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره ومن كانت هذه حاله فلتكرم خصاله فاما كرم لا يزيدك حتى ينقصني ولا يريشك حتى يبريني فخذلان لا اقول عبقري ولكن بقري افهمتهما يا ابن المشؤومة انما التجارة تنبط الماء من الحجارة وبين الاكلة والاكلة ريح البحر بيد ان لا خطر والصين غير ان لا سفر افتتركه وهو معرض ثم تطلبه وهو معوز افهمتهما لا ام لك انه المال عافاك الله فلا تنفقن الا من الربح وعليك بالخبز والملح ولك في الخل والبصل رخصة ما لم تذمهما ولم تجمع بينهما واللحم لحمك وما اراك تأكله والحلو طعام من لا يبالي على اي جنبيه يقع والوجبات عيش الصالحين والاكل على الجوع واقية الفوت وعلى الشبع داعية الموت ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك يا بني قد اسمعت وابلغت فان قبلت فالله حسبك وان ابيت فالله حسيبك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الطبقة الثالثة

٤٢١ كتب القاضي الفاضل عن صلاح الدين

بالبشارة عن فتح بلد من بلاد النوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلوات الله التي اعدها لاوليائه وادخرها وتحياته التي قذف بشهبها الشياطين

اعدائه ودحرها و بركاته التي دعا بها كل موحد فاجاب وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن انجاب وزكاته التي هي للمؤمنين سكن وسلامه الذي لا يعتري الموقنين في ترديده حصر ولا لكن على مولانا عاقد الوية الايمان وصاحب دور الزمان وساحب ذيل الاحسان وغالب حزب الشيطان الذي زلزلت امامته قدم الباطل وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل وامضت غرب كل عزم للحق مفلول واطلعت غارب نجم كل هدى آفل وشفعت يقظات استغفاره الى غافر ذنب كل غافل وعلى آبائه الغاية والمفزع والملاذ في وقت الفزع والقائمين بحقوق الله اذ قعد الناس والحاكمين بعدل الله اذ عدم القسطاس والمستضيئين بانوار الالهام الموروثة من الوحي اذ اعجز الاقتباس والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس خزان الحكم وحفاظها ومعاني النعم والفاظها واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة وكالئي الروح المنتشرة بكلاءة يد الامامة ومن لا ينفذ سهم عمل الا اذا شحذ بولايتهم ولا يتالق صبح هداية الا اذا استصبح الساري بدلالتهم المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ومرابع المجد ومعاقله ومجالس الجود ومجال السجود ومختلف انباء الرحمة المنزلة ومرسي اطوار البسيطة المتزلزلة ومفتر مباسم الامامة ومجر مساحب الكرامة ومكان جنوح اجنحة الملائكة حيث يدخلون من كل باب مسلمين وتتبعهم ملوك الارض مستسلمين ومشاهد الاسلام كيوم انزل فيه (اليوم اكملت لكم دينكم) ومعاقد على الولاية فاما غيره فله قوله قاتلوا الذين يلونكم و يناجيها بلسان جلى الاخلاص الصادق عقيدته ونشاط الولاء السابق عقيلته وارهف الايمان الناصع مضاربه وافسح المعتقد الناصح مذاهبه فاعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطرة وقلب اعانه على ورود

الولاء صفاء المصافاة فيه فطرة والله سبحانه يزيل عنه في شرف المثول عوائق القدر وموانعه و يكشف له عن قناع الانوار التي ليست همته بما دون نظرها قانعه وكان توجه منصورا بجيش دعائه قبل جيش لوائه و بعسكر اقباله قبل عسكر قتاله و بنصال سلطانه قبل نصال اجفانه لا جرم ان كتائب الرعب سارت امام الكتائب وقواضب الحذر غمضت في جفونها عيون القواضب وسار اولياء امير المؤمنين الذين تجمعوا من كل امة وتداعوا بلسان النعمة و تصرفوا بيد الخدمة وصالوا بسيف العزمة متواخية نياتهم في الاقدام متألفة طوياتهم في طاعة الامام كالبنيان المرصوص انتظاماً وكالغاب المشجر اعلاماً وكالنهار المائع حديدا وهاجاً وكالليل الشامل عجاجاً عجاجاً وكالنهر المتدافع اصحاباً وكالمشط المطرد اصطحاباً فما ابصرت رياضها المزهرة وغياضها المشجرة الا دلت على ان السحاب الذي سقاهم كريم والانعام الذي غمرهم عظيم والدنيا التي وسعتهم من عزمتهم تظعن وتقيم ولما علم العدو ان الخطب المظنون قد صرح خطابه والامل المخدوع قد صفر وطابه راسل ورأى ان سل السيوف يغمده وما كر وما كر لعلمه ان الحتف يعمده واندفع هارباً هائباً وخضع كائباً كاذباً فمضى المملوك قدماً وحمله ظلمه وقد خاب من حمل ظلماً واجابه بانه ان وطيء البساط برجله والا وطئه براسه وان قدم على المملوك بأمله والا اقدمه بياسه وان اظهر اثر التوبة والا اقدم عليه الحد بسكرة الموت من كاسه فلم يخرج من مراوغة تحتها مغاورة ومكاثرة وراءها مكابرة فاستخار الله في طلبه وانتهز فيه فرصة شغل قلبه بريبه ولم يغره ما املى له في البلاد من تقلبه وسار ولم يزل مقتحماً و يقدم اول العسكر محتدماً واذا الدار قد ترحل اهلها منها فبانوا وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ولم يبق الا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها واثافي دهم اعجلت المهابة

ما رد شقيهم عن طعامها وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من روس بني
حامها وعوافي طير كانت تنظر من اشلائهم فطر صيامها وعادت الرسل المنفذة
لاقتفاء آثارهم واداء اخبارهم ذاكرة انهم لبسوا الليل حداداً على النعمة التي
خلعت وغسلوا بماء الصبح اطماع نفس كانت قد تطلعت وانهم طلعوا الاوعار
اوعالاً والعقاب عقباناً وكانوا لمهابط الاودية سيولاً ولأعالي الشجر قضباناً
فرأى المملوك ان الكتاب قد بلغ اجله والعزم منهم قد نال امله والفتك بهم
قد اعمل منصله وان سيوف عساكر امير المؤمنين منزهة ان تريق الا دماء
اكفائها من الابطال وان تلقي الا وجوه انظارها من الرجال واصدر هذه
الخدمة والبلاد من معرتهم عارية والكلمة بانخفاضهم غالية عالية ويد الله على
اعدائه غادية وانفس المخاذيل في وثاق مهابته عانية فرأى المملوك ان يرتب بعده
الامير فلاناً ليبذل الامان لسوقة اهل البلاد ومزارعيها ويفصل المحاكمات بين
متابعي السلطنة ومطاوعيها ويفسح مجال الاحسان لمعاودي المواطن ومراجعيها
فان مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها وترد جرية البحر
عن مدفعها مما يضر بالغلال وينسفها ويجحف بالرعايا ويعسفها فالحمد لله الذي
جعل النصر لائذاً باعطاف اعتزامه واناءل الرعب السائر الى الاعداء محركة
عذبات اعلامه والعساكر المناضلة بسلاح ولائه تغني باسمائها عن مرهفاتها
والكتائب المقاتلة بشعار علائه تقرأ كتب النصر من حماتها

٤٢٢ وكتب عن العاضد الفاطمي لاسد الدين
شيركوه بالوزارة

من عبد الله ووليه عبد الله ابي محمد الامام العاضد لدين الله امير المؤمنين
الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الامة فخر الدولة اسد

الدين كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ابي الحارث شيركوه العاضدي
عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته
سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان
يصلي على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله
الطاهرين الائمة المهديين وسلم تسليماً كثيراً (أما بعد) فالحمد لله القاهر فوق
عباده الظاهر على من جاهر بعناده القادر الذي يعجز الخلق عن دفع ما اودع
ضمائر الغيوب من مواده القوي على تقريب ما عزبت الهمم باستبعاده الملي بحسن
الجزاء لمن جاهد في الله حق جهاده مؤتي الملك من يشاء بما اسلفه من ذخائر
رشاده ونازعه ممن يشاء بما اقترفه من كبائر فساده منجد امير المؤمنين بمن امضى
في نصرته العزائم واستقبل له الاعداء بوجوه الندم وظهور الهزائم وفعلت له المهابة
ما لا تصنع الهمم وفعلت آثاره على الدنيا ما تخلعه الانوار على الظلم وعدمت
انظاره بما وجد من محاسنه التي فاق بها ملوك العرب والعجم وانتقم الله به ممن ظلم
نفسه وان ظن الناس انه ظلم وذاد عن موارد امير المؤمنين من هو اولى بها ويأبى
الله سبحانه الا امضاء ما حتم ورام اخفاء فضائله وهل يشتهر طيب المسك الا اذا
اكتتم مؤيد امير المؤمنين بامام اقر الله به عينهم وقضى على يده من نصرة الدين
دينهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم
والحمد لله الذي خص جدنا محمداً بشرف الاصطفاء والاجتباء وأنهضه من
الرسالة باثقل الاعباء وذخر له من شرف المقام المحمود اشرف الانصباء واقام به
القسطاس وطهر به من الادناس وايده بالصابرين في البأساء والضراء وحين
الباس والبس شريعته من مكارم الافعال والاقوال احسن لباس وجعل النور
سارياً منه في عقبه لا ينقصه كثرة الاقتباس ذلك من فضل الله علينا وعلى

الناس والحمد لله الذي اختار امير المؤمنين لان يقوم في امته مقامه وهدى بمراشد نوره الى طرق دار المقامة واوضح به منازل الحق واعلامه وجعله شهيد عصره وحجة امره و باب رزقه وسبيل حقه وشفيع اوليائه والمستجار من الخطوب بلوائه والمضمونة لذويه العقبى والمسؤول له الاجر في القربى والمفترض الطاعة على كل مكلف والغاية التي لايقصر عنها بولائه الا من تاخر في مضمار النجاة وتخلف والمشفوع الذكر بالصلاة والتسليم والهادي الى الحق والى طريق مستقيم لايقبل عملا الا بخفارة ولائه (١) ولا يصل من استضاء بانجم هدايته اللامعة ولا دين الا به ولا دنيا الا معه ليتضح النهج للقاصد ولتقوم الحجة على الجاحد وليكون لشيعته الى الجنة نعم الشافع والرائد وليأتي الله به بنيان الاعداء من القواعد وليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلموا انما هو اله واحد يحمده امير المؤمنين على ما حباه من التأييد الذي ظهر فبهر وانتشر فعم نفعه البشر والاظهار الذي اشترك فيه جنود السماء والارض والاظفار الذي عقد الله به عقدا لايدخل عليه احكام النقض والانتصار الذي ابان الله به معنى قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ويسأله ان يصلي على سيدنا محمد الامين المبعوث رسولا في الأميين الهادي الى دار الخلود المستقل مابه (٢) استقلال عوائد الجدود والمعدود افضل نعمة على اهل الوجود والصافية بشريعته مشارع النعمة والواضحة به الحنيفية البيضاء لئلا يكون امر الخلق عليهم غمة وعلى ابينا اخيه وابن عمه امير المؤمنين علي بن أبي طالب ناصر شريعته وقسيمه في النسب والسبب و يد الحق التي حكم لها في كل طلب بالغلب وعلى الائمة من ذريتهما وسائط الحكم ومصابيح الظلم ومفاتيح النعم والمحققين دعوى من باهاهم وفاخر والباذلين جهدهم

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل

في اجهاد من اتخذ مع الله الها آخر وسلم وردد ووالي وجدد وان امير المؤمنين لما فوضه الله تعالى اليه من ايالة الخليقة ومنحه من كرم السجية وكرم الخليقة وبسطه من يده على اهل الخلاف وانجزه من موعوده الذي ليس له اخلال ولا اخلاف واوضحه من براهين امامته للبصائر وحفظ به على الاسلام من طليعة المبادي وساقة المصائر واورثه من المقام الذي لا ينبغي الا له في عصره واستخدم فيه السيوف والصروف من تأدية فرائض نصره واظهر له من المعجزات التي لايخلو منها زمن وظاهر له من الكرامات التي زادت على أمنية كل متمن وائتمنه عليه من اسرار النبوة التي رآه الله تعالى لها أشرف مودع وعليها اكرم مؤتمن واجرى عليه دولته من تذليل الصعاب وتسهيل الطلاب وتقليل احزاب الشرك اذا اجتمعوا كما اجتمع على جده صلى الله عليه وسلم اهل الاحزاب يواصل شكر هذه النعم التوام ويعرف بعوارفها الفرادي والتؤام و يقدم بين يدي كل عمل رغبة اليه في ايضاح المراشد ونية لا تضل عنها الهداية ولا سيما وهو الناشد ويستخيره عالما انه يقدم اليه اسباب الخير و يناجيه فيطلعه الالهام على ما يجلى السير ويجلى الغير و ياخذ بيد الله حقه اذا اغتصبت حقوقه و يستنجد بالله اذا استبيح خلافه واستجيز عقوقه و يفزع الى الله تعالى اذا فزع الصابر و يثق بوعد الله تعالى اذا استهلكت الشبه البصائر فما اعترض ليل كربة الا انصدع له عن فجر وضاح ولا انتقض عقد غادر الا عاجله الله سبحانه بامر فضاح ولا انقطعت سبل نصرة الا وصلها الله تعالى بمن يرسله ولا انصدعت عصا الفة الا تدارك الله تعالى بمن يجرده تجريد الصفاح واذا عدد امير المؤمنين هذه النعم الجسيمة والمنح الكريمة واللطائف العظيمة والعوارف العميمة والآيات المعلومة والكفايات المختومة والعادات المنظومة كنت ايها السيد الاجل ادام الله قدرتك واعلى

كلمتك اعظم نعم الله تعالى أثرا واعلاها خطرا واقصاها للامة وطرا واحقها بان تسمى نعمة واجدرها ان تعد رحمة واسماها ان كشف غمة وامضاها في سبيل الله سبحانه عزمة وامضاها على الاعداء حدا وابداها في الجهاد جدا واعداها على الاعداء يدا واحسنها فعلا لليوم وارجاها غدا وافرجها للازمة وقد كادت الامة تصير سدى واحق الاولياء بان يدعي للاولياء سيدا وابقاهم فعلة لا ينصرم فعالها الذي بدا ابدا فليهنك انك حزب الله الغالب وشهاب الله الثاقب وسيف الله القاضب وظل امير المؤمنين الممدود ومورد نعمته المورود والمقدم في نفسه وما نؤخره الا لاجل معدود نصرته حين يناصر اهل الضلال وهاجرت اليه هاجراً برد الزلال وبرد الظلال وخضت بحار الاهوال وفي يدك امواج النصال وهافي جيدك اليوم عقد جواهر منه ونظم لآل بل قد بلغت السماء وزينت منك بنجوم نهار لا نجوم ليال وكشفت الغماء وهي مطبقة ورفعت نواظر اهل الايمان وهي مطرقة وعصصت اعنة الطغيان وهي مطلقة واعدت بحنكتك على الدولة العلوية بهجة شبابها الموقة وأنقذت الاسلام وهو على شفا جرف هار ونفذت حين لا ينفذ السهام عن الأوتار وسمعت دعوته على بعد الدار وابصرت حق الله ببصيرتك وكم من اناس لا يرونه بابصار واجليت طاغية الكفر وسواك اجتذبه وصدقت الله سبحانه حين داهنه من لا بصيرة له وكذبه واقدمت على الصليب وجمراته متوقدة وقاتلت اولياء الشيطان وغمزاته متمردة وما يومك في نصرة الدولة بواحد وما أمسك مجحود وان رغم أنف الجاحد بل اوجبت الحق بهجرة بعد هجرة وأجبت دعوة الدين قائما بها في غمرة بعد غمرة وافترعت صهوة هذا المحل الذي رقاك اليه امير المؤمنين باستحقاقك وامات الله العاجزين بما في صدورهم من حرارات

لحاقك وكنت البعيد القريب نصحه المحجوب النافذ بحجته المدعورة (١) اعداء امير المؤمنين ان فوق سهمه او اشرع رمحه وما ظنك ان سخطك اعداء امير المؤمنين وامير المؤمنين قد ارتضاك ولا ان منعك المعاند حقك وقد قضى لك واقتضاك وما كان في محاجزتك عن حظك من خدمة امير المؤمنين الذي انت به منه اولى ومدافعتك عن حقك في قرب مقامه الذي لا يستطيع طولاً الا مغالبة الله فيك والله غالب على امره ومباعدتك وقد قربك الله من سر امير المؤمنين وان بعدت من جهره او تشوقتك الصدور وتطالعت اليك عيون الجمهور واستوجبت عقيلة النعم بما قدمت من المهور ونصرت الايمان باهله واظهرت الدين بمظاهرتك على الدين كله وناهضت الكفرة بالباع الاشد والرأي الأسد ونادتهم سيوفك ولا قرار على زأر من الاسد وادال الله بك ممن قدم على ما قدم وندم فما اغنى عنه الندم حين لج في جهالته وتمادي في ضلالته واستمر على استطالته وتوالت منه عثرات ما اتبعها باستقالته فكم اجتاح للدولة رجالاً وضيق من ارزاقهم مجالاً وسلب من خزائنها ذخائر واسلحة واموالاً ونقلها من ايدي أوليائها الى اعداء الله تبارك وتعالى واتسعت هفواته عن التعديد وما العهد منها ببعيد وقد نسخ الله تعالى بك حوادثها فوجب ان تنسخ احاديثها واتى الائمة منك بمن هو وليها والامة بمن هو مغيثها ودعاك امام عصرك بقلبه ولسانه وخطه على بعد الدار وتحقق انك تتصرف معه حيث تصرف وتدور معه حيث دار واختارك على ثقة من ان الله تعالى يحمد فيك عواقب الاختيار وأرى لك اقدامك ورقاب الشرك صاغرة وقدومك وافواه المخاوف فاغرة وكرتك في طاعته وأبى الله تعالى ان تكون خاسرة وسطابك حين تمالي بك المشركون وتمثل لرسلهم بقوله سبحانه

(١) كذا في الاصل

(اخسؤوا فيها ولا تكلمون) وانفت عزته هجنة الهدنة وقال لاوليائه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وازدري بجناز يرهم انتظاراً لوصولك باسود الاسلام وصبر على علم انك تلبي نداءه بألسنة الاعلام قبل ألسنة الاقلام فكنت حيث رجا وافضل ووجدت بحيث دعا واعجل وقدمت فكتب الله لك العلو وكبت بك العدو وجمع على التوفيق لك طرفي الرواح والغدو ولم يلبس الكافر لشهامتك جنة الا الفرار وكان كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فلله درك حين قاتلت بخبرك قبل عسكرك ونصرت باثرك قبل طلوع عشيرتك واكرم بك من قدم خطواته مبرورة وسطواته للاعداء مبيرة وكل يوم من ايامه يعد سيرة وانك لمبعوث الى بلاد امير المؤمنين بعث السحاب المسخر ومقدم في النية وان كنت في الزمان المؤخر وطالع بفئة الاسلام غير بعيد ان يفيء الله عليها بلاد الكفار ورجال جهاد عددناهم عندنا من المصطفين الاخيار وابناء جلاد يشترون الجنة بعزائم كالنار وغرر نصر سكون العدو بعدها غرور ونومها غرار ولما جرى من جرى ذكره على عادته في ايحاشك والجاش منك بكواذب الظنون ورام رجعتك عن الحضرة وقد قرت بك الدار وقرت بك العيون وكان كما قال الله تعالى في كتابه المكنون (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) هنالك عصبت نفوس الاسلام ففتكت به أيديها وكشف له عن غطاء العواقب التي كانت منه مباديها وأخذه من أخذه أليم شديد ما لهم فيه من وال وما ربك بظلام للعبيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولما نشرت لواء الاسلام وطواه وعضدت الحق فاضعفت قواه وجنيت عقبى ما نويت وجنى عقبى ما نواه وأبيت الا امضاء العزم في الشرك وما امضاه افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله

الله ودفعت الخطب الأشق وطلعت انوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الانوار الا من الشرق وقال لسان الحق فأي الفريقين أحق قضى الله تعالى الى أمير المؤمنين عدة قدمها ثم قضاها وولاه كما ولي جده صلى الله عليه وسلم قبلة يرضاها وانتصر له بك انتصاره لأهل البيت بسلمانه وعماره وأنطق أمير المؤمنين باصطفائك اليوم وبالأمس كنت عقد اضماره وقلدك أمير المؤمنين امر وزارته وتدبير مملكته وحياطة ما وراء سرير خلافته وصيانة ما اشتملت عليه دعوة امامته وكفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين وتدبير ما عدقه (١) الله بأمير المؤمنين من أمور اوليائه اجمعين وجنوده وعساكره المؤيدين المقيمين منهم والقادمين وكافة رعايا الحضرة بعيدها ودانيها وسائر اعمال الدولة باديها وخافيها وما يفتحه الله تعالى على يديك من البلاد وما يستعيده من حقوقه التي اغتصبها الاضداد والقى اليك المقاليد بهذا التقليد وقرب عليك كل غرض بعيد وناط بك العقد والحل والولاية والعزل والمنع والبذل والرفع والخفض والبسط والقبض والابرام والنقض والتنبيه والغض والانعام والانتقام وما توجب السياسة امضاءه من الاحكام تقليدا لا يزال به عقد نحرك نظيما وفضل الله عليك وفيك عظيما ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين من هذه الرتبة التي تتأخر دونها الأقدام والغاية التي لا غاية بعدها الا ما يمليك الله به من الدوام فلقد تناولتها بيد في الطاعة غير قصيرة ومساع في خدمة أمير المؤمنين ايامها على الكافرين غير يسيرة وبذلت لها ما مهد سبلها ووصلتها بما وصل بك حبلها وجمعت من ادواتها ما جمع لك شملها وقال لك لسان الحق وكانوا احق بها وأهلها وتقوى الله سبحانه فهي وان كانت لك عادة وسبيل لاحب الى السعادة

(٢) كذا في الاصل

فانها اولى الوصايا بأن يتيمن باستفتاحها واحق القضايا ان تبدأ الأمور بصلاحها فاجعل تقوى الله امامك وعامل بها ربك وامامك واستنجح بها عواقبك ومباديك وقاتل بها اضدادك وأعاديك قال الله سبحانه في كتابه المكنون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) والعساكر المنصورة فهم الذين غذوا بولاء أمير المؤمنين ونعمه وربوا في حجور فضله وكرمه واجتاحهم من لم يحسن لهم النظر واستباحهم بأيدي مَن أضر لما أصر وطالما شهدوا المواقف ففرجوها واصطلوا المخاوف وتولجوها وقارعوا الكفار مسارعين للاعنة مقدمين مع الاسنة مجرين الى غايتين اما الى النصر واما الى الجنة ودبروا الولايات فسددوا وتقلدوا الاعمال فيما تقلدوا واعتمِد احمرَهم واسودهم وأقربهم وابعدهم وفارسهم وراجلهم ورامحهم ونابلهم بتوفير الاقطاع وادرار النفقات وتصفية موارد العيش المونقات وأحسن لهم السياسة التي تجعل ايديهم على الطاعة متفقة وعزائمهم في مناضلة اعداء الدين مستبقة وأجرهم على العادات في تقليد الولايات واستكفئهم لماهم اهله من مهمات التصرفات وميز اكابرهم تمييز الناظر بالحقائق واستنهضهم في الجهاد فهذا المضمار وأنت السابق وقم في الله تعالى انت ومن معك فقد رفعت المنافع والعوائق ليقذف الله بالحق الذي نصرته على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والشرع الشريف فانت كافل قضاته وهادي دعاته وهو منار الله تعالى الارفع ويده التي تمنع الظلم وتدفع فقم في حفظ نظامه وتنفيذ احكامه واقامة حدوده وامضاء عقوده وتشييد اساس الدعوة وتبيانها وتميز آخذي عهودها وانبائها قيام من يعول في الامانة على اهل الديانة ويسفك (١) بحقوق الله تعالى الحقيقة بالرعاية والصيانة

(١) كذا في الاصل

والاموال فهي سلاح العظائم ومواد العزائم وعتاد المكارم وعماد المحارب والمسالم وامير المؤمنين يؤمل ان تعود بنظرك عهود النضارة وان يكون عدلك في البلاد وكيل العمارة والرعايا فقد علمت ما نالهم من اجحاف الجبايات واسراف الجنايات وتوالي عليهم من ضروب النكايات فاعمر اوطانهم التي اخربها الجور والاذى وانف عن مواردهم الكدر والقذى وأحسن حفظ وديعة الله تعالى منهم وخفف الوطأة ما استطعت عنهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا وكف من يعارضهم في عرض هذا الادنى والجهاد فهو سلطان الله تعالى على اهل العناد وسطوة الله تعالى التي يمضيها في شر العباد على يد خير العباد ولك من الغناء فيه مصرا وشاماً وثبات الجاش كدا واقداماً والمصاف التي ضربت فكنت ضارب كماتها والمواقف التي اشتدت فكنت فارج هبواتها والتدريب الذي اطاق حدك والتجريب الذي اورى زندك يغني عن تجديد الوصايا البسيطة وتأكيد القضايا المحيطة وما زلت تأخذ من الكفار باليمين وتعظم فتوغل في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمين فاطلب اعداء الله برا وبحراً واجلب عليهم سهلاً ووعراً وقسم بينهم الفتكات قتلاً واسراً وغارة وحصراً قال الله تعالى في كتابه المكنون (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين) وتوفيق الله تعالى يفتح لك ابواب التدبير وخبرتك تدلك على مواشك الامر ولا ينبئك مثل خبير فانت تبتدع من المحاسن ما لا تحيط به الوصايا وتخترع من الميامن ما تعرف بركاته الأولياء والرعايا والله سبحانه وتعالى يحقق لامير المؤمنين فيك افضل المخايل ويفتح على يديك مستغلق البلاد والمعاقل ويصيب بسهامك من الاعداء النحر والمقاتل ويأخذ للاسلام بك ما له عند الشرك من الثارات والطوائل ولا يضيع لك عملك في خدمة امير المؤمنين

انه لا يضيع عمل عامل ويجري الارزاق والآجال بين سيبك الفاضل وحكمك الفاصل فاعلم هذا من امر امير المؤمنين ورسمه واعمل بموجبه وحكمه ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

٤٢٣ وكتب لسان الدين بن الخطيب
الى ابي زيد ابن خلدون يتشوقه

اما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج واما الصبر فسل به اية درج بعد ان تجاوز اللوي والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله تعالى الأرج وأني بالصبر على ابر الدبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة الايام والشهر حتى حكم القهر وهل للعين ان تسلو سلو المقصر عن انسانها المبصر او تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد وفي الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان ترحلت عنه ونزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعول اعيت مراوضة الفراق على الراق وكادت لوعة الاشتياق أن نفضي الى السياق

تركتموني بعد تشييعكم   اوسع امر الصبر عصيانا
اقرع سني ندماً تارة   واستميح الدمع احيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم البالية اسأل نون النوى عن اهليه وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافي المثلثة عن منازل الموحدين واحار بين تلك الاطلال حيرة الملحدين لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين كلفت لعمر الله بسال عن جفوني المؤرقة ونائم عن همومي المتجمعة المتفرقة ظعن عن ملال لا متبرما مني بشر خلال وكدر الوصل بعد صفائه وضرج النصل بعد عهد وفائه

اقل اشتياقاً ايها القلب ربما   رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

فها انا ابكي عليه بدم اساله وانهل فيه اسى له واعلل بذكراه قلباً صدعه واودعه من الوجد ما اودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وانشق رياه انف ارتياح قد جدعه واستعدى به على ظلم ابتدعه

خليلي هل ابصرتما او سمعتما   قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذي حله لمزجت الحنين بالعتب وبثثت كتائبه كمناء في شعاب الكتب تهز من الالفات رماحاً حذار الاسنة وتوتر من النونات امثال القسي المرنة وتقود من بياض الطرس وسواد النقس بلقاً تردي في الاعنة ولكنه اوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة العوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المزنية والظلال اليزنية والهمم السنية والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجر لها السنوح والمثوى الذي اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوابي الجفان الميل والجنوح

نسب كان عليه من شمس الضحى   نوراً ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه وتغمد بالعفو ذنبه ولله در القائل حيث يقول

فوحقه لقد انتدبت لوصفه   بالبخل لولا ان حمصا داره
بلد متى اذكره تهتج لوعتي   واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفراً لا كفراً واين قرارة النخيل من مثوى الاقلف البخيل ومكذبة المخيل واين ثانية هجر من متبوا من الحد وفجر بل تقول يا محل الولد لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون في الصميم من الخلد فحيا الله تعالى زمناً شفيت برقي قربك زمانته

واجتليت في صدف مجدك جمانته و يامن لمشوق لم نقض من طول خلتك لبانته واهلاً بروض اظلت اشتات معارفك بانته فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتغاشى وعشياته تتخافت وتتلاشى ومزنه باك ودوحه في مأتم ذي اشتباك كأن لم تكن قمر هالات قبابه ولم يكن انسك شارع بابه الى صفوة الظرف ولبابه ولم يسبح انسان عينك في ماء شبابه فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب بينها في ربوع الجوى ونطق بالزخرف فما انطق عن الهوى و باي شيء نعتاض منك ايتها الرياض بعد ان طمى نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والجرب المهنوء من قطع ليل اغار على الصبح فاحتمل وشارك في الذم الناقة والجمل واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل نشر الشراع فراع واعمل الاسراع كانما هو تمساح النيل ضايق الاحباب في البرهة واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ولجج بها والعيون تنظر والغمر على الاثباج يخطر فلم يقدر الاعلى الاسف والاثر المنتسف والرجوع بملء العيبة من الخيبة ووقر الجسرة من الحسرة وانما اشكو الى الله البث والحزن ونستمطر من عبراتنا المزن و بسيف الرجاء نصول اذا شرعت لليأس النصول

ما أقدر الله ان يدني على شحط   من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلم الفراق رغيباً لما نويت مغيبا وجلت الوقت الهنئ تشغيباً فلعل الملتقى يكون قريباً وحديثه يروي صحيحاً غريباً ايه للنفس كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله او ترثي لشؤون شانها سكب لا يفتر وشوق يبت حبال الصبر و يبتر وضنى نقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر والامر اعظم والله يستر وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك بعد ان اضرمت

واشعلت واوقدت وجملت وفعلت فعلتك التي فعلت ان تترفق بذما او ترد بنغبة ما ارماق ظماً وتتعاهد المعاهد بتحية يشم منها شذا انفاسك او تنظر الينا على البعد بمقلة حوراء من سواد انقاسك و بياض قرطاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال زور وتعللت بنوال منزور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يا من ترحل والنسيم لاجله   يشتاق ان هبت شذا رياها
تحيي النفوس اذا بعثت تحية   فاذا عزمت اقرأ ومن أحياها

ولئن احييت بها فيما سلف نفوساً تفديك والله تعالى الى الخير يهديك فنحن نقول معشر مريديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذراً فاني لم اجتر على خطابك بالفقرة الفقيرة وأدللت لدى حجراتك برفع العقيرة لا عن نشاط بعثت مرموسه ولا اغتباط بالادب تفرى سياسته سوسه وانبساط اوحى الى على الفقرة ناموسه وانما هو انفاق جرته نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وخارق لا مخارق فثم قياس فارق او لحن غنى به بعد المهات مخارق والذي سببه وسوغ منه المكروه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيي مد الله تعالى حياته وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها بعد ان رضى علالتها ورشح الى الصهر الحضرمي سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما اعافه فأمليت مجيباً ما لا يعد في يوم الرهان نجيباً واسمعت وجيباً لما ساجلت بهذه الترهات سحراً عجيباً حتى الف القلم العريان سبحه وجمح برذون الغرارة فلم اطق كبحه لم افق من غمرة علوه وموقف متلوه الا وقد تحيز الى فئتك مغترا بل معترا واستقبلها ضاحكاً مفترا وهش لها برا وان كان لونه من الوجل مصفرا وليس اول من هجر في التماس الوصل ممن هجر او بعث التمر الى هجر واي نسب بيني اليوم و بين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام في محاورة الاعلام بعد ان حال الجريض دون

القريض وشغل المريض عن التعريض واستولى الكسل ونصلت الشعرات البيض كانها الاسل تروع برقط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشيات عند البيات والشيب الموت العاجل واذا ابيض زرع صبحته المناجل والمعتبر الأجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده واسره في ملكة عادة فاغض ابقاك الله واسمح لمن قصر عن الطمح و بالعين الكايلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله تعالى فيما استضفت وملكت ولا بعدت وهلكت وكان لك اية سلكت ووسمك من السعادة باوضح السمات واتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي وسا كن خلدي بل اخي وان تبته وسيدي ورحمة الله تعالى و بركاته

٤٢٤ وكتب ابو اسحاق بن خفاجه الى الفتح ابن خاقان يتشوقه

يا سيدي الاعلى وعلقي الاغلى حلى بك وطنك ولا خلا منك عطنك كتبت والود على اولاه والعهد بحلاه ترف زهرة ذكراه ويمج الري ثراه منطويا على لدغة حرقة بل لوعة فرقة ابيت بها بليل لا يندي جناحه ولا يتنفس صباحه فها انا كلما تناوحت الرياح اصيلاً وتنفست نفساً عليلاً اصانع البرحاء تنشقا والنفس الصعداء تشوقا فهل تجد على الشمال نفحة كما اجد على الجنوب لفحة ام هل تحس لذلك الوهج الما كما اجد الارج لما واما وحقك قسماً يشتمل على الايمان لزماً ان في ادنى هذه اللواعج ما يقتضي انضاء هذه النواعج و يحمل على خرق جيب الخرق وجرذيل برد الليل حتى اهبط ارض ذلك الفضل فاغتبط وارد مشرع النبل فاتبرد وعسى الله بلطفه ان ينظم هذا البدد و يعيد ذلك الود فيبرد الاحشاء كيف شاء بمنه وان كتابك الكريم وافاني تحية هزتني

اريحية هز المدامة تمنى والحمامة تتغنى فلولا ان يقال صبا للزمت سطوره ولثمت مسطوره وما انطقتني صبوة استفزتني فهزتني ولكن فضلة راح في كأس العلا تناولتها فكلما شربت طربت فلولا وقوع غمرات الشيب لابتدرت شق الجيب ثم صحت واطرباه وناديت واحر قلباه وبعد فاني وقفت من جملته على ما وقع موقع القطر وحسبك ثلجا وطلع طلوع هلال الفطر وكفاك مبتهجاً وما اعرب عنه من تفسير حالك وتفصيل حلك وترحالك ولا غرو ان تجذبك الرواحل وتتهاداك المراحل فما للنجم اخيك من دار ولا في غير الشرف من مدار فقع اني شئت وارتع وطر حيث احببت اوطر فما انتضتك يد المغارب الا ماضي المضارب ولا تعاطتك اقطار البلاد الا طيب الميلاد فما طار ان نعق ببينك غراب وخفق برحلك سراب اذ لم يقض من فضلك اغتراب ولا اخل بنصلك ضراب لا زلت مخيما في امتناع بين امرة بغدان ومنعة غمدان بحول الله تعالى و بركاته والسلام

٤٢٥ وكتب ابن زيدون الى ابن جهور يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به وامتدادي منه ومن ابقاه الله ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة ان سلبتني اعزك الله لباس نعمائك وعطلتني من حلى ايناسك وأظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو قد يغص الماء شاربه و يقتل الدواء المستشفى به و يؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في أمنيته والحين قد يسبق حرص

الحريص

كل المصائب قد تمرُّ على الفتى   فتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد واري الشامتين اني لريب الدهر لا اتضعضع فاقول هل انا الأ يد ادماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سيبه او تأخر غير ضنين غناؤه فأبطأ الدلاء فيضاً املؤها واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في اغتفاله

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا   فافعاله اللاتي سررن الوف

واعود فاقول ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يات من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك ولا اخلو من ان اكون بريئاً فاين العدل او مسيئاً فاين الفضل

الا يكن ذنب فعدلك واسع   او كان لي ذنب ففضلك اوسع

فهبني مسيئاً كالذي قلت طالباً   قصاصاً فاين الأخذ ياعز بالفضل

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وما اراني الا اني لو امرت بالسجود لآدم فابيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء وامرت ببناء صرح لعلي أطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلى به

جيوش طالوت وقدت الفيل لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالأفك على عائشة الصديقة وانفت من امارة أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت باشمط عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب عليّ بالحسام المسمم

وكتبت الى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى عليّ ما يحتمل ان يكون نكالاً ويدعي ولو على المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرئ   ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤون بنميم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديماً صحيحاً والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية اليك ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا ازمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن الظن عليك ففيم عبث الجفاء باذمتي وعاث

العقوق في مواتي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب واني غلبني المغلب ونفر عليّ العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع من قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسدا لى على الخصوص بك وتتقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد زانني رسم خدمتك وزهاني اسم نعمتك وابليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود في بساطك

ألست الموالي فيك غر قصائد ... هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناء يظن الروض منه منورا ... ضحى ويخال الوشي فيه منمنماً

وهل لبس الصباح الابرداطرزته بفضائلك وتقلدت الجوزاء الا عقدا فصلته بمآثرك واستملى الربيع الاثناء ملأته من محاسنك و بث المسك الا حديثاً اذعته في محامدك ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك سليباً ولا حليتك عطلا ولا وسمتك غفلا بل وجدت آجرا وجصا فبنيت ومكان القول ذا سعة فقلت حاشاك ان اعد من العاملة الناصبة واكون كالذبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق فلك المثل الاعلى وهو بي و بك اولى ولعمرك ما جهلت ان صريح الرأي ان أتحول اذا بلغتني الشمس ونبابي المنزل واصفح عن المطامع التي تقطع اعناق الرجال فلا أستوطئ العجز ولا أطمئن الى الغرور ومن الامثال المضروبة خامري ام عامر واني مع المعرفة بأن الجلا سبا والنقلة مثلة

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى ... مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسيء ... يكن ما اساء النار في راس كبكبا

عارف ان الأدب الوطن لا يخشى فراقه والخليط لا يتوقع زياله

والنسيب لا يخفى والجمال لا يجفى ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرا ولا أسنى خطرا من اقتران غنى النفس به وانتظامها نسقاً معه فان الحائز لهما الضارب بسهم فيهما وقليل ما هم اينما توجه ورد منهل بر وحط في جناب قبول وضوحك قبل انزال رحله واعطي حكم الصبي على اهله

وقيل له اهلا وسهلا ومرحبا ... فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه والكريم لا يجفو ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلدة فيها مراضعه قال الاول

أحب بلاد الله ما بين منعج ... اليّ وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها حل الشباب تمائمي ... واول ارض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في غيرك طبع والغنى ممن سواك عنا والبدل منك اعور والعوض لفا وكل الصيد في جوف الفرا

واذا نظرت الى اميري زادني ... ضنا به نظري الى الامراء

وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يامن يعز علينا ان نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أعيذك ونفسي من أن أشيم خلباً واستمطر جهاماً واكدم غير مكدم وأشكو شكوى الجريح الى العقبان والرخم فما ابسست لك الا لتدر وحركت لك الحوار الا لتحن ونبهتك الا لاتنام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد امري تيسر ومتى اعذرت في فك أسرى لم يتعذر وعلمك محيط

بان المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه يعود صدقة

واذا امرؤ أهدى اليك صنيعة　　من جاهه فكأنها من ماله

لعلي ألقى العصا بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأديب بادبك والاحتمال على مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساغ لفظة والله ميسرك من اطلابي بهذه الطلبة واشكائي من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها مكان المصنع وتستودعها أحفظ مستودع حسبما انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره فهز عطف غلوائه وجرذيل خيلائه عارضه النظم مباهياً بل كايده مداهياً حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وتميل بنفسك ألطافه فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل حتى زف اليك منه عروساً مجلوة في اثوابها منصوصة بحليها وملابها (وذكر قصيدة له ثم قال) وقال الاحنف بن قيس.

ليس دهري بواجد من ظلوم　　وبلائي من حادث وقديم
ليس يستنكر النحول لمثلي　　جسدي مبتلي بقلب مشوم

ها كها اعزك الله يبسطها الأمل ويقبضها الخجل لها ذنب التقصير وحرمة الاخلاص فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة لتأتي بذلك الاحسان من جهاته وتسلك الى افضل طرقاته ان شاء الله تعالى

٤٢٦ وكتب على لسان ولادة يذم ابن عبدوس

اما بعد ايها المصاب بعقله المورط بجهله البين سقطه الفاحش غلطه العاثر في ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش في الشهاب فان العجب اكذب ومعرفة المرء نفسه

اصوب وانك راسلتني مستهدياً من صلتي ما صفرت منه ايدي امثالك متصدياً من خلتي لما قرعت دونه انوف اشكالك مرسلاً خليلتك مرتادة مستعملاً عشيقتك قوادة كاذباً نفسك انك ستنزل عنها الي وتخلف بعدها علي

واست باول ذي همة　　دعته لما ليس بالنائل

ولا شك انها قلتك اذ لم تضن بك وملتك اذ لم تغر عليك فانها اعذرت في السفارة لك وما قصرت في النيابة عنك زاعمة ان المروءة لفظ انت معناه والانسانية اسم انت جسمه وهيولاه قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت في مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال حتى خيلت ان يوسف حاسنك فغضضت منه وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه وان قارون اصاب بعض ما كنزت والنطف عثر على فضل ما ركزت وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعى ماشيتك والاسكندر قتل دارا في طاعتك واردشير جاهد الطوائف بخروجهم عن جماعتك والضحاك استدعى مسالمتك وجذيمة الابرش تمنى منادمتك وشيرين قد نافست بوران فيك وبلقيس غايرت الزباء عليك وان مالك بن نويرة انما اردف لك وعروة بن جعفر انما رحل اليك وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك وجساساً انما قتله بانفتك ومهلهلاً انما طلب ثاره بهمتك والسموأل انما وفي عن عهدك والاحنف انما احتبي في بردك وحاتما انما جاد بوفرك ولقي الاضياف ببشرك وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك والسليك ابن السلكة انما عدا على رجليك وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك وقيس بن زهير انما استعان بدهائك واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك وسحبان انما تكلم بلسانك وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك والحمالات بين عبس وذبيان اسندت

الى كفالتك وان احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك وجوابه لعمر وقد سأله عن ايهما كان ينفر وقع عن ارادتك وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك والمهلب اوهي شوكة الازارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك وان هرمس اعطى بلينوس ما اخذ منك وافلاطون اورد على ارسطاليس ما نقل عنك و بطليموس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك و بقراط علم العلل والامراض بلطف حسك وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك وكلاهما قلدك في العلاج وسألك عن المزاج واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء وانك نهجت لابي معشر طريق القضاء واظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء واعطيت النظام اصلاً ادرك به الحقائق وجعلت للكندي رسما استخرج به الدقائق وان صناعة الالحان اختراعك وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك وان عبد الحميد بن يحيى باري اقلامك وسهل بن هارون مدون كلامك وعمرو بن بحر مستمليك ومالك بن انس مستفتيك وأنك الذي اقام البراهين ووضع القوانين وحد الماهية و بين الكيفية والكمية وناظر في الجوهر والعرض وميز الصحة من المرض وفك المعمى وفصل بين الاسم والمسمى وصرف وقسم وعدل وقوم وصنف الاسماء والافعال و بوب الظرف والحال و بنى واعرب ونفى وتعجب ووصل وقطع وثنى وجمع واظهر واضمر واستفهم واخبر واهمل وقيد وارسل واسند و بحث ونظر وتصفح الاديان ورجح بين مذهبي ماني وغيلان واشار بذبح الجعد وقتل بشار بن برد وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات فاحلت البحار عذبة واعدت السلام رطبة ونقلت غدا فصار امسا وزدت في العناصر فكانت خمسا وانك المقول فيه كل الصيد في جوف الفراء

و ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

والمعنى بقول ابي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من شرف الطباع

والمراد بقول ابي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من ابياتها

فكدمت في غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا بل رضيت من الغنيمة بالاياب وتمنيت الرجوع بخفي حنين لاني قلت لقد هان من بالت عليه الثعالب وانشدت

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت و بسرت وعبست فكفرت وابتدأت واعدت وابرقت وارعدت وهممت ولم افعل وكدت وليتني ولولا ان للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق والنعل حاضرة ان عادت العقرب والعقوبة ممكنة ان اصر المذنب وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها حسن فيها من تود وكانت انما حلاتك بحلاك ووسمتك بسيماك ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته اليك ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عليك فالمعيدي تسمع به خير من ان تراه هجين القذال ارعن السبال طويل العنق والعلاوة مفرط الحمق والغباوة جافي الطبع سيء الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب كلامك تمتمة وحديثك غمغمة و بيانك فهفهة وضحكك قهقهة ومشيك هرولة وغناك مسألة ودينك زندقة وعلمك مخرقة

مساو لو قسمن على الغواني لما امهرن الا بالطلاق

حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك فوجودك عدم والاغتباط بك ندم والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء وضعتك لشرفي وفاء واني جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى اشكالها والطير انما تقع على آلافها وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان وقلت الخبيث والطيب لا يستويان وتمثلت

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

وذكرت اني علق لا يباع ممن زاد وطائر لا يصيده من اراد وغرض لا يصيبه الا من اجاد ما احسبك الا كنت قد تهيئت للتهنية وترشحت للترفية لولا ان جرح العجماء جبار للقيت من الكواعب ما لاقي يسار فما هم الا ببعض ما به هممت ولا تعرض الا لايسر ماله تعرضت اما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع وتنكح في اكفائها الحبطات

وهلا عشيت ولم تغتر وما اشك انك تكون وافد البراجم او ترجع بصحيفة المتلمس او افعل بك ما فعل عقيل بن علفة بالجهني اذ جاءه خاطباً فدهن استه بزيت وقربه من قرية النمل ومتى كثر تلاقينا واتصل ترائينا فيدعوني اليك ما دعا ابنة الخس الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد وهل فقدت الاراقم فانكح في جنب او عضلني همام بن مرة فاقول زوج من عود خير من قعود ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة ولا رضيت بهذه الخطة فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها

فكيف وفي ابناء قومي منكح وفتيان هزان الطوال الغرانقة

ما كنت لأتخطي المسك الى الرماد ولا امتطي الثور بعد الجواد فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعى الهشيم من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له ولعلك انما غرك من علمت صبوتي اليه وشهدت مساعفتي له من اقمار العصر وريحان المصر الذين هم الكواكب علوهمم والرياض طيب شيم

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

فحن قدح ليس منها ما انت وهم وأني تقع منهم وهل انت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة في العظم بينهم وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجررت هميانك واختلت في مشيتك وحذفت فضول لحيتك واصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعاً في الاعتداد منهم فظننت عجزاً واخطأت استك الحفرة والله لو كساك محرق البردين وحلتك مارية بالقرطين وقلدك عمرو الصمصامة وحملك الحرث على النعامة ما شككت فيك ولا سترت اباك ولا كنت الا ذاك وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب وجاريتهم في غاية الظرف والادب ألست تاوي الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالي الذراع واين من أنفرد به ممن لا غلب الا على الاقل الاخس منه وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة اليّ واللذة الموقوفة عليّ وبين آخر قد نضب غديره ونزحت بيره وذهب نشاطه ولم يبق الا ضراطه وهل يجتمع لي فيك الا الحشف وسوء الكيلة ويقترن علي بك الا الغدة والموت في بيت سلولية

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

ما كان اخلقلت بان تقدّر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك ولا تكن براقش الدالة على اهلها وعنز السوء المستثيرة لحتفها فما اراك الا سقط بك العشاء على سرحان وبك لابظبي اعفر اعذرت ان اغنيت شيا واسمعت لو ناديت حيا (ان العصا قرعت لذي الحلم والشيء تحقره وقد ينمى) وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك وان قلت جعجعة ولا طحن ورب صلف تحت الراعدة وانشدت

لا يؤيسنك من مخدرة   قول تغلظه وان جرحا

فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعاً و يستحثك نحوها وكزا وصفعاً فاذا صرت اليها عبث اكاروها بك وتسلط نواطيرها عليك فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك ومن فجلة منتنة يرمي بها تحت خصاك ذلك بما قدمت يداك لتذوق و بال امرك وترى ميزان قدرك

فمن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى

٤٢٧ وكتب الى بعض اصحابه من رسالة

حين فر من سجن ابن جهور يعتذر من ذلك

ابدأ أولا بشرح الضرورة الحائزة الى ما صنعت اذ بلغني انك احد اللائمين لي ومن امثالهم هان على الاملس ما لاقي الدبر واعاتبك على انفصالك عنى و براءتك امد المحنة منى عسى ان تتلافي عودا على ما صنعت بدأ وقد كنت في ذلك كدابغة وقد حلم الاديم فمنفعة الغوث قبل العطب وفي علمك اني سجنت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى وقد نهي عنه تعالى فقال (ولا تتبع الهوى) الاية وشهد عليّ فلان الناشر لاذنيه طمعاً ليأ كل بيديه جشعاً وقال فكان القول ما قالت حذام وليتني مع قبول ما لاتحل شهادته عليّ يعذر فيه اليّ ولم

يقرن الحشف بسوء الكيلة وكنت اول حبسي بموضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيآت منهم فيه وفي الشر خيار و بعضه اهون من بعض ثم نقلت بعد حيث الجناة المفسدون واللصوص المقيدون ومنع مني عوادي فشكوت الى الحاكم الحابس لي فصم عني ولو ذات سوار لطمتني

وانك لم يفجر عليك كعاجز   ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ولم استطع صبرا وعلمت ان العاجز من لا يستبد فالمرء يعجز لا محالة ولم استخر أن اكون ثالث الاذلين العير والوتد وذكرت ان الفرار من الظلم والهرب ممن لا يطاق من سنن المرسلين وقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام (ففررت منكم لما خفتكم) فنظرت في مفارقة الوطن اذ قديما ضاع الفاضل في وطنه وكسد العلق العبيط في معدنه كما قال

أضيع في معشري وكم بلد   يعد عود الكباء من حطبه

فاستخرت الله تعالى في انفاذ العزم وانا الآن بحيث امنت بعض الامن

٤٢٨ وكتب ابو عبد الله بن ابي الخصال

مسلياً الوزير أبا محمد بن القاسم في نكبة

مثلك ثبت الله فؤادك وخفف عن كاهل المكارم ما ادهى بك وآدك يلقى دهره غير مكترث و ينازله بصبر غير منتكث و يبسم عند قطوبه و يفل شباة خطوبه فما هي الا غمرة ثم تنجلي وخطرة يليها من الصنع الجميل ما يلي لا جرم ان الحر حيث كان حر وان الدر برغم من جهله در وهل كنت الاحساما انتضاه قدر امضاه وساعد ارتضاه فان اعتمده فقد قضى ما عليه وان جرده فذلك اليه اما انه ما انثلم حده ولبس جوهر الفرند خده لا يعدم طبنا يشترطه و يمينا يخترطه هذه الصمصامة تقوم على ذكرها القيامة طبقت البلاد اخباره وقامت مقامه في

كل افق آثاره فاما حامله فنسي منسي وعدم منهي كلا لقد فنيت الحقائق وانهيت تلك العلائق فلم يصحبه غير غرار ومتن عار وكلاهما بالغ ما بلغ ووالغ معه في الدماء اي ولغ وما الحسن الا المجرد العريان وما الصبح الا الطلق الاضحيان وما النور الا ما صادم الظلام ولا النور الا ما فارق الكمام وما ذهب ذاهب اجزل منه لعوض واهب ومن قضى حق المساهمة في هذه الحال التي التوي عرضها وتأخر للاعذار القاطعة فرضها اسف يردد وارتماض يجدد وذنوب على الايام تحصى وتعدد وحباء اللئام منها تحل وتعقد فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت فيك هذه الايام ونهيت فيك حتى المزن عن الابتسام

٤٢٩ وكتب ابو محمد عبد الحق بن عطية

الى الامير عبد الله بن مزدلي يعزيه بأخيه

ادام الله تأييد الامير الاجل محروسة بحسام القدر جوانبه مكتنفة بجنن السعد مذاهبه جارية مسري الانجم مراتبه واطال بقاءه جابر صدوع الرياسة عند انفصامها وخلف سلف النفاسة ووسطي نظامها ولا زال توزن به الاوائل فيرجح و يعارض بغرته بهيم النوائب فيصبح كتبته اعلى الله يدك عن فؤاد دام ودمع هام ولب حائر وقلب في جناحي طائر ونفس يجري بذوبها النفس ولا تفيق الا ريثما تنتكس بهذا الطارق المطرق والنبأ المغص المشرق والضارب بين مفرق الاسلام وجبينه والمغيل في غيل الملك وعرينه مصاب الامير الاجل ابي عبد الله اخيك سقي الله ثراه وضوأ بانوار الشهادة افقه وذراه و برد له بنوافح الرحمة مضجعاً وازجى اليه الغوادي مربعاً فمربعاً هلال ملك بادره السرار عند ابداره ودوح مجد هصرته المنون اوان اثماره حين مالت به الرياسة كما اهتز الغصن تحت البارح وافتر نابه عن شباة القارح فانا لله وانا اليه راجعون تسليماً

فيه للقضاء المصمم وتأسفاً منه على فرد يفدي بالخميس العرمرم لله دره حين التفت عليه الفوارس وحمي الوطيس واشتد التداعس وعظم فقل المساعد وهب من سيفه مولي نصله لا يحارد فرأى المنية ولا الدنية وجرع الحمام ولا النجاء برأس طمرة ولجام وشمر عن اكرم ساعد و بنان وقضى حق المهند والسنان ولبس قلبه فوق درعه ولم يضق بالجلاد رحيب ذرعه

واثبت في مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت اخمصك الحشر

ومضى وقد وقع الله على اجره ورفع في عليين ذكره وخلد في ديوان الشهادة فخره والله عز وجل يحسن فيه عزاء الامير الاجل و يشد بالتأييد عضده و يريش بالسعادة جناحه و يمكن يده و يكثر من محتده الاكرم عدده ولا غرو ادام الله تأييدك ان عض الزمان في غارب فالشر لا يحسب ضربة لازب واناخ كلاكله مرة فالعيش طوراً شماس وطوراً غرة ومثلك دام امرك من حلب الدهر اشطراً وعرف الايام بطوناً واظهراً وخبر امتزاج النعم بالنوائب وغني بفهمه عن التجارب يرغم بجميل الصبر انف الحادث و يفل بلامة الجلد حد الكارث و يعلم ان الزمن وان سر حيناً فهمه ناصب والدنيا اذا اخضر منها جانب جف جانب فانت اعلى الله يدك اثقف قناة واصلد صفاة واصلب على البري عوداً واثقب مع الورى زنوداً من ان يضعضع الريب لهضبة عزمك ركناً او يعمر الخطب لساحة حلمك مغنى او يقذف الدهر عليك بصرف او ينزع الا بسجية وعرف فالحياة وان ارخى طولها فثنياه باليد والمرء وان.. جمع امله هامة اليوم او الغد وانما ضربت ادام الله تأييدك هذه الامثال وان كدت ان الم بقيل وقال وسردت هذه العبر وان جابت التمر الى هجر حرصاً على تسلية نفسك العزيزة عن طائف الهم وتعزيتها عن حره الملم فأقصرها ايدك الله على العزاء وقفها

واوردها مشرعة التأسي ورفها اذ لا يعتب الجازع الزمن ولا يرد الفائت الحزن والله عزوجل يلم بسعدك الشعث و يرأب الشعب و يضفي من رياستك الذوائب و يعلي الكعب و يذيق الذين يضاهونك هونك و يجعل الذين يحسدونك دونك بعزته وصنع الله للامير الاجل اجمل الصنع

٤٣٠ وكتب محيي الدين بن عبد الظاهر
الى بعض اصحابه يذم آخر تنقصه

بلغني اعزك الله ولا برحت رحيب فناء الفخر قشيب ملابس العمر يانع ثمرة الشكر مفعم حياض البر أن فلاناً غض مني كل غض الجنى وانه عبث بي عبث الايام بالمنى وانه ردني الى ارذل العمر في الاطراح واغلق في وجه تنجحي ابواب النجاح وزعم ان اناتي غير مفعم وان بناء مجدي غير محكم وجواد جادتي غير ملجم وان ميلاد مجدي حديث وسبب سعدي رثيث وان جوارح اجادتي جريحة وقرائح ارتجالي قريحة وان صدور المجالس تنكر اقدام أقدامي و بطون الطروس لا تلقح بوطء اقلامي واني لا اعد في جملة الكتاب واذا دخلوا من ابواب متفرقة للتكريم لا ادخل معهم في باب.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

وقد بنيت مقالة هذا القائل على امور وحملتها على احتمالات غره في جميعها الجهل كما غره بالله الغرور والذي اقوله له مخاطباً واوجبه اليه مجاوباً ان كان استرسالك ايها العابث عبثاً فما كل الافاعي تعبث بها الانامل ولا كل المراعي تنصب بها الحبائل ولا كل زخار يخاض ولا كل جناح يهاض ولا كل جامح يراض ولا كل سابغة تفاض ولا كل نسر واقع ولا كل نير راجع ولا كل السموم تدخل في درياق ولا كل مطوق يجذب بالاطواق فان كان ما قلت حلماً فان

من الاحلام ما يروع او وهماً فان من الاوهام ما يخامر الضلوع او جهلاً فان المندل الرطب لا يضره كونه حطباً في موطنه والتبر لا يضره كونه تراباً في معدنه ولا يضر الزناد الواري قدح القادح كما انه لا يضر النجم الساري نبح النابح ولا على اذا قلت ملاما وقلت انا سلاما والفخر في ان احلم اذا قلت اهتضاما لا في ان اقول كما حلمتُ مناما كما انك ما في يدك ان تحدث لي ضرا وفي يدي ان اوسعك صبرا وفي قدرتي انك تستغضبني فلا اغضب وفي قدرتك اني استرضيك فلا ترضى وعندك انك تأكل لحمي ميتاً وعندي اني لا استحل ان آكل لك القمة ولا بعد ثلاث و يعجبك ان تحفر لي بئرا وتقع فيها ولا يعجبني انني اقع فيك (متى كانت الآساد مثل الثعالب) واعود الى محاققة النفس فتأبي الا اظهار اللبس فاقول هل انت يا فلان الا متخرص بزور وآيس من الخير كما يئس الكفار من اصحاب القبور وآمن من العواقب ولله عاقبة الامور وما مبالاتي بك الا مبالاة الديك بالبط والشمعة بالقط ورماح الخط باقلام الخط ومتى خافت الرعود من الوعود ام متى احجمت الاسود عن القرود ام متى جزعت البحار من التيار ام متى صارت النار كالانوار ام متى فزّعت بنات نعش بابني سمير ام متى صغرت بنو الريان في عين ابي كثير ام متى جبن الفرزدق عن جرير ام متى شبهت النعامى بالنعام ام متى خافت هرما مصر من الايام وهي يخاف منها على الايام وهل تبالي الدرة المضيئة اذا قيل لها اليتيمة ام هل تعاب الاعين النجل اذا قيل لها السقيمة ام هل تخل المضيمة بالخصور اذا قيل لها المضيمة ولا مبالاتي بما نقوله الا مبالاة آدم بعدم سجود ابليس ولا تضرري منه الا تضرر الصرح الممرد من قوارير بوطء بلقيس ام هل ابالي بك الا مبالاة البازي بالحمام والليث بالنفاف الخيس ومتى كانت همدان تفخر على كليب او تحذر منها الكيد ام متى

خاف الاسد من ابي زبيد وهل بالت قريش بتأليب ابي سفيان ام هل فزعت مازن يوماً من استباحة بني ذهل بن شيبان و بحمد الله ما احوج الزمان الى زناد ولا الجأ الى تلقيه بوجه مكفهر كان عليه ارزاق العباد ولست لحاك الله من بنى صريم الذين تلفهم التهائم والنجود ولا من بني عمرو الذين لبيوتهم صعب الصعود ولا فيك ما في ابي قابوس من حرم ونائل ولا لديك ما لدي من اذا قال لم يترك مقالا لقائل وكان الواجب عليك ان تمسك امساك ابن المعذل عن ملاحاة المعرض بنبهان وان تأنف من فضيحة جهلك والقطيعة انفة جبلة بن الأيهم ما بين غسان وما كان اشغلك عن ذكري بذكرك واحقك ان تجيل في خويصة نفسك جواد فكرك واولاك ان تدخل في رحمة الله تعالى بعرفانك لقدرك وقال

ولو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما القى ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وتالله لقد استنطقت من ثلبي مفوها وآثرت من ذمي مرفها وهززت من قلمي مثقفاً واصلت من كلمي مرهفا

متى سألت بغداد عنى واهلها ... فاني عن اهل العواصم سائل

ولئن عبت مني يا ابن لخم هجاء فاني لارجوانه سيبعث منك داء

لقد هزمني عامر يوم لعلع ... حساماً اذا لاقي الضريبة صمما

وها نحن ننتظر فعل الله فيك بما نفعل بنفسك و يحسب لك عثارك في غدك من امسك ونتربص بك الدوائر تربصك بفلدك

ومن يتربص صولة الدهر يلقه ... وشيكا وهل توصى الاساود بالولغ

وكيف لا يدخل عليك الاعتلال وانت وابوك واخوك وفوك كل معتل

وانت فذو مال

وليس الغنى الا غني زين الفتى ... عشية يقرى اوغداة ينيل

واما ما توهمت من حلولي في اخريات المجالس وكوني في ذلك غير مناقش ولا منافس فلا عيب على السنان اذا صمت الانابيب ولا حلول القافية في آخر البيت من الاعاجيب والبدر احسن ما تراه العيون في ذيل الافق ولا حط منزلة الحمد اذا اتي بها في آخر الكتاب من كتب ولا تشان سورة الاخلاص اذا تقدمتها في المصاحف سورة ابي لهب

ولو لم يعل الا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام

ولا تعاب الشمس اذا كان لها دون فلك زحل مقام ولا يوم عروبة اذا جاء سادسا للايام ولا الالف اذا جاء بعد الواحد في العدد ولا الزهرة اذا كان بيتها الثور كما لا فخر للشمس اذا كان بيتها الاسد

من كان فوق محل الشمس موضعه ... فليس يرفعه شيء ولا يضع

والبيت باهله والغمد بنصله والثوب بلابسه والجواد بفارسه والقوس براميها والصهوة براقيها ومن اسافل البحور ترقي الدرر الى اعالي النحور

وقد يبني كبير من صغير ... و ينبت من نوى القسب اللبان

ولئن تأخرت الواو في عمرو في الهجاء فطالما كانت صدر الكلام في الابتداء ولئن جاءت الهمزة آخر الممدود من الاسماء فكثيرا ما جاءت أولا في الاستفهام والاغراء وقد ورد التصغير للتعظيم ونطق القرآن بالتهكم بلفظ الكريم على ان السعد بحمد الله لا يتوقف على الجلوس في اوائل المجالس ولا الحلول منها في الأواخر ولا يخص المرتفع و يحط المتضع فقد عطلت السبابة والوسطى وحليت دونها الخناصر ولا حسن الثوب الا بسجافه ولا رقم العلم في برد

الا في اطرافه

اذا انت اعطيت السعادة لم تبل — ولو نظرت شزرا اليك القبائل
تقيك على اكتاف ابطالها القنا — وهابتك في اغمادهن المناصل

ولقد لامست مني شيهما ومارست ضيغما وجالست ارقما وزاحمت جندلا وهاويت اجدلا

يا سالكا بين الاسنة والقنا — اني اشم عليك رائحة الدم

وها أنا قد وجدت مكان القول ذا سعة والسيف اقطع ما يكون اذاهز والجواد اسرع ما يكون اذالز وان مع اليوم غدا ولو ترك القطا لهدا (وعداوة الشعراء بئس المقتني)

ومن تعلق به حمة الافاعي — يعش ان فاته اجل عليلا

وان قلت لا يضرك هذا الارهاج ولا يثيرك هذا الازعاج ولا تبالي به الا مبالاة الزجاج بالزجاج ولا تأنف منه الا انفة الحجاج بالحجاج فان بني النويرة ادركتهم مذمتهم بعدابى سراج وان الذبابة تغثي النفس وان بعقدة الجوزهر يخسف القمر وتكسف الشمس واعود فاقول ما اظنك وقعت مني على الخبير ولا انت في الفحص عن حالي في قبيل ولا دبير ولا علمت ان جدي سعد ولا جدي سعيد ولا اني بحمد الله المأمون وكيف لا ووالدي الرشيد ولا ان لي ابا يضع لي فوق البدر مهادا وشيما تجعل الجوزاء تحت يدي وسادا

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم — باخفاء شمس نورها متكامل
واني وان كنت الاخير زمانه — لآت بما لم تستطعه الاوائل

وتالله ان يومي ينافس في الامس وقومي يفخرون بي كما فخر عصام بالنفس

انا ذوو النسب القصير فطولنا — اعيا على الكبراء والاشراف

والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت — بأب عن الاسماء والاوصاف

ولا اعلم ايها المتنقص ان لي ذنبا يستدعى هذا الاسهاب ولا بيني وبينك خطوبا فهت به من الخطاب اللهم الا اني لا اعتقد اعتقادك المضلل ولا ارى رأيك المؤول ولا اقلد عبد الله بن سبا في اعتقاده ولا ابا الخطاب الاسدي في اجتهاده ولا اوافق هشام بن مسلم الجواليقي على مراده ولا انشد

الا ان الائمة من قريش — ولاة الحق اربعة سواء
علىّ والائمة من بنيه — هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر — وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى — يقود الخيل يقدمها اللواء

ولا انشد قول السيد الحميري

الاقل للرضى فدتك نفسي — اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا — وسموك الخليفة والاماما

او انك تعتقد اني من شيعة ابي كامل او اني اتفقت انا وابن ملجم على تلك الغوائل او انني من الطالبين بثار الدار اذا جد الوهل او اني كنت مع بني ضبة في يوم الجمل او انني تأولت في قتل عمار بن ياسر ذلك التأويل السقيم أواني كنت في جملة من رفع المصاحف لطلب التحكيم او استبريت عقل ابي موسى الاشعري بالمشاورة او خدعته بخلع النعلين في المساورة او اتبعت عبد الله ابن وهب في جمعه او ناظرت عبد الله بن عباس لما حضر لمناظرته على صنعه او ساعدت معاوية بن خديج على فعله او اشرت على معاوية بانفاذ بشر بن ارطاة الى المدينة حين لا عهد لها بمثله ام تراني انشدت يوم قتل الحسين بن علي عليه السلام

نفلق هاماً من رجال اعزة   علينا وهم كانوا اعق واظلما

ام تراني القى الله بعمل سنان بن انس ام قد اقدمت اقدامه حين ضربه حتى القاه عن الفرس حاش الله ما انا من هذا القبيل ولا سالك هذا السبيل وعلى تقدير اني اتيت باكثر من هذه الذنوب وان قافل توبتي لا يؤوب اليس لي نفس لا تصبر على ضيم وشمس ابائي لا يسترها غيم وبياض خلق ولا بياض خلق سحيم أأمنت كاتب الدرجات باتفاق الاسمين لما ظهر الفرق في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين العبدين او باختلاف المنزلتين لما غلبت نبيه الشمس على القمر وبينهما للزهرة وعطارد بعد فلكين

واذا خفيت على الغبي فعاذر   ان لا تراني مقلة عمياء
انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت   واذا نطقت فانني الجوزاء

وقد آن ان احبس العنان واغمد حدي السيف والسنان واشد باعناق المنى غير هذه واضرب صفحاً وانشئ على راي العامرية صلحاً واعدل من نار القر الى نار القرى واسرى لاحمد السرى واستروح من مثالبه لاستريح واوادعها ولا اودعها واجم لها ولا اجم منها واهب جفن الدواة غفوة واغفر لحد القلم نبوة واستعمل من مدائح مولاي اعزه الله دواء انهض به ما اثبت داء اهاجي ذلك من سهوة ومن يكن المولى مهين فرائده وجوهري قلائده ومثقف صعاده ومقوي زنده وموري زناده والحامي عنه بسيفه وقلمه والمرشح له من ديمه فلا يبالي بتنقيص المعاري ولا يتأسف على ثلب المباري

على نحت القوافي من معادنها   وما عليّ اذا لم تفهم البقر

ولا يضر الورد الخضل استنقاص من به داء الجعل كما انه لا يضر القمر المنير استهزاء الضرير ويكفيني اطال الله بقاءك في الدعاء عليه تأمينك وفي

حفظ مساويه تلقينك وفي الاعداء عليه تجهيزك وفي التكاثر عليه تعزيزك وها انا أستعين واستعير واستميل واستمير

والقوافي كما علمت قواف   اثر من حاد عن طريق الصواب

وسأدهمه منها بما لا قبل له بها وأجلب عليه بخيل ورجل لا قدرة له بجلبها وان كان عرضه لا يصلح للهجو ولا يساوي ثوب ثلبه اجرة الرفو فقد يجرب السيف في خف البعير ويستحل نكاح المرأة السرية بالعبد الصغير وتصفي الفضة الخلاص بالرصاص وتفصل عقود الجواهر بالسخاب وتساغ اللقمة المحللة بجرم الشراب (ومن لم يجد ماء طهوراً تيمما) فادام الله لك النعمة ادامة لا ينقصها اختزال وحرسها عليك حراسة لا تنتهي الى زوال خذها اعزك الله قد انشأتها سحباً ثقالاً لك منها عذب الشراب ولغيرك عذاب السراب واوريتها ناراً لك منها الانارة ولغيرك الاحراق واجريتها بحاراً لك منها الارواء ولغيرك الاغراق وادرتها شمولاً لك منها النشوة ولغيرك منها الخمار وطبعتها نصولاً لك منها ما ضمت عليه الانامل ولنحر غيرك الغرار وها هي قد اتتك لم يكشف غيرك لها نقاباً ووفدت عليك لم تطرق لغيرك باباً

فأرخ عليها ستر معروفك الذي   سترت به قدماً على عواري

وقد حسدها القريض على سبقها الى ناديك وغبطها على حلولها بواديك فتملق بذيولها مستشفعاً ونظر من خلال سطورها متطلعاً وهاهو خيم بابياته في ذراك وترجلت قوافيه بين يدي علاك (وذكر قصيدة له)

٤٣١ وكتب ابن نباتة المصري يصف خيلا

ومن (اشهب) كانه طلعة نجح او قطعة صبح او غرة قمر يضرب باشعته ادبار جنح قد ترتبت منه الاوضاع وانقطعت دون غايته حتى الاطماع

واعتذرت له الريح فصوب اذنيه للسماع واصبح لصاحبه نعم العون في يوم السبق والغوث في يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فكم له من غبار السبق اجنحة مثنى وثلاث ورباع ما خفيت مصلحة الا قبضها ولا ادلهمت سحابة نقع الا قام لها بنفسه و بيضها وما حدث عن حسن الا رواه ولا امتطاه عازم الا حمد عند صباح لونه سراه يقرب الطلب بسفارة عزائمه المسفرة و يختال في الخيل كالنهار فلا جرم ان آيته مبصرة كم ثنى عنانه كبرا عن مسابقة الرياح واعرض وكم تعب عليه غارم حتى فاز منه بالعيش الا انه الابيض ومن (ادهم) كانما التحف سبجا او دخل تحت ذيل دجى تخضع عواصى الذرى لعزته و ينشق الصباح غيظا من تحجيله وغرته كانما لطمته يد الفجر نخاض في احشائه وورد نهر المجرة فطارت لجبهته نقطة من مائه فسيح المنتشق متدرع ملابس حب القلوب والحدق كم عنت شوامخ الجبال لجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الا ظل ادباره واقباله أوخاف سطوته الليل فخباه بمثل انجمه وانعله بمثل هلاله يسر الموالي ويسوء المناصب ويأتي من صباح تحجيله وليل تلوينه بالعجائب وتكبو الرياح من شأوه وكلها من خلفه جنائب ومن (اشقر) كلمعة برق او غزالة شرق فسيح اللبان رقيق مجاري العنان يروق الابصار و يدني الاوطان والاوطار و يسمع بوقع حوافره صم الاحجار يضعف البصر عن اقتفاء ماله من السنن و يعجز عن بلوغ غايته السيل اذا هجم والغيث اذا هتن وتقصر عن شأوه الرياح فمن عذر اذا حدثت في وجهه الترب للحزن كانما صعد لاشعة النجوم فكسبها او راهن البرق على حلته فلبسها حين سلبها قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته في تطلعها الشموس عند الاشراق وامتدت كف الثريا لمسح جبهته من غبار السباق ومن (كميت) يسر الناظر و يشوق الخاطر كانه جذوة نار او كاس عقار احلى من

الضرب له من نفسه طرب كم خدمه من النصر اعوان واسكره اسمه فاختال تحت راكبه كالنشوان وظفر في حلبة سبق حتى شكرت له في اربابه يد وفي مسير اربه يدان اسرع الاشياء شوطه واضيع ما في عدته سوطه يجمع لراكبه بين الطرب والجلالة وتحتجب الشمس اذا تصدى لصيد خوفاً من تسميتها بالغزالة كم ارعد بصهيله وابرق وكم لقي منه الموت الاحمر العدو الازرق قصرت عن معاياته الهمم واسود ذنبه وعرفه فكانهما لذوب نار جسمه حمم يوسع اهل الحي ميرا و يقد بخنجر نعله اديم الارض سيرا ومن (حبشي اصفر) يسر النظار و يسمو على النضار و يشوق البصائر وربما شق على الابصار و يخفق وراءه حتى قلب البرق اذا لز معه في مضمار كم اسمع وقعه في ليل السرى من سمر وكم نقش بنعله ظهر جبل فجاء كما قيل نقشا في حجر تطاع سماء الطلب اهلة هو عيدها واذا امتطاه عازم رأى الارض تطوى له و يدنو بعيدها كم حسن خُبرا وخبرا وتأثيرا وأثرا وكم عشا الى نار سنابكه طارق فاجزل له من صيده القرى كانما خلع عليه الدهر حلة ذهب ووهبته صفرة لونها الراح حتى تحلى بالحبب ولو امكن اول الفجر لما سمي في زمانه بالسرحان ولو كتب اسمه في مقدم كتيبة قرنها اليمن والامان

۞ ٤٣٢ ۞ وكتب ابن حجة عهدا عن المستعين ۞

لاحد سلاطين الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به وثبت اوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وافرغ على أعطاف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل (اني جاعل في الارض خليفة) واختارها من بيت براعة استهلاله في

أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية العباس فالحمد لله على ان جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقربون ومن علم شرفها تميز بقوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) فالحمد لله الذي استخلف آل النبي في الارض وفضلهم وان تحدث احدفي شرف بيت فالله قد جعل البيت والحديث لهم فاكرم به بيتا من اقر بعبوديته كان له من النار عتقا وتمتع بنعيم بركته التي لايتجنبها الا الاشقى وكيف لا وهو البيت الذي بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وصفى اهله من الادناس وانزل في حقهم (يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وابرز علمهم الخليفتي على وجنة الدهر شامة وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله اكبر لهذه الامامة واذا كان النسيب ممدحا وهو في النظم واسطة العقود فهذا هو النسب الذي يلوح عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح عمود وهذا هو الركن الذي من استلمه واستند اليه قيل له فزت بعلو سندك فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا ابشرك ياعم قال بلى يارسول الله قال ان الله قدفتح الامربي ويختمه بولدك فاحبب بها شجرة نسب زكا غرسها ونما وتسامت بها الارض وكيف لا واصلها ثابت وفرعها في السما فسلام على خلفها الذي منه المستعين بالله والمتوكل عليه والواثق به والرشيد ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد نحمده حمد من علم أن آل هذا البيت النبوي كسفينة نوح وتعلق بهم فنجا ونشكره شكر من مال الى الدخول تحت العلم العباسي وتنصل من الخوارج فوجد له من كل ضيق مخرجا ونشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له شهادة نرجوان تكون مقبولة عند الحاكم وقت الادا ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي حرضنا على الوفاء بالعهد

وارشدنا الى طريق الهدى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين وفوا له بالعهود واقامت مواضي سيوفهم الحدود صلاة يسقى عهاد الرحمة ان شاء الله عهدها وينظم في سلك العبودية عقدها وسلم تسليماً كثيرا (وبعد) فالحمدلله الذي الهمنا الرشد وجعل منا الخلفاء الراشدين وبنسبتنا الى علم الهدى فضلنا بالائمة المهديين واصطفى من هذا الخلف الشريف خلائف الارض وسنّ مواضى العقول التي قطعت أن طاعتنا فرض فان لعهدنا العباسي شرفا لا يرفل في حلله الشريفة الا من اتخذ مع الله عهدا واتى الله بقلب سليم فقد قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) ولا يتمسك بطيب هذا العهد الشريف الا من صحا الى القيام بواجب الطاعة وترك اهل الجهل في سكرتهم يعمهون وانتظم في سلك من انزل الله في حقهم (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وهو قبضة من آثار البيعة النبوية وشعار يتشرف به من مشى تحت الراية العباسية وما ارسل هذا العهد النبويّ الى ملك من ملوك الارض الاعمه الشرف من جميع جهاته والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولا اعلن به على منبر الاشدت اعواده طربا وازهرت رونقا واثمرت ادبا وقالت وقد رنحتها نسمات القبول من ساكن الروضة واخضل نبات تلك البقاع واينع وعم الفرح بها كل غيضة وكان المقام الاشرف العالي الى آخر الصفات السلطانية الملكي المظفري شمس الدنيا والدين والمستعين في زيادة شرف مكه بعد الله بالمستعين لا زالت ايامه الزاهرة بشمسه المنير مشرقة وتوقيعات الرقاع بنسخ صفاته الشريفة محققة ممن رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليذيل

عن ملكه الالتباس واستند اليه ليروي في سنده العالي عن ابن عباس ومشى بعين البصيرة في هذا المنهج القويم وتلا له لسان الحال (أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم) وطاول بيد الخلافة الشريفة لاقامة الحد علما بان يد الخلافة لاتطاولها يد واخلص مودته في التقرب الى بيتنا الشريف لما شغفه حبا وتمسك بطيب (قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) لانه الملك الذي ظفره الله باعداء هذا الدين وسماه مظفرا ولقبه بالشمس واختار له ان يقارن من الطلعة المستعينية قمرا اينع زهر العدل بحضرة دهليه فعطر الآفاق وضاع نشره بالهند فعاد الشم الى المزكوم بالعراق وصارت دمن سمنات عامرة بقيام الدين وايده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ولم يترك للعدوّ في بيت بيت ليلة وابطل ما دهره اهل داهر بحسن اليقظة وقوة الصولة واباد الكفرة من ديو ولم يقبل لهم دية وفاؤا الى غير امر الله فقصمهم بسيفه الهندي ولم تقم لهم فئة وفطر اكباد من ناواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ونادى منادى عدله بالبلاد الهندية لاظلم اليوم ودانت له تلك الممالك برا و بحرا وسهلا ووعرا ما نظم الاعداء على ذلك البحر المديد بيتا الا أبان زحافه وادار عليه دوائره وكم نظم شمل الرعايا بالعدل ونثر روس الكفرة بالسيف فلاعدم الاسلام في الحالين ناظمه وناثره عربي وكم كلم الاعداء بلسان الهنديّ فاحجمهم عند ملتقاه عادل تسلسل حديث فضله فغدا مرسلا مع الرواة عاطر الارجاء ولم ينم المسك الا بطيب تربته سلطان تتطفل الملوك على اواني موائده وتخضع لسلطانيته سئلت الركبان في البر عن مناقبه الشريفة فعم يتساءلون وقد صار لها عظيم النبا وصرح راكب البحر بعد التسمية باسمه فاتخذ سبيله في البحر عجبا فظله في البر ظليل وعدله في البحر بسيط وطويل هذا ولم يبق في تلك الممالك الهندية

بقعة الا ولم يصغر الله بسنابك الخيل فيها ممشاه ولا نفس خارجة عن الطاعة الشريفة الا ماتت في رقعة الارض بمظفر شاه فلذلك رسم بالامر الشريف الى آخر الصفات الامامية ان يفوض اليه من ولاية العهد و كفالة السلطنة الشريفة بالبلاد الهندية ما هو المعهود ليهطل جود الرحمة على تلك البقاع المباركة ان شاء الله و يجود عهدا شريفا الى آخر الصفات وان يستخلف فيما فوضه الله الينا من صلاح الامة ومصالح الخلق استخلافا تحلى بذكره الافواه وتترنم به في شعاب مكة الحداة و يقطع به و يحفظه رب كل سيف وقلم و يعتمد عليه كل ذي علم وعلم فلا زعيم جيش الا وهذا التفويض الشريف يسعه في بلاده و يشمله ولا اقليم من اقاليمه الا ومن به يقبله و يقبله و يتمثل به و يمتثله ولا منبر الا وخطيبه يتلو كتاب هذا التفويض و يرتله واما الوصايا فعنده ان شاء الله تعالى تهب نسمات قبولها و يعرب عن نصب مفعولها وهو بحمد الله لوصايا هذا العهد الشريف نعم القابل فقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله منهم الامام العادل والوصية بالرعايا واجبة وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على العدل فيهم وحرص عليه وقال يوم من امام عادل افضل من مطر اربعين صباحا احوج ما تكون الارض اليه وقال ابن عمنا عليّ رضي الله عنه الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس فما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع فهذه الحكمة بها يعالج ما ضعف من اركان الملك وهذا المشرع يجري على اجمل الشرائع فليأمر بالمعروف و ينه عن المنكر علما انه ليس يسأل في غد عن ذلك سوانا وسواه و يردّ نفسه الشريفة عن الهوى ولا يحسن لنبات قده ان يميل مع هواه وليترك الثغور بعدله باسمة وقواعد الملك بفضله قائمة وليجاهد في الله حق جهاده و يلطف بالرعايا و يعلم ان الله

لطيف بعباده وليشرح لهم بالاحسان صدرا ليجروا اذا وقف على احوالهم احسن مجرى وهو بحمد الله غير محتاج الى التأييد لانه لم يخل له من القيام في مصالح الامة فكر ولكنه تجديد ذكر على ذكر والله تعالى يمتع بطول بقائه البلاد والعباد ولا برحت سيوفه الهندية تكلم اعداء هذا الدين بألسنة حداد وثبت ملكه بالعدل وشيد اقواله وختم بالصالحات اعماله ان شاء الله تعالى

باب

في ترسل العصريين

٤٣٣ كتب ابلغ بلغاء العصر ونابغة فضلاء مصر
الاستاذ الهام صاحب السماحة والسيادة السيد توفيق افندي
البكري الصديقي من الاستانة الى احد فضلاء مصر

كتابي الى السيد الاجل وانا احمد الله اليه وأدعوه ان يديم النعمة والسلامة عليه وبعد فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام الى قبة السلام ودار خلافة الاسلام وفارقت مصروسا كنها وأرباضها ومواطنها ركبت سفينة عدولية الى الثغور الفرنجية فسرت في خضم عجاج ملتطم الامواج له دويّ من جرجرة الآذيّ اخضر الجلد كانه افرند تصطخب فيه النينان وتجري في جوفه الدعاميص والحيتان اذا مازجه الاصيل بالعشيّ خلته كسرت عليه الحليّ أو مزج بالرحيق القطربليّ وان لاحت به نجوم السماء خلته صفائح من فضة بيضاء سمرت بمسامير صغار من نضار واخذت السفينة تشق عبابه وتفلق حبابه بين ريح رخاء او زعزع والنكباء فهي تارة في طريق معبّد وميث مسرد وطورا فوق حزن وقردد او على صرح ممرد وكان معنا في الفلك رهط من العرب والترك

فكنا نتوارد معهم من جوائب الاخبار وطرف الاحاديث والاسمار ما يزري بالمنهل العذب واللؤلؤ الرطب الى ان يميل ميزان النهار وتغرق ذكاء في البحار ويمسي الكون من السواد في لبوس حديد او لباس حداد وتبرق نجوم السماء في اكناف الظلماء كانها سكاك دِلاص او فلق رصاص او عيون جراد اوجمر في خلال رماد او در في بحر او ثقوب في قبة الديجور يلوح منها النور ويبدو الهلال كأنه خنجر من ضياء يشق طيالس الظلماء او قلادة او دملج غادة او سنان لواء الضراب او الليل فيل وهو ناب فنأخذ مجلسا نسيمه الكافور وارضه عنبر مذرور رقمت فيه زرابيّ مبثوثات ومنابذ وحسبانات وأنماط مفروشة وبسط منقوشة

بسط اجاد الرسم صانعها ... وزها عليها النقش والشكل
فيكاد يقطف من ازاهرها ... ويكاد يسقط فوقها النحل

وحوله شموع تزهر وأضواء تبهر وقد دارت عليه سقاة كجماع الثريا باقداح الحميا واكواب الفانيذ المروّق وقوارير الجلاب المصفق ثم تجيء قينة وفي يدها ناي طويل كأنه صور اسرافيل يحيي الرفات وينشر الاموات فنمسي كذلك نقضي مآرب هنالك حتى اذا بدا الضياء كابتسام الشفة اللمياء دخلنا المضجع لنهجع وهلم جرّا في ايامنا الاخرى الى ان وطئنا ارض القوم بعد ثلاثة ايام وبعض يوم فلما اضحت مرآى عين كبرنا تكبير ابن الحسين

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرق

وراقنا ما رأينا من عمران وحضارة ورفهنية وشارة وزراعة وصناعة وتجارة وضخامة سلطان وعظم بنيان وجوادّ كالاودية بين الاطواد وكأنما الناس في المدينة احتفلوا ليوم الزينة اوهم لكثرة الحركة منهزمو معركة فهم غادون ورائحون

زرافات ووحدانا اناثا وذكرانا وقد لبثنا في تيك البلدان هنيهة من الزمان نتقلب في جنباتها ونتنقل في انحائها وجهاتها الى ان قدمنا القسطنطينية ايوان الخلافة الاسلامية وعش الدعوة المحمدية فاذا النعيم والملك الكبير والجنة والحرير واذا بقعة أطيب الارضين رقعة وأمرعها نجعة وقد اعتلت منائرها في الفضاء وحلقت قصورها بالسماء فلبست اردية الغيوم وتقلدت عقود النجوم ولاحت مقاصيرها البيضاء في اكنافها الخضراء وجرى بينها خليج الماء فكانها النجوم والمجرة والسماء واكتظت نواحيها بالعمائر والآثار وحشدت بالجوامع الكبار وناهيك بأياصوفية وما ادراك ما اياصوفية هو بنية تعلوها شرفات علية وقبة ضخمة جوفاء كأنها قبة السماء وأرض تلك البنية كالماوية من مرمر ألاق ذي بصيص براق وفيها دعائم كل دعامة كالحق استقامة وبها محاريب وحنايا وأقبية وزوايا ومنبر كانه اريكة سلطان في الخورنق او غمدان هذا وقد نزلت من كنف أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين في دار السعادة ومشرع الفضل والمجادة ومطلع الجود وفلك السعود وحظيرة النعم ومشعر الهمم وأقمت ضيفا عند السيد السند الهبرزي" النضد تاج آل محمد السيد .... في عصابة من الصوّابة لاعيب فيهم غير انهم ينسون الغريب وطنه وحامته وسكنه لهم اعزاق عربية واخلاق هاشمية وحماس وسماح كالماء والراح ولم اكد القي العصا وتستقر بي النوى حتى جاءني سلام من امير المؤمنين خلته السلام الذي ذكره الله في قوله ادخلوها بسلام آمنين وقد لقيت ثمة .... فرأيت حكمة يونان ودهاء هامان في جبة وقباء وعمامة عجراء وما زلت أتقلب في تيك الميطان بين قصر وبستان ومسجد وميدان وأتأمل المشرق من غرائب المشرق والمغرب من عجائب المغرب الى ان عن لي الخروج الى مرج من المروج يقال له (البندلو) قد اينع بالزهر

والظل والشجر فقدم لي جواد أشقر كانه قطعة ذهب او جذوة لهب وكانما يجنى من عطفه الورس او كسفت في اديمه الشمس اوضرج بالملاب او دهن بالزرياب يطير بلا جناح كان قوائمه أربع الرياح اذا اطلق في الليل وظلمته فقد اشعلت الجمرة في لحمته صريحي" صميم أجش هزيم سليم الشظى عبل الشوى محدد الآذان مستضلع الزفيان كانه في الميدان قاذفة الشؤبوب ذي المطلان فسرت على هذا الحصان حتى انتهيت الى ذياك المكان فاذا فردوس العالم وبستان بني آدم والروضة المخضلة الربا المعتلة الصبا المشرقة الارجاء والزبى وقد كسيت سرق الفرند وقزه وخزه وبزه وزهت بالورد والاقحوان والعبهر والريحان وجرى الماء بين تلك الاوداء كانه في صفو الدمعة لسان الشمعة او هو بلورمذاب او نصل قرضاب او سلاسل فضة بيضاء او حية عرماء في وسواس خفي" كجرس الحلي" وهو يتحدر من أنجاد الى قيعان ووهاد بين خمائل وغياض وجداول وحياض ويتكسر فوق حصباء كالجوهر ويلتوي كالسوار بمعاصم الاشجار وقد سجعت غريدة البان بين الاماليد والخيطان بأشجى من اسجاع البلغاء وقوافي الشعراء

والطير في أرجائها ... عصائب وزمر
قد علقت غصونها ... كانهن ثمر

وهمى الدجن بالرذاذ من سماء كالفولاذ وتلاه مطر كحبات الدرر

ورق الجو حتى قيل هذا ... عتاب بين جحظة والزمان
ونسيم يبشر الارض بالقطـ ... ـر كذيل الغلالة المبلول
ووجوه الرياض تنتظر الغيـ ... ـث انتظار المحب رجع الرسول

وكانّ بين الخضراء والزرقاء معركة شعواء فالوبل نبل والقنا أسل والبروق

ظبا وأسنة وفي كل غدير جنة وقد خطرت في تلك البطاح تحت الشجر الدواح بين الشقيق والاقاح اسراب الغزلان والرعابيب الحسان من كل غراء فلجاء خدلجة دعجاء فينانة لفاء بضة جيداء في وجه كالوذيلة وخد كالجليلة وقوس حاجب كانه قوس حاجب وشعر كالليل او اذناب الخيل وثغر أشنب كانما ذر عليه الزرنب وثنايا غر ذات أشر ومبتسم برد وشفاه كانها ورق الورد وعينين كسيفين في جفنين او سهمين في قوسين وانامل صغار كانها صف مدار وقد كالرمح وفرق كالصبح

حسن تراه ولم يكن من قبل ا لا في مخيلة شاعر او كاتب

فقضينا هناك يوما من الايام خيرا من ألف عام ثم عدنا الى حيث كنا وبعد ذلك باوقات حظيت بمعرفة سيد السادات وسميذع آل عبد مناة السيد الامجد التقي النقي العربي الابي السيد .... فاذا سيد امام وهزبر ضرغام وجحجاح قمقام رفيع العماد كثير الرماد رحب الصدر رحب الفؤاد كريم الضريبة والخليقة طيب النحيزة والسليقة كانّ بني آدم عتبوا فاعتبهم به الدهر او انهم ذنب وهو لهم عذر قد صرفت اليه وجوه الامل وضربت عليه قبة اطنابها السبل عريق المنبت والبيت ليس فيه لو ولا ليت معطاء شريف يرى ان شقا في باطن الحبة قسم بينه وبين الضعيف ربط الاجماع على فضله وعقد ولو طلب درهم لم يخرج منه في عطاء ما وجد اياد قتلن دفرا والدهيم بالفواصل فأم دفر وأم الدهيم ثاكل فصيح اللسان كانّ مقوله عضب يمان بليغ الكلام بليغ النظام قريض كاللآل كل بيت شعر خير من بيت مال وكل مصراع بيت في البيان مصراعا باب قصر في الجنان كلم ما نطقته قراضبة نجد في اكلائها ولا شعراء هذيل في أودائها ولا مقاول حمير وقحطان ولا اقيال ثقيف وغسان عليم

باسرار السياسات خبير بتصريف الدول والامارات يسير الى الغرض الاقصى بسير لا يرى كما جازت ذكاء من المشرقين الى المغربين بسير لا تدركه العين سيد لا يشبه بالكاف وكانْ اذ لم يشبهه احد في الزمن فمن أويس ومن الاحنف بن قيس ومن سحبان ومن خالد بن صفوان ومن الاصمعي ومن الاكثم بن صيفي ومن كعب في الكرم ابن عادياء في الذمم ومن ابن ماء السماء ماء ولا كصداء

محاسن من مجد متى تقرنوا بها   محاسن اقوام تكن كالمعايب

سليل نسب ضخم وحسب فخم وعرق هاشميّ ومنصب عاديّ وآباء جحاجيح زهر مصابيح هم سراة البيت والحرم حماة الأل والذمم أباة الضيم والحيف قراة النزيل والضيف. هذا وقد كانت فاتحة الالطاف بعد هذا المطاف رؤية أمير المؤمنين سلطان سلاطين الاسلام وبرهان الاساطين العظام والمثول في حضرته بين تخته وسدته فشمل من احسان الوفادة واجزال الرفادة والأيادي البيضاء والمراتب القعساء ما لا يفي به ثناء ودعاء فأي در أنثر وأي شكر اذكر ولو اعطيت لسن الاخطل في بني مروان وزهير في هرم بن سنان والنابغة في النعمان وحسان في آل جفنة وغسان لما وفيت حق التمداح والشكران

انما الدنيا حميد   واياديه الجسام
فاذا ولى حميد   فعلى الدنيا السلام

فهذه ايدك الله لقطة عجلان ونموذج لما قد كان حتى اذا يسر الله بالأوبة من الغربة وعادت لعطرها لميس قصصت على السيد الرئيس من مغربة الاخبار ما لم يروه جوابة الاقطار ومن عجائب هذه الاسفار ما ينسيك عجائب الاسفار والسلام عليك ورحمة الله

٤٣٤ وكتب المرحوم عبد الله باشا فكري غفر الله له الى بعض اصحابه

كتبت والذهن فاتر من وهن الدفاتر والتبييض والتسويد والتقييد والتسديد والتقييد والتشديد والترجمة وكثرتها والهمة وفترتها والماهية وقلتها والنفس وذلتها وراتبي لا يكفي اجرة البيت ولا يفي ثمن الماء والزيت وبالامس وعد الوكيل بالزيادة واعتذر اليوم بالاصيل على العادة على انه لو حصلت زيادة فلزيد وعمرو الى آخر الزمر ولله الامر احوال متبددة ونفوس متبلدة واشغال متعددة واخوان خوّان وخلان غيلان ورفاق وما اجمل الفراق وقلت

الى م أعاني الصبر والدهر غادر ... وحتى متى أشكو ومالي عاذر
ولو أنني أشكو عظائم شدّتي ... لميت لرقت لي العظام النواخر

وسألت عن فلان وفلان وهيان بن بيان ممن ينتسب للعلم واهله ويتظاهر بشعار فضله ولو كان العلم بلحية تعظم وتطوّل وشوارب تحف وتستأصل وعيون على ما بها من غمص ورمص تكحل وعمامة تعظم حتى ترذل وطيلسان يلف ويسدل وكم يوسع ويسبل واحاديث خرافة نقص وتنقل ومحفظة تفعم وتنقل وسواك يظهر من العمامة نصفه وكتاب يخرج من الجيب طرفه ثم بتشدق في الكلام وتباله في المرام وتعسف في الافهام وحرص على الحطام ثم يقول الانسان حضرت درس فلان وسمعت من لفظه باللسان وقضيت في العلم كذا سنة من الزمان فهم اعلم من اقلته الغبراء وافقه من اظلته الخضراء وان كان للعلم غير هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات غاية الامر انهم قضوا ارذل العمر في كتب معدودة وشروح موجودة وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحرّرونها ويتداولونها ولا يتعقلونها ولو صرف حماري هذا العمر فيها لاصبح

فقيها واضحي نبيها والذي يظهر مينهم وشينهم وعلامة ما بيننا وبينهم ان يؤمر احدهم برقعة تكتب لحاجة معهودة ويمتحن بكتاب غير هذه الكتب المعدودة فيه بعض كلام العرب واشعارها وشيء من وقائعها واخبارها فان كتب فصيحا وقرأ صحيحا وفهم مليحا عرفنا انه شم عرف العلم وذاق طعم الفهم وسلمنا اليهم ما يدّعون وتركنا لهم ما يأتون وما يدعون وان ارتبك للرقبة ووقف حمار الشيخ في العقبة عرفنا حاله وقلنا له

ايها المدعي سليمي سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليمي كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وقد مررت بالامس على احدهم في الدرس يقرأ القطر لابن هشام ويلحن لحن العوام ومررت بآخر يدرس الكافي في علمي العروض والقوافي يقرر قوله

قف على دارهم وابكين ... بين اطلالها والدمن

فلا وربك ما اقام له وزنا ولا عرف له معنى مع سهولة مبناه وظهور معناه فحطمه حطم المشيم ومزقه تمزيق الاديم فقلت سبحانك اللهم كأنّ الشاعر عناني بهذا الكلام وعلم اني اقوم هذا المقام فامرني بالبكاء على العلم والدروس وماجرى على معاهده من دروس يا قوم اهذا النحو واعرابه والصرف وابوابه والعروض واوزانه وابحره والمعاني وانشاؤه وخبره والبيان وفرائده والبديع وشواهده وهذه العلوم الموضوعة والاسفار المحمولة والدروس المأهولة والاصوات المهولة لمجرد معرفة ضرب زيد وعمرو وقتال خالد لبكر وأن قال اصلها قول ثم لا يدري ما حصل والطويل من فعولن مفاعيل ثم لا يعلم كيف ينظم والفصل والوصل ولا اصل ولا فصل والحقيقة والمجاز وليس لهما مجاز والتورية والجناس مما يحفظ ولا يقاس اذا والله تكون تلك الفنون من افانين الجنون ويكون الميل اليها

والاقبال عليها عملا حابطا وشغلا ساقطا وهوسا عاطلا ووسواسا باطلا و يكون واضعوها اساؤوا الناس واخطؤوا القياس و بنوا على غير اساس كلا انما وضعوا هذه القواعد وشرعوا للناس تلك الموارد ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت ويفهموا من الفاظها كالذي فهمت و يترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت و ينثروا و ينظموا كما نثرت ونظمت وقد كانت هذه العرب التي اودع الله الفصاحة لسانها وشرف بسيدنا النبي والقرآن العربي مكانها تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الاصلية والسجية الجبلية من غير هذه القواعد والاصول وتلك الابواب والفصول وكانت تعتد البلاغة مبلغ علاها وتعتقد الفصاحة من محاسن حلاها ثم بعث الله تعالى نبيه الاكرم صلي الله عليه وسلم وشرف وكرم افصحها لسانا واوضحها بيانا وانزل عليه قرآنا في اعلى درجات البلاغة وارقى طبقات البراعة في حسن الصياغة فاهتدوا بقرآنه واقتدوا ببيانه فازدادوا بسطة في اللسن وتوسعا في البيان الحسن الى ان اختلطت انسابهم وتقطعت اسبابهم وانقرضت دولتهم وانقضت مدتهم واختلت ألسنتهم وخلت امكنتهم وخيف ان تذهب معهم هذه اللغة المنيفة التي هي مدار الشريعة الشريفة وخير لغة العالم وابرع لسان تكلمت به بنو آدم فقيض الله لحفظها الائمة الاعلام هداة الانام ورعاة الاسلام فرتبوا قواعدها وشدّوا سواعدها وصنفوا تلك الفنون العديدة وألفوا هذه الكتب المفيدة لتسهيل الارب من لغة العرب والتكلم بلسانهم على بعد ازمانهم ومجاراتهم في بيانهم على سعة ميدانهم والتفنن في اساليب الكلام وصوغه على حسب مقتضى المقام واستمر العمل على ذلك بين الانام وتداولت عليه الايام والاعوام الى ان خلف هذا الخلف الملوم والخلق المذموم والجيل المشؤوم فظنوا تلك الوسائل مقاصد ليس بعدها غاية لقاصد

وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها و يكتفي بالتعبد بكلماتها فوقفوا عندها ولم يتجاوزوها لما بعدها واتخذوا الادب وراءهم ظهريا وجعلوا النظم والنثر شيأ فريا فاذا كتب احدهم رقعة لحاجة ارادها اوابتلى بكتاب غير هذه التي اعتادها فلا تسل عن الغلط الواضح واللحن الفاضح والذهن الغائب والفهم العائب فان وقفته على غلطه وعرفته بعض سقطه قال ما نحن من اهل ذاك الشان ولا خيل هذا الرهان انما نحن لفهم الكراس لايسبقنا احد من الناس فيا انعام الانام ويا ألأم اللئام اي فائدة اذا للكراس غير وجع الراس واي معنى لتلك العلوم غير سعة الحلقوم وماذا ينفع الاعراب من لايعرب عن المرام وماذا يصنع بالصرف من لا يتصرف في اساليب الكلام وماذا يغني العروض عن قوم لايشعرون والمعاني والبيان من قوم لاينظمون ولا ينثرون وقد زارني احدهم في الديوان لبعض شانه واعطاني رقعة كتبها لحاجة بخط بنانه فاذا رقعته انموذج الرقاعة وتمثال الشناعة ومجموع البلاهة و ينبوع العيّ والفهاهة وهاهي واصلة طيّ كتابي اليك لتكون على ما قلت حجة و بينة لديك فقد عرفت قدر تظاهر هذا الرجل بالعلم وتفاخره بحدة الذهن وجودة الفهم وسترى ما بها من زلل وخطأ وخطل ولفظ بارد ومعنى جامد وتركيب فاسد ورسم خامد وقد كان في يدي معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص فناولته بعض ورقاته وسألته في فهم بعض محلاته لا جهلا بامره ولكن اظهارا لعجره و بجره ثم جهدت به ان يكتب ما فهمه بعد ان مدحت له ما توهمه وكنت اريد ان اتحفك بغرائب انظاره ووساوس افكاره لتعلم اي اطفال في ثياب رجال واي حمير تركب البغال الا انه لم يسمح بكتابة ما قال وفي رقعته كفاية فهي في الدلالة على حاله غاية اما فلان واترابه وفلان واضرابه فهم اعجوبة الايام واحدوثة الانام احوال

متناقضة وافعال متعارضة فكبر وفقر وعجز وفخر وأنف في السماء واست في الماء وحال تحت التراب ونفس فوق السحاب ان صدقتهم كذبوا وان ارضيتهم غضبوا وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا وان تقربت منهم سئموا وملوا كلاب في جلود اسود وجوه بيض وقلوب سود صغيرة السيئة عندهم كبيرة وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة عيون منتقدة وقلوب متقدة وألسنة حداد وافئدة شداد واجسام صحيحة وقلوب مريضة وجهل طويل ودعاوي عريضة النصح لديهم خيانة والسوء عندهم ديانة وقد بذلت في مرضاتهم جهدي واجنيتهم مرّي وشهدي وقابلتهم باللطف والعنف وعاملتهم بالنكر والعرف فلا وابيك ما زادوا الا فجورا وعتوا ونفورا ومكرا وشرورا وكبرا وغرورا ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي وهجرت لديهم راحتي ونومي وفديتهم بعشيرتي وقومي ثم اطعمتهم من جسمي وآثرتهم من العافية بقسمي لما بلغت من نفوسهم رضاها ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها بل ولو صاحبهم جبريل وخاطبهم بالتنزيل وأهداهم الجنة في منديل وانزل الشمس اليهم في قنديل ونظم لهم النجوم عقودا وشق لهم من المجرة برودا وصير الانس والجن لهم عبيدا وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا واطلعهم على غيب السماء والارض وخبرهم بما كان وما يكون الى يوم العرض لما اصبح عندهم الا مذموما ولا امسى لديهم الا ملوما ولكان منسوبا للقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك اوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لهم المحال اما فلان وما ادراك فهو شرك الاشراك وعار العرب والاتراك وفضيحة الزمان وخزي الكون والمكان صورة كثيفة وسيرة أنتن من الجيفة

ووجه لو رميت به لكلب   على جوع لعاف الكلب اكله

واخلاق اسمج من السماجة وعقل اضل من الدجاجة وكلام على الراس اشد من قلع الاضراس اذا تجرعته الآذان تقيأته الاذهان فهو ذنوب الذنوب وعيبة العيوب وقذى النواظر واذى الخواطر وبلية النفس وآفة الانس وشر الجن والانس وهو من قوم تقدموا بأعجازهم لا باعجازهم وبقيادتهم لا بسيادتهم وبالشمول لا بالشمائل وبالفضول لا بالفضائل فلا نعم الله بالهم ولا بلغهم آمالهم فليسوا للنعمة اهلا ولا للكرامة محلا

نعم الله لا تعاب ولكن   ربما استقبحت على اقوام
لا يليق الغنى بوجه فلان   لا ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبر   ذون والوجه والقفا والغلام

وقد طال الكلام في هؤلاء الطغام واني لماسوف على زمن قطعته بانبائهم وقرطاس دنسته باسمائهم وما كنت لاريد ان اطيل المقول في فصول هذا الفضول ولكن حديث الافاعي يطول وقد نذرت للرحمن صوما فلن اذكرهم بعد هذا يوما فهلم اطارحك ذكر الوداد وابثك شكوى ما في الفؤاد من لاعج البعاد فعندي لك من الود والشوق والوجد ما ملأ الجوانح وملك الجوارح فلا يبليه البعد ولا ينسيه طول العهد فالله يديم حسن رعايتك ويمتعني ما يسر من ناحيتك ويتم نعمته عليك بالدوام ويبلغك غايات المرام

٤٣٥ وكتب الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله

في خطبة الوداد

كما ان شغف الجنان بالحسن والاحسان تكون داعيته المشاهدة وتسريح الانظار في محيا الكمال ومجتلى الجمال فترى العين من تلك الغرة ما يملؤها قرة فكذلك السماع يستدعي هذا الشغف فيتأثر الفؤاد بما يشنف الآذان مما تهديه

اليه طرائف الاخبار حتى كان حاستي السمع والبصر في ذلك صنوان بل اخوان في هيكل هذا الجثمان وقد يعلم السيد اطال الله بقاءه وأدام ارتقاءه ان ذلك الامر اي الشغف بالسماع ليس بالحديث العهد ولا القريب الجدة بل هو امر عرف قديما ان يهدي السماع الى سويداء القلب لاعج الحب سعره من الانباء عرف شميم فتهيم بمجرّد استنشاق ذلك الشميم حتى يقول الشاعر العربي (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) أجل والقدوة في هذا المعنى والأس لذلك المبنى قوله صلى الله عليه وسلم اني لأشمّ نفس الرحمن من قبل اليمن لما أملته العناية الربانية والملك الروحاني على قلبه الشريف من نبأ القرني او يس ولم يكن رآه ولا رآه بعد ألا وان محاسن السيد الاجل لما سارت بها الركبان وأثنى عليها كل لسان ما بين اخلاق ابهى من الروض النضير واعراق اشهى من العذيب النمير قد احتلت من فؤادي لا اقول منزلا رحيبا ولا واديا خصيبا بل منزلة شما ودارة عليا واوجا بطوالعها السعيدة يسعد و يلوح بها من ذكراه كل حين فرقد فلم انشب ان قدمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللقاء عله ان يسمح به الزمان وتسفر عنه الليالي والايام ليتاح لي ريّ الفؤاد بما ارويه من حديث زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقال له ما وصف لي احد فرأيته الا وجدته دون ما وصف لي سواك وان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة مقتديا بالامام محمود جار الله في تقديم هذا الحديث الشريف على ما انشده اياه الشريف ابن الشجري اول ما لقيه وكانا قد تحابا بالسماع

كانت مساءلة الركبان تخبرنا ... عن جابر بن رباح اطيب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت ... اذني باحسن مما قد رأى بصري

٤٣٦ وكتب ايضا مهنئا لفضلاء المصريين ونصراء العربية اجمعين

اي جهابذة الكنانة نبال الجنانة مياه الاجانة ابناء تلك اللغى صناديد هذه الوغى واليكم يساق الحديث في القديم والحديث عن هذا النبأ العظيم والمجد الصميم مالي اري في لغتنا الشريفة «و يعلم اولو النهي أية هي من اللغات احق بهذا النبزان يصرف اليها عند الاطلاق» هبوبا غب خمول وترة بعد نحول ونورا عقيب افول ونورا اثر ذبول وصبا وراء قبول وعدلا ولا حيف وقوّة ولا ضعف وما يشاء المطري في هذا القبيل من العطف آمنت بالقدر المقدور والبعث والنشور كذلك يحيي الله الموتى اليس رجل واحد اسفرت عنه عناية التوفيق فالقت اليه المقاليد بلى ولكنه الواحد الذي يقول في مثله صاحب بني ميكال

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالالف ان امر عنا

ايـ ورب تلك البنية بارئ نسم البرية انه لرجل البلاد رجل الحزم والسداد الم تر جنانه وحنانه وبنانه وبيانه عوامل رفع لهذه اللغة لغة الفرقان لغة الاوطان لا بل امضى من العوامل حتى ظلت اداتها فرائض وقد كانت وما بالعهد من قدم نوافل ومن حليها اجياد اللهجات عواطل اللهم الا بقية ثمد قد منيت صحفها لا لأود ففقدت الجلد والجلد وبعد ان راج سوق الرطانة ونضب ماء الابانة وخبت انوار البلاغة وذوت انوار النباغة وكسد البيان وقوّض منه البنيان واصبحت العربية لقى ملقاة وبضاعة مزجاة فايهذا اليراع لا اقل من نفثات في صوغ كليمات تقدر هذه النعمة قدرها وتمنحها شكرها و يحك هب من سنتك في حلية مقتك وانض حسامك واشحذ كهامك وانثل

كنانتك واعمل بنانتك وصغ ان اسطعت تهانيء غرا بل عقودا درا بل انجما زهرا مشتارا من خلايا ذلك الارى الشهى الندى الذكى ما جرست نحله الشيح والخزامى واطايب الثمار وازاهي الازهار تهديهن اولئك المصاقع شكرانا لتلك النعم تجميعا لشواردها وتقييدا لاوابدها كما شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق واشفاقا عليها من الجماح بعد ذلك الارتياح فاليكم بني هذه اللغة كتابي هذا تهنئة بتلك النهضة العربية في ابان كما تعلمون وجهه مكفهر و بدنه مقشعر وثناء على العناية التوفيقية والعزمة الرياضية على ان لهذا المولى الوزير سوى ذلك ايادي مبرورة ومساعي مشكورة اكسبت الوطن واهليه نهضات واقالته كثيرا من العثرات لكنني آثرت تلكم النهضة العربية بتهنئتكم بها اي بني جلدتي واخوان حرفتي لكونها فيما اخال لا بل فيما اتيقن و يتيقن اولو الحجا اعظم النهضات وايمن ما اجتازه الوطن من العقبات ولو كان في نطاق الامكان زيادة البيان في هذا الشان لاسهبت واوسعت واطربت واطنبت ولو لم يكن في تلك النهضة الا ان حياة الامة حياة لغتها فحسب لكفاك وشفاك واغناك وكان ذلك قصاراك وحماداك

٤٣٧ وكتب ايضا الى صاحب السماحة والسيادة السيد توفيق البكري يمدحه

اعادة العَرَض يوم العرض

مسألة كلامية ثارت فيها عجاجة الكلام بين علماء الكلام فمن ايجاز واطناب في سلب وايجاب (وتعلم ان الالفاظ اعراض سيالة) لكنني آمنت عيانا ان الله يحيي الموتى اعراضا واعيانا اذ كانت كتبك زيادة في البيان والبرهان وان كان خبر المعصوم اوثق من الحس في النفس فأنشد الله امرأ شيمته العدل والقول

الفصل اليس كتبك هذه حجة للموجب دامغة للسالب اليس ذلك البيان غاية شأو قس وسحبان اليس قصارى ابن العميد ومنتهى عبد الحميد فقد اعيد العرض الذي هو الكلام في الدنيا ففي الاخرى احرى فتراني يا مليك البراعات وقسور تلكم الغابات اسيفا على ضن الدهر بك الى هذا العصر فلو ان الله تعالى خلقك فسواك حين استعر الخصام في هذا المقام لما اختلف في هذا الامر اثنان ولا انتطح عنزان

٤٣٨ وكتب الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان في خطبة الوداد

حضرة الفاضل الجليل دامت فضائله وطال نائله

اما بعد فهذه اول رسالة اكتبها الى من لم تكن لي به جامعة جسمية ولم تضمني واياه حفلة تعارف شخصية وهي وان كانت في عرف غيري تعد هجوما او تحس فضولا الا اني اعتقد انها اوفدت على كريم يكرم وفادتها و يتقبل ما تهديه اليه من عظيم تحية وجليل اجلال و يجتلي من خلالها ارادة ودّ ورجاء ولاء و بغية فضل ورغبة في اخاء فيحلها منه محل القبول و يدرأ عنها وصمة الفضول ان للشيخ آثارا شاهدناها فاستفدناها ومآثر سمعناها فرويناها او تناقلناها ولا مرية في ان ما غاب عنا منها اكثر مما وعينا واوفى مما سمعنا ونحن والله يعلم طلاب كمال ومنتجعو افضال وروّاد ما خصب من فيحاء العلوم وقد توسمنا في الشيخ ايده الله طلبتنا ووجدنا لديه ضالتنا فحثثنا الى رحابه مطية المكاتبة جعلناها مقدمة علم لا مقدمة كتاب على ما يقوله الكثير من الكتاب ولنا امل كبير في نوال المأمول لعل الشيخ الاستاذ يجنح الى مقابلة المثل بالمثل فيكتب لاخيه بعض كلمات يعرف منها انه قبل الاخاء ومال الى مقتضى طبعه من

الوفاء ولا اظن ذلك الا وقد كان في اقرب ما يكون من الزمان فان الارواح ما تعارف منها ائتلف كما برهنه الاصحاب في معاشراتهم خلفا عن سلف وايده قول الناقلين عن الرسول هذا والاخ يرى نفسه الآن وكأن قد ضمنا مجلس ايناس فيه كثير من اخوان الصفاء وحلفاء الوفاء ودارت بينهم احاديث العلم والفضلاء وتكلم الشيخ الاستاذ في هذا المجال فاوسع فيه المقال فتعرفته من مقاله واستدللت عليه بحاله فقمت واعلمته بانني صاحب هذه البطاقة فآواني اليه واعلني بمالي عليه فشكرت هذه اللقيا وحمدت عاقبة المسعى واثنيت على الزمان في صدقته ولم تاخذني دهشة بدء التعارف وهيبته ولا ما يكون عنده من الذهول هذا خيال ارجو الله تحقيقه عما قريب فانه نعم المسؤول و به الحول ومنه الطول والسلام عليكم ورحمة الله

٤٣٩ وكتب صاحب السعادة

حفني بك ناصف في خطبة الوداد

يعلم الله ما عندي من الشوق الى لقاء السيد وان لم يره البصر والشوق الى شهوده وان لم يكتحل بالثمد محاسنه النظر والشغف بسماع الحديث منه كما سمعته عنه فقد سبقت ذكرى محاسنه الى السمع ووصل خبر لطائفه الى النفس « وما المرء الا ذكره وما ثره » وحسدت العين عليه الاذن وودّت لو انها السابقة الى اجتلاء رقائقه وشهود حقائقه « فللعين عشق مثل ما يعشق السمع » لا جرم ان ما تعارف من الارواح ائتلف وما تناكر منها كما قيل اختلف ونحن وان بعدت بيننا الشقة ولم يسبق لنا باللقاء عهد فلحمة الادب تجمعنا ووحدة الوجهة تضمنا ولحمة الادب اقوى من لحمة النسب وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه وقد رأيت ان ازداف اليك بالمكاتبة واتوسل الى شرف التعرّف

بالمراسلة حتى اذا لم يبق في الصبر على الافتراق مسكة ولبى الجسم دعوة الروح فاندفع الى طلب الاجتماع اكون قد مهدت له سبيلا ووطأت له طريقا فلا تبهرني فرحة اللقيا ولا يغمرني طرب الظفر فمن فرح النفس ما يقتل ومن نشوة الراح ما يزهق الارواح فان رأى السيد ان يكاتب عبده و يعتقه من رق الفرقة عجل بجواب هذا الكتاب ليعلم العبد ان نميقته صادفت قبولا وان وسيلته اتخذت الى سيده سبيلا قرّب الله زمن اللقا وقصر امد النوى حتى انشد في السلام

تطابق الخُبر في علياك والخبر — وصدق السمع في اوصافك البصر

٤٤٠ وكتب صاحب السعادة وهبي بك

ناظر مدارس الاقباط

يرثي والي مصر الاسبق اسماعيل باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رسم في صحائف الاقدار لكل حيّ اجلا و بعث من محيي الخير لهذه الاقطار في كل عصر رجلا فسبحانه قدّر الجزاء على الاحسان تفصيلا وجملا و بشر وانذر كل انسان ليبلوكم ايكم احسن عملا انا لله وانا اليه راجعون . احمده حمدا يستدعي دوام المزيد من الفضل المعروف واشكره شكرا يدرأ به المريد عداء الصروف وأسلم على كل رسول كريم بسط لواء الامر بالمعروف تسليم من لاذ باعطاف التسليم اذعانا لمقتضيات الظروف فعلم ان الملك لله وما قدر يكون (اما بعد) فان القضاء المحتوم لا بدّ من نفاذه على اي حال ولكل انسان اجل معلوم يؤدي الى الارتحال وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ودوام الحال محال والله عاقبة الامور وهو شديد المحال لا يسأل عما يفعل

وهم يسألون فيا مصعرا للناس خد علاه بكرة وعشيا انما الفضل لمن اطاع مولاه ولو كان عبدا حبشيا افتذهب بحمامة الفؤاد على نار الاوزار شيا هائماً في كل واد مما لا يغني عنك من الله شيا وقد ساء مثل الذين في كل واد يهيمون اما علمت انك ستذوق من حياض الحمام صديدا حميماً و يتخلف عنك كل حمام ولو كان صديقاً حميماً ثم تنبأ يوم القيامة بما صبغت به اديما وتندم ولات حين ندامة على ما قدّمت يداك قديما وانك على ما فرّطت في جنب الله لمغبون فلا تستور زند الاستئثار بحب الذات واللذات فتكون نموذجاً لذوي الاستبصار في ملافاة ما فات واحسن اذا ساعدك الجد ان الحسنات يذهبن السيآت واعلم ان من جدّ وجد وكل ما هو آت آت وان لنا لاسوة بالسلف الصالح وهم السابقون الاولون فيا من اخنط في مزاولة الاحكام خطة اريب قلّ ان يضارعه في ضروب الاحكام ضريب و يا من فارقت روحه عالم الاحياء في البلد الغريب فاستمطر عليه شؤن العلياء كل بعيد وقريب بعد ان استحالت الحال و بدّلت الشؤون لقد افحمت امراء الكلام عن الالمام بمالك من آثار العمار فكنت والحالة هذه حجة الاسلام على كل ممار في هذا المضمار فما الذي يحتمله مقام الاسناد من جلائل الافكار وما ثرك المذكورة في كل ناد لا يشوبها جحود ولا انكار وهذه جواري افضالك المنشآت في بحار العلوم والفنون فرحم الله جدك استنبطت ما كان كامناً في صدر كل عاقل حيّ حتى صارت مصر حرماً آمناً يجبي اليه ثمرات كل شي ففجرت الارض عيوناً حامت عليها حمائم الريّ وملأت بانوار الفضل عيوناً كانت تغشاها ظلمات الغيّ وان لك يا مولاي لأجرا غير ممنون ولقد راعيت جانب الاقتضاء مستبقاً في كل ميدان فكانت لك اليد البيضاء في استقصاء ما وراء السودان ولمكان عنايتك بكل مفيد مما لا يحتاج الى بيان

وصلت بحر القلزم ببحر سفيد بعد ان كان بينهما برزخ لا يبغيان وطالما لفصال اتصالهما في الدول السابقة تمخضت القرون ولقد جعلت المشورة قاعدة لسائر أعمالك بدون استثناء مستعيناً بالله في قضاء آمالك بما يستوجب مزيد الثناء ثم تذرعت باحسن ذريعة فيما يمحو آثار اختلاف الاهواء وشرعت للمحاكم المختلطة شريعة سارت بالكل على خط الاستواء بعد ان كانت تستحل بمصر حرمات القانون ثم حذوت حذو جدك الفخيم في كل امر ذي بال و بلغت مقام ابراهيم بما لم يخطر على بال فايدت مقام الخلافة في مواطن الحروب والحرب سجال ودفعت عنها غوائل الكروب بالمال والرجال وكل الف من جنودك بمائة الف او يزيدون ومما يؤثر في تاريخ عليائك انك استصدرت خير رقيم شددت به عضد اوليائك من كل باد ومقيم ثم بذلت غاية جهدك في الاستئثار بالملك والملك عقيم وجعلت في اكبر ابنائك ولاية عهدك على عمود النسب المستقيم وقد اصبحت سدتك كعبة لذوي الحاجات وهم من كل حدب ينسلون ولم تزل قدوة لأولي الهمم القعساء في اجتلاء كنوز المطالب حتى ساء القدر وأساء ولكل قضاء جالب فتغاضيت جهد الامكان عن جناية الحظ السالب فكان ما كان وان امر الله غالب وقد تضاربت الافكار وتخالفت الظنون فلله درك حفظت علاقة هذه الديار كما تروم بالخلفاء من بني عثمان وسرت في بحر الروم ميمماً بلاد الرومان ثم استدعاك صاحب الامامة الكبرى بعد حين من الزمان فاحتملت على مرّ الحوادث صبرا حتى حيل بين الروح والجثمان ولم يدفع عنك المنون مال ولا بنون كيف لا وقد دبت الى فؤادك السليم عقارب الداء من سائر الاعضاء واصبح جسمك السليم يتقلب على احرّ من الرمضاء ثم انفذت فيك الاقدار احكام القضاء ولم يغن انك من ذوي الاقدار بعد ان وقعت الواقعة وحمّ القضاء ان في ذلك

لآيات لقوم يعقلون ثم جئت من الآستانة على قدر وقد احتدم اوار الغليل وصار ماء اليمّ مشوباً بكدر وان كان النسيم غير عليل ووجد عليك الاقربون والبعداء من بيت اسمعيل وتمنوا لو تأتي الفداء والصبر عيل وقد شاب الكدر على فقدك الصفا والحجون فلما كان هذا الرزء الجليل اتخذ سويداء المكارم غرضاً ولم يذر لك سوى الاثر الجميل جوهرا ولا عرضاً ولقد كان الاحتفاء بجنازتك من عظائم الامور واجباً مفترضاً ثم اصبحت من سكان القبور بالرغم لا بالرضا ولمثل هذا يا مولاي فليعمل العاملون احسن الله عزاء المعالي على احتسائك كأس الردى ودام الجناب العالي افندينا عباس حلمي باشا علماً مفردا ولا برح لآل جدّه المشهور ملجأ وسندا وحسام جدّه المشهور فيما يشاء مهندا قائماً فينا بامر الله في كل مفروض ومسنون آمين

٤٤١ وكتب الاستاذ الشيخ احمد بن علي الشاذلي

صاحب صحيفة الاسلام

في الادب والفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى ان الادب والفضيلة احسن مبحث يبحث فيه الفضلاء المندرجون في سلك الهيئة الاجتماعية وقد ذهب الناس في هذا الموضوع الجليل مذاهب واختلفوا في تسميته فمنهم من دعاه بعلم الاخلاق ومنهم من سماه علم التهذيب وهكذا ولكنا نجد المآل واحدا وان كان القصد من تسميته متفاوتاً فالذي سماه علم الاخلاق مثلا ذهب الى ان الاخلاق انما هي عبارة عن تخلق المرء بالادب او بضده فان كان الاول فهو فضيلة وان كان الثاني فهو رذيلة ولكنهم يسمونه بعلم الاخلاق من باب الاطلاق او من باب تسمية الكل باسم البعض والذي سماه

علم التهذيب فقد عنى به تعويد الانسان على الفضيلة واجتنابه للرذيلة ليكون سبباً في اظهار الفضيلة . ثم اعلم ان اعظم ما يفتخر به الرجل على اقرانه هو الفضيلة التي يكون بها الانسان اهلاً لان يدعي من افراد المجتمع الانساني وهي حاسة يشعر بها الانسان عند ما يخير بين امرين اضرار او احسان وهي ظاهرة فيه كبيراً كان او صغيراً شاباً او هرماً ودليل وجودها فيه انك لو اقترضت دراهم من زيد مثلا ولم يعلم بكما احد فانك تجد امرين يتجاذبانك احدهما وفاء ما عليك والثاني انكاره فالامر بالوفاء هو الفضيلة التي اختصت بالانسان دون غيره من سائر الحيوان والامر بالضد هو الرذيلة والعياذ بالله منها . والتربية والتهذيب اعظم شيء مظهر للفضيلة فعلى من يبلغون هذه الدرجة القصوى ان يزرعوها في عقول الصغار ليربوا على محبتها فيكون ذلك اكبر باعث لتعميمها بين جميع الافراد . والتهذيب قسمان قسم غريزي في الانسان وقسم اكتسابيّ فيجده المرء بمطالعة التواريخ والسير فيسير بحسب ما يستحسنه منها و ينبذ وراء ظهره ما يستهجنه . والقسم الثاني اثبت من الاول . فعلى كل واحد ان يطرق باب العلم و يبحث في تواريخ من سلفوا و يكتسب آداباً من آدابهم ولا يستقل بالتهذيب الغريزي الذي خلق فيه

ومن وعى التاريخ في صدره   اضاف اعماراً الى عمره

وحيث ثبت ذلك فليعلم ان هذه الدرجة لا تبلغ الاّ بعد شق الانفس ومزاولة الدرس والاجتهاد وهي بعيدة جدا عمن يجعلون دأبهم ضياع الوقت في الملاهي والتنقل من حديقة الى حديقة والفخفخة باللباس والمفاخرة بالحسب والنسب الى غير ذلك من الاشياء التي تحط بقدر صاحبها وتقذف به من أعلى شرف الى اسفل درك . والانسان خلق عجولا لا يحول بينه و بين مقصده حائل

حتى يرجع مدحوراً ولذا ترى اكثر الناس يدخلون ابواب التهذيب و يخرجون منها كأن لم يدخلوا وما ذلك الا لانهم يرومون ادراك المعالي وهم على بساط الامن والراحة وقد غاب عنهم قول من قال

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

فعلى الانسان ان يثابر على ادراك الكمال و يواظب على ارتقاء سلم الآداب ولا يرضى من الغنيمة بالاياب . ولابدّ دون الشهد من ابر النحل

٤٤٢ وكتب صاحب السعادة مصطفى بك نجيب
يصف نظارة و يشكر من اهداها

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد الكتاب المطرز بحلي الكرم المحلي بجميل النعم واستلمت الهدية فسلمت يد اهدتها وحفظت السجايا التي لمحاسن الاعمال هدتها ودامت رحاب لمثل هذه الحسنات فيها مجال وللحسنات بهاء وجمال وللآمال محط رحال وللمقاصد كعبة اقبال وطابت نفس تعالى الله ان تماثلها نفس عصام فانها نسخت آية الكرم والاقدام بآية الجود والاكرام وفعلت في القلوب بالعطاء والنوال ما قصرت عنه الرماح الطوال وتأملتها فأرتني ما لا عين رأت واظهرت من محاسن المناظر ما اعمرت وقربت كل منظور بعيد وتلت فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وصافتني بصفائها فلم اشته شيأ الا جمعت بينه و بيني وصح علينا قول القائل رأيت بعينها ورأت بعيني ثم سرحت نظري في الاطلال والرسوم حتى نظرت نظرة في النجوم فلم تخف عني شجرا ولا مدرا ولا نجماً ولا قمراً يزيدك وجهاً حسناً اذا ما زدته نظرا ببهاء يخيل لي انها صيغت من ضياء فلو كانت في يد ذلك الظمآن استغفر الله لما كان يحسب ان السراب ماء استغربتها العقول

حتى صار لكل انسان فيها نظر واطّلعت على تفاوت الناس فجاءت لكل بصر بقدر ونال بها كل قصده ومرامه واستوى عندها اعمى واعمش ثم ذو بصر وزرقاء اليمامة فلو كانت عيناً لكشفت حقائق الضمائر ونظر بها تقلب القلوب وحقيقة البصائر شهد لها الجمع بالفضل لما ظهر لكل انسان لديها حالة ضعفه وعظم مقدارها كل فرد ورفعها رغبة منه اورغما على انفه ولا عيب فيها غير اني نظرت بها في سماء فضلك الباهر وافق شرفك الطاهر فلم ينكشف لي بها لجودك آخر لا زال كرمك بعيداً حده على كل ناظر و باصر وفضل مناهلك غاية تقصدها الأوائل والأواخر

٤٤٣ وكتب اليّ صديقي الشيخ محمد توفيق
افندي العطار من كفر الحمام يعاتب

لك الله وان اطلت الجفوة على غير ساقط في هفوة تحري رضاك وتحرز من جفاك واحتقر رسائله على كثرتها وعاد فاسترسل بهذه على علتها فان امتطى صهوة الطروس غير باسل واحتسب نفسه الصعلوك في صف المراسل فمن حملك الطول و بقدرك الحول وان كنت تدارى امثاله وتواري سوأة الساقط بمالك من الجلالة فعليك ان تديم حصول هذه الخلة وتسد بمالك من الفضل تلك الخلة فانا ممن يراقب الامداد و يتشوف نور غرس ذاك المداد فانه يراعك يعمر مسراه و يحمد سراه ولك اليد البيضاء عند ذوي المقام والجمل الواضحة الزاهية الأهلة بحسن القيام فلم حرمت على محترمك التراسل وابرمت على غير محترم أسباب التحامل مع اني لك وللغير صاحب لا يلوي عنانه ولا يكبح جنانه سليم في معاملته حميد في عقباه عند مواصلته

اذا رأوا كريهة يرمون بي رميك بالمرجاس في قعر الطوي

وقد اذهلني عن تقديم التحية والتسليم وسياق عبارات الاجلال والتكريم ما فاجأ الفؤاد من الاشواق وما تحامل على القلب بسبب طول الفراق والآن عدت والعود احمد الى ما وجب لأؤديه ولمقام يجب احترامه فبأشرف التحية اهديه ولا ازيد في السياق غير الدعاء لجنابه بالارتقاء ولي بقرب التلاق ادام الله علاه آمين بجاه السيد النبي ومن والاه

٤٤٤ وكتب الي الشيخ عبد العزيز خليل

مدرس اللغة العربية بمدرسة طنتدا وهو من المتخرجين علي

سيدي الاستاذ دام سعده

كتابي وجهته ليقدم من واجبات الاحترام وانواع الاجلال ما يليق ان يقدم من ولد بار الى اب شفوق وشفعته بهذه الرسائل التي سالت من القلم على جوده وانضجها الفكر مع خموده لتعرض على مسامع الاستاذ الذي شاد للادب مناره واعلى للغة العربية اعلامها فان رآها كفؤا لان تنتظم في سلك مؤلفه الجديد و كتابه المفيد علمت ان مهندي باق على عهد صيقله والافان طول البعد وتقادم العهد تطاولا على فكري ففيراه الى ما تراه على ان ذلك لا يحول دون قبول بضاعتي وسط الاصناف فتبين للمطالعين قيمة الرخيص والثمين وتميز الغث من السمين وفي الختام أسأل المولى تعالى ان يحيى بهذا الكتاب روح الآداب و يجعله تذكرة لأولى الالباب آمين

٤٤٥ وكتب ايضاً يصف القلم

القلم هو آلة الكتابة وعنوان النجابة يتخذ من نبات مخصوص يسمونه البوص اجوده ما كان لونه الحمرة تضرب الى السمرة وقد يتخذ من المعدن ليكون امتن يخط به على سطح الاوراق كل مارق وراق و هو مشيد العمران في

جميع الازمان و به قيام النظام بين جميع الانام فأكرم به من امين يضبط اعمال الدواوين ويحفظ الحقوق المدنية كما يحفظ الاحكام الدينية وتثبت بكتابته الآيات القرآنية كما يروي بمداده الاحاديث النبوية فمن ذا يجاريه وقد فضله باريه وجمع كل المحاسن فيه وجعله اليد والساعد والعضد المساعد لنشر العلوم والآداب وتفصيلها باباً بعد باب يحفظ معناها و يجلو معاها ان محيت آثارها من صدور حامليها فلا تمحي آثاره من سطور كاتبيها فهو بلامين احد اللسانين يترجم عما في الجنان بأفصح بيان وربما افاد الانسان اكثر من فائدة اللسان فانه يحضر الغائب وان طال بعده و يجدد الفائت وان قدم عهده تقرأ الكتاب وكاتبه قد غاب او دفن في التراب وترى المؤلف تمضى عليه الالوف وهو بين الناس معروف ينتفع به القاصي والدان على اختلاف الازمان طعنة بسنانه تهزم الجيش بفرسانه انبوبة من الغاب تفوق في الاصلاح انابيب الرماح فكم فك الكروب وابطل معامع الحروب

قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها كرم السيول وصولة الآساد

وحق من علم بالقلم ان فضله اشهر من نار على علم وكفاه فخراً ان الله تعالى اقسم به في محكم كتابه فقال (ن والقلم وما يسطرون) وفي هذا منتهى الفخر وقضى الامر

٤٤٦ وكتب الشيخ عبد العزيز جاويش

مدرس اللغة العربية بمدرسة الزراعة يعاتب وهو من المتخرجين علي

سيدي مالى اراك كمن نسي الخليط وتجرد في الصحبة عن المحيط والمخيط فاذا ما صادفتك صدفت او انصفتك ما نصفت اتظن اني قعيدة بيتك او

رهين كيتك وذيتك فوحقك اذا آنست من يدي مللاً او من قدمي كللا لنجزتها البتات وكلت بنقصها الذات ولواني آنست من الزاد فترة او من الشراب عسرة لطعمت الطوي واستقيت الجوي فكيف اداعب وتصاعب واحالف وتخالف واواصل وتفاصل واجالب وتجانب لبئست مطيتك التي اقتدعت وشرعتك التي شرعت فوالله لولا ان الحب حادث لا يتقي بالتروس ومعنى لا يدب الا في النفوس وسهام لا ترمي الا من قسي الحواجب ونحو اوله المعية وآخره الجوازم لما افترست الظباء الصيد ولا ملكت الاحرار العبيد ولولا اني كرعت من صابه والتحفت ببردة اوصابه لتعوذت منك بسورة الفلق ونبذتك نبذ الرداء الخلق ولهان على ان ادعك او اسمعك

تمرون الديار ولن تعوجوا ... كلامكمو عليّ اذا حرام

غير ان لي نفساً شبت على الحب فلم افطمها وتقادعت على ناره فلم اعصمها حتى بلغ السيل الزبي وتبددت النفس ايدي سبا الا حشاشة غفل عنها الوجد وبقية رمق الفيتها من بعد وكلما رأيت منك الشطط واعتساف الخطط عمدت الى ان اثني من رسنها واذود عن عطنها وشخصت الى المكافحة والمكافاة وأن لا أكيلك الا مثلاً ولا اسقيك الا وشلا ولا ازيدك الا فشلا

وكنت اجزيك الجزاء الذي ... على وفاء الصنع لا بخسه
وليس يبكي صاحبا من اذا ... اهين لا يبكي على نفسه

على اني بالرغم اصبح في نهار احلك من ليل وامسى في ليل اشق على النفس من وبل

وليل كموج البحر ارخى سدوله ... على بانواع الهموم ليبتلي

فان تخلصت من لقائك فالى الشقاء واذا لجأت من عسفك فالى العناء واذا

استجرت بفراقك فقد استجرت بالنار من الرمضاء

ولم اسلم لكي ابقى ولكن ... سلمت من الحمام الى الحمام

وكانك لم تدر ان دولة الحسن سريعة التقويض وأنه لابد من هبوط القمر الى الحضيض ولسوف تبلى بعارض يدانه غير ممطر وبساعة مقبلك فيها مدبر وستصبح عما قريب قد عفت رسومك ولم تجد في سوق الصحبة من يسومك

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

والعاقل من لا يختال بنفسه ولا يبني على غير اسه فانك ما نضدت لؤلؤ مبسمك ولا نضرت صورة معصمك ولا خلت الحواجب بتلك البلجة ولا طبعت بوجهك آية البهجة ولا شئت فخلقت كما تشاء ولا اتخذت عند الله عهداً وهذا الوفاء ولكن مثلك من افرغه الله في القالب الذي اختار وجعله مرتع النفوس ومسرح الابصار ونعوذ بالله من اهل النار وما علمت ان الله قد ائتمنك فاستودعك واحال ابناء ذلك السبيل على ما معك ولا يجمل بالامين ان يختلس ولا بغير الدائن ان يحتبس

ولقد رأيت من الشقاوة في الهوى ... مكر الحبيب وطيش عقل العاشق

اذا ظهر على امره غادره يتقلب على جمره لم يحذر من الله نكالا ولا لدولة حسنه زوالا واني ايها العزيز قد تقدمت اليك

ولي امل قطعت به الليالي ... اراني قد فنيت به وداما

فلا تحرمني من سائغ العفو وسابغه ولا تجعلني كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه

فاشد مالاقيت من الم الجوى ... قرب الحبيب وما اليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فلا تسول لك نفسك الاجهاز على من به بقية ولا تتخط بك الى حيث تلك الخطية فلرب يوم عشقت عرضا وما اصبت غرضا فتأرق ما ارقت الكواكب وترجع اوهن من بيوت العناكب وتخف تارة للصبال واخرى للشمال وينعشك تذكر الطلل ويهيجك عليهم تغريد الحمائم فتجول في اثرهم جولان الهائم تسال عنهم السفر وتتجشم لهم الموحش القفر ما اولاك أن تقرض قرضاً حسنا وتبتغى بما لديك في القابل ثمناً ولعلك تقول اليوم خمر وغدا امرويد في الماء ليست كيد في الجمر فاعلم ان غاشية من غواشي الوجد تحبط من جذلك وتهبط باملك وان راقك الآن واطربا راعك غدا تصريف وزن أربي وان زخرفت لك الآمال حيلة او اعجبك من روضتها خميلة

فلا يغرنك ما منت وما عدت ... ان الاماني والاحلام تضليل

فاعمل في يومك لغدك واستجز غيرك بيسط يدك ولا تأخذني بجرم الجاني المتلبس ولا تبتغ مني صحيفة المتلمس

اذا كنت مأكولا فكن خيرآكل ... والا فادركني ولما أمزق

بيد اني انشدك الذى بلى العاشق بالمعشوق وكلفه في الحب بيض الانوق وسهد طرفه بنواعس العيون وخول للحسن اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون كما قرن الهوى بالنوى والقلب بالجوى وقضى على المحب ونشر العشق فلم يحتجب وجعل الخبل يتصرف بالعقل تصرف الاعصار بالغصن الغض وعين الهجر راقبة لا ينتابها الغمض ما الذي اغرى بك الى الاعتساف وعدم الانصاف الين الاعطاف ام فتور الاجفان ام تكسر الكلام ام هيف القوام. لقد شددت ازرك والله بضعاف واستسمنت تلك العجاف وهل حدا بك الى قطيعتي اني خشن

الملمس رث الملبس لم أمنح كما منحت نضرة ولم البس برقع البياض والحمرة فاعلم انك ان نظرتني بعين الرضا ورحمت فؤادا يتقلب منك على جمر الغضا فستجدني صديقك الذى لا يبطره الوفا ولا يثنيه الجفا املك لك من لسان واطوع لامرك من بنان اكتب فاين لعبد الحميد الكاتب كقلمي واشعر فاين الشعراء إلا تحت علمي وابذل فاين حاتم من كرمي واحلم فاين احنف من حلمي

وحسبك فخراً ان يجود بنفسه ... على رغب من ليس يأمل في الشكر

ومن يحتمل في الحب مافوق كاهلي ... فحسبك حلما ان يقيم على الهجر

فان اصخت الى الداعية ووعيت كلمات لا تسمع فيها لاغية فاليك الجزاء وعلى الوفاء والا فالفرار الى الموت امر يسير والقبر للعشاق قليل من كثير

الحي لا يموت الا مرة ... والموت احلى من حياة مرة

وحسبي أن شفعت بك رسالة ابن زيدون بهذه العذراء واتيت بافانين لم تعبث بها الكتاب والشعراء والسلام

٤٤٧ وكتب الشيخ عبد الوهاب النجار

مدرس اللغة العربية بمدرسة طنتدا يعاتب وهو من المتخرجين عليّ

ماذا يقول مولاي في عبد له بين ثيابي ورقيق تضمنه اهابي قد وقف لسانه على شكرك وعمر اوقاته بذكرك حتى صار ملهج لسانه ورياضة جنانه فهو لا يدين بغير الوفاء ولا يعتقد ملة غير الاخاء غيران الاقدار صرفت ازمته ولوت اعنته وثنت من همته ودفعت في صدر عزيمته فصدفته عن اتمام واجب الحقوق والبست اخلاصه ثوب العقوق وجرعته القذى وسامته الاذى ولم تغادر له لديك حالة الا اعارتها استحالة ولقد القى بمعاذيره اليك فنبذتها ظهريا وحسبتها شيئاً فريا واقطعت عذره القلا جانباً وانثنيت مجانباً وضننت عليه ان تصافحه

براحة الصفح الجميل وما كان اولى منك أن يحمد مغبة الوصول و يحط في جناب قبول وهلا تخطيت المؤاخذة الى الرضا وطويته على عره وابدلته بالعرف من نكره حتى يسمع منك لقد قبلت على ما فيك من عوج هذا وانا على ما يعهده سيدي من شدة شوقي اليه وللسيد الرأي الراجح في تشريف عبده بما يخفف عنه بعض ما يجده للبعد واقبل يا مولاي وافر الشكر من الخادم المخلص

٤٤٨ وكتب الشيخ عبد الرزاق القاضي

مدرس اللغة العربية بمدرسة عابدين يتشوق وهو من المتخرجين عليّ

اخا الوداد وروح الفؤاد

كتبت والشوق يحدوبي اليك و برحاء التباعد واجدة عليك والله يعلم ما في الضمير من لهيب الزفير ولواعج الاشتياق وحر نار الفراق فبعض لحظات الغياب سنون واحقاب ولذا صرت استنشق الارواح علها تجلب الارتياح وأشرئب الى لقاك واترقب نظرة من محياك لتبرد غلتي وتشفي علتي و يزول صداي وابلغ مناي فاني اراني لبعدك وطول عهدك لا اميل الى روضة غناء أو غادة هيفاء تركت الرقاد ولزمت السهاد حتى عراني الذبول ولحقني النحول فمنّ على اخيك ومن لا يود تجافيك باللقاء فقد طال الشقاء فان ودادي لاخي الادب كريم النسب انساني كل من سواه حفظه الله وابقاه كيف وانت الصديق الصفي والخل الوفي نديم الادباء وسمير الملوك والامراء لا يمل حديثك ولا يشقى جليسك فلي العذر فيما اقول وان كان فيه فضول ولكن صناعة الادب يامعدن الحسب تحمل انا كاتبك عسى يلين جانبك ادامك الله رافلا في حلل السيادة راقيا سلم السعادة ما اورقت الاشجار وسجعت على اغصانها الاطيار

٤٤٩ وكتب الشيخ مهدي أحمد أحد طلبة

قسم المعلمين العربي يرثي صغيرا لم يبلغ الحلم

موت الصغير مصيبة لا تنقضي ... غاراتها وكميها لم يقهر
قسماً بمن يحيي رفات الخلق ما ... فقد الهشيم كفقد روض مزهر

حق لك ياعين أن تبذلي نقد الدموع وتضرمي نار الاسى بين الضلوع وتنحري الكرى بمدية الحداد وتعتاضي عن النوم بالسهاد فقد مس نفس الفضل الكمد وأصاب جفنه الرمد وطمست آثاره يد المنون وعصفت به ريح الهون وغاض بحر المجد ونضب بئر الرفد والحزم طوى منشوره ومحيت سطوره وعفا رسمه ولم يبق الا اسمه حيث دهمنا الدهر بصرف تدكدك له الطور وغاض منه البحر المسجور وكرت علينا أحزاب الهموم زمراً ونحن في كهفها نرى عبراً نريق غرب الدموع كما أراقه على يوسف يعقوب ونشق الكبود بباتر الاسى لا الجيوب والقلوب تتلو سورة الانشقاق والعيون تجود بوابل دمعها المهراق والصدور كتبت في طيها سورة اللهب حيث استرد الدهر منا ما وهب كأنها تروي صديان الثرى وهي تضرم نار القرى والجسم عصفت به أعاصير النحول الذاريات وتوالت عليه مرسلات البؤس المغيرات ورمته بما لا يحصى عدداً من السهام القارعة حين تهاوت شهبها في ليل تلك الواقعة فعبس جيش الصبر عنه وتولى وتركه أسير الاحزان وولى فتبا لدهر كسف منا ذلك البدر وجعل موعد لقائه الحشر وسحقاً له من خؤون طبع على الغدر ومحاولة الاتيان بالنكر وتعساً له من حاكم ما زاول الوجار لقضاء الأوجار أيحسن أن يكون المنون هو الغاية والرغام هو البداية والنهاية هذا وكم ضرب نبعا بغرب ووصل صقراً بخرب وجدع انوفاً وهيج حتوفاً ونصب شرك لأواء وأقام سوق عزاء وكم قلب ظهر المجن واثار غبار الاحن فلا يغرنكم

خلب برقه ومرسل ودقه فوراء ذلك رعد يشيب الوليد وصواعق تذيب الحديد وهو ان صفا أياما تكدر أعواماً وان أضحك شهرا ابكى دهرا وها هو قد وقف بالمرصاد وعضنا بانياب حداد واستلب منا من كان لعسا في شفته ونجلا في عينه وعقدا في لبته وعبيراً تتأرج الأرجاء عند هبته وروحاً لجسم المجد وانساناً لعين الرفد وزنداً لكف الدين وواسطة لعقد المتقين وحرماً للآمال أبيح فيه صيد المال سطا عليه المرض فلازمه ملازمة الغريم والكلب لاصحاب الرقيم فقطف زهرته وأسقط ورقته وقصف غصنه وهو رطيب وابلى برد شبابه وهو قشيب وضيعه درة وكان أطلعه غرة فلتهنأ به الجنان وليبكه الزمان فهذه الارض حين أشفقت عليه من الاعداء وضعته في الاحشاء فأصبح في بطنها ذخراً كما كان على ظهرها بحرا والماء ذاب منه الجثمان والرغام أدركه الهوان والسماء لبست ثوب حدادها والارض اشتعل ضرام الاسف بفؤادها والسحب تفيض عيونها عند ذكراه والنسيم لم يعتل الالعلمه بمسراه والشمس تدور لتفتش عليه الآفاق والقمر يعتريه آونة ادكاره المحاق والسماك اعتقل رمحه لاسترجاعه من رمسه وأيس الآخر منه فكان اعزل ليأسه والكون لهذا المصاب حدث فيه كل عجاب فما عهدنا قبل فقده ان ليثا سطا عليه الوعل او بحراوجب له الغسل او سفينة حملت بحراً او كوكباً حل بلقعاً قفراً او لحدا ضم احداً او ميتاً نسأمال الى القفار واشرب قلبه حب النفار نعم ابقاك الله هو السيف اغمد في قرابه والليث وغل في غابه والكنز حفظ في الرغام ليكون ذخراً مدى الايام فترفق ايها الجدث به فقد نزل بجرعائك القطر وضممت من صاغ سوار المجد في معصم الدهر فقضى عمره وهو في معاناة الدروس لا معاقرة الكؤوس وشتان بين اخي اللهو الغريق في الزهو و بين اخي الكتاب والملازم

للمحراب الهم الله اباه الصبر وجعل له بهذا الفادح خير اجر

٤٥٠ وكتب الشيخ احمد علي عمر الاسكندري من طلبة قسم المعلمين العربي يصف

بينا انا ذات يوم يطارحني الفكر رويه و يناشدني الامل على غير روية وتتعاقب على اجزاء فؤادي المنهوك اسباب القبض و بئست المعاقبة و يكانفني من ثقيل الهموم مراقب ولا حبذا المكانفة والمراقبة و يتقاضاني من الامل المنخرم غريم اذا عرض لزم اذ دخل بيتي خليل لا يمل وصديق تبرئ ملحه من ضروب العلل فقال ما بالك سريع التغير طويل التفكر قم بنا نلتمس الصفاء حيث الهواء والماء ودع الاماني تتنكب والزمان يتقلب فما غلبك مثل المغلب حيث سلاسل النيل تتكسر بين جنات وخمائل ونحن من قوم يقادون للجنة بالسلاسل فقلت مرحى لا ابالك قد اجبت سؤالك فانتضينا العزم الاحد اصيل يوم الاحد فما نحن قد شارفنا القصر بعيد العصر على مسافة كانت عندي لولا ذلك الصديق كمسافة القصر حتى خلنا من الضوة والركض ان قد بدلت الارض غير الارض وكل قد عرض على مرأى العالم مطارف غنيته فلله من يوم العرض والناس للكوبرى مابين عربة وفيتون قد اقبلوا اليه يزفون و قد حكم عليهم شارع الكوبري ان يكون نقطة تلاقيهم ليجوزوا النيل وحكم الشارع فيه الجواز وان يمشوا فوق الماء وذلك في الحقيقة على المجاز فسلكنا مع القوم ذلك السلوك ولزمنا الحيادة الى جانب السلوك فاذا نحن بكميت النيل يجري في مضماره وقد اثار من خلفه الصعيد على آثاره فلم نكد نستشرف شرفات القنطرة ومعالمها المشهورة الا وقد اعترضنا من القساور ضيغمان كانهما على رأي العين حاجبان وقد اقعى كلاهما كهرم الجيزة او كبرج بيزه ور بضا والظباء بين ايديهما

سارحة والجآذر من بينهما غادية ورائحة فقلت يا للعجب قد استدجنت السباع وآثرت المناصب على القلاع والتبست القرينة في عرض الكلام اذا قيل رأيت اسداً في الحمام ولكنا ما لبثنا ريثما نعجب ونتعجب حتى اخذ بالبابنا ما هو اغرب من ركبة جمعت بين المالك والمملوك والامير والصعلوك والآحاد والجوقة والسروات والسوقة والرجال والجواري والظباء والضواري والشيخ والغلام والدواب والانعام فما كنا نرى الاسربا يتجمع وربربا يتسرع ودفاعاً يتدفع فمنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ما بين طافر بعجلته وسائق لعربته وراكض بفرسه وزاعق بجرسه يقربون ويبعدون كأنهم الى نصب يوفضون فمن عربات اعربت عن الترف والنعيم وهبت بسراتها كما يهب بالغصن النسيم واحلتهم من قلبها بالصميم وطارت بين الماء والهواء وجرت بهم في السواد الاعظم فهي جارية سوداء تمشي من الاشفاق على عجل وقد انتعلت من الحديد حينما علمت ان عثرة الرجل لا تبرأ على مهل خفضت لراكبها جناحيها فارتفع عليهما بلا اجناح وفتحت لعاملها ذراعيها فجرها بهما من غير جماح وتميزت عن غيرها من الحروف والانضاء ولو علمت افعالها الصحيحة من العلل في الزمن الماضي لصحبتها دعد واسماء ولأبدلتها عن كل الرواحل من غير استثناء ولو بلغ ابن هانئ خبرها لم يشبب في مبتدا قصيدته بالنكلة السيراء قد اتصفت بجميل النعوت لولا انها تفتح للرجال حضنيها وتضم على الغانيات كشحيها كأنها وقد اشتعل عيناها من بعد دلفين أظهر شوكته او قيطس رفع ذنبه واتخذ سوط الحوذي ناقورته فنعمت القرينة في المركب والمضجع لولا انها من ذوات الاربع ومن فيتون خلع العذار وفك الازرار ورفع الستار واستوى عنده السرار والجهار وساقه الى منازل الانس ادكار نخف منه الطبع واكتفى بالمثنى عن الجمع فكان

في العدو خفيفاً وفي الشكل ظريفاً ومن عجلة تمشي على اثنتين وتسرع في التنبيه عن ذي اليدين وتسبق السوابق بلا وجل ويسير صاحبها على عجل وقد خلق الانسان من عجل ولو رآها الفقهاء تمر في ضيق الانبوبة وهي مثقلة لم يقولوا الشارع ما تمر فيه العجلة ومن خيل تمشي الخيلاء وتجري بفرسانها كما يجري النسيم على الماء من كل ادهم اقترحت جبهته لا لعلة واذا اقترح الناس عليك السؤال عن غرته فانما يسألونك عن الاهلة عنجوج لهموم سرحوب جموم ومن اشقر اجرد كذوب العسجد كانه وهو طمرّ يعبوب مرآة طبعت فيها الشمس عند الغروب ومن اشهب نهد اقب قوود مجنب قد استغنى مالكه بصحبته عن غيره وحبذا صحبة مالك لاشهب كالصبح وضاحة والحق صراحة ومن كميت امتزج مع الهواء امتزاج الكميت بالماء اقب هريت قيد الخريت طموح غير جموح ومن احم مطهم ذيال شيظم كطوق الورقاء او الاثمد في العين النجلاء ومن قرطاسي وأشهب صنابي ومن ازرق اشق امق من كل هيكل لو لمحته ينتشر كالكهرباء في المعادن لعلمت ان ذوق امرئ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل يطرطق بآذان كالاقلام وذيل كمنعكس اللام او خطاف الفخ او ميم النسخ وقد اعتلت صهواتها كواكب فرادي وكواكب من شيخ جاوز حده وشاب بلغ اشده وغلام قاصد وفتاة ناهد قد ابت الا ان تخالف الرجل في الاوصاف فركبت جانب الخلاف والكل الى حدائق الجزيرة يركضون والى اجتلاء مناظرها الانيقة يتسابقون فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون حتى اذا ما شققنا كبد القنطرة وقفنا على الرصيف وقفة غير مديدة وبعض الناس كان على الحديدة فاذا الرجال ما بين مصري اطال الاكمام وعقد الحزام وقال بلسان زيه لقد تميزت عمن دوني متى اضع العمامة تعرفوني اوانزلق في ثياب اضيق من القراب وتقلد الشهامة واعتقل السلامة

من صغير و كبير وامير ووزير ومن تركي انصلت كالسيف الهندي ومن رومي رفع قبعة قد التفت بالحرائر وعقدت على امثالها عندهم الخناصر واذا الغانيات خرجن من القصور كانهن الحور قد غفل عنهن رضوان فهربن من الجنان وتغلبن على بني الانسان فابدعن ترصيع الحلي ومشين الخيزلي واستخدمن ظباء الفلا وضرب الله بتناسب اشكالهن على كمال قدرته مثلاً وتبخترن في مدبج غلالات رقت اشفاقا فلبسنها طباقا وتهادين كالغصن النضير نظرا لمراعاة النظير وحللن حين عقدن شعورهن عزائم الرجال فراحوا بين حل وعقد وعكسن من اشعة الجمال ما اطرد على حبات القلوب فلله من ذلك العكس والطرد وبالغن في اختصار الخصور وجانسن بين الاعجاز والصدور وتعللن بان ذلك الصدر الاعظم اذا اشتبه في امر جعل الخصر سلكا برقيا ليرد عليه العجز وناهيك برد العجز على الصدر وقد قسم هذا الجمع المؤنث الى مفردات متشابهة بتفريق عربات تفوق في المقابلة الظليم فانجذبت ابصار الناس الى تشابه اطراف ذلك الجمع مع التفريق والتقسيم واذا الفتيان وقد ركبوا تلك الخيول السلاهب كانهم الكواكب واستلفتوا انظار هذا الجمع المتعدد حينما هزهم من الخيل المقيم المقعد فشاهدت من هذه المناظر ما ادهش فكري مما لو رآه ابن الجهم لم يقل عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري ولقال عيون المها بين الجزيرة والقصر رمين قلوب الناس في شرك الكوبرى هذا والكوبرى تهتز معاطفه فرحاً بتلك الجموع وقد انهكه حبها فبدت منه الضلوع وقال حينما علم ان الناس وقفوا في هذه الساعة ليعلموه بأن التصبر في الحب اجمل وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لاتهلك اسى وتحمل كانه وقد قام على الماء والحوت وحمل الارض على ظهره في الهواء الثور الذي زعم القدماء انه يحمل الارض وهو محمول على الحوت والماء او كانه الصراط الا انه سهلت عقباته

فكان صراطاً سويا ومرت عليه الناس على قدر درجاتهم واعمالهم في الدنيا او كف نبعت من بين اصابعها المياه فاغنت معجزتها عن القال والقيل او شبكة نصبت لصيد غزال النيل فلم تمسك منه الا كما يمسك الماء الغرابيل وقد علم انه على مدى الدهر مقيم اذ يرفع منه القواعد اسماعيل بن ابراهيم وترفع بصحبته الصخر والحديد عظما وكبرا وقال للخشب انك لن تستطيع معي صبرا وثبت لتقريع العربات ظهره وهو يقول وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول وقد رفع على رأسه حجابين كانهما القباب فمشيت بينهما كاني بين خافيتي عقاب وامر ريح الصبا ان تهب من بينهما فهي تجري بأمره رخاء حيث اصاب وكلاهما قد نسج من الحديد فصار أعقد من ذنبة الضب ونصبت على عقده المصابيح فافادت هذه العقد والنصب واشتبكت اضواؤه اشتباك سدى الثوب المصفق فكانت اعقد من بيت الفرزدق وقد جرى النيل من تحته جريان البختي وحق له حيث ضم الناس في حوزته ان يقول أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وقد انجلى النيل كانه عروس رقت مشية وعطفا او ملك عادل على مدى الدهر لازال مستعملاً للخير يفشي في مصره العرفا وخطيب از بدت شقاشق خريره يبث روح الخصوبة فيما حواليه من البقاع وقد حسدته على ذلك انهار الدنيا فكان شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر و يسمع واع وما زلنا بين احد الرصيفين نمشي الهوينى و بعض القوم يسقط بين يدينا حتى اذا ماجئنا الجزيرة وفتحت أبوابها وكانت من الآساد حجابها فاذا نحن بمناظر تبهر الابصار وجنات تجري من تحتها الانهار وغياض ونسيم ونعيم مقيم وارض ارتدت برداء السماء فسرت فيها الشموس والاقمار خلا انها ليست بذات ابراج قد دارت في رحبتها دائرة حديقة جمعت من اللطف أحسنه كأنها فلك البروج قد نشأت

عنها الشوارع الأربعة كما نشأت فصول السنة فسلكنا الشارع الايمن حيث انتعشنا جسما وقلباً واجتلينا مامنح الله به هذه الجزيرة ازهاراً ونخلا وحدائق غلباً وفاكهة وأبا قد رصفت القهاوي على الجسر كالدر ظرافة فروحنا الصدر بين الجسر والرصافة من كل حديقة نضيرة لو رآها معاوية لآثر على الشام ارض الجزيرة وبينا نحن نسلك هذا الشارع الذى يحيط بالجزيرة احاطة الدملج او الحدقة بالطرف الادعج اذا شبان الوطن تمشى الخطران وتهب الى الدالان في خلال الجنان الى حيث القهوة والحان اوقفوا الفياتين والعربات كالحجاب على الباب وسلبتهم الروم بعدما بالخمرة غلبوا واشرقت دماء هيجائها على جلودهم فهم قد سلبوا واشرقت الدماء عليهم محمرة فكانهم لم يسلبوا واذا الغواني كشفن الستور وتمثلن بالبيت المشهور من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور فاجتلينا هذه المطالع في شارع نزلنا دوحه فخنى علينا حنو المرضعات على الفطيم يصد الشمس ان هي واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم حتى اذا ما جبناه مال صاحبي الى جمع ونزلوا بواد غير ذي زرع فلم اوافقهم على هذا المشرب ولكنني كنت امرأ الى جانب من الارض فيه مستراد ومذهب ثم التقيت بهذا الجمع الصحيح حينما اوقدت المصابيح ورجعنا ولسان الازهار ينشدنا

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

٤٥١ وكتب المرحوم السيد عبدالله نديم

في الخامس والعشرين من ربيع الأول

لسنة احدى عشرة وثلثمائة

بعد الألف وهو في يافا رسالة طويلة

لصاحب السماحة والسيادة السيد توفيق

البكري سماها رسول المقة الى

قطب الثقة وهذه قطع منها

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي واسم الله تعالى جؤجؤ هواديه وحمده جل شأنه لؤلؤ غواديه والصلاة والسلام على منبوه الاسم منبع معانيه والترضي عن الآل والصحب رونق مبانيه والسيد الموجه الخطاب اليه المعول عليه تشرف فاتحة كتابي باسمه محمد وتكشف الغماء بولاء جده المصمّد من بهاديه عليه الصلاة والسلام حسن البأو لقريش المباني والخَيم كما به رضي الله تعالى عنه كان الشأو لجحاجح بني تيم فهو في جبهة الصحبة ناصية معقصوصة وفي رأس الخلافة احسن ارصوصة يدلى اليه السيد بأصيل نسب وأثيل حسب ويمت بخيم ذي الأصاة وحكمة تام الحصاة وفضل بعيد الصيت عظيم الجاهة عليّ الهمة حسن الوجاهة فياسفير الوداد ورسول الاستمداد خذ هذا الكتاب مني اليه واجعله وسيلة للوفود عليه فان اذن لك بالدخول من سدته في مَرَب أودّته فقابل الاذن بالشكر واعلم انك في حضرة ابي بكر وقل السلام على ابن اول الخلفاء واحد اماثل الخلفاء وواحد الامة في الصديقية وعلو المنار وثاني اثنين في العريش والغار السلام على ملتقى النسبتين ومنتقى الوصلتين من القت اليه الشرفاء والخلفاء الازمة ورفعت بين يديه اعلام الأئمة السلام على خطيب منبر النصاحة وامام محراب الفصاحة المصقع الفخم كلامه البديع نظامه والسميذع الآهل رحابه المتبوع ركابه فان اشار باخذ الراحة وحط الخرج فانشد في آل بكر قول ابي البرج

لهم شمس النهار اذا استقلت ... ونور ما يغيبه العماء

هم حلوا من الشرف المعلى ... ومن حسب العشيرة حيث شاؤوا

فأما بيتكم ان عد بيت   فطال السمك وارتفع البناء
واما اسه فعلى قديم   من العادي ان ذكر الفناء
فلو ان السماء دنت لمجد   ومكرمة دنت لكم السماء

ومتى حياك وبياك وقال من اين مسراك ومن اسراك فقل يافامنشئي والنديم منشئي وانا رسوله الى جامع الأصول الشريفة المشار اليه بقول خلف ابن خليفة

الى النفر البيض الاولاء كأنهم   صفائح يوم الروع اخلصها الصقل
الى معدن العز المؤيد والندى   هنالك هناك الفضل والخلق الجزل
احب بقاء القوم للناس انهم   متى يظعنوا من مصرهم ساعة يخلو
عذاب على الافواه مالم يذقهم   عدو وبالافواه اسماؤهم تحلو
عليهم وقار الحلم حتى كأنما   وليدهم من اجل هيبته كهل

جئت لاخرج طير الرحلة من القفص واقص عليك احسن القصص فقد قابل صديقكم الامر بالطاعة وكتب بقدر الاستطاعة قال ودعت السيد وهو يعلم السبب وما فيه من العجب وأمر كان فيه اليدَ الدافعة والكلمة النافعة غنى عن البيان برقم البنان

وما لي من ذنب اليهم علمته   سوى انني قدقلت يامرحة اسلمي
نعم فاسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي   ثلاث تحيات وان لم تكلمي

ثم اعروريت على قطار البخار واقلوليت على باخرة البحار وانشدت

امصرولي في كل شبر محبب   احن اليه دام فيك سلام
احبك حبا يستحيل نزوعه   عن القلب الا ان يطيرغلام
وداعك سهم في حشاي نفاذه   وفي كل عضو طعنة وكلام

ولكن عودي والاله قضى به   يعود به ما ليس فيه ملام
هنالك يحلو في الرجال ثناؤنا   ويحسن في مدح الخديو كلام
ونشفي من الداء العضال بجزمه   ويذهب عن جو الصفاء ظلام

ثم عانقت الاهل المودعين وصافحت الاخوان المشيعين وسرت في الفلك المشحون حتى بعد الوطن عن العيون

ففاضت بدمع يغسل الخد وبله   حنانا واشواقا لاقلاء ولا بأسا
وقمت لادعو للبلاد واهلها   فقلت كفيتم فتنة ذلة بأسا

ثم صرنا في لجة مالها ساحل وتحقق الركب انه راحل فاذا الماء كالسماء او هو الصورة وهي الماوية ونحن سائرون في اسفل الكرة السماوية

ومنها بعد وصف البحر والسفينة

اما الشام على العموم فامره معلوم قد غابت الفاقة على اهل القرى ولم يمنعهم الفقر من القرى والجهل ضارب الاطناب في تلك الرحاب فالفلاح عائش بالالهام وقليل الكلام لايعرف حساب الجنيه وربما يعثر عليه فهو بماسرى عنده من الجهل وانتشر كفلاح مصر في القرن الثاني عشر والوجهاء والاغنياء العظام احتكروا البلاد بالالتزام فهم في تنافر وتناد على النهب والاستعباد والفلاح الواقع في ايديهم يرى الموت اخف من تعديهم

٤٥٢ وكتبت اصف المطر

هجم الشتاء على الخريف في جيش لفيف يقدمه الغيم والبرد ويسوقه البرق والرعد حتى اذا اعياه الطلب وامعن الخريف في الهرب نفث الشتاء نفثة مصدور بين العرصات والدور فزجر من الجو غرابا واسال من فيه لعابا فاكفهر له وجه الافق ورمقته اعين الطرق وباتت السماء تحلب اشداقها

وتسفح آماقها وترسل لنا نهراً وان دعوناه على المجاز مطرا فسالت به الاودية والصحاصح كما سالت باعناق المطى الاباطح فبتنا بليل ماطر واصبحنا بين ماء غامر واضحينا والسبل في شرق والحارات في غرق والمنازل تعوم كالبط غير أن لا شط وتسبح كالاوز من غير هز كانها سفائن بحار اقلعت عن الاسفار خلع الماء على جدرانها حبولا وعلى رأسها اكليلاً والناس بين هم الاعمال ومعاناة الاوحال قيدتهم البيوت عن طلب القوت فان لواهم الجزع بعثهم الطمع وان قعد بهم اليأس دفعهم خوفه البأس غير ان السعيد من اهان درهمه ليصون قدمه وركب العجلة ليدرك امله والشقي من كلفه البخَل خوض الغمر والوشل فكان الناس بين هم ناصب وحال شاحب وشدة ولين وماء وطين وعثرة بالرجل لا تبرأ على مهل فكم رجل لطمه الجدار فقال لو ذات سوار ونقطه الوحل بدرهم مزيف ودينار لا يصرف ورمته العجلات بكثير من الهنات واصيب من تلك المشارع بما لم يعف عنه الشارع وصبغت منه الثياب واستقت رجله من غير شراب وكم حمار هوى جانبه فسقط راكبه سقوط الجبان وسط الخيل او كجلمود صخر حطه السيل وقام مغلول اليدين اشغل من ذات النحيين

وسخ الثوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغلام

ترميه العيون وتشيعه الظنون ان اراد الركوب منع وان فر صفع فما هو الا ان يبذل ديناره ليغسل عاره و يتفادى من اللوم بعض هذا اليوم وكم ماش ساوره الوبل فزلت به النعل ففارقها قاليا ومر حافياً والى كم اشرح من ليس له متن يركب ولا خلة تطلب وانما هذه امور يبلو بها الحق اهليها حتى تعود المياه الى مجاريها والسلام

٤٥٣ وكتبت اصف فلاة

وبيداء مجهال كأن نعامها ... بأرجائها القصوى اباعر همل

ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس تهوي بين تنوفة صيخود وآل غير مورود والا الظباء المطافل يبغمن كحنين الثواكل والا الأسد الرئبال والاطلس العسال فالاسد يعيث في القطيع وذؤالة يعوي بها كالخليع يضل بها القطا وتتسع الخطا فلا ترى قائماً غير الاطواد ولا قاعدا الا الوهاد ولا سائراً سوى السحاب ولا مقيما خلا التراب وهو المغربل في قول الاخطل

وجوز فلاة ما يغمض ركبها ... ولا عين هاديها من الخوف تغفل

ملاعب جِنّان كأن ترابها ... اذا اطردت فيه الرياح مغربل

مع قيظ احمى من قلب الصب ولفح يذيب دماغ الضب ضربت له الشمس رواقاً من الهجير عماده يلملم وثبير اذا سلكها الركب ذكر ذنبه فخاف ربه فالقوم بين نضو وطليح حداهم التسبيح وان سار بها الدليل قيد ميل سار على غير هدى وتلون خوف التوى كما تتلون الحرباء اذا توسطت الشمس السماء فكانها يمان مُصلّ او اسير مكبل فلا تبرح عن الاستقبال او يكون الزوال فتنحدر انحدار الجندب اذا صر من لفح الحر حتى اذا آذنت الشمس بالمغيب واقبل الليل فوق اسود غربيب وقد طوى عن الافق برد النجوم وارخى سدوله بانواع الهموم سمعت للجن عزيفاً ولانياب الاسد صريفاً وهوت الغيلان بسهب صحصحان وانسابت الافاعي لتنفخ في الثرى نفخ العيس في البري فلا تمر برطب الايبس ولا تجتك بذي نفس الا أيس والعقارب تتدفق كالحباب بين الوديان والشعاب فتنفض حماتها بكل مكان وتضرب بأذيالها كل حيوان الى ظلام اسود من ليالي الهم وانكي من وقع السهم واسمج في الآماق من اوقات الفراق

وصدى يحكي دبيب النمل في السبسب السهل

ومهمه مغبرة ارجاؤه   كأن لون ارضه سماؤه

٤٥٤ وكتبت معزيا استاذنا العالم الفاضل
الشيخ محمد عبده في ابيه

كتابي اليك وقد ذوى من الخير غصن و بقيت اغصان واندك طود وقام ثهلان وسيدي يعلم ما عودناه الدهر من عارية تستلب وهبة تسترد لم يمنعه من الرجوع فيها (دمع خرقه) ولا عويل طبقه وقد بلغني وفاة الوالد الصالح وخلفك نجلا بارا كنت عنوان امانيه والولد سر ابيه ولئن مضى فعن عمر قضى شبيبته في محاربة النفس واداء الخمس وافنى شيخوخته في اعمال يرفعها كاتب اليمين الي عليين وقد اجاب داعي الله وهو طاهر الذيل نقي الجيب ولم يمت من هذا اثره وانت مخبره سقى الله من الرحمة ثراه ومن القبول مسعاه فحق على الله الكريم ان يكرم ضيفه و يقبل عبده ولقاك الصبر الجميل فلن يضيع مع الصبر ثواب بين بر وصلاح كما لا يذهب العرف بين الله والناس

٤٥٥ وكتبت الى اخينا الشيخ محمد توفيق العطار
عاتبا وشاكرا وقد ارسل الي قصيدة أنتقدها
فابطأت فارسل الي اخرى يمدحني بها
و بعدها نثر يلومني فيه على التأخير

سيدي الفاضل

كيف اعتدى الزمان على ما بيننا من الوداد فجر ذيلا وطفف كيلا وهبت مكايده فدبت أساوده ودرس ربعا كنا شدناه و بصر عمرناه فبريت قلمك وسطرت كلمك ورميتني بالبعد عنك والبراءة منك

قوارص تأتيني و يحتقرونها   وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وهبني ابطأت فمثلك من يقول لعل له عذرا وانت تلوم على ان اللوم اذا جاء من صديق وكانت القوارص من توفيق امكن رأب الصدع وائتلاف الجمع ولا اقول اني فقدت العنوان منذ زمان فلم اعلم كيف اكاتب حرا فأقابل بالخزف درا

ودع عنك نهبا صيح في حجراته   ولكن حديثا ما حديث القواعل

كيف اعارض بهذه النتف شعرا سال رقة وغمض عن غيرك دقة وغضت عيون النرجس من زهره واستحيت الظباء العفر من بدره زاوجت فيه بين الوصف والمدح والورد والسرح ورفعته عن عنجهية الأعراب فارتفعت به على الاتراب وألفت بين البلاغة البدوية والسلاسة الحضرية وجمعت بين الجآذر والضراغم جمعك بين اشتات المكارم وسامحك الله على هذا المدح الذي غت به المدى و بلغ سيله الزبى فقد اطلقت العنان للقلم واستسمنت مني من ليس ذا ورم ولكن عين الرضا كليلة وربما مدحت صبا نجد وهي عليلة و بالجملة فلا شلت يدك ولا قل عددك ولا فل سيفك ولا انقطع ضيفك ولا أفل بدرك ولا نزل قدرك ولا ثلم حوضك ولا صوّح روضك تلك المكارم لا قعبان من لبن

اولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

وكنت عزمت ان اساجلك بالشعر واساهمك في الفخر وقلت

جاء شقيق عارضا رمحه   ان بني عمك فيهم رماح

فلما اجتليت المحاسن وشربت ماء غير آسن احجمت عن النزال وقلت وراء الاكمة رئبال وما ذاك بخلا بالنفوس على القنا ولكن رأيت دلوى

قصير الرشاء وبئري بعيدة الماء فلم امتح بغير الاحجام ولم اكاتب الا بالاستسلام ثم اعود فاقول سألتني اعزك الله عن القصيدة الاولى وقد وزنتها بميزانك وعرضتها على ديوانك فلم تسمها بغير الثناء وقد تعدم الذامَ الحسناء ولكن رأيتَ النقاد وقفوا لها بالمرصاد فقلتُ

وهل انا الا من غزية ان غوت ... غويت وان ترشد غزية ارشد

فعلام لا اسلك سبيلا انت لاحبه واعاف ماء انت شاربه ام كيف لا آكل ورقاً انت خابطه ولا اتحلى بدر انت لاقطه والقصيدة لا غرو هي الغزالة الطالعة او الغزالة الراتعة او الغادة العطبول لا يعيبها الا السمن والطول الا انك ان كنت عارضت بها ابا الطيب في قوله

باد هواك صبرت ام لم تصبرا ... وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى

فقد هجمت على الاسد في غابه ولم تأمن صولة نابه فجزاك الله عن الأدب واهله خير ما جازى فاضلاً عن فضله والسلام

٤٥٦ وكتبت الى بعض اخواني متشوقاً

كتابي اليك وانا بين شوق ضرب بسهميه في اعشار قلب مقتل وصبر نأي عنه بسقط اللوي بين الدخول فحومل فها انا كلما نانا وحت الرياح من تلك البطاح اثارت من القلب لهيباً واستنزفت من الدمع قليباً او وردت تميمة كتاب من تلك القباب ضممتها تعلة لا انقع بها غلة وماذا عسى تبلغ النسائم او تغني التمائم وقد طوتنا النوى طي الرقيم وعركتنا عرك الاديم وشربتنا شرب الهيم وتغلغل الشوق لتلك المعالم بين اللها والحيازم ودب الضراء حيث لا يصل السلو ولا يمكن الغلو فقد والله قضيتها بعدك ليالي اشواق وايام فراق احلب فيها من الوله اشطراً وانظم من الشعر اسطرا وانزع الى الصبر كما نزع الجبان الى

السيف او المحب الى الطيف وانشد

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن ... زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا اخا البدر سناء وسنا ... حفظ الله زماناً اطلعك

هذا وقت لقيت من كتابك الاخير ما لقيه يعقوب من البشير وجلوت من البشرى عروس جمال تختال بين القرب والادلال فعسى ان اكون ابا عذرتها وابن بجدتها والسلام

٤٥٧ وكتبت الى اخينا الشيخ محمد حفني المهدي
مهنئاً له بابلاله من مرض

فرح العلم والقلم والمجد عوفي اذ عوفيت والكرم ولا غرو ان جذبتك الوسائد وتهادتك النضائد واحتجبت شهراً ولزمتك الحمى عشراً فالسيف قد يثلمه الضراب ويحويه القراب ثم يصلحه الصاقل وتضمه الانامل والبدر يلحقه السرار ثم يعود الى الابدار والشمس يسترها الغمام ويحجبها ليل التمام وتعود بعد الغيم الى الضياء وترجع عند الطلوع وهي ذكاء

وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه

ونعم المرض مطية التوبة وغاسل الحوبة ومعيار الاصدقاء ومحك اخوان الرخاء ولئن جنى على الجسم فقد ازال الاثم والمسك تسحقه الأكف فيعبق وربما صحت الاجسام بالعلل وقد ينجبر صدع الشمل بالعتاب وتضحك الارض من بكاء السحاب ولئن عفى الجمال فما عفى الجلال او اذهب القوة فما اذهب المروءة والشمس رأْد الضحى كالشمس في الطفل والسلام

٤٥٨ وكتبت في مدح الوطن

حب الوطن أثار البكاء على الدمن وحرك الاشجان في قلب غيلان فنثر عقده المنظوم بين الاطلال والرسوم واستهوت الايام عروة بن خزام فبكاها اظل نقاص وبين تمحص وكم ضربت اكباد النياق بين ذميل واعناق لربع عفاه الاعصار ودار خلت من الديار نعم ان الدار لاتحب للعرصات والعشق لايحمد للزفرات وانما الدار بالسكان والمرء بالاخوان ومن لايحب ارضاً غرسته غصنا وانبتته نباتاً حسناً وشحذته في يدها سيف ضراب و بها عقت تمائه الشباب وحلقت به حيث العز ضارب بين العشيرة والاقارب واقطعته النعم وارضعته اخلاف النعم ودرج منها ودب وشاب فيها بعد ان شب فاستظهر بها على المحن وافتخرت به على الزمن ان استنجد على الغريب كان الصراخ له قرع الظنابيب وان فزع جاءه المحارم ولباه جمع المذكر السالم وان املق انتجع بين العفة والورع لم يتبرج سؤاله لخاطب ولم يرق ماء وجهه لشارب فلا غرو ان جذبته لتلك المسالك مآرب قضاها الشباب هنالك ودفعه المقعد المقيم الى المألف القديم فلم يعتض عن اهله بأهل ولا عن غيثه بطل ولم يفارق حماه لمن يصفع قفاه والسلام

يقول احمد بن مفتاح قد يسر الله لي اتمام هذا الكتاب بعد الفحص الشديد في عدة من الكتب والتنقيب الزائد عن الرسائل المتفرقة فجاء بحمد الله كما اروم و يروم كل منصف كافلاً بغرض المبتدي وافياً بمراد المنتهي ليس فيه مجال للوّ ولا مسرح لليت غيراً ني وان صرفت في جمعه وتنقيحه حولاً كاملا لا أنزهه عن هفوة طغى بها القلم او زل الفكر و بالله على قبوله استعين وله الحمد في الأولى والآخرة

وقد تم طبعه بمطبعة جريدة الاسلام في ١٥ محرم سنة ١٣١٦ هجرية

الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر
ثرت	ثرب	١٠	٩	واحدة	واحد	٥٤	٢٠
والصرد	او الصرد	١١	١١	ينفقون	يتفقون	٥٥	٨
بني	بين	٢٠	١٦	يشكوي	يشكو	٦٦	١٦
اقروها	اقراؤها	٢١	١	ودائس	ودايس	٦٩	١٢
بني	بي	٢٣	٢١	فساح	فياح	٦٩	١٣
تراضي	تراخي	٢٤	١٩	نقدح	نقدح قدراً	٦٩	٢١
تؤتوا	تأتوا	٣٥	١٥	صلابى	صلاتي	٨١	١
وانما	وانك	٣٦	١٨	فاراهمكوء	فاراهكم	٩٩	٢١
والآماق	والاماق	٣٧	١٨	في امورك	من امورك	١٠٦	٥
فاني	فانه	٣٩	١٣	ان يطروك	ان لايطروك	١٠٨	٤
وعشر	عشر	٤٠	٥	وفريضته	فريضة	١٠٨	٢٠
محمد	محمدا	٤٠	١٦	فانهم	فانهما	١١٠	٢٠
وِعزازها	وَعزازها	٤٣	٢	عنهم	عندهم	١١١	١٦
من	في	٤٤	٥	فتأت	فتأن	١٣٥	٥
بها وكتب				لله	لله اولا	١٣٥	١٤
ابي بن كعب	بها	٤٨	٥	وسلم	وسلم ثانياً	١٣٥	١٤
ملككما		٤٨	٢	نا كبا	ثالثا	١٣٥	١٥
	ملككما وكتب ابي بن كعب			ويتحاوص	و يتخاوص	١٣٦	١
رسول	رسول الله	٥١	١٧	تحكم	تحلم	١٣٧	٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
يقال	يقول	١٣٧	٨
حوجا ولا لوجا	حوجاء ولا لوجاء	١٣٧	١٢
مباهل طلاحي	عياهل طلاحاً	١٣٧	٢١
الا	وما احتضر الا	١٣٨	٣
معتل	مستعمل	١٣٩	٢
لا اخدان	اخدان	١٣٩	١٥
أنوجي	أنوجاً	١٤١	١٢
و يطبعون	و يضطبعون	١٤١	١٨
واستثثارا	واستثارة	١٤٢	١٦
كاها والله ان الغيابة	كلا والله ان العناية	١٤٣	٢٠
وهور	وكور	١٤٤	٣
الا يقينا	يقينا	١٤٥	٤
لا كر	لا كرم	١٤٥	١٠
كشف	كشفت	١٤٦	٥
مستعجل . الفقير	يستعجل الفقرُ	١٤٦	١٠
على	الى	١٤٩	٢٠
بعيدة بين	بعيدة	٢٠٠	٣
داحض	داحص	٢٠٣	١
برآء	براء	٢٩٩	١٤
الالحاح	الالحاح	٣١١	٦

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
بدنا ا	بدنا	٣١١	١٨
واستنفدت	واستنفدت	٣١٩	١١
ازدت	زدت	٣٣٦	١٩
عنهم	عنه	٣٤٩	١٠
و بها مع	ومع	٣٥٠	٥
بتقديم	بتقويم	٣٥٢	٧
لطبعها	له	٣٥١	١٧
ويحسن شكره	ويحسن اجره	٣٥٨	٢
فقه	فقد	٣٦٤	١٤
و بحمله	و بحلمه	٣٦٨	٤
فاستبدلوا	فاستبذلوا	٣٧٣	١٢
ولا يهتبل	و يهتبل	٣٧٤	٧
انه	ان	٣٧٥	٥
انصاتا منا	انصاتا	٣٧٥	٨
يشد به	لشديد	٣٧٥	١٧
وطواشيها	وحواشيها	٣٧٦	٢
يبادي	يباري	٣٧٦	٥
ذم	ذميم	٣٧٧	٩
فضة	قصة	٣٨٤	٤
و بالثارت	و يالثارات	٣٨٧	١٧
بقفران	بقفزان	٣٨٩	٩
ترفش	ترفص	٣٩٠	١
يبالي	لا يبالي	٣٩١	١١
اقضيب	كقضيب	٤٠٢	١٣
تساي	تساوي	٤٠٨	٢١
الراعب	الزاعب	٤١٠	٦

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
وزواج	وزاوج	٤١٣	١٣
الاعلى	على	٤١٧	٨
يهون	الا يهون	٤١٧	٨
امنا	منا	٤٢٠	١٤
لتاتي بذلك	ليتأتى لك	٤٩٣	١٦
اناثي	اناء اناثي	٥٠٢	٢٠
وسبت	وسبب	٥٠٢	١١
العابث	العائب	٥٠٢	١٨
اقول	تقول	٥٠٣	٥
كثير	كبير	٥٠٣	١٥
زناد	زياد	٥٠٤	٢
حرم	حزم	٥٠٤	٥
ابن عادياه	وابن عادياء	٥٢١	٥
الاناءة	الاناة	٥٣٨	١٧
وجها	وجهها	٥٣٨	٢٠
الى	لي	٥٥٤	١٤
معقصوصة	معقوصة	٥٥٥	٩
قيط	قيظ	٥٥٩	١٠

